العلاقة بين الصوفية والإمامية

جذورها .. واقعها .. أثرها على الأمة

تأليف

د. زياد بن عبد الله الحمام

الطبعة الأولى

ح مجلة البيان، ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحمام، زياد عبد الله إبراهيم

العلاقة بين الصوفية والإمامية جذورها . . واقعها . . أثرها على الأمة ./ زياد عبد الله إبراهيم الحمام - الرياض، ١٤٣٢هـ

ص ٦٢٤؛ ١٧× ٢٤ سم

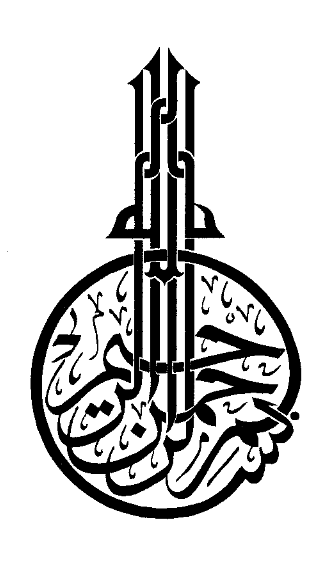
ردمك: ٢ - ٠٣ - ٨١٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

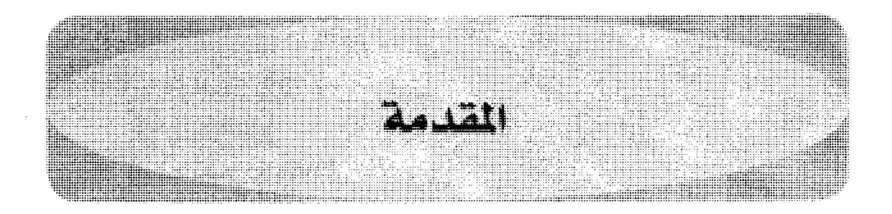
١ - التصوف الإسلامي. نقد ٢ - الإمامية (فرقة شيعية)
أ. العنوان

ديوي ٩, ٢٦٠ ١٤٣٢/١٠٠٨٣

رقم الإيداع: ١٤٣٢/١٠٠٨٣

ردمك: ٢ - ٠٣ - ٨١٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨


بسم الله الرحمن الرحيم



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران: ١٠٢].

وقال - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء: ١].

وقال - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴾

[الأحزاب: ٧٠].

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار[1] .

إن الله تعالى قد رضي لنا الإسلام ديناً ، ونصب لنا الدلالة على صحته بالوحي برهاناً مبيناً ، فمن تمسك به كان من الفائزين ، ومن انقطع دونه كان من الهالكين . وهو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ، ثم من سار على نهجهم من التابعين وسلف الأمة الصالح ، حتى ظهر في الأمة من ضعف تمسكه بالكتاب والسنة ، فتشعبت المسالك بالمسلمين ، وظهرت الفرق والمذاهب ، وكان منها : الصوفية والإمامية الإثنا عشرية ، اللتان أصبح أثرهما بيناً وواسع الانتشار إلى يومنا هذا ، بل هما في حالة بعث جديد ، تقوم عليه دول ومؤسسات ومراكز تعليمية كبيرة في بلاد الغرب وفي بلادنا الإسلامية .

ومن الأمور التي ساعدت على بروز دور هاتين الفرقتين في الأمة هي تلك العلاقة أو الصلة[2] التي حدثت بين الإمامية ، وغلاة الصوفية الباطنية .

ولقد بدأت هذه العلاقة تدريجياً عبر القرون واتسع نطاقها في وقتنا المعاصر ، فكان من المهم دراسة جذور هذه العلاقة ، وإبراز جوانبها المعاصرة ، ومدى التقائها وافتراقها في الوقت الحاضر .

---

(١) هذه الخطبة تسمى خطبة الحاجة ، وهي مأثورة عن النبي ﷺ ، وهي تشرع بين يدي كل حاجة . وقد أخرجها الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الجمعة . باب في خطبته ﷺ برقم (٨٦٨) ، والإمام أحمد في مسنده برقم (٣٧٢٠) (٤/ ٨) ، والنسائي في سننه كتاب العيدين . باب كيف الخطبة برقم (١٥٧٧) (٢/ ٢٠٩) ، وابن ماجه في سننه كتاب النكاح . باب خطبة النكاح برقم (١٨٩٢) (٢/ ٤٣٤) .

(٢) كتب بعض الباحثين في الصلة أو العلاقة والتأثير بين بعض الفرق أمثال : هاشم معروف الحسني في كتابه " الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة " ، وعائشة المناعي في رسالتها للدكتوراه بعنوان " أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية " ، ومحمد الجدعاني في " الصلة بين التشيع والاعتزال " ، وعبد اللطيف بن عبد القادر الحفظي في " تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة أسبابه ومظاهره " ، وغيرهم .

ولا شك في أن بيان الحق في أمر هذه العلاقة، وكشف جوانبها فيه تفويت للفرصة أمام المتربصين والمستغلين لها في تقويض منهج أهل السنة والجماعة ومحاربته، ونشر التشيع تحت غطاء القدر المشترك بينهم كمحبة آل البيت، وتعظيم أمر الإمامة والولاية، وتعظيم القبور والأضرحة، ونحو ذلك.

فجاءت هذه الدراسة لتحقق مهمة استعراض جوانب الاتفاق والاختلاف بين الصوفية والإمامية في الواقع المعاصر، وأثرها في حياة الأمة، مع بيان موقف أهل السنة والجماعة منها فكان عنوان هذه الرسالة «العلاقة بين الصوفية والإمامية».

مشكلة البحث:

الصوفية والإمامية من المذاهب العقدية واسعة الانتشار، ورغم جوانب الالتقاء بينهما في مسائل منها: الغلو في تعظيم الأولياء، والقبور، وادعاء تعظيم آل البيت، وغير ذلك. إلا أن هناك جوانب اختلاف تستوقف الباحث مثل وجود مسائل متباينة بينهما كالإمامة ومفهومها عند الإمامية، والموقف من الصحابة عند الصوفية، ونحوها مما لايرتضيه غالب المتأخرين من أصحاب المذهبين.

ثم إن مما يستدعي الانتباه دعم بعض الدوائر الغربية للتصوف في وضعه الجديد مقابل ما يسمونه بالوهابية، ومن ناحية أخرى نجد استغلال بعض الإمامية للتصوف مدخلاً للمجتمعات السنية، وتحجيماً لحدة الخلاف مما ينطلي على العوام من المسلمين[١].

(١) ورد في موقع مفكرة الإسلام الإلكتروني: أن مصادر صحافية مصرية ذكرت تقريراً سرياً لمجمع البحوث الإسلامية كشف عن محاولة لنشر أفكار ومبادئ المذهب الشيعي بين أتباع ومريدي الطرق الصوفية في مصر من قبل بعض التيارات والجهات الشيعية التي تستغل التشابه بين التصوف والتشيع. وأن الأموال باتت تتدفق على أتباع الطرق الصوفية في مصر بعد تصريحات أطلقها بعض قيادات رموز التصوف أشاروا فيها إلى أنه لا فرق بين الشيعة والمتصوفين، وفق ما نسب إلى حسن الشناوي شيخ مشايخ الطرق الصوفية. وحذر المجمع من تزايد النشاط الشيعي=

أهداف البحث:

١ - الكشف عن حقيقة العلاقة بين الصوفية والإمامية في الوقت الحاضر.

٢ - بيان نشأة هذه العلاقة وأطوارها.

٣ - عرض صور ونماذج الاتفاق والافتراق بين الصوفية والإمامية في أبرز المسائل الاعتقادية والعملية.

٤ - دراسة آثار علاقة الصوفية بالإمامية على الأمة.

٥ - بيان موقف أهل السنة والجماعة من هذه العلاقة.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

١ - تزايد المد الشيعي والصوفي في العالم بأسره في الوقت الحاضر.

٢ - محاولة إحلال الدعوة الصوفية بديلاً عن الدعوة السلفية في عدد من الأقطار الإسلامية، والمنتديات الثقافية.

=في مصر خاصة مع قدوم لاجئين عراقيين ينتمون إلى المذهب الشيعي يسعون لإقامة حسينيات في مصر. كما أن مجمع البحوث الإسلامية قرر مصادرة العديد من الكتب والمجلات الشيعية مؤخراً، كان آخرها كتاب لأحمد راسم النفيس أحد أقطاب الشيعة في مصر يستعرض فيه رحلته في الانتقال من المذهب السني إلى المذهب الشيعي. ونقل موقع العربية الإلكتروني سماح شيخ الأزهر للطلاب الشيعة من إيران وشيعة لبنان بالالتحاق بجامعة الأزهر. انظر للاستزادة: الشيعة في مصر من الإمام علي حتى الإمام الخميني. صالح الورداني (ص: ٨١)، وجريدة الشرق الأوسط. العدد (٩٧١٣) وتاريخ ٢٥/ ٥/ ١٤٢٦هـ، وموقع إسلام أون لاين الإلكتروني. مقالة بعنوان: "جدل ساخن في السودان حول المد الشيعي". محمد جمال عرفة، وموقع الإصلاح. مقالة بعنوان: "النشاط الشيعي في السودان". أحمد إسماعيل. وموقع فيصل نور مقالة: "المد الرافضي في السودان". أحمد الظرفي.

٣ - استغلال الإمامية لعاطفة الصوفية نحو آل البيت بوصفها مدخلاً للدعوة للتشيع في بعض البلدان.

٤ - تباين الباحثين في موضوع العلاقة بين الصوفية والإمامية بين مغفل لها، ومبالغ فيها بوصفهم أن التصوف هو الوجه الآخر للتشيع[١].

٥ - عناية بعض علماء الإمامية بمصنفات أعلام التصوف البدعي؛ كابن عربي والحلاج وذلك من حيث الشرح والتدريس والتداول بين أتباع المذهب الإمامي.

حدود البحث:

دراسة جوانب العلاقة بين الصوفية والإمامية في أبرز مسائل الاعتقاد الكبار، مع بيان الآثار العقدية والفكرية التي خلفتها تلك العلاقة، والتركيز في ذلك على أهم الفرق الصوفية المعاصرة الغالية المتأثرة بالتشيع في السنوات الثلاثين الماضية، كالرفاعية، والبكتاشية، والختمية، والعزمية ممن يطلق عليهم وصف غلاة الصوفية الباطنية (المفرقين بين الشريعة والحقيقة، والمتأثرين بالفلسفة الإشراقية، والقائلين بعقيدة وحدة الوجود، والحقيقة المحمدية، ونحوها من المقالات)[٢].

الدراسات السابقة:

بعد التحري والبحث في قوائم الرسائل الجامعية بالمملكة، ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، وزيارة بعض جامعات مصر في القاهرة والإسكندرية، والعديد من المكتبات العامة والخاصة، وبعض معارض الكتاب الدولية، وكذلك تصفح عدد من المواقع المتخصصة على الشبكة العالمية (الإنترنت)؛ تم التعرف إلى بعض الدراسات في هذا الموضوع من أهمها:

(١) انظر: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة. عبد الرحمن عبد الخالق (ص: ٣٤).
(٢) سيأتي بمشيئة الله بيان هذه المصطلحات بتفاصيلها أثناء البحث.

الأول والثاني: كامل مصطفى الشيبي - باحث عراقي شيعي - في كتابيه:

- «الصلة بين التصوف والتشيع» وأصله رسالة ماجستير بقسم الدراسات الفلسفية بجامعة الإسكندرية (سنة ١٩٥٨م).

- «الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري» وأصله رسالة دكتوراه في الفلسفة بجامعة كمبردج نشرت الطبعة الأولى في مطابع التضامن ببغداد (سنة ١٩٦٦م). ويؤخذ على الكتابين النقاط التالية:

أ- الكتابان ذوا نزعة شيعية واضحة، واجتهد الباحث في تفسير الظواهر تفسيراً شيعياً بحتاً[١].

ب - طغى على الكتابين المنهج التاريخي مع غض الطرف عن الجانب العقدي.

ج - أغفل الباحث المصادر المحايدة العامة في بحثيه.

د - الموضوع بحاجة إلى طرح جديد من منظور أهل السنة في دراسة نقدية تأصيلية تصحح بعض الرؤى التي حاول المؤلف طرحها.

هـ - الكتابان مضى عليهما خمسون سنة تقريباً، وهناك مستجدات وحقائق مهمة حول العلاقة بين الفرقتين بحاجة إلى البحث والدراسة.

الثالث: الإمامي هاشم معروف الحسني وكتابه بعنوان «بين التصوف والتشيع» نشرته دار القلم بلبنان (سنة ١٩٧٩م). وقد جاء هذا الكتاب رداً عل أبحاث الشيبي-

(١) من أمثلة ذلك: قوله عن شخصية ابن سبأ أنها أسطورية بل سعى لإلغائها من التاريخ تماماً، واستبدل شخصية عمار بن ياسر رضي الله عنه بدلاً عنها كنوع من التبرير لإثبات شخصية ابن سبأ إثباتاً مقبولاً عند أهل السنة، وقال في ذلك: "ومن غرائب التاريخ أن نرى كثيراً من الأمور التي تنسب إلى ابن سبأ موجودة في سيرة عمار بن ياسر" ثم ذكر وجوهاً عدة، وقال بعدها: "نستخلص من هذا أن ابن سبأ لم يكن سوى عمار بن ياسر". انظر: الصلة بين التصوف والتشيع. كامل مصطفى الشيبي (ص: ٤٠-٤١).

السابق ذكرها- ليبين مؤلفه الفجوة بين التصوف والتشيع، وأنها - حسب رأيه- بالغة أقصى حدودها في المعتقدات والآراء والأفكار والأحوال، معتبراً أن أبحاث الشيبي مهاجمة للشيعة وعدوان صارخ عليهم، كما أكد الحسني أن الشيعة يبرؤون من شعوذة المتصوفة وتهويشهم وتضليلهم، ولا يخلو كتابه من المآخذ التي ذكرت في أبحاث الشيبي بالإضافة إلى لغة التعصب المذهبي المجانبة للموضوعية المفترضة في البحث العلمي.

الرابع: فلاح إسماعيل أحمد في رسالته للدكتوراه بعنوان: «العلاقة بين التشيع والتصوف» وهي رسالة علمية مناقشة في الجامعة الإسلامية سنة ١٤١١هـ، وتتكون من ثلاثة أبواب وفي كل باب فصلان على النحو التالي:

١ - التشيع (في معاني الشيعة والتشيع - في تاريخ الشيعة والتشيع).

٢ - التصوف (في معاني التصوف- في تاريخ التصوف).

٣ - العلاقة بين التشيع والتصوف (وحدة المنشأ - وحدة المناهج التعليمية والتربوية).

ويمكن ملاحظة النقاط التالية على الرسالة، وهي:

أ - الاستطراد الواضح من الناحيتين التعريفية والتاريخية للفرقتين.

ب - التشابه - إلى حد كبير- مع مفردات الكتابين السابقين، وطريقة تناولهما الموضوع من حيث التقسيم والتبويب.

ج - من حيث المسائل العقدية فقد اقتصر الباحث على دراسة بعض المسائل منها: الظاهر والباطن، والتقية، والإمامة والولاية، والقبور والأضرحة، وأغفل مسائل أخرى مهمة مثل: مفهوم التوحيد والشرك، وعقيدة وحدة الوجود، وتعريف

الإيمان وعقيدتهم في أركانه، والموقف من الصحابة، . . وغيرها من المسائل الواردة في أثناء هذا البحث.

د - يعرض الباحث مذهب كل فريق في المسألة على حدة دون أن يبرز صفة وجوانب العلاقة بينهما من اتفاق أو افتراق فضلاً عن إبراز ما ترتب على العلاقة بين الصوفية والإمامية من آثار على الفرقتين بخاصة، وفي حياة الأمة بعامة.

هـ - عدم التنوع في المصادر الصوفية والإمامية على اختلاف أزمان مصنفيها، ويكتفي الباحث في كثير من المواضع بالرجوع إلى مصدر واحد في تقرير مسألة ما.

و- المبالغة والإكثار من استخدام ألفاظ كالتكفير والتفسيق والتبديع في غير مواضعها المناسبة وهو ما يقلل الاستفادة من البحث وأهدافه[1].

ز - العامل الزمني حيث استجد في شأن هذه العلاقة أمور وفرق بحاجة إلى تأمل ودراسة مثل الطريقة الختمية، والعزمية، وجماعة العشيرة المحمدية، وغيرها[2].

وهناك إضافة لما سبق بعض الرسائل المختصرة، وبعض الأبواب والفصول توجد في بعض الكتب التي تناولت هذه العلاقة ولكنها لا تبرز المسألة بصورتها الشاملة. وقد استفاد الباحث من هذه الدراسات في بعض المواضع من الرسالة.

ومن أبرز الإضافات في هذه الرسالة عمَّا سبق من دراسات ما يلي:

١ - بيان نشأة هذه العلاقة وأسبابها مع ملاحظة أن بعض متأخري الصوفية من الأشاعرة لهم موقف مخالف للإمامية في مسائل الإمامة، وعدالة الصحابة. . وغير ذلك، ولكن تركيزنا هنا - كما هو مشار إليه في حدود البحث- على الصوفية الباطنية الغلاة.

---

(١) انظر على سبيل المثال في الرسالة (ص: ٥٠-٩٠-١١٢-١٢٩-٢٢٧-٢٧٥) وغيرها كألفاظ: الخبيث النتن، والهالك الملحد الزنديق، وقلة الحياء ونحوها.

(٢) انظر: الشيعة في مصر من الإمام علي حتى الإمام الخميني. صالح الورداني (ص: ٨١).

٢ – عرض صور ونماذج الاتفاق والافتراق بين الصوفية والإمامية في أبرز المسائل الاعتقادية العلمية منها والعملية مع دراسة جوانب هذه العلاقة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة في مسائل عقدية مهمة مثل: مفهوم التوحيد والشرك، وأركان الإيمان، وعقيدة وحدة الوجود، والموقف من الصحابة، وطرق الترقي في المذهب، والطقوس والشعائر البدعية المشتركة. . وغيرها.

٣ – دراسة اهتمام الإمامية بمؤلفات فلاسفة الصوفية وشرحها والإشادة بها من أمثال كتب: ابن عربي، والحلاج.

٤ – تناول القضايا المتعلقة بالوقت الحاضر مثل استغلال الإمامية للتصوف مدخلاً للمجتمعات السنية، ودعم التصوف مقابل منهج السلف.

٥ – بيان آثار كل فرقة على الأخرى، وآثار الفرقتين في حياة الأمة.

منهج البحث:

تم استخدام المنهج الاستقرائي الموصول بالمنهج التحليلي حسب المراحل التالية:

أ – التتبع والجمع من كتب الصوفية والإمامية المعتمدة لديهم.

ب – المقارنة والربط والكشف عن جوانب العلاقة بين الصوفية والإمامية.

ج– التحليل والنقد ومناقشة ذلك في ضوء منهج السلف.

إجراءات البحث:

١ – أنقل المعلومات من مصادرها الأصلية المعتمدة عندهم: فأنقل أقوال المتصوفة من كتبهم، والإمامية كذلك. . وهكذا. مع الاهتمام بمصادرهم القديمة التي لا يزال أثرها واضحاً في أتباع الفرقتين من خلال مؤلفاتهم، ومواقعهم الإلكترونية، وقنواتهم الفضائية المرئية. وبالأخص لدى الإمامية حيث يقومون بحركة نشطة لبعث التراث الإمامي القديم، ونشره وترويجه بين الناس.

٢ - كثير من المسائل المشتركة بين الفرقتين لا أبين فسادها بعد نقلها، وإنما أكتفي بتصوير حقيقة القول لأن جملة من العقائد يكفي في معرفة حقيقتها مجرد عرضها، ولهذا ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن تصور المذهب الباطل يكفي في بيان فساده ولا يحتاج مع حسن التصور إلى دليل آخر[1].

كما أن علماء أهل السنة قديماً وحديثاً، وكذا بعض الباحثين المعاصرين كتبوا مؤلفات مستقلة في الرد على أصول الفرقتين في جوانب شتى، ومن أمثال ذلك: ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية، ومحمود الألوسي، وإحسان إلهي ظهير، وغيرهم. ومع هذا فقد عقدت فصلاً مستقلاً لبيان موقف أهل السنة والجماعة من تلك المسائل إجمالاً بأدلتها النقلية لأن الرد التفصيلي سيستغرق طويلاً، ويشغل القارئ عن مقصود البحث في كشف العلاقة بين الفرقتين.

٣ - بيان أوجه الارتباط والتشابه بين غلاة الصوفية الباطنية والإمامية دون تكلف أو تعسف.

٤ - في غالب مباحث الرسالة أعرض أولاً لموقف الصوفية، ثم أتبعه بموقف الإمامية، وأختم المبحث بخلاصة أوجز فيها جوانب الالتقاء والافتراق بين الفرقتين.

٥ - التنوع في المصادر المتعلقة بمسألة ما بمراعاة الفارق الزمني لمصنفيها، واختلاف أمصارهم وهو ما يعطي القارئ ثقة في اتفاقهم على تلك المسألة واشتهارها بينهم.

٦ - الاستفادة من المواقع الإلكترونية التي تناولت موضوع البحث، وخصوصاً مواقع الفرقتين التي اشتهرت عندهم، ويشرف عليها مراجعهم ومشايخهم، ويرتادها الكثير من أتباعهم.

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ١٣٨).

٧ - الاعتضاد بالكتابات والمقالات والتقارير والأحداث المعاصرة وفق ما يقتضيه موضوع البحث وحدوده، ولاسيما في رصد الآثار المترتبة على تلك العلاقة في حياة الأمة.

٨ - في كل مسألة من مسائل البحث عرضت ما أمكن لموقفي القبول والرفض بشأن العلاقة بين الفرقتين عند أتباعهما.

٩ - توثيق المعلومات من مصادرها في الهامش باختصار، وترك تفصيل معلومات النشر لفهرس المصادر والمراجع.

١٠ - العناية بتخريج الأحاديث النبوية، ونقل حكم العلماء عليها إلا إذا كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما فأكتفي بعزوه فقط.

١١ - الترجمة للأعلام الذين لهم دور في تأسيس بعض عقائد الصوفية والإمامية، أو ما تدعو حاجة البحث لمعرفته.

ولقد اكتنفت الدراسة صعوبات عدة:

أولاً: رحلت في البحث عن الكتاب الصوفي والإمامي إلى مصر، والأردن، والبحرين، والكويت، وبعض المعارض الدولية للكتاب، وحصلت من خلال ذلك على مصادر مهمة أفدت منها في أبواب هذا البحث وفصوله. كما تراكم أمامي العديد من الموسوعات الإلكترونية، وما تحويه من آلاف المجلدات، ومنها على سبيل المثال: مكتبة أهل البيت الصادرة في إيران.

ثانياً: التطور المتلاحق والسريع لظاهرة الصلة بين الفرقتين، والذي اضطرني حتى وأنا في نهايات البحث للرجوع إلى مباحثه الأولى للزيادة والتعديل حتى أصبح البحث ينمو في مباحثه كافة في آن واحد.

ثالثاً: اتساع الموضوع، وترامي أطرافه، وتشعب مسائله حتى أن بعض جزئياته تصلح موضوعات لرسائل علمية مستقلة. فكان المفر للتغلب على ذلك سلوك طريق الانتقاء والاختصار، والتصنيف إلى مراحل واتجاهات، ونحو ذلك، وعدم الإغراق في التفصيلات الجزئية.

تقسيم البحث:

جاءت الرسالة في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة أبواب، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: وعرضت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومنهج البحث فيه.

التمهيد: وعنوانه: التعريف بالصوفية والإمامية، وفيه:

أولاً: التعريف بالصوفية وأبرز طرقها المعاصرة. وفيه تناولت الطرق الصوفية ذات الصلة بالإمامية كالرفاعية، والبكتاشية، والختمية، والعزمية.

ثانياً: التعريف بمذهب الإمامية الإثني عشرية وواقعه المعاصر. وتقسيمهم إلى مدرستين: أخبارية وأصولية، وبينت الفرق بينهما، والأدوار التي مرت بها كل مدرسة منذ نشأتها وحتى وقتنا الحاضر.

الباب الأول: وعنوانه: جذور الصلة بين الصوفية والإمامية.

وفيه فصلان: **الفصل الأول**: أسباب وأصول نشأة العلاقة بين التصوف والإمامية، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: المؤثرات الخارجية، وفيه عرضت لتأثر الفرقتين بالمؤثرات الخارجية من يهودية ونصرانية وفارسية وهندية ويونانية، واقتصرت على الملامح المشتركة في التأثر.

المبحث الثاني: أوجه الاتفاق في مصادر التلقي ومنهج الاستدلال بين الصوفية والإمامية. وتناولت موقفهم من القرآن الكريم، والسنة النبوية، وأقوال الشيوخ والأئمة، والمصادر العرفانية بوصفها مصادر مشتركة للتلقي عند الفرقتين.

الفصل الثاني: اتجاهات أعلام ومفكري الصوفية والإمامية من العلاقة بين الفرقتين، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: اتجاهات أعلام ومفكري الصوفية في القديم والحديث. وفيه ألمحت لاتجاهي التأييد والرفض لتلك العلاقة بعد أن أشرت في الرسالة إلى المقصود من مصطلح القديم والحديث.

المبحث الثاني: اتجاهات أعلام ومفكري الإمامية في القديم والحديث. وفيه ألمحت أيضاً لاتجاهي التأييد والرفض لتلك العلاقة في نظر أعلام الإمامية ومفكريها.

الباب الثاني: وعنوانه: أبرز مسائل الاتفاق والاختلاف بين الصوفية والإمامية، وفيه فصلان:

الفصل الأول: المسائل العلمية، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: توحيد الله وأصول الإيمان. وفي هذا المبحث ذكرت تعريف الصوفية للتوحيد والشرك وكذا الإمامية، ومدى تأثر أنواع التوحيد عند الصوفية بعقيدة وحدة الوجود ومن تبعهم من الإمامية في ذلك، وتأثر الإمامية في هذا الباب بمسألة الإمامة ومن تابعهم من الصوفية.

وعرضت لتعريف الإيمان عند أتباع الفرقتين وكيفية تناولهم لأركان الإيمان، فبينت عقائدهم المشتركة في الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

المبحث الثاني: النبوة والإمامة والولاية. وعرفت المصطلحات الثلاثة وما ارتبط بمسألة النبوة من القول بالحقيقة المحمدية، والموقف من عصمة الأنبياء، وعقيدتهم في رجعة الأنبياء.

وفي مطلب آخر من هذا المبحث تناولت بالتفصيل الخصائص المشتركة بين الإمامة والولاية عند الإمامية والصوفية.

المبحث الثالث: الموقف من الصحابة، وفيه عرضت لتعريف الصحابي عند الإمامية وعقيدتهم في الصحابة وموقفهم من عدالتهم، كما ذكرت ما حصل من خلل عند الصوفية في العقيدة في الصحابة رضي الله عنهم كنسبة التواجد والحجل إليهم، ووصفهم بالقطبية والغوثية، وتلقي العلم عنهم بعد موتهم، والغلو في شخص علي رضي الله عنه على سبيل الخصوص.

الفصل الثاني: المسائل العملية، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: القبور والأضرحة وبينت في هذا المبحث الأصل في تعظيم القبور والأضرحة عند الفرقتين، ونشأة هذا التعظيم في العالم الإسلامي، ثم ذكرت بعض المزارات والمراسم والآداب المشتركة بين الصوفية والإمامية.

المبحث الثاني: مراحل الترقي في المذهب، وتناولت فيه من خلال مطلبين: التقارب في المناهج التربوية، والمراتب والألقاب الدينية عند أصحاب الفرقتين.

المبحث الثالث: المصنفات والشروح لعلماء الطائفتين على كتب الطائفة الأخرى، وفيه عرضت لعناية الصوفية بكتب الإمامية وطباعتها ونشرها، وما يخدم تراثها، ولعناية الإمامية بكتب الصوفية بالشرح والتعليق، أو اختصارها وتهذيبها، أو كتابة مقدمات تمهيدية لدراستها، وفي الآونة الأخيرة ضمنت كتب التصوف والعرفان الموسوعات والمكتبات الإلكترونية المتخصصة عند الإمامية.

الباب الثالث: وعنوانه: أثر علاقة الصوفية بالإمامية وموقف أهل السنة منها، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: أثر العلاقة على الفرقتين، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الاضطراب والتناقض في المسائل العقدية، وفي هذا المبحث بينت الأصول والدلائل المشتركة للوقوع في الاضطراب والتناقض عند الفرقتين، ثم اخترت التناقض والاضطراب الحاصل في معتقد الإمامة والولاية أنموذجاً.

المبحث الثاني: شيوع الطقوس البدعية والتي كان من أبرزها: إحياء المناسبات الحولية، والذكر الجماعي، واختراع الأوراد والأدعية.

الفصل الثاني: الآثار المترتبة على العلاقة بين الصوفية والإمامية في حياة الأمة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: محاربة منهج أهل السنة والجماعة والوقوف مع الأعداء ضد أهل السنة. وقد تبين من خلال هذا المبحث العدائية المستميتة من الإمامية خاصة، وكذلك الصوفية في محاربة منهج أهل السنة والجماعة ونبزه بالألقاب المنفرة، مع التأصيل العلمي والفقهي لمسائل العداء والانتقام.

المبحث الثاني: تعميق نظرية التقريب بين السنة والشيعة. وفيه لمحة موجزة عن التقريب، ومحاولات التقريب بين السنة والشيعة في الوقت الحاضر وما تبع تلك الدعوات من مكاسب وتراجعات.

الفصل الثالث: موقف أهل السنة والجماعة من أبرز مسائل العلاقة بين الصوفية والإمامية، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: موقف أهل السنة من المسائل العلمية في علاقة الصوفية بالإمامية، ومن أبرزها مسائل: التوحيد، والنبوة، والإمامة، والولاية، والموقف من الصحابة.

المبحث الثاني: موقف أهل السنة من المسائل العملية في علاقة الصوفية بالإمامية، ومن أبرزها مسائل: القبور والأضرحة، وما وقعت فيه الفرقتان من الطقوس البدعية وذلك بذكر دليل أهل السنة من القرآن الكريم، والسنة المطهرة، وبعض أقوال سلف الأمة بأسلوب سهل ميسر يعكس حقيقة العقيدة الصحيحة ويسرها.

الخاتمة: وفيها عرض لأهم النتائج والتوصيات.

وقد ذيلت الرسالة بالفهارس العامة: كفهرس الآيات، والأحاديث، والأعلام المترجم لهم، والمصادر والمراجع، والموضوعات.

وختاماً فإني أحمد الله سبحانه وتعالى على توفيقه، وأشكره على إعانته على إتمام هذا العمل، فله الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ويرضى.

وأتقدم بالشكر الجزيل، والعرفان الجميل إلى جامعة الملك سعود بالرياض ممثلة في كلية التربية، وأخص بالشكر والثناء القائمين على قسم الثقافة الإسلامية من أساتذة وموظفين على ما أبدوه من عناية بالعلم وطلابه، سائلاً الله العلي القدير أن يثيبهم حسن الإثابة، ويجزيهم خير الجزاء.

كما أتقدم بفائق الاحترام، وعظيم المودة إلى فضيلة الدكتور: محمد بن عبد الله الوهيبي المشرف على هذه الرسالة الذي أحاطني باهتمامه، وأتحفني بتوجيهاته القيمة فجزاه الله خيراً.

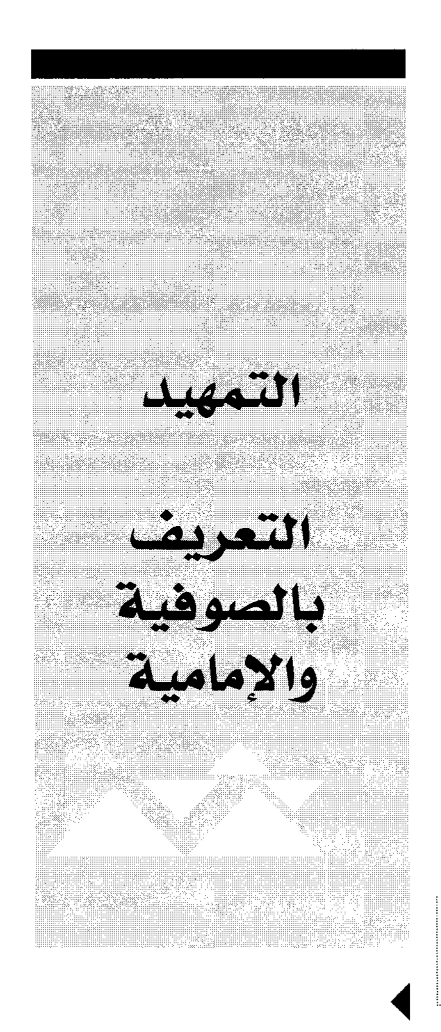
وأخص بالشكر والتقدير سعادة الأستاذ الدكتور: عبد الله بن صالح البراك، وسعادة الدكتور: عبد الله بن عمر الدميجي، اللذين تكرما بقبول مناقشة الرسالة، وأفاداني بملحوظاتهما وتوجيهاتهما واستدراكاتهما القيمة.

ولا يفوتني أن أشكر كل من أسدى إليّ نصحاً، أو مشورة، أو توفير كتاب فجزى الله الجميع خير الجزاء، وأجزل لهم في الدارين العطاء.

والله أسأل أن يغفر لنا خطايانا وتقصيرنا، وأن يلهمنا الصواب، ويعيذنا من فتنة القول والعمل، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

كتبه

زياد بن عبد الله الحمام



وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالصوفية وأبرز طرقها المعاصرة.

المبحث الثاني: التعريف بمذهب الإمامية الإثني عشرية وواقعه المعاصر.

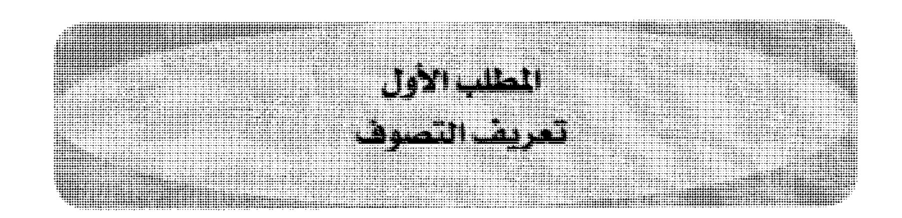
المبحث الأول

التعريف بالصوفية وأبرز طرقها المعاصرة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف التصوف.

المطلب الثاني: التعريف بأبرز الطرق الصوفية المعاصرة.



١- تعريف التصوف في اللغة:

● قيل: «الصوف للشاة، والصوفة أخص منه، وصوفه: أي حي من مضر، وهو الغوث بن مر بن أدِّ بن طابخة بن إلياس بن مضر، كانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية ويجيزون الحاج، أي يفيضون بهم.

ومنه قول الشاعر: حتى يقال أجيزوا آل صوفانا.

وكبش صاف، أي كثير الصوف. وصاف السهم عن الهدف يَصُوفُ ويصيفُ أي عدل عنه، ومنه قولهم: صاف عنّي شرّ فلان، وأصاف الله عنّي شرّه»[1].

● وقيل: «الصاد والواو والفاء أصلٌ واحد صحيح، وهو الصوف المعروف.

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. لإسماعيل بن حماد الجوهري. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار(٤/ ١٣٨٨، ١٣٨٩). وانظر: لسان العرب. ابن منظور. عناية: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي (٧/ ٤٤٣)، والقاموس المحيط. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (٣/ ١٦٩).

والباب كله يرجع إليه. يقال: كبش أصوف وصوفٌ وصائفٌ وصافٌ، كل هذا أن يكون كثير الصوف. . . وأمّا قوله: صاف عن الشرّ، إذا عدل، فهو من باب الإبدال يقال: صاف إذا مال»[1].

ومن هذا يتبين أن كلمة الصوف تأتي في اللغة بمعنى الصوف المعروف للشاة ونحوها، كما أنها تأتي بمعنى الميل إلى شيء والعدول عنه، والملاحظ أن هذا المعنى لم يستخدم من قبل الصوفية أو غيرهم في بيان المصدر أو اللفظ الذي اشتق منه التصوف كما سيأتي في الفقرة الثانية.

٢- تعريف التصوف اصطلاحاً:

يقول معروف الكرخي[2]: «التصوّف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق»[3].

وقال بشر بن الحارث[4]: «الصوفي من صفا قلبه لله»[5].

(١) معجم مقاييس اللغة. لأبي الحسن أحمد بن فارس. تحقيق: عبد السلام هارون (٣/ ٣٢٢).

(٢) أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي، ويقال معروف الفيرزان يلقب بالزاهد، معروف بالورع، توفي سنة ٢٠٠هـ، وقبره ظاهر في بغداد يستشفى به غلاة الصوفية. انظر ترجمته في: الرسالة القشيرية (١/ ٦٥)، وطبقات الصوفية. أبي عبدالرحمن السلمي. تحقيق: نور الدين شريبه (ص: ٨٣)، والطبقات الكبرى. عبد الوهاب الشعراني (١/ ٧٢).

(٣) الرسالة القشيرية (٢/ ٥٥٢)، وعوارف المعارف (ص: ٦٢).

(٤) هو بشر بن الحارث الحافي يكني أبا نصر أصله من مرو وسكن بغداد. ولد سنة ١٥٠هـ وتوفي سنة ٢٢٧هـ. كان طلق العبارة، زاهداً ورعاً. انظر: طبقات الأولياء. لابن الملقن. تحقيق: نور الدين شريبه (ص: ١٠٩)، والكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية. زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي. تحقيق: محمد أديب الجادر (١/ القسم الثاني ص: ٥٥٧). والطبقات الكبرى. عبد الوهاب الشعراني (١/ ٧٢).

(٥) التعرف لمذهب أهل التصوف (ص: ٢١).

ويقول الجنيد[1] وقد سئل عن التصوّف: «أن تكون مع الله بلا علاقة»[2].

ويقول أيضاً هو: «أن يمتك الحق عنك ويحييك به»[3].

وعرفه سمنون[4] بقوله: «التصوف هو أن لا تملك شيئاً ولا يملكك شيء»[5].

وقد عرّفه البعض بأنه كله اضطراب[6].

والمتأمل في هذه التعريفات يمكنه الاستنتاج بأن تعريف التصوف عند الصوفية يختلف من شخص لآخر، ومن عصر إلى آخر وذلك لأن الصوفية لما كانوا أصحاب وجد وذوق تكلّم به وعرّفه كل واحد منهم بما وقع له. وكما هو واضح أيضاً فإن هذه التعريفات تطغى عليها الرمزية والإشارات العامة غير المفهومة، والمخالفة لبعض تعاليم الشريعة الإسلامية الثابتة في نصوص الكتاب والسنة[7]. ولم تصل به إلى حد

---

(١) أبو القاسم الجنيد بن محمد الخرّاز القواريري، أصله من نهاوند، ومولده ومنشؤه بالعراق، كان فقيهاً، من أئمة القوم وساداتهم، اشتهر بصحبة خاله السري والحارث المحاسبي، أسند الحديث. توفي سنة سبع وتسعين ومائتين هجرية. انظر ترجمته: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٦٦)، وطبقات الصوفية (ص: ١٥٥-١٥٦)، وطبقات الأولياء (ص: ١٢٦)، والطبقات الكبرى. عبد الوهاب الشعراني (١/ ٨٤).

(٢) اللمع (ص: ٤٥)، والرسالة القشيرية (٢/ ٥٥٢)، وعوارف المعارف (ص: ٦٢).

(٣) الرسالة القشيرية (٢/ ٥٥١)، وعوارف المعارف (ص: ٦٣).

(٤) أبو الحسن سمنون بن حمزة، ويقال سمنون بن عبد الله بن الخواص، من كبار مشايخ العراق، توفي بعد الجنيد. انظر ترجمته: في طبقات الصوفية (ص: ١٩٥)، والطبقات الكبرى. عبد الوهاب الشعراني (١/ ٨٩).

(٥) اللمع (ص: ١٥)، والرسالة القشيرية (٢/ ٥٥٢)، والطبقات الكبرى. عبد الوهاب الشعراني (١/ ٨٩).

(٦) انظر: عوارف المعارف (ص: ٦٤).

(٧) انظر في تفصيل هذه المخالفات بناءً على التعريفات السابقة: كتاب مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية. إدريس محمود إدريس (١/ ٣٠). ومن تلك المخالفات: دعوى قطع العلاقة مع الخلق، والتجرد من الأملاك.. ونحوها.

التعريف الجامع المانع، كما أن التعريف أخذ ينحو منحى يزداد انحرافاً كلما تقدّم به الزمن. يقول الواسطي[1]: «كان للقوم إشارات ثم صارت حركات ثم لم يبق إلا حسرات»[2].

---

(١) أبو بكر محمد بن موسى الواسطي، أصله من فرغانه، من أصحاب الجنيد والنوري، من علماء مشايخ الصوفية، أقام بمرو وتوفي بها بعد العشرين وثلاثمائة من الهجرة. انظر طبقات الصوفية (ص: ٣٠٢)، وطبقات الأولياء (ص: ١٤٨)، والطبقات الكبرى. عبد الوهاب الشعراني (٩٩/١).

(٢) الرسالة القشيرية (٢/ ٥٥٥)، والطبقات الكبرى. عبد الوهاب الشعراني (١/ ١٠٠).

المطلب الثاني
التعريف بأبرز الطرق الصوفية المعاصرة

تعريف الطريقة الصوفية:

تطلق الطريقة في اللغة على السيرة. وطريقة الرجل: مذهبه، والطريقة الحال. يقال: هو على طريقة حسنة وطريقة سيئة[١].

وعرفت الطريقة في اصطلاح الصوفية بادئ الأمر بأنها: «السيرة المختصة بالسالكين إلى الله من قطع المنازل والترقي في المقامات»[٢]. كما يصور أحد أقطاب الصوفية الطريقة بقوله: «الشريعة كالسفينة والطريقة كالبحر، والحقيقة كالدر. فمن أراد الدر ركب في السفينة ثم شرع في البحر ثم وصل إلى الدر. فمن ترك هذا الترتيب لا يصل إلى الدر»[٣].

(١) انظر: لسان العرب (٨/ ١٥٥) مادة (طرق).
(٢) متممات جامع الأصول في الأولياء وأنواعهم. أحمد ضياء الدين الكمشخانوي (ص: ٦٣)، ومعجم اصطلاحات الصوفية. عبد الرزاق الكاشاني. تحقيق: عبد العال شاهين (ص: ٨٥).
(٣) النفحات الجودية (ص: ٢٢) والكلام منسوب لنجم الدين الكبري شيخ الطريقة الكبراوية.

ولكن بعد تطور الطرق عبر القرون أصبحت الطريقة تعبر عن جملة مراسيم وتنظيمات لجماعات صوفية لها بيعة وأوراد وموالد معينة، وزي خاص، وأضرحة، وزوايا يجتمعون فيها، وما شابه ذلك[1]. يقول أبو الوفاء التفتازاني[2]: (أصبحت لفظة «طريقة» عند الصوفية المتأخرين تطلق على مجموعة أفراد ينتسبون إلى شيخ معين، ويخضعون لنظام دقيق في السلوك الروحي، ويحيون حياة جماعية في الزوايا والربط والخانقاوات، أو يجتمعون اجتماعات دورية منظمة، في مناسبات معينة، ويعقدون مجالس العلم والذكر بانتظام)[3].

ويرى نيكلسون أن الصوفية: «تطلق اسم (الطريقة) على مجموعة القواعد والرسوم التي يفرضها الشيوخ على مريديهم». وأضاف: «ولهذا لم يكن للطريقة صفات ثابتة محدودة، فإن تعاليم كل طريقة ترجع إلى شيخها الخاص يدل على ذلك ما في الطرق الصوفية في تباين وخلاف»[4].

ويرى د. طعيمة أن «الطريق الصوفي على ضوء ما كتب المتصوفة وما عرفه عنهم الراصدون والمؤرخون هو: أن يختار جماعة من المريدين شيخاً لهم يسلك بهم رياضة خاصة بهم على دعوى وزعم تصفية القلب لغاية الوصول إلى معرفة الله»[5].

ويحسن التنبيه إلى أن الطرق الصوفية لم تظهر بصورتها الحقيقية إلا بعد

(١) انظر: دائرة المعارف الإسلامية. لمجموعة من المستشرقين (١٥/ ١٧٢)، والطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها. عبد الله السهلي (ص: ١١).

(٢) هو محمد أبو الوفا بن محمد التفتازاني، شيخ مشايخ الطرق الصوفية بمصر، ولد سنة ١٣٤٨هـ بمصر، وتوفي بها سنة ١٤١٥هـ. من مؤلفاته: ابن سبعين وفلسفته الصوفية، ومدخل إلى التصوف الإسلامي، وغيرها. انظر: إتمام الأعلام (ص: ٢٧٥)، والموسوعة الصوفية. للحفني (ص: ٨٢).

(٣) الطرق الصوفية في مصر. أبو الوفاء التفتازاني (ص: ٢٠).

(٤) في التصوف الإسلامي وتاريخه (ص: ٧٨).

(٥) دراسات في الفرق (ص: ١١٣).

القرن الخامس الهجري، ومن صنف في التصوف قبل ذلك لم يتعرض لها أمثال: الكلاباذي، والطوسي، والقشيري، وغيرهم[1].

وفيما يلي أعرض بإيجاز لأبرز الطرق الصوفية التي لا تزال لها امتداداتها المعاصرة، وخصوصاً تلك التي تأثرت ببعض معتقدات الإمامية الإثني عشرية:

١- الطريقة الرفاعية:

تنسب الطريقة الرفاعية إلى الشيخ أبي العباس أحمد بن سلطان علي الرفاعي المغربي -لأن أباه علي بن أحمد قد نزل البطائح من المغرب[2]-، ونسبه إلى بني رفاعة قبيلة من العرب[3].

ويصل أتباعه نسبه إلى موسى الكاظم بن جعفر الصادق إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه[4].

---

(١) انظر: التصوف الإسلامي. حسن عاصي (ص: ٩٦-٩٧).

(٢) انظر: العبر في خبر من غبر. للحافظ الذهبي (٣/ ٦٩). والبطائح قرى متجمعة في الماء بين واسط والبصرة مشهورة بالعراق. انظر: قلادة الجواهر(ص: ٣٢)، ودائرة المعارف الإسلامية مقال مارجليوت (١٠/ ٣١٦).

(٣) انظر: الطبقات الكبرى. للشعراني (١/ ١٣٩).

(٤) انظر: قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر. لمحمد أبي الهدى الرفاعي الخالدي الصيادي (ص: ١٢). وقد صرح ابن عنبة نسابة الأشراف المشهور في عمدته أن الذي ينسبون إليه الرفاعي ليس بثابت، وإن الرفاعي نفسه لم يدّع ذلك، وهذا نصه: " وقد نسب بعضهم الشيخ الجليل سيدي أحمد الرفاعي إلى حسين بن أحمد الأكبر فقال: هو أحمد بن يحيى بن ثابت بن حازم بن علي بن الحسين بن المهدي بن القاسم بن محمد بن الحسين المذكور، ولم يذكر أحد من علماء النسب للحسين ولداً اسمه محمد، وحكى لي الشيخ النقيب تاج الدين أن سيدي أحمد بن الرفاعي لم يدّع هذا النسب، وإنما ادعاه أولاد أولاده" . انظر: عمدة الطالب في أنساب أبي طالب لجمال الدين بن عنبة الحسيني (ص ٢١٣- ٢١٤)، وليعلم أن ابن عنبه شيعي المعتقد. وانظر في إنكار نسبة الرفاعي لآل البيت: الفتح المبين فيما يتعلق بترياق المحبين. لظهير الدين القادري (ص: ١٠٢).

وعده بعضهم الإمام الثالث عشر من أئمة آل البيت[1].

ولد الرفاعي سنة (٥١٢ هـ)، وقيل غير ذلك، ونشأ وتربى في بيت خاله الشيخ المنصور البطائحي[2] الذي كان يعد من كبار المتصوفة وصاحب المشيخة في البطائح آنذاك، ثم بعد وفاته خلفه الرفاعي وكان ذلك سنة (٥٤٠هـ)[3]، وتوفي الرفاعي سنة (٥٧٨ هـ)، وقيل غير ذلك[4].

ثم أعقبه على مشيخة الطريقة أعلام عدة كان من أشهرهم وأشدهم تأثيراً على الرفاعية رجل يسمى محمد مهدي الصيادي الرفاعي ظهر في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري، وقد أسبغ على نفسه من صفات القدسية ما لم يسبقه إليه أحد، وألف في ذلك كراساته: بوارق الحقائق، والدرة البيضاء، وبرقمة البلبل، وغيرها[5]. كما عمل الصيادي على زيادة أواصر الصلة بين الرفاعية والإمامية كما سيظهر إن شاء الله في الإشارة إلى بعض معتقدات الرفاعية.

أهم المعتقدات وصلتهم بالإمامية:

يعتقد أتباع الرفاعي في شيخهم بعض خصائص الربوبية والألوهية مثل: تصريف الكون، وأن الله كلفه النظر في أمر الدواب والحيوانات، ودعوى علم الغيب، وإحياء الموتى، وأنه يملك الجنة والنار، ونحوها.

---

(١) انظر: مقدمة المجالس الرفاعية. خاشع الراوي الرفاعي (ص:٦). وقد ترجم الإمامية للرفاعي، وذكروه بالثناء والمدح هو وطريقته وتصوفه وكراماته. انظر: الكنى والألقاب. عباس القمي (٢/ ٢٤٨-٢٤٩).

(٢) المنصور البطائحي سكن نهر دفلي من أرض البطائح، واستوطنها إلى أن مات بها، وقبره ظاهر يزار. انظر: طبقات الشعراني (١/ ١٣٤).

(٣) انظر: المجالس الرفاعية. مقدمة الكتاب (ص: ٢٠).

(٤) انظر: ترجمة الصيادي للرفاعي في مقدمة البرهان المؤيد. للرفاعي. تحقيق: صلاح عزام (ص: ٥-١٧)، ودراسات في التصوف. إحسان إلهي ظهير (ص: ٢٤٥-٢٦٣).

(٥) انظر: المجموعة النادرة (ص: ٨-٣٧).

ومن النصوص الدالة على ذلك قولهم بأنه: "كان قطب الأقطاب[1] في الأرض، ثم انتقل إلى قطبية السماوات، ثم صارت السماوات السبع في رجله كالخلخال"[2]. وقولهم: "ختم الله به الولاية كما ختم بمحمد النبوة"[3].

ونسب إليه أنه قال: "صحبت ثلاثمائة ألف أمة ممن يأكل ويشرب ويروث وينكح ولا يكمل الرجل عندنا حتى يصحب هذا العدد ويعرف كلامهم وصفاتهم وأسماءهم وأرزاقهم وآجالهم، قال يعقوب الخادم، فقلت له: يا سيدي إن المفسرين ذكروا إن عدد الأمم ثمانون ألف أمة فقط، فقال ذلك مبلغهم من العلم، فقلت له: هذا عجب. فقال: وأزيدك أنه لا تستقر نطفة في فرج أنثى إلا ينظر ذلك الرجل إليها ويعلم بها. قال يعقوب الخادم فقلت له: يا سيدي هذه صفات الرب جل وعلا، فقال: يا يعقوب أستغفر الله تعالى فإن الله تعالى إذا أحب عبداً صرفه في جميع مملكته وأطلعه على ما شاء من علوم الغيب"[4].

---

(١) القطب: مصطلح صوفي قيل هو عبارة عن رجل واحد هو موضع نظر الله تعالى من العالم في زمان، وهو صاحب أعلى الدرجات في الطريقة. انظر: المعجم الصوفي. عبد المنعم الحفني (ص: ٢٠٢).

(٢) طبقات الشعراني (١/ ١٤١)، وقلادة الجواهر (ص: ٤٢).

(٣) قلادة الجواهر (ص: ٤٦).

(٤) السابق (ص: ٦٨). وفي المقابل ورد عن الرفاعي أقوال في التزام السنة، وفضل العلم، والتزام حدود الشرع، وأن طريقه دين بلا بدعة، ونحو ذلك. انظر: البرهان المؤيد. لأحمد الرفاعي (ص: ٢٤-٢٦، ٥٥-٥٩) والصواب أن ما ألصق بالرفاعي من خصائص الربوبية والألوهية والخوارق والكرامات هي من الأمور المنسوبة إليه وهو منها براء، وقد تولى كبر هذه الدعاوى الصيادي الذي اقتبس كرامات لأولياء آخرين ذكروا في مصادر التصوف ونسبها بنصها للرفاعي. انظر للمقارنة: الرسالة القشيرية (ص: ١٦٣) الكرامات المنسوبة لأبي الخير التيناتي، وجامع كرامات الأولياء (٢/ ١٥١) الكرامات المنسوبة لعزاز البطائحي، والطريقة الرفاعية. عبد الرحمن دمشقية (ص: ٥٧)، وانظر في سلامة معتقد الرفاعي: غاية الأماني في الرد على النبهاني. للآلوسي (١/ ٢٢٥-٢٢٦).

وقد ذكر الرفاعية أن لأتباع الرفاعي من الكرامات أمثال: أن الله أبرد لهم النيران، وألان لهم الحديد، وأزال عنهم فاعلية السموم، وأذل لهم السباع والأفاعي.. ونحو ذلك[1].

وقد تأثرت الرفاعية بالإمامية في معتقدات عدة كان من أبرزها:

١- جعل أحمد الرفاعي في المنزلة بعد الأئمة الاثني عشر مباشرة:

وفي هذا يذكر الرفاعية أن بعض الأجلاء رأى الرسول عليه الصلاة والسلام في المنام وسأله عن الإمام السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه، فقال له عليه الصلاة والسلام: هو ثالث عشر أئمة الهدى من أهل بيتي[2].

٢ - الرفاعية يعظمون كتاب الجفر الشيعي:

يؤمن الرفاعية بكتاب الجفر الشيعي الذي تعظمه الإمامية، وتقول عنه: أنه كتاب أملى محتواه النبي ﷺ في أواخر حياته إذ أوحى الله إليه به، وكان علي رضي الله عنه يكتب ما يملي الرسول عليه الصلاة والسلام، وفيه علم الأولين والآخرين، ويشتمل على علم المنايا والبلايا والرزايا وعلم ما كان ويكون إلى يوم القيامة، وقد صيغ الجفر بطريقة رمزية خاصة مبنية على أسرار الحروف يفهم منه المعصوم العلوم المتقدمة والغيبية، وقيل إن هذه العلوم هي: القضاء والقدر، وقيل: العلم اللدني، وقيل غير ذلك. ويستدل من كتاب الجفر على تفسير معاني القرآن على أساس باطن

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٤٥٥)، ودراسات في التصوف (ص: ٢٦٤).

(٢) انظر: روضة العرفان. محمود أبو الهدى خليفة الرواس (ص: ١٤٢)، وبوارق الحقائق (ص: ١٩٦)، وإرشاد المسلمين (ص: ٤٥). وبهذه الطريقة - أعني الرؤى المنامية - يحل الصوفية بعض إشكالاتهم العقدية ويتحققون من صحة ما يعتقدون، ويخرجون الأحاديث في المنام.

الكلمات والعبارات، لا على ظاهرها ومعناها[1].

ولقد ذكر المهدي الرواس الرفاعي أنه تنقل كثيراً بين قبور أئمة أهل البيت، والأنبياء وزعم أنهم خرجوا له واحداً واحداً أمامه، وأعطوه علوم الجفر وغيرها[2].

٣- الرفاعية ينتظرون الإمام الغائب مهدي الشيعة المنتظر:

ولقد أخذ محمد الصيادي الرفاعي يعدد أسماء الأئمة الإثني عشر، وقال: الثاني عشر: محمد المهدي المنتظر الحجة[3].

وجعل الصيادي أحد أسانيده في الطريقة إلى المهدي الغائب منتظر الشيعة حيث يقول:

"لي أربعة أسانيد في المصافحة: [قال]

والثالث عن حجة الله الإمام المهدي ابن الإمام العسكري رضوان الله وسلامه عليهما في طيبة الطيبة تجاه المرقد الأشرف المصطفوي وقال صافحت رسول الله ﷺ ودعا لي بخير. قال شيخنا (رضي الله عنه) ثم دعا لي الإمام المهدي رضوان الله عليه بخير"[4].

---

(١) انظر: حقيقة الجفر عند الشيعة. أكرم بركات (ص: ٥٩-٦٩). وقد ذكر المؤلف أن الجفار أربعة، هي: كتاب الجفر، والجفر الأبيض: وهو وعاء من جلد شاة يحتوي على كتب مقدسة، والجفر الأحمر: وهو وعاء من جلد شاة يحتوي على سلاح رسول الله، وجلد الثور: وهو وعاء كبير يحتوي على الجفرين الأبيض والأحمر. انظر: (ص: ٥٢-٥٣).

(٢) انظر: بوارق الحقائق (ص: ٥٦-٥٧) ويعد هذا الكتاب من أقرب الكتب الرفاعية الداعية إلى التشيع، ووردت الإشارة فيه إلى أسرار الجفر مرات عدة.

(٣) انظر: بوارق الحقائق (ص: ١٤١-١٤٢)، والنجوم الزواهر. أحمد الرجيبي الحسيني (ص: ١١٣).

(٤) المجموعة النادرة (ص ٢٣٠، ٢٣١).

ومن صور ارتباط الصيادي بالمهدي قوله إنه في ليلة كان على شاطئ النهر، ورأى رسول الله ﷺ فقال له الصيادي -من جملة ما قال- : "دلني على الطريق إلى الله، قال: تمسك بولدي أحمد الرفاعي تصل إلى الله، فهو سيد أولياء أمتي بعد أولياء القرون الثلاثة، وأعظمهم منزلة، ولا يجيء مثله إلى يوم القيامة غير سميك المهدي بن العسكري.. "(١).

٤- الخلوة المحرمية:

ومن شعائر الطريقة الرفاعية الخاصة الخلوة المحرمية الأسبوعية في كل عام والتي تدوم سبعة أيام، وابتداء دخلوها في يوم عاشوراء، وقد جعلوها شرطاً لكل من انتسب إلى هذه الطريقة، وفيها يعتكفون، ويمتنعون عن النساء، ويكون طعامها خالياً من كل ذي روح(٢).

وأخيراً أشير إلى أن هناك من ترجم للصيادي الرفاعي بعد موته فقال عنه: "قام السيد أبو الهدى رحمه الله مدة حياته الكريمة بأعمال جليلة نافعة ومآثر حميدة طيبة تبقى شافعة له عند ربه يوم اللقاء، وأعماله كانت منصبة على تعمير الأضرحة لآل البيت الكرام"(٣)، إلى غير ذلك من مظاهر الصلة التي تأتي في أثناء هذا البحث.

واقع الطريقة وأماكن انتشارها:

تنتشر الرفاعية في كل من غرب آسيا، ومصر، وسورية، وتركيا، ويمثل الرفاعية في الكويت أتباع يوسف بن هاشم الرفاعي(٤).

(١) انظر: بوارق الحقائق (ص: ٢١٢).

(٢) انظر: تطبيق حكم الطريقة العلية على الأحكام الشرعية. للصيادي (ص: ٣١٨)، والصلة بين التصوف والتشيع (ص: ٤٤٨)، والطرق الصوفية لعامر النجار (ص: ١٠٤-١٠٥).

(٣) المجموعة النادرة (ص: ٣٧، ٣٨).

(٤) يوسف بن هاشم الرفاعي ولد بالكويت سنة ١٣٥١هـ، وله موقع على الشبكة العنكبوتية باسمه يعرض سيرته الذاتية، وأنشطته العلمية والدعوية.

ورأس فرع الرفاعية في مصر مؤخراً: أحمد بن ياسين الرفاعي الذي ينسب نفسه إلى آل البيت، ويرأس نقابة الأشراف في مصر، وكانت وفاته في شهر ذي القعدة سنة ١٤٢٩هـ.

٢- الطريقة البكتاشية:

تنسب هذه الطريقة إلى خنكار الحاج محمد بكتاش الخراساني النيسابوري المولود في نيسابور سنة ٦٤٦هـ، وينسب خنكار هذا نفسه إلى أنه من أولاد إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

وقد سلك خنكار طريقة التصوف على يد شيخ تركستاني يدعى لقمان خليفة، ثم ارتحل إلى بلاد الأناضول ونشر بها دعوته وطريقته بين العامة حتى وصلت إلى مسمع السلطان أورخان ثاني سلاطين آل عثمان فخف لزيارته والتماس البركة منه ثم دعاه ليبارك الجيش الذي أسسه فحضر ووضع الشيخ يده على رأس أحد جنودها ودعا لهم قائلاً: "فليكن اسمهم إنكشارية".

وتوفي بكتاش سنة: ٧٣٨ هـ ودفن بالقرية المسماة باسمه التابعة لمدينة قير شهر وله بها مزار مشهور[1].

وفي مصر عرفت هذه الطريقة بعد أن وفد إليها في سنة ٧٦١ هـ شيخ يدعى قيغوسز سلطان الذي اشتهر أخيراً باسم عبد الله المغاوري وهو ألباني المولد والنشأة فاجتمع عليه خلق كثير للتبرك به وأقام ينشر طريقته البكتاشية، ثم سافر إلى الحجاز سنة ٧٧٦ هـ ثم إلى النجف، وكربلاء، وعاد إلى مصر في سنة ٧٩٩ هـ وتوفي بها سنة ٨١٨ هـ ودفن في المغارة التي بجبل المقطم، ومن ذلك يسمى المغاوري ثم

(١) انظر: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة (ص: ٤٣٣).

خلفه على الطريق مشايخ كان من آخرهم: الشيخ أحمد سرى بابا وهو ألباني المولد والنشأة استقدمه إلى مصر شيخه محمد لطفي بابا ليوليه المشيخة، فحضر إليها بعد أن طوف بالبلاد التي بها تكايا البكتاشية وتنقل بين بلاد الأرناؤوط وبغداد وكربلاء والنجف.

وقد ذكر بعض الإمامية أن البكتاشية من فرق الشيعة، أو أنهم شيعة ببعض الوجوه[1].

أهم المعتقدات وصلتهم بالإمامية:

الطريقة البكتاشية طريقة صوفية في الأصل -وهكذا يعدها أصحابها- والواقع أنها مزيج من عقائد صوفية، ونصرانية، وشيعية فهم يقولون بعقيدة وحدة الوجود، وعبادة المشايخ وتأليههم، ويحتفلون بما يشبه العشاء الرباني عند النصارى، ومن تقاليدهم: أنهم يلبسون على رؤوسهم قلنسوات أسطوانية ذات (١٢) طية، إشارة إلى الأئمة الاثني عشري، وزعموا بأنهم يرمزون بالخطوط لاجتماع اثني عشر خصلة في الدرويش ولحروف كل من كلمتي (لا إله إلا الله) و(محمد رسول الله) ومن تقاليدهم أيضاً: لبس الجبة، زعموا أن الرسول ألبس علياً جبة ثم توارثها الأئمة بعده إلى أن انتهت إلى مؤسس الطريقة البكتاشية في القرن السابع الهجري. كما يغلون في آل البيت، خاصة جعفر الصادق، وقد وضع الحاج بكتاش كتاباً سماه (مقالات) اتبع فيه فكرة الإثني عشرية والتولي والتبرئة وهي من مصطلحات الإمامية.

ودأب البكتاشيون على إقامة العزاء يوم عاشوراء وعلى ترك الترضي عن سائر الصحابة عدا آل البيت بل على عدم ذكرهم بإحسان كما تشهد بذلك أدعيتهم وأورادهم.

---

(١) انظر: أعيان الشيعة. محسن الأمين (١/ ٢٦)، (٣/ ١٩٢).

يقول أحد البكتاشية: "الطريقة العلية البكتاشية هي طريقة أهل البيت الطاهر رضوان الله عليهم أجمعين"[1] ويقول أيضاً: "وجميع الصوفية على اختلاف طرقهم يقدسون النبي وأهل بيته ويغالون في هذه المحبة لدرجة اتهامهم بالباطنية والإثني عشرية"[2].

ويقول أيضاً: "والطريقة العلية البكتاشية قد انحدرت أصولها من سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وعن أولاده وأحفاده إلى أن وصلت إلى مشايخنا الكرام يداً بيد، وكابراً عن كابر، وعنهم أخذنا مبادئ هذه الطريقة الجليلة"[3].

كما أن الناظر في الأوراد البكتاشية يرى كيف أسست هذه الأوراد على عقيدة الشيعة الإمامية الإثني عشرية، فالورد البكتاشي يبدأ بذكر لله ثم للرسول ثم لعلي ثم لفاطمة ثم للحسن ثم للحسين ثم لعلي زين العابدين ثم الباقر، وهكذا إلى الإمام الثاني عشر عند الشيعة ثم الإعلان أن الذاكر بهذا الذكر متول للشيعة، بريء من جميع أهل السنة.

ولدى البكتاشية أيضاً ورد خاص بمهدي الشيعة المنتظر الذي يسمونه محمد بن الحسن العسكري[4].

وفي ختام الأوراد على المريد البكتاشي والسالك أن يشهد هذه الشهادة ويقول: "وأشهد أن الأئمة الأبرار. والخلفاء الأخيار. بعد الرسول المختار: على قامع الكفار. ومن بعده سيد أولاده الحسن بن علي. ثم أخوه السبط التابع لمرضاة الله الحسين. ثم العابد علي ثم الباقر محمد. ثم الصادق جعفر. ثم الكاظم موسى. ثم الرضا علي ثم

(١) الرسالة الأحمدية (ص: ٦٧).
(٢) السابق (ص: ٦٨).
(٣) السابق (ص: ٦٩).
(٤) انظر: الطرق الصوفية ظروف النشأة وطبيعة الدور. ممدوح الزوبي (ص: ١٨٥).

التقي محمد. ثم النقي علي. ثم الذكي العسكري الحسن. ثم الحجة الخلف الصالح القائم، المنتظر المهدي المرجى، الذي ببقائه بقيت الدنيا، وبيمنه رزق الورى، وبوجوده ثبتت الأرض والسماء، به يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، بعدما ملئت ظلماً وجوراً، وأشهد أن أقوالهم حجة وامتثالهم فريضة، وطاعتهم مفروضة، ومودتهم لازمة مقضية، والاقتداء بهم منجية، ومخالفتهم مردية، وهم سادات أهل الجنة أجمعين، وشفاء يوم الدين، وأئمة أهل الأرض على اليقين وأفضل الأوصياء المرضيين"[1].

ولا شك بعد ذلك في أن هذه عقيدة شيعية كاملة حملتها هذه الأوراد، وانتشرت هذه العقيدة الشيعية في تركيا، وفي مصر كذلك، واستمرت هذه العقيدة الباطنية تنتشر وتنمو طيلة هذه القرون الطويلة من أواسط القرن الثامن تقريباً إلى يومنا هذا في القرن الخامس عشر الهجري وكل ذلك تحت جناح التصوف.

واقع الطريقة وأماكن انتشارها:

لا تزال العلاقة بين البكتاشية والتشيع في عصرنا الحاضر قوية فإننا نجد مثلاً أن البكتاشيين قد صوتوا في تركيا لصالح حزب الوحدة والذي تأسس في تشرين أول (١٩٦٦م) وكان له برنامج علماني، مؤكداً على أنه يمثل الأقلية الشيعية في تركيا، وفازوا في انتخابات عام (١٩٧١م) بمقعد واحد في البرلمان التركي.

أما بالنسبة لأماكن انتشارها فقد انتشرت الطريقة في تركيا (ولها صلة بالانكشارية جيش الدولة العثمانية)، كما أن لها أتباعاً في مصر، وكردستان، وآسيا الصغرى، وفي ألبانيا، ويذكر الباحثون أنها في تزايد مستمر في تركيا ومصر، ويقال: إن عدد أتباعها في تركيا وحدها يزيد على ثلاثة عشر مليوناً[2].

---

(١) الرسالة الأحمدية (ص: ٩٢).

(٢) انظر: الطرق الصوفية. عبد الله السهلي (ص: ٩٤-٩٥)، وموقع الدرر السنية على الرابط:
http://www.dorar.net/enc/firq/2328

٣- الطريقة الختمية:

تنسب الطريقة إلى محمد عثمان بن محمد أبي بكر بن عبد الله الميرغني المحجوب ويلقب (بالختم) أي خاتم الأولياء، وعد طريقته خاتمة الطرق فعرفت طريقته بالطريقة الختمية. وأسرة الميرغني بخارية الأصل، نزحت إلى الهند، ثم إلى الحجاز، وتدعي أنها من آل البيت[١].

وُلد محمد عثمان الميرغني (الختم) بالطائف عام ١٢٠٨هـ، وتعلم بمكة، وغلب عليه الاهتمام بالتصوف فانخرط في طرق عدة هي: القادرية، والجنيدية، والنقشبندية، والشاذلية، وطريقة جدِّه الميرغنية، كما تتلمذ على الشيخ أحمد بن إدريس وأخذ تعاليم الطريقة الإدريسية الشاذلية. ومن هذه الطرق جميعاً استمد تعاليم طريقته الختمية، وادعى أن طريقته خاتمة الطرق قائلاً: اعلم أن طريقتنا هذه مجتمعة من خمسة حروف نقشها (نقش جم) تنقش من الفؤاد التصوف جم، فالنون نقشبندية، والقاف قادرية، والشين شاذلية، والجيم جنيدية، والميم ميرغنية، وهي محتوية على أسرار هذه الطرق الخمس وبعض أورادها[٢].

وأنشأ الختم لطريقته زاوية رئيسة في مكة، وزوايا فرعية في أرجاء الحجاز، وأوفد أبناءه لبعض الأقاليم للدعوة إلى الطريقة الجديدة، فلقي ابنه الحسن نجاحاً وقبولاً في السودان، في حين واجه المؤسس عداءً وإنكاراً من بعض علماء مكة وأشرافها فعاد إلى الطائف، وتوفي بها سنة ١٢٦٨هـ، ودفن في المعلا بمكة المكرمة[٣].

---

(١) انظر: الختمية العقيدة والتاريخ والمنهج. محمد أحمد حامد (ص: ٣١-٣٣)، وطائفة الختمية. أحمد جلي (ص: ١٣). والميرغني كلمة تعني "الشريف غني"، والمحجوب -حسب زعمهم- سمي بذلك لأن عثمان والد الختم احتجب عن الخلق (٣٠) عاماً حتى سمي بالمحجوب.

(٢) انظر: النفحات المكية واللمحات الخفية في شرح أساس الطريقة الختمية. محمد عثمان الميرغني ضمن مجموعة النفحات الربانية (ص: ٦-٧)، وطائفة الختمية (ص: ٤٥).

(٣) انظر ترجمته في: طائفة الختمية (ص: ١٤-٢٠)، والطريقة الختمية في السودان. طارق أحمد عثمان (ص: ٣٣)، والأعلام (٦/ ٢٦٢)، ومعجم المؤلفين (١٠/ ٢٨٦).

أهم المعتقدات وصلتهم بالإمامية[1]:

الختمية طائفةٌ صوفية تتمسك بمعتقداتها وأفكارها وفلسفاتها فقد تبنى أتباعها فكرة وحدة الوجود، وقالوا بفكرة النور المحمدي والحقيقة المحمدية، ولهم خلوة للعبادة يطلبون فيها من المريد أن يطلب المدد من الرسول ﷺ وجبريل ومشايخ الطريقة.

كما أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين فكر الختمية وفكر الشيعة، كما يحاول المعاصرون منهم الربط بين طائفتهم وبين الحركة الشيعية المعاصرة. ومن صور ذلك: دعوى النسب الشريف بأئمة الشيعة الإثني عشرية، ويعتبرون أنفسهم من سلالتهم، وإن كان في نسبهم أسماء أعجمية!! كما تبنت الطائفة فكر الشيعة حول ولاية آل البيت، وارتباطهم بقضية الإمامة واستحقاقهم لها. يقول أحد كبار الختمية: "كان لا بد من الإخبار بولاية أمير المؤمنين وأهل البيت لأن ذلك من أصول الدين لا من فروعه"[2]. ومن الأحاديث التي اتخذتها الختمية دليلاً على ذلك ما نسبوه للنبي ﷺ بقولهم: "ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق"[3].

ووقع بعض الختمية المعاصرين فيما وقع فيه الشيعة من تجريح للصحابة واتهامهم بأنهم كتموا بعض الأحاديث الدالة على ولاية علي رضي الله عنه، لكنهم يثبتون

---

(١) انظر: لؤلؤة الحسن الساطعة في بعض مناقب ذي الأسرار الساطعة محمد بن عثمان الميرغني. جعفر الميرغني(ص:٣٩-٤٧)، والنفحات القدسية من الحضرة العباسية. عبد الله الميرغني (ص:١٤٠)، ومنحة الأصحاب لمن أراد سلوك طريق الأصفياء والأحباب. الرطبي (ضمن الرسائل الميرغنية) (ص:١١٥).

(٢) تاج الأولياء والأولياء. علي زين العابدين (ص:١٢٧).

(٣) الطريقة الختمية في السودان (ص:٥٦)، والشيعة في شمال إفريقيا. جاسم عثمان مرغي (ص:٧٣). والحديث أخرجه الحاكم في مستدركه (٣/ ١٦٣) (ح ٤٧٢٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٤٥) (ح ٢٦٣٧)، والأوسط (٤/ ٩-١٠) (ح ٣٤٧٨)، والمعجم الصغير (١/ ٢٤٠) (ح ٣٩١)، والحديث قال عنه الألباني: ضعيف، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة (ح ٤٥٠٣)، وضعيف الجامع الصغير (٥/ ١٣١) (ح ٥٢٥١).

ولاية الخلفاء الراشدين، ويعدون أنفسهم امتداداً لولاية أهل البيت، لذلك يدعون للتقارب مع الإمامية ومناصرتهم والدعوة لهم.

وقد اتجه بعض كتاب الختمية إلى تمجيد الجمهورية الإسلامية في إيران وبالأخص أبرز رموزها كالخميني، كما تؤكد الختمية على أن هذه الجمهورية مع التيار الصوفي هما ركائز البعث الإسلامي الجديد باعتبار أن الصوفية من أهل السنة هم الوجه الآخر للشيعة فكلاهما مؤمن بولاية أهل البيت، ومقر ببيعة لإمام قائم يسعى لتطبيق الشريعة، والالتقاء بينهم متحتم في كل شيء، والمصير والمبدأ والهدف واحد[1].

واقع الطريقة وأماكن انتشارها:

الزعيم الحالي للختمية هو محمد عثمان بن علي الميرغني، وهو أيضاً زعيم الحزب الاتحادي الديمقراطي في السودان، وانتماء الختمية لهذا الحزب واجب ديني عندهم بمجرد أخذ الطريقة، كما استدلوا بأدلة وجوب ولاية أهل البيت لكسب الأتباع في الحزب بدعوى أن مؤسسيه من النسب الشريف.

ويضم الحزب أيضاً عدداً من العلمانيين واليساريين، بل حتى النصارى، لأن الختمية يرون أن الائتلافات أو التنسيقات لا بد منها بوصفها ضرورة فيمن يعيشون سوياً في وطن واحد وهي نوع من المهادنات السياسية ولا بأس بها، ولذلك هم يقرون بمخالفة الحزب لاتجاهات الطريقة وثوابت الإسلام استجابة للتغيرات السياسية المتجددة، ومراعاة لظروف المرحلة.

وبالنسبة لأماكن انتشار الطريقة فقد بدأت الطريقة من مكة والطائف، وأرست لها قواعد في جنوب الجزيرة العربية وغربها، كما عبرت إلى السودان ومصر. وتتركز قوتها من حيث الأتباع والنفوذ الآن في السودان، لاسيما في شمال السودان وشرقه

---

(١) انظر: الختمية (ص: ١٣-١٥، ١٢٦-١٢٨).

وأطراف إريتريا المتاخمة للسودان ومصر[١].

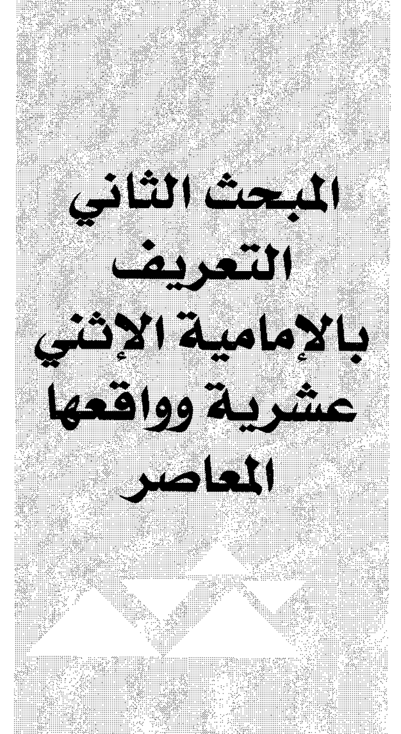
هذه أهم طرق غلاة الصوفية المعاصرة والمتأثرة بالإمامية، كما سترد أثناء البحث طرق صوفية أخرى توافق الإمامية في بعض الجوانب، كالطريقة التيجانية، والنقشبندية، وجماعة العشيرة المحمدية، والطريقة العزمية التي تعد من أبرز الطرق المعاصرة تأييداً، وتأثراً، وتحالفاً مع الإمامية، وخاصة فيما يواجهون به منهج أهل السنة والجماعة من العدائية والتشويه والمحاربة.

وتعد الطريقة العزمية والتي يوجد مقرها الرئيس بمصر أكثر الطرق الصوفية في الوقت الحاضر دلالة على صحة مقولة "التصوف الغالي والتشيع وجهان لعملة واحدة".

والطريقة العزمية نشأت سنة ١٩٣٤م على يد محمد ماضي أبو العزائم، ثم خلفه ابنه أحمد، ثم ابنه عز الدين، ثم أخوه علاء الدين وهو شيخ الطريقة الآن[٢].

(١) انظر: طائفة الختمية. أحمد جلي (ص:١٣-٣٨)، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (١/ ٢٩١-٢٩٤).

(٢) انظر: مقالة "الطريقة العزمية بين ادعائها السنية وحقيقتها الشيعية". موقع صوفية حضرموت على الرابط: www.soufia-h.net



المبحث الثاني التعريف بالإمامية الإثني عشرية وواقعها المعاصر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالشيعة الإمامية الإثني عشرية.

المطلب الثاني: واقع الإمامية الإثني عشرية المعاصر.

المطلب الأول
التعريف بالشيعة الإمامية الإثني عشرية

أ - تعريف التشيع لغة:

لفظ الشيعة في اللغة: من شيع، وشاع الخبر يشيع شيعوعة، أي: ذاع. وسهمٌ مشاع، وسهمٌ شائع، أي: غير مقسوم. وأشاع الخبر، أي: أذاعه، فهو رجل مشياع، أي مذياع.

وشيعة الرجل: أتباعه وأنصاره. يقال: شايعه، كما يقال: والاه من الولي، وأصبحوا شيعاً أي فرقاً وأحزاباً. وتشايع القوم من الشيعة، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأى بعض فهم شيع[1].

قال ابن الأثير: "وأصل الشيعة الفرقة من الناس، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد"[2].

---

(١) انظر: لسان العرب. لابن منظور (٨/ ١٨٠ - ١٩٠)، والصحاح. للجوهري (٣/ ١٢٤٠).
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر. ابن الأثير. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناجي (٥/ ٥١٩).

يقول ابن دريد: "فلان من شيعة فلان أي: ممن يرى رأيه، وشيّعت الرجل على الأمر تشييعاً إذا أعنته عليه، وشايعت الرجل على الأمر مشايعة وشياعاً إذا مالأته عليه"[1].

فالشيعة، والتشيع، والمشايعة كما وردت في معاجم اللغة العربية يدور مدلولها اللغوي حول: "المتابعة، والمناصرة، والموافقة بالرأي، والاجتماع على الأمر أو الممالأة عليه" إلى غير ذلك من المعاني التي تفيد معنى الغلبة والنصرة، والالتفاف حول موقف واحد.

٢- تعريف الشيعة الإمامية الإثني عشرية في الاصطلاح:

نجد أنفسنا هنا أمام ثلاثة ألفاظ عرفت بها هذه الفرقة هي (الشيعة، والإمامية، والإثنا عشرية) فيحسن بنا بيان كل لفظ أو مصطلح من هذه المصطلحات.

أما الشيعة فتعرف في الاصطلاح على وجه العموم بأنهم كل من شايع علي بن أبي طالب رضي الله عنه في زمان النبي ﷺ وبعده، وقالوا بإمامته.

يقول النوبختي[2]: (الشيعة هم فرقة علي بن أبي طالب رضي الله عنه المسمون بشيعة علي رضي الله عنه في زمان النبي ﷺ، وبعده معرفون بانقطاعهم إليه، والقول بإمامته)[3].

---

(١) جمهرة اللغة. ابن دريد (٣/ ٦٣).

(٢) الحسن بن موسى النوبختي، أبو محمد، متكلم إمامي، فيلسوف، توفي بعد الثلاثمائة، له مصنفات كثيرة منها: فرق الشيعة، والتوحيد وحدوث العالم، والآراء والديانات لم يتمه. وثقه الطوسي، وقال: (كان إمامياً حسن الاعتقاد). انظر: (الفهرست: ص ٩٦). تحقيق: جواد القيومي، وانظر: (رجال الطوسي: ص ٤٢١)، تحقيق: جواد القيومي.

(٣) فرق الشيعة، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم (ص ١٧).

وجاء في شرح اللمعة قال: "والشيعة من شايع علياً - أي اتبعه وقدمه على غيره في الإمامة وإن لم يوافق على إمامة باقي الأئمة، فيدخل فيهم الإمامية والجارودية من الزيدية والإسماعيلية غير الملاحدة منهم والواقفية والفطحية "[1].

ويقول المفيد[2] إن لفظ الشيعة يطلق على: (... أتباع أمير المؤمنين صلوات الله عليه، على سبيل الولاء والاعتقاد لإمامته بعد الرسول صلوات الله عليه وآله بلا فصل، ونفي الإمامة عمن تقدمه في مقام الخلافة، وجعله في الاعتقاد متبوعاً لهم غير تابع لأحد منهم على وجه الاقتداء)[3]. كما يضيف المفيد قيداً إلى لفظ "شيعة" لكي يصح إطلاقها على أنصار الإمام علي رضي الله عنه وهذا القيد هو علامة التعريف، أي: الشيعة[4].

ويعرف محمد جواد مغنية الشيعة بقوله: "الشيعة علم على من يؤمن بأن علياً هو الخليفة بنص النبي"[5].

وأما الإمامية فهو لفظ يطلق على فرقة من الشيعة تقول بوجوب الإمامة ووجودها في كل زمان، والقول بوجوب النص الجلي والعصمة والكمال لكل إمام، ثم حصر الإمامة في ولد الحسين بن علي رضي الله عنه[6]. وكان يطلق ابتداءً على أعم من

---

(١) شرح اللمعة (٢/ ٢٢٨).

(٢) هو محمد بن محمد بن النعمان المفيد ويكنى بأبي عبد الله المعروف بابن المعلم من جملة متكلمي الإمامية انتهت إليه رئاسة الإمامية في وقته له فوق ٢٠٠ مصنف ما بين كتاب، ورسالة، ومسألة، توفي ٤١٣ هـ. انظر: رجال النجاشي (ص: ٣٩٩ - ٤٠٣)، والفهرست (ص: ٢٣٨)، وأمل الآمل (٢/ ٣٠٤).

(٣) أوائل المقالات (ص: ٣٥).

(٤) انظر: المرجع السابق (ص: ٣٣).

(٥) الشيعة في الميزان. محمد جواد مغنية (ص: ١٥).

(٦) انظر: أوائل المقالات (ص: ٣٩)، والملل والنحل. للشهرستاني. تحقيق: أمير علي مهنا، وعلي حسن فاعور، (٦/ ١٤٦).

الإثني عشرية فهم ليسوا فرقة واحدة - كما يتبادر للذهن - بل هم فرق متعددة أوصلها البعض إلى أربع وعشرين فرقة[1].

ثم انتقل لفظ الإمامية عن أصله، وصار مستحقاً لطائفة واحدة ممن يدخلون في اللقب العام[2]. وهم الإثنا عشرية أشهر فرق الإمامية حالياً، كما أنها الواجهة الرئيسة للتشيع في العصر الحاضر، وأكثر فرق الشيعة عدداً وانتشاراً، وهي محل الدراسة في هذا البحث.

وتعود نشأة مصطلح الإمامية بوصفه علماً على فرقة من فرق الشيعة بعد حصول غيبة الإمام الثاني عشر - عندهم- من الأئمة المعصومين، وكان يطلق عليها قبل الغيبة أسماء مختلفة كالترابية، والجعفرية، والرافضة[3].

وأما الإثنا عشرية فقد امتازت طائفة الإمامية عن سائر فرق الشيعة- كالزيدية والإسماعيلية وغيرها - بالقول بإمامة الأئمة الإثني عشر[4].

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين. أبو الحسن الأشعري. تحقيق: هلموت ريتر (ص: ١٦-٣٠).
(٢) انظر: أوائل المقالات (ص: ٤٤)، والأنساب. للسمعاني (١/ ٣٤٤)، وتاريخ ابن خلدون (١/ ٢٠)، ومختصر التحفة الإثني عشرية. محب الدين الخطيب (ص: ٢٠).
(٣) انظر: تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة. عبد الله فياض (ص: ٨٥)، والشيعة في الإسلام. محمد حسين الطباطبائي (ص: ٨٦). ومن الألقاب التي أطلقت على هذه الفرقة - على وجه العموم-: القطعية، وأصحاب الانتظار، والخاصة. انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية. ناصر القفاري (١/ ١٣٠-١٣٥).
(٤) انظر: أصل الشيعة وأصولها. محمد حسين آل كاشف الغطا (ص: ٥٩-٦٠).

المطلب الثاني
واقع الإمامية الإثني عشرية المعاصر

تنقسم الشيعة الإمامية الإثنا عشرية إلى اتجاهات وتيارات معاصرة متعددة لعلي أذكر منها ما تعلق بموضوع الاعتقاد دون ما ارتبط من التقسيم باعتبار المدارس الفقهية، أو الموقف من تبني العمل السياسي.

وقد عمد المصنفون في الفرق والمقالات قديماً إلى تقسيم الشيعة الإمامية قسمين هما[1]: الشيعة الغلاة ومنهم المؤلـهة والسابة، والشيعة غير الغلاة ومنهم المفضلة، وهذا التقسيم يقوم على أساس موقفهم من مسائل الربوبية، والعبادة، وتقديس الرسول ﷺ، وأئمة آل البيت رحمهم الله ورضي عنهم. ولو أردنا أن نقيم هذا التقسيم ميزاناً لطوائف الإمامية المعاصرة فيمكننا الحكم على أكثرها بأنها من القسم

(١) انظر على سبيل المثال: مقالات الإسلاميين. أبو الحسن الأشعري (١/ ٦٥-٦٦، ٨٨، ١٣٨)، واعتقاد فرق المسلمين والمشركين. الرازي (ص: ٧٧)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/ ٣٤).

الأول، ويكفي في ذلك اعتمادهم على كتب الكليني[1]، والقمي[2]، والمجلسي[3]، وأضرابها مصادر للتلقي مع ما فيها من كفر، بل إن الأخطر من ذلك أن ما كان يعد غلواً عند الماضين أصبح ضرورياً عند المعاصرين[4]. ويستثنى من ذلك بعض الشخصيات

(١) هو محمد بن يعقوب بن إسحاق أبو جعفر الكليني الرازي، قال عنه النجاشي: شيخ أصحابنا، وأوثق الناس في الحديث، وأثبتهم، كتب الكافي في ٢٠ سنة، ويقولون: إنه عرضه على محمد بن الحسن (المهدي)، فقال: هو كاف لشيعتنا. فلهذا سمي بالكافي. توفي ببغداد ٣٢٩هـ. انظر: رجال النجاشي (ص: ٣٧٧ - ٣٧٨).

(٢) هو أبو الحسن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي المتوفي ٣٢٩ هـ، شيخ الكليني، وقد أكثر الرواية عنه في الكافي، كان في عصر أبي محمد الحسن العسكري، ويلقب بالصدوق الأول عند الإمامية، وصفوه بأنه ثقة في الحديث، ثبت، معتمد، صحيح المذهب، له مصنفات عدة في التفسير، والفقه، والإمامة. انظر: رجال النجاشي (ص: ٢٦٠)، والذريعة. للطهراني (٤/ ٣٠٢)، ومعجم المؤلفين. لكحالة (٧/ ٨١).

(٣) هو محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، مات عام ١١١١هـ، له مؤلفات كثيرة منها: بحار الأنوار في أخبار الأئمة الأطهار، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول وهو شرح لكتاب الكافي في الأصول للكليني. انظر: أمل الآمل في علماء جبل عامل. الحر العاملي (٢/ ٢٤٨ - ٢٤٩).

(٤) لقد توجه علي السالوس إلى أحد علماء الشيعة المعاصرين وسأله عن رأيهم فيما اشتمل عليه أصول الكافي من روايات طافحة بالغلو فأجابه - كتابة بخطه -: "أما الروايات التي ذكرها شيخنا الكليني في كتابة الكافي فهي موثوقة الصدور عندنا. . وما ورد في الكافي أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل، وأنهم إذا شاء أن يعلموا علموا، ويعلمون متى يموتون ولا يموتون إلا باختيار منهم، ويعلمون علم ما كان وما يكون ولا يخفى عليهم الشيء، لاشك أنهم أولياء الله وعباده الذين أخلصوا في الطاعة». ثم ذكر قولاً عن أئمتهم وهو: "قولوا فينا ما شئتم ونزهونا عن الربوبية" [حديث لكاظم الكفائي نشرة علي السالوسي بخط الكفائي. (انظر: فقة الشيعة: ص٢٦٥)].

وقال لطف الله الصافي: بأن الأبواب المعنونة في الكافي ليست إلا عناوين لبعض ما ورثوا عن جدهم رسول الله ﷺ [مع محب الدين في خطوطه العريضة: ص ١٤٩].

ويقول عبد الله الممقاني: "إن ما يعتبر غلواً في الماضي أصبح اليوم من ضرورات المذهب" [الممقاني/ تنقيح المقال: ٣/ ٢٤٠].

ومن أمثلة ذلك الغلو في المعاصرين أيضاً: أن الخميني يعتمد مقالة غلاتهم في تفضيل الأئمة على أنبياء الله ورسله. انظر: [الحكومة الإسلامية: ص٥٢]. والقول بأن الأئمة "لا يتصور فيهم=

التي وسمت بأعلام التصحيح والاعتدال[1] الذين يتبنون التشيع، والقول بالنص على الأئمة الإثني عشر وعصمتهم، وفي الوقت نفسه يدافعون عن توحيد الأئمة، ويحذرون من بعض الشركيات والخرافات.

إلا أن التقسيم الأكثر شيوعاً في أوساط الإمامية المعاصرة والمرتبط أيضاً بموضوع الاعتقاد؛ هو التقسيم القائم على اعتبار جواز الاجتهاد أو عدمه؛ وبه ينقسمون إلى فريقين هما: الأخبارية، والأصولية.

أ- تعريف الأخبارية والأصولية:

الأخبارية:

الأخباري هو: الفقيه المستنبط للأحكام الشرعية الفرعية من الكتاب والأخبار فقط، وبعد يأسه عن دليل الحكم يرجع إلى أصالة البراءة في الشبهات الحكمية التحريمية، فنسبته إلى الأخبار باعتبار أنَّ أكثر الأحكام التي يستنبطها منها. كما يرفض الأخباري الاستدلال بالعقل والإجماع[2]، ولا يرى صحة تعلم أصول الفقه، لأنه في نظره منافسة المعصوم في أحد أخص صلاحياته.

=السهو والغفلة" [الحكومة الإسلامية: ص٩١]. وتكفيره لصحابة رسول الله ﷺ [حتى إنه يقرر في كتابه تحرير الوسيلة مشروعية التبري من أعداء الأئمة في الصلاة - وأعداء الأئمة في قاموس الشيعة هم صحابة رسول الله ﷺ إلا ثلاثة أو سبعة - (تحرير الوسيلة: ١/ ١٦٩) وهو في كتابه: كشف الأسرار يصرح بتكفير الشيخين (انظر: كشف الأسرار: ص١١٢ وما بعدها). وهذه المسائل سترد في أثناء البحث بمزيد من التفصيل والدراسة.

(١) انظر: أعلام التصحيح والاعتدال مناهجهم وآراؤهم. خالد البديوي (ص: ٣٤-٣٥). وقد ذكر من هؤلاء: محمد الخالصي، ومحمد حسين فضل الله، وعلي شريعتي وغيرهم من دعاة الإصلاح في الصف الشيعي.

(٢) في حقيقة الأمر يؤول الاستدلال عند الأخبارية إلى الاعتماد على الأخبار فقط، لأن الاحتجاج بالقرآن متوقف لغياب القيم (وهو الإمام الثاني عشر) حيث إن القرآن لايعد حجة عند الإمامية إلا بالقيم وهو الإمام. انظر: التقليد في الشريعة الإسلامية. عز الدين بحر العلوم (ص: ٩٣).

ويعتمدون في موضوع الأخبار تلك الواردة في الكتب الأربعة عندهم، والتي يرون أن كلها أصول صحيحة قطعية الصدور عن الأئمة، وهي: الكافي، والتهذيب، والاستبصار، ومن لا يحضره الفقيه[٣].

والمنتسب لهذه الفرقة يطلق عليه «أخباري» أي المنسوب إلى أخبار أهل العصمة[٤].

الأصولية:

الأصولي هو: الفقيه المستنبط للأحكام الشرعية الفرعية من الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل[٥]. والأصوليون يقرون الاجتهاد، ويقسمون الأحاديث الواردة في الكتب الأربعة إلى: صحيح، وحسن، وموثوق، وضعيف.

والمنتسب إلى الأصولية يطلق عليه «أصولي» أي المنسوب إلى أصول الفقه، وهو صناعة يعرف بها القواعد التي يمكن أن تقع في طريق استنباط الأحكام، أو التي ينتهي إليها في مقام العمل[٦].

وأقدم النصوص في تقسيم الإمامية إلى أخبارية، وأصولية هو نص يعود لابن مطهر الحلي[٧] حيث قال: (أما الإمامية، فالأخباريون منهم مع أن كثرتهم في قديم

(٣) تطلق الإمامية على هذه الكتب الجوامع الأربعة المتقدمة، وهناك جوامع أربعة متأخرة هي: الوافي للكاشاني، ووسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة للحر العاملي، وبحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار لمحمد باقر المجلسي، ومستدرك الوسائل ومستنبط الدلائل لميرزا حسين النوري الطبرسي.

(٤) الأصوليون والأخباريون فرقة واحدة. فرج العمران (ص: ١٧ - ١٩).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص: ١٩).

(٦) انظر: كفاية الأصول. للخراساني (ص: ٩).

(٧) هو الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي، جمال الدين، أبو منصور، ولد سنة ٦٤٨ هـ. وتوفي سنة ٧٢٦هـ. من فقهاء الشيعة الإمامية، ومشهور عندهم بالمحقق والعلامة، تزيد=

الزمان ما كانت إلا منهم لم يقولوا في أصول الدين وفروعه، إلا على أخبار الآحاد المروية عن الأئمة - عليهم السلام -، والأصوليون منهم كأبي جعفر الطوسي - رحمه الله - وغيره وافقوا على قبول خبر الواحد، ولم ينكره أحد، سوى المرتضى وأتباعه؛ لشبهة حصلت لهم. . .)[1].

وإلى جانب هذا النص هناك نصوص غير إمامية أكدت هذا التقسيم فالشهرستاني أثناء حديثه عن فرق الإمامية قال: (فصارت الإمامية بعضها معتزلة: إما وعيدية، وإما تفضيلية، وبعضها أخبارية: إما مشبهة، وإما سلفية. .)[2]، ويقول في موضع آخر: (وبين الأخبارية منهم والكلامية سيف، وتكفير)[3]. كما أشار إلى هذا التقسيم الإيجي، والشريف الجرجاني[4].

ب- الفروق بين الأخباريين والأصوليين:

اختلف أعلام ومفكرو الإمامية في عناصر الخلاف بين الأخبارية والأصولية إلى مكثر ومقل، فقد أوصلها بعضهم إلى ثمانين[5]، وقصرها آخرون على ثمان أو أقل؛ حرصاً منهم على تجنب القدح في شيوخ الطرفين، والطعن في الشيعة[6]، وهذه أهم

=مصنفاته على ستين مصنفاً، منها: مختلف الشيعة، والأبحاث المفيدة في تحصيل العقيدة، ونظم البراهين في أصول الدين، ومنهاج الكرامة في إثبات الإمامة الذي ألفه للملك خدابنده داعياً به إلى مذهب الإمامية، وقد رد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة النبوية. انظر: أمل الآمل (٢/ ٨١).

(١) نهاية الوصول. ابن المطهر الحلي (ص: ٢٩٦).

(٢) الملل والنحل. الشهرستاني (١/ ١٩٣).

(٣) المصدر السابق (١/ ٢٠٢ - ٢٠٣).

(٤) انظر: المواقف. للإيجي (ص: ٤٢٣)، وشرح المواقف. للشريف الجرجاني (٨/ ٣٩٢).

(٥) ذكر هذا العدد جعفر كاشف الغطا في كتابه: "الحق المبين في تصويب المجتهدين وتخطئة الأخباريين". انظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة (٧/ ٣٧-٣٨).

(٦) انظر: التقليد. عز الدين بحر العلوم (ص: ٩٥)، والحدائق (١/ ١٦٧).

عناصر الخلاف بين الفريقين[1]:

١- تحريف القرآن:

يتهم كثير من الأخباريين الصحابة رضي الله عنهم بتحريف كتاب الله، بعضهم يقول إن التحريف وقع في معاني القرآن وليس في نصه، ومنهم من يقول إن التحريف وقع عليهما، أما الأصوليون فبعضهم لا يقولون بالتحريف في النص صراحة، لكنهم يقرون بالتحريف في المعنى -وفق تفصيل يرد قريباً بمشيئة الله-.

٢- حجية ظواهر الكتاب:

ذهب الأخباريون إلى عدم حجية ظواهر الكتاب إلا بعد ورود التفسير عن أئمة أهل البيت عليهم السلام لما ورد من الأحاديث الناهية عن تفسير القرآن بالرأي أولاً، وطروء مخصصات ومقيدات على عمومه وخصوصه ثانياً.

وعليه فإن القرآن عند الأخباري يعد مصدراً ثانوياً أو تأكيدياً للمصدر الأول للمعرفة وهو السنة المروية عن طريق أهل البيت.

٣- حجية الإجماع:

نفى الأخباريون حجية الإجماع.

٤- حجية حكم العقل:

نفى الأخباريون حجية حكم العقل في المسائل الأصولية وعدم الملازمة بين حكم العقل والنقل.

---

(١) انظر: تاريخ الفقه الإسلامي وأدواره. جعفر السبحاني (ص: ٣٨٥)، ودائرة المعارف الشيعية. حسن الأمين (٢/ ١٦٧)، والاجتهاد والفتوى. الغريفي (ص: ٩٩)، والمرجعية الدينية وآفاق التطور. أحمد الكاتب (ص: ١٤١-١٤٢).

٥- صحة روايات الكتب الحديثية:

ادعى الأخباريون قطعية صدور كل ما ورد في الكتب الحديثية الأربعة من الروايات لاهتمام أصحابها بتلك الروايات فلا يحتاج الفقيه إلى دراسة إسنادها أو تنويعها إلى الأقسام الأربعة المشهورة: (صحيح - حسن - موثق - ضعيف). وصنف الأصوليون المرويات (إلا أنهم لايتقيدون بهذا التصنيف في مؤلفاتهم).

٦- الحكم الذي لم يرد فيه دليل:

يتوقف الأخباريون عن الحكم إذا لم يدل دليل من السنة على حكم الموضوع والاحتياط في مقام العمل.

٧- الاجتهاد والتقليد:

أوجب الأصوليون الاجتهاد كفاية وأوجبوا على العامي تقليد المجتهد، ومنع الأخباريون من الاجتهاد ومن تقليد المجتهد.

٨- تقليد الميت:

منعه الأصوليون ابتداء واختلفوا في جوازه دواماً، ونظرهم في ذلك إلى أن التقليد على خلاف الأصل، ولم يقم دليل على جواز تقليد الميت. وقال الأخباريون إن الحق لا يتغير بالموت والحياة، وحلال محمد حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة.

ج- أدوار المدرستين الأخبارية والأصولية(١):

أولاً: أدوار المدرسة الأخبارية:

الدور الأول:

يمثله كل من: محمد بن يعقوب الكليني، وعلي بن الحسين بن بابويه القمي، وابنه محمد بن علي الصدوق(٢).

وكانت تسمى مدرستهم بالمحدثين المتقدمة، وهذه المدرسة تعتمد على الأخبار المروية عن أهل البيت اعتماداً كلياً، وتعتبرها مصدراً للأحكام الشرعية، والاجتهاد فيه لاستخلاص الحكم الشرعي منه، وعلى هذا فيرجع تاريخ الأخبارية إلى القرن الرابع الهجري.

الدور الثاني:

وهو ما بين القرن الرابع إلى أواخر القرن العاشر الهجري، ويتميز هذا الدور بحالة من الجمود الفكري حيث لا يوجد من النصوص ما يكشف أي نشاط أخباري في هذه الفترة (٣).

الدور الثالث:

ويبدأ هذا الدور في منتصف أيام الدولة الصفوية أواخر القرن العاشر الهجري،

---

(١) انظر: مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الإثني عشرية في الاستدلال. إيمان العلواني (رسالة ماجستير في جامعة أم القرى). (ص: ٣٥-٥٣).

(٢) هو محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، أبو جعفر، يعرف بالصدوق الثاني محدث إمامي، ولد سنة ٣٠٦هـ، ونزل بالري، وارتفع شأنه بخراسان وتوفي ودفن بالري سنة ٣٨١ هـ، له نحو ٣٠٠ مصنف منها: التوحيد، والغيبة، وعلل الشرائع، ومعاني الأخبار.. انظر: الأعلام (٦/ ٢٧٤). ورجال النجاشي: ص ٣٨٩).

(٣) انظر: الاجتهاد، لمحمد بحر العلوم، (ص ١٧١).

على يد محمد أمين الاسترابادي(١)، الموسوم بـ"الأخباري الصلب"، الذي دعا إلى التمسك الشديد بالأخبار، ورفض التطورات التي تمّت تحت ظل العقل، والأصول. ووصل الخلاف إلى حد التكفير المتبادل، وتميز بالعنف والدموية. وكان محمد أمين الاسترابادي أول من فتح باب الطعن على المجتهدين، وقد أكثر في كتابه "الفوائد المدنية" من التشنيع عليهم، بل نسبهم إلى تخريب الدين أيضاً(٢). وبلغ التطرف في هذا الدور مبلغاً كبيراً، حتى كان الطالب الديني لا يحمل كتب الأصوليين إلا بمنديل خشية أن تتنجس يده من ملامسة جلدها(٣).

الدور الرابع:

بدأ هذا الدور بهاشم البحراني(٤)، ومحمد باقر المجلسي، وغيرهما ومن أبرز أعلام هذا الدور أيضاً يوسف البحراني(٥)، الذي اتخذ حداً وسطاً بين الأخباريين والأصوليين.

واستمرت المدرسة الأخبارية الوسطية إلى أن ظهرت المقاومة الأصولية التي أسفرت عن الدور الخامس!

---

(١) هو محمد أمين الاسترآبادي. قال عنه الحر العاملي: فاضل، محقق، ماهر، متكلم، فقيه، محدث، ثقة، جليل، له كتب منها: الفوائد المدنية، وذكر فيها أنه شرع في شرح أصول الكافي، وشرح تهذيب الاستبصار... جاور بمكة وتوفي بها سنة ١٠٣٦هـ. انظر: أمل الآمل (٢/ ٢٤٦).

(٢) انظر: الاجتهاد (ص ١٧١)، والدراسة وتاريخها في النجف. بحر العلوم (ص: ٩٥).

(٣) انظر: فلاسفة الشيعة حياتهم وآراؤهم. عبد الله نعمة (ص: ٦٠٧).

(٤) هو هاشم بن سليمان بن إسماعيل الحسيني البحراني التوبلي، مات سنة ١١٠٧ هـ. له كتاب في التفسير انظر: روضات الجنات. الخوانساري (٨/ ١٦٦ - ١٦٩)، وطرائف المقال. للبروجردي (١/ ٧٨).

(٥) هو يوسف بن أحمد بن إبراهيم بن صالح بن أحمد بن عصفور الدرازي البحراني، مات سنة ١١٨٦هـ، كان أخبارياً. انظر: طرائف المقال (١/ ٦٣)، وروضات الجنات (٨/ ١٨٦ - ١٩٠).

الدور الخامس:

عندما قامت الدولة القاجارية[1] في إيران في مطلع القرن الثالث عشر، وجاء فتح علي[2] تأرجحت الدولة الشيعية بين علماء المدرسة الأخبارية بزعامة محمد الأخباري[3]، والأحسائي[4]، وبين علماء المدرسة الأصولية بزعامة جعفر آل كاشف الغطاء[5] ومحمد المجاهد[6]، وقد استغل الميرزا محمد الأخباري ضعف الشاه

(١) القاجار سلالة تركمانية من الشاهات حكمت في بلاد فارس (إيران) في الفترة ما بين: ١٧٧٩-١٩٢٥م. كان مقرهم في طهران منذ ١٧٨٦م.
انظر: موسوعة ويكيبيديا على الرابط: http://ar.wikipedia.org/wiki/%D

(٢) هو فتح علي ابن حسين قلي خان، المعروف بـ" بابا خان " المولود في أواخر عهد الصفويين سنة ١٠٩٧ هـ، والمقتول دسيسة سنة ١١٣٩هـ. انظر: دائرة المعارف الشيعية. للأمين (٩/ ١١٩).

(٣) هو محمد بن عبد النبي بن عبد الصانع النيسابوري الشيعي الأخباري ولد سنة ١١٧٨ هـ سافر إلى الهند ثم قدم بغداد، وسكن النجف وقتل بها في حدود سنة ١٢٤١ هـ. له من التصانيف الشيء الكثير منها: معاول العقول جواب أساس الأصول في الأصول والأخبار، وحقيقة الشهود في معرفة المعبود، والدر الفريد ومعراج التوحيد،. انظر: هدية العارفين. لإسماعيل باشا البغدادي (٢/ ٣٦٢).

(٤) هو أحمد بن زين الدين بن إبراهيم بن صقر بن إبراهيم بن داغر بن راشد بن دهيم بن شمروخ آل صقر المطيري الأحسائي، ولد سنة ١١٦٦ هـ، وتوفي سنة ١٢٤١ هـ وهو في طريقه إلى مكة، ودفن في البقيع في المدينة المنورة. من مؤلفاته: حقيقة الرؤيا وأقسامها، وحياة النفس في العقائد، وبيان حجية الإجماع بأقسام الشيعة وبيان العقل والروح. انظر: معجم المؤلفين (١/ ٢٢٨-٢٢٩)، وراجع سيرة الأحسائي، بقلم: حسين محفوظ، بموقع الشيخ الأوحد الإلكتروني.

(٥) هو جعفر بن خضر الحلي النجفي الجناحي الأصل، النجفي السكن، المعروف بجعفر آل كاشف الغطاء، مات سنة ١٢٢٨ هـ. من جملة مصنفاته: كشف عن مبهمات الشريعة الغراء، والحق المبين في الرد على الأخباريين، والعقائد الجعفرية. انظر: روضات الجنات (٢/ ١٩٥ - ٢٠١).

(٦) هو محمد بن علي بن محمد علي الطباطبائي الكربلائي، وصفه الشيعة بـ: المجاهد، الفقيه، الأصولي، المتكلم. ولد بكربلاء في حدود سنة ١١٨٠ هـ، وتوفي في قزوين وحمل نعشه إلى كربلاء فدفن فيها سنة ١٢٤٢ هـ. من تصانيفه: مفاتيح الأصول، ومناهل الأحكام، وجامع العبائر وكلاهما في فروع الفقه. انظر: الذريعة. للطهراني (٦/ ٢١٠)، (٧/ ٢٩٠)، ومعجم المؤلفين (١١/ ٥٦).

القاجاري فتح علي، وتنبأ بمقتل جنرال روسي في الحرب الدائرة بين إيران وروسيا - آنذاك - وقد وافقت هذه النبوءة قدراً حيث جيء برأس الجنرال محمولاً إلى طهران، ووضع أمام الشاه، وكان شرط الميرزا محمد أن يعلن المذهب الأخباري مذهباً رسمياً للدولة القاجارية، ويلغي المذهب الأصولي[1]، فوافق الشاه، وكان الوعد الذي أعطاه الشاه فتح علي للميرزا الأخباري بمناصرة مذهبه قد أثار الأصولي في النجف آل كاشف الغطاء، فسارع إلى تأليف كتابه "كشف الغطاء عن معايب ميرزا محمد عدو العلماء"، وأهداه إلى الشاه القاجاري، وأجاز له أن يحكم بالوكالة عنه باعتباره نائباً عاماً عن الإمام المهدي[2].

لم يستقر الميرزا محمد الأخباري في إيران بعد هذه الفترة لوجود معارضة له كان منها تهديد الإيرانيين له، وقد توجه إلى العراق، وأقام في مدينة بغداد، وقتل في الكاظمية بعد أن صدرت في حقه فتاوى الأصوليين بتكفيره[3].

وبموته انحسر الخط الأخباري تقريباً وانسحب إلى مواقع خلفية بعيدة في البحرين، ومناطق العراق الجنوبية القصيّة، وبعض مناطق ايران، وأصبحت كربلاء والكاظمية مركزين للعلماء الأصوليين.

ثم ظهرت محاولات عدة لإحياء التراث الأخباري، والبقاء على أهم مبادئه في وجه المقاومة الأصولية، وهو ما أسفر عن ظهور فرق عدة منها:

---

(١) انظر: تاريخ العراق السياسي المعاصر. حسن شبر (٢/ ٤٨)، والفقهاء حكام الملوك. للدجيلي (ص: ٦٩).

(٢) انظر: تطور الفكر السياسي الشيعي. للكاتب (ص: ٣٩٤).

(٣) انظر: معارف الرجال. حرز الدين(٢/ ٣٣٦)، والفكر السلفي عند الشيعة الإثني عشرية. الجابري (ص: ٤٠١).

الأولى: الشيخية " الأحمدية ":

وهم أتباع أحمد الأحسائي، أحد شيوخ الإثني عشرية، والذي قويت علاقته بالشاه فتح علي، وأصبح يدعمه، حتى أصدر عددٌ من العلماء الأصوليين فتاوى بتكفير الأحسائي، بسبب بعض نظرياته حول إنكار المعاد، وتأليه الأئمة، والقول بالحلول(١).

فعلى الرغم من رفض الأحسائي الأخباري للاجتهاد، إلاّ أنه كانَ يَدَّعي العلم عن طريق المكاشفة والشهود كحلٍّ بديل للاجتهاد، ويدعي أنَّ هذا الطريق أقوى تأثيراً، وأوضح في إقامة العلاقة مع الأئمة(٢).

وتركز نشاط الشيخية في كل من البحرين، والأحساء، والكويت على يد زعيمها الشيخ حسن الإحقاقي الإسكوئي الحائري(٣).

الثانية: الرشتية:

فبعد الأحسائي انتقلت زعامة الشيخية إلى كاظم بن قاسم الرشتي(٤) تلميذ الأحسائي، والقائم مقامه من بعده، والآخذ بنهجه مع زيادة في الغلو، والتطرف.

---

(١) انظر: طرائف المقال، للبروجردي، (١/ ٦١)، وحقيقة الصراع الأصولي، للقزويني، بحث منشور ضمن دائرة المعارف الشيعية، للأمين، (٢/ ٢٣٢ - ٢٣٣).

(٢) انظر: الحركة الأخبارية، وحقيقة الصراع الأصولي، للقزويني، بحث منشور ضمن دائرة المعارف الشيعية، للأمين، (٢/ ٢٣٤).

(٣) الحركة الأخبارية وحقيقة الصراع الأصولي، مقالة نشرت في دائرة المعارف الشيعية، للأمين (٢/ ٢٣٥).

(٤) هو كاظم بن قاسم الحسيني الموسوي الكربلائي الجيلاني الرشتي من أهل "رشت" بإيران، وسكن بكربلاء، توفي سنة ١٢٥٩هـ، من تصانيفه: أسرار العبادة، والمرآة الجديدة، ومقامات العارفين، ودليل المتحيرين... انظر: (تراجم الرجال: ١/ ٤٤٥)، للحسيني؛ (الأعلام: ٥/ ٢١٥)، للزركلي؛ (معجم المؤلفين: ٨/ ١٣٨).

جاهر الرشتي بآرائه التي اعتبرها علماء النجف آراء شاذة عن التفكير العقائدي الإثني عشري، فخلق صراعاً مع مدرسة النجف من نوع جديد، يختلف عن الصراع الذي واجهته هذه المدرسة مع الأخباريين، فقد كان الصراع مع الأخباريين يتركز بالجدل على شرعية وجود المجتهد وعدمه، أمَّا الصراع «الشيخي» الجديد، فقد ركن إلى جانب آخر، يعتمد على الغلو في مراتب الأئمة المعصومين، وهو الأمر الذي أبعدهم عن واقع الفكر الإثني عشري، وزادهم قرباً إلى الفكر الإسماعيلي، والاعتقاد الصوفي.

وقد كانت الرشتية في منطقة " كرمان " بإيران حيث يوجد أكثر أتباعهم، ثم انتقلت زعامتهم إلى العراق بالبصرة عام ١٤٠٠هـ حيث المركز الثاني لأتباعهم، ويوجد منهم قلة في دولة الكويت وبعض مناطق إيران الأخرى.

وقد انقسمت فرقة الرشتية إلى فرقتين: الركنية، والكشفية التي قامت بزعامة الميرزا حسن بن علي الحائري الشهير بكوهر[١]. وأتباع الكشفية يعتقدون أنَّ شيخهم الكامل يتلقى عن الأئمة عن طريق الكشف، والإلهام، ولهذا السبب سميت بالكشفية[٢].

الثالثة: القزلباشية:

وهم صوفية متشيعة من أتباع الصفويين، ولفظ القزلباش معناه الرؤوس الحمر،

---

(١) هو حسن بن علي القراجه داغي، الشهير بكوهر توفي بعد ١٢٦٦ هـ، وإليه تنتهي فرقة الكوهرية من الأخبارية من مصنفاته: شرح حياة الأرواح في المبدأ والمعاد، ولمعات أنوار الهداية، وشرح خطبة الرضا في التوحيد، والبراهين الساطعة في المبدأ والمعاد، انظر: معجم المؤلفين (٣/ ٢٥٨).

(٢) انظر: الحركة الأخبارية وحقيقة الصراع الأصولي. للقزويني، بحث منشور في دائرة المعارف الشيعية، للأمين (٢/ ٢٣٥). وموقع الكشفية الإلكتروني من أتباع گوهر الحائري وآل الإسكوئي الإحقاقي.

لتغطية رؤوسهم بشعار أحمر، وهو عبارة عن قلنسوة مقسمة إلى اثنتي عشرة شقة تذكر بعلي وأبنائه الإثني عشر يلبسونها شعاراً لهم[1]. وهي منتشرة الآن في بر الأناضول، والهند.

الأخبارية المعاصرون:

تنتشر الأخبارية -وهم الأقلية- في جميع أنحاء إيران في قم وطهران ومشهد وتبريز وأروميه وأصفهان وأراك وخوزستان وبوشهر وكازرون وغيرها.

وأما في العراق فقد انحسر وجود الأخباريين كثيراً، ولهم مرجع هو محمد أمين زين الدين، وأما الشيخية فلهم وجود في البصرة وكربلاء ويتزعمهم علي الموسوي المقيم في البصرة[2].

وفي الخليج العربي ينتشرون في أنحاء من الهفوف بالأحساء. وفي الكويت زعيمها عبد الرسول بن حسن الإحقاقي الإسكوئي الحائري (توفي سنة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

وفي آل عصفور بالبحرين الآن مَنْ يسعى إلى إقامة حوزة علمية جديدة تنهض بإحياء الحركة الأخبارية، وتنشط في نشر الدعوة إليها بين الشيعة الإثني عشرية[3].

---

(١) انظر: أعيان الشيعة (١/ ٢٣-٢٤)، والفكر الشيعي والنزعات الصوفية. مصطفى الشيبي (ص: ٤٠٥-٤٠٦).

(٢) انظر: صراع المصالح في بلاد الرافدين. أحمد فهمي (ص: ٢٨)، والفرق الشيعية في العراق. موقع الرشيد الإلكتروني.

(٣) انظر: موقع الأخباري: محسن آل عصفور الإلكتروني. ومن أبرز مقالات الموقع الرئيسة: "قم عش الأخبارية.. وسطوة الأصوليين لا تتجاوز السبعين عاماً"، ومقال "الأصوليون في تراجع مستمر.. والأخباريون قادمون".

ثانياً: أدوار المدرسة الأصولية:

الدور الأول:

تتمثل بوادر الطائفة الأصولية في الحسن بن أبي عقيل العماني[1]، المعاصر للكليني في طلائع القرن الرابع، وتبعه ابن الجنيد[2]. وقد كان السبق لابن الجنيد في القول بالاجتهاد في أحكام الشريعة، معجباً بأصول فقه المخالفين - ويقصد بهم أهل السنة-، وكان معاصراً للمفيد الذي واصل الخط الفكري الذي ابتدأه ابن أبي عقيل[3]. ويقول الاستربادي: «أول من غفل عن طريقة أصحاب الأئمة واعتمد على فن الكلام وعلى أصول الفقه المبنيين على الأفكار العقلية المتداولين بين العامة فيما أعلم محمد بن أحمد بن الجنيد العامل بالقياس وحسن بن علي بن أبي عقيل العماني المتكلم»[4].

إلا أن المفيد قام بنقد ابن أبي عقيل، وابن الجنيد في بعض آرائهما ومنها إفراطهما في القياس؛ وتوسط هو بين مدرسة المُحَدِّثين، ومدرسة المجتهدين وصنف كتابه «النقض على ابن الجنيد في اجتهاد الرأي»[5]. وتبعه في ذلك الطوسي[6]، إلا أن

---

(١) هو أبو محمد الحسن بن علي بن أبي عقيل العماني الحذاء، معاصر للكليني، قال عنه الحر العاملي: "عالم، فاضل، متكلم، فقيه، عظيم الشأن، ثقة" له كتب في الفقه والكلام، منها: كتاب المستمسك بحبل آل الرسول، والكر والفر في الإمامة. انظر: أمل الآمل (٢/ ٦١)، ورجال النجاشي (ص:٣٨)، والفهرست (ص: ٥٤)، وحياة ابن أبي عقيل. إعداد مركز المعجم الفقهي (ص: ١٣) وما بعدها.

(٢) هو محمد بن أحمد بن الجنيد الإسكافي، أبو علي، المتوفى سنة ٣٨١ هـ، من أهل الري، له نحو خمسين كتاباً منها: تهذيب الشيعة لأحكام الشريعة. انظر: الأعلام (٥ / ٣١٢).

(٣) انظر: روضات الجنات. للخوانساري (٦/ ١٣٦).

(٤) الفوائد المدنية. الاستربادي (ص: ٣٠)

(٥) انظر: تطور الفكر السياسي الشيعي. للكاتب (ص: ٣٢٦).

(٦) هو محمد بن الحسن بن علي الطوسي، أبو جعفر، من مصنفاته: الاستبصار، وتهذيب الأحكام، والتبيان في تفسير القرآن، والفهرست، وغيرها، توفي سنة ٤٦٠ هـ. انظر: رجال النجاشي (ص ٤٠٣)، وخلاصة الأقوال (ص: ٢٤٩ - ٢٥٠).

نتاجه في علم الأصول المتمثل في كتابه "العدة" أسفر عن قرن كامل من الجمود والتوقف[1].

الدور الثاني:

عصر التهذيب، والتصنيف، ويسمى دور "الرشد والنمو"[2]، بقيادة محمد بن إدريس الحلي[3]، ومحققهم نجم الدين الحلي[4]، وغيرهما. ويمثل الحقبة الزمنية الممتدة من القرن السادس إلى أوائل القرن العاشر، وتميز هذا الدور بما يلي:

١-تعاظم نفوذ المدرسة الأصولية، في حين كان نفوذ المدرسة الأخبارية يضعف في مقابل تمكن المدرسة الأصولية وبروزها.

٢-تميز الخلاف في هذه الحقبة بالهدوء والطابع العلمي الفقهي، من خلال الكتب المتبادلة.

الدور الثالث:

ويبدأ هذا الدور في منتصف القرن الرابع الهجري بزين الدين العاملي[5]،

(١) انظر: مصادر الاستنباط بين الأصوليين والأخباريين. محمد عبد المحسن العزاوي (ص: ٤٣).

(٢) انظر: الفكر التربوي الإمامي - إيران نموذجاً- حسان عبد الله حسان (ص: ٣٢).

(٣) هو محمد بن إدريس العجلي الحلي مات سنة ٥٩٨ هـ. انظر: أمل الآمل (٢/ ٢٤٣).

(٤) هو جعفر بن الحسن بن يحيى بن الحسن بن سعيد الحلي، ولد سنة ٦٠٢ هـ، وتوفي سنة ٦٧٦ هـ، ومن مصنفاته: شرائع الإسلام، والمعتبر، والمعارج، ونهج الوصول إلى علم الأصول. انظر: أمل الآمل (٢/ ٤٨)، وطرائف المقال (١/ ١٠٢).

(٥) هو زين الدين بن علي بن أحمد بن محمد بن جمال الدين بن تقي الدين العاملي الجبعي الملقب عند الشيعة بـ" الشهيد الثاني " ولد في جبع " من قرى جبل عامل " بلبنان سنة ٩١١هـ، ورحل رحلات عدة واستقر في القسطنطينية، وقتل بها سنة ٩٦٦ هـ، من مصنفاته: منية المريد في آداب المفيد والمستفيد، والاقتصاد في معرفة المبدأ والمعاد، ومسالك الأفهام إلى شرائع الإسلام، وغيرها. انظر: أمل الآمل (١/ ٨٥).

وابنه الحسن بن زين الدين [1] صاحب كتاب "المعالم في الأصول". وبرز في هذا الدور تيار التأليف ذي الطابع الأصولي الفلسفي.

الدور الرابع:

دور مقاومة التيار الأخباري، المتمثل في أفكار الاسترابادي التي طرحها خلال" الفوائد المدنية ". فتصدى له الوحيد البهبهاني[2]، الذي يمثل دور المقاومة والتجديد في وقت واحد[3].

وخلفه بعد ذلك محمد مهدي بحر العلوم[4]، والطباطبائي[5]، وجعفر كاشف الغطاء، وغيرهم. ولعل أكبر مواجهة في هذا الدور بين المدرستين (الأصولية والأخبارية) حدثت في بداية القرن التاسع عشر الميلادي (الثالث عشر الهجري) حيث حقق الشيخ جعفر كاشف الغطاء - وكان أبرز مراجع الدين في وقته - نصراً للمدرسة الأصولية بتصديه للميرزا محمد النيسابوري وأحبط حركته في إيران.

---

(١) هو الحسن بن زين الدين بن علي بن أحمد الشامي العاملي، أبو منصور، ولد بجبع سنة ٩٥٩هـ، وانتقل إلى النجف فأقام زمناً، وعاد إلى جبع، وتوفي بها سنة ١٠١١هـ، وله من الكتب: منتقى الجمان في أحاديث الصحاح والحسان، ومعالم الدين، والتحرير الطاووسي. انظر: أمل الآمل (١/ ٥٧)، والأعلام (٢/ ١٩٢).

(٢) هو محمد باقر بن محمد أكمل البهبهاني، المعروف بالأقا البهبهاني، أو الوحيد البهبهاني، ولد بأصفهان سنة ١١١٨ هـ، وأقام مدة ببهبهان فنسب إليها، واستقر بكربلاء، وتوفي بها سنة ١٢٠٥هـ، له الفوائد الحائرية، وحاشية على مفاتيح الأحكام. انظر: أعيان الشيعة. محسن الأمين (٩/ ١٨٢)، وطرائف المقال (١/ ٦٠).

(٣) انظر: المعالم الجديدة. محمد باقر الصدر (ص: ٨٨).

(٤) محمَّد مهدي بن السيد مرتضى بن محمّد بحر العلوم، ولد سنة ١١٥٥ هـ، بمدينة كربلاء، يلقب بـ" بحر العلوم ". توفي بالنجف عام ١٢١٢ هـ، من مصنفاته: الفوائد الرجالية، والدرّة النجفية، ومشكاة الهداية.. وغيرها. انظر: أعيان الشيعة (١٠/ ١٥٨).

(٥) هو علي بن محمد بن علي الطباطبائي ابن أبي المعالي الشهير بالصغير، ابن أخت البهبهاني، له كتب منها: كتاب الرياض، توفي عام ١٢٢١هـ. انظر: طرائف المقال (١/ ٦٠).



الدور الخامس:

بقيادة الأصولي مرتضى الأنصاري[1] والذي يلقبه الشيعة بـ«المجدد»، فقد فتح باب الاجتهاد على مصراعيه، ومن عهد الأنصاري لم يزل الأصوليون يعيشون مرحلة تجديده إلى زماننا الجاري في إيران، والعراق، ولبنان، ومنطقة الخليج العربي، وفي الهند، وباكستان، ووسط آسيا وغير ذلك من البلاد التي تضم أقليات الشيعة الإثني عشرية[2].

الأصوليون المعاصرون:

يعد الأصوليون التيار الأكثر في صفوف المرجعيات الدينية والسياسية في إيران، والعراق، والخليج العربي، ولبنان وغيرها. حتى أن البعض يرى أن ظهور الأصوليين وانتشارهم سبب مباشر في قيام الثورة الإسلامية في إيران بزعامة الخميني استناداً إلى مذهب الأصولية في نظرية المرجعية، ثم نظرية ولاية الفقيه أو نظرية الشورى التي قامت عليها الجمهورية الإسلامية في العصر الحديث[3].

ومن أبرز أعلام الأصولية المعاصرين: البروجردي، ومحسن الحكيم، وأبو الحسن الأصفهاني، وعلي شريعتي (أحد صناع الثورة ضد شاه إيران)، والخميني،

---

(١) هو مرتضى بن محمد أمين الدزفولي الأنصاري النجفي، ولد في دزفول سنة ١٢١٤هـ، ومن مصنفاته: المكاسب، ورسالة في حجية الظن، والفرائد في الأصول... توفي في جمادى الآخرة سنة ١٢٨١هـ. انظر: أعيان الشيعة (١٠/ ١١٧ - ١١٨).

(٢) انظر: المعالم الجديدة للأصول. للصدر (ص ٨٧ - ٨٩)، والموسوعة الفقهية الميسرة، لمحمد علي الأنصاري (١/ ٥٢)، وتاريخ الفقه الإسلامي وأدواره. للسبحاني (ص: ٢٤٦، ٣٧٦، ٤٠٦، ٤١٠، ٤١٨، ٤٥٧).

(٣) انظر: مقال: تحية إجلال للإمام الطوسي.. رائد الاجتهاد والحوار الموضوعي. أحمد الكاتب. الموقع الإلكتروني الشخصي.

وأبو القاسم الخوئي، ومحمد باقر الصدر، والسيستاني، والخامئني، وفي لبنان: موسى الصدر، ومحمد حسين فضل الله، ومن التيارات: حركة أمل، وحزب الله وغيرهما.

وقد عمل أقطاب الثورة الإسلامية في إيران على نشر أفكار هذه المدرسة عبر إنشاء حوزات دينية في أكثر المدن الإيرانية وكذلك إنشاء أكثر من مائة وخمسين حوزة دينية في إفريقيا وأوربا وشرق آسيا[1]. وذلك لاعتقادهم بضرورة الاجتهاد في ظل المستقبل، والمستجدات التي فرضتها متطلبات الدولة الإسلامية، وحاجتها إلى القوانين والتشريعات التي تنظم شؤون الدولة ومؤسساتها.

تبين مما سبق أن الشيعة الإمامية الإثني عشرية منقسمة على نفسها إلى تيارين مختلفين ومتنازعين في أصول الاستدلال، وأن هذا الانقسام يعطي دلالة على أن التيار الأصولي الإمامي هو الأوفق والأقرب للالتقاء مع التصوف والتأثير عليه في جوانب عدة كما سيظهر لاحقاً إن شاء الله في أثناء هذا البحث، في حين لا ننكر وجود مظاهر له عند الرشتية والكشفية من الأخبارية.

(١) انظر: أعلام التصحيح والاعتدال (ص: ٣٦)، وموقع محسن آل عصفور الإلكتروني.

البـاب الأول

جذور الصلة بين الصوفية والإمامية

وفيه فصلان:

الفصل الأول: أسباب وأصول نشأة العلاقة بين التصوف والإمامية.

الفصل الثاني: أطوار العلاقة بين الصوفية والإمامية، وأعلام كل طور.



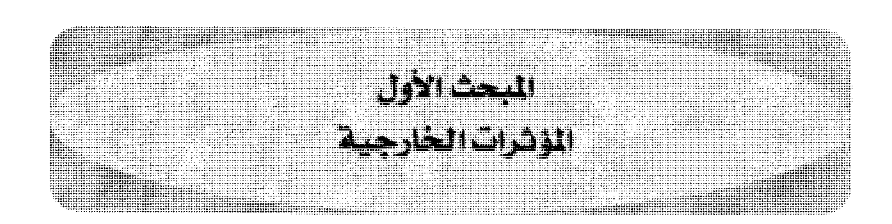
الفصل الأول

أسباب وأصول نشأة العلاقة بين التصوف والإمامية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: المؤثرات الخارجية.

المبحث الثاني: أوجه الاتفاق في مصادر التلقي ومنهج الاستدلال بين الصوفية والإمامية.



المبحث الأول
المؤثرات الخارجية

أول ما ولج التشيع إلى المتصوفة كان من باب حب آل البيت، ومدح النبي ﷺ حتى أفلح الشيعة في كسب ود الصوفية، بل تشيع بعضهم، كما أن لهم أبواباً ومداخل بها يجلبون على الناس بخيلهم ورجلهم، ومن أبرزها في زمننا المعاصر إضافة إلى إظهار الغلو في حب آل البيت أنهم يستغلون الأوساط السنية الفقيرة لنشر دعوتهم، أو الإغراء بالمال لأصحاب النفوس الضعيفة.

ثم ليعلم أن التشيع بثّ أفكاره ودسّ معتقداته، وروّج نظرياته بين الصوفية عن قصد وعمد لتشويش المسلمين في عقائدهم ومعتقداتهم، وتبكيت أهل السنة عن الاعتراض على التشيع وزيغه وضلاله، وإلزامهم السكوت بإبراز طائفة تنتمي إليهم، وتحسب عليهم، وتحمل المعتقدات نفسها التي تشتمل عليها هي، وهذا أمر خطير في تاريخ الطوائف والفرق، والملل والنحل.

ومما يجدر ذكره هنا أن الثلاثة الذين اشتهروا في التاريخ الإسلامي باسم التصوف ولقبه بادئ ذي بدء كان اثنان منهم من الشيعة أو متهمين بالتشيع، كما أن هؤلاء الثلاثة كلهم كانوا من موطن الشيعة آنذاك، وهو الكوفة.

فأبو هاشم الكوفي[1] (١٥٠هـ) لم يرم بالتشيع، ولكنه كان من الكوفة الشيعية، ومتهماً بالزندقة والدهرية، وجابر بن حيان الصوفي (٢٠٠ أو ٢٠٨هـ) وهو صاحب كيمياء شيعي من أهل الكوفة عده بعض الشيعة في كتبهم الرجالية من تلامذة جعفر الصادق، والثالث هو عبدك الصوفي (٢١٠هـ) الذي شهد له بعض الشيعة بأنه كان شيعياً غالياً[2]. وسيأتي ذكر هؤلاء الثلاثة مع شيء من التفصيل في الفصل المقبل إن شاء الله.

ثم إن ظروف النشأة التي مرت بها الفرقتان تاريخياً عرضت لها مجموعة من المؤثرات الخارجية كالنصرانية، واليهودية، والعقائد الهندية، واليونانية، والفارسية، وقد كانت هذه المذاهب والفلسفات متغلغلة في الأوساط التي عاش فيها الإمامية والصوفية على حد سواء، فلم يكن بدّ من أن تترك طابعها في مذاهبهم[3].

---

(١) اشتهر أبوهاشم بهذه النسبة، ويسميه البعض: أبو هاشم الزاهد، وهو عثمان بن شريك، واختلف المترجمون له هل كان كوفياً أو بغدادياً أو شامياً. انظر: تاريخ بغداد (١٤/ ٣٩٧)، وحلية الأولياء (١٠/ ٢٢٥).

(٢) انظر: أعيان الشيعة (١٥/ ٨٧-٨٨، ١٠٢، ١٠٥)، والذريعة إلى تصانيف الشيعة (١٠/ ١٧١)، والفهرست. لابن النديم (٤٩٨-٤٩٩)، والصلة بين التصوف والتشيع. مصطفى الشيبي (١/ ٢٨٩).

(٣) هناك رسائل علمية متخصصة في دراسة هذه التأثرات، ومنها: أوجه الشبه بين اليهود والرافضة في العقيدة لإبراهيم الرحيلي (رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية)، والتصوف وتأثره بالنصرانية والفلسفات القديمة لإبراهيم التركي (رسالة دكتوراه في الجامعة الإسلامية)، والبوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها لعبد الله نومسوك (رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية).

يقول أحمد المعلم: "لقد أخذت باطنية الشيعة جملة من العقائد عن الفلاسفة، وغيرهم من الأمم الكافرة، وطبقتها على أئمتها، وصاغتها صياغة تناسب ملتها ثم نشرتها بين أتباعها وحملتهم عليها، ثم إن المتأخرين من الصوفية أخذوا ذلك عنهم ودمجوه في منهجهم، وعملوا به، واعتقدوه"[(١)].

وأكتفي هنا بالإشارة إلى ما كان متفقاً من المؤثرات الخارجية بين الصوفية والإمامية، وأزيد الأمر تخصيصاً بالاقتصار على المظاهر المشتركة في تلك المؤثرات على النحو التالي:

أولاً: الأثر النصراني:

ويظهر تأثر الصوفية والإمامية بالأفكار النصرانية من خلال التالي:

١- القول بالحلول والاتحاد:

فكما أن النصارى يقولون إن الأقانيم الثلاثة: الأب والابن والروح القدس عين شيء واحد على اختلاف بينهم، طرد بعض الصوفية والإمامية هذا المذهب فجعلوا عقيدة الحلول والاتحاد هي عين توحيد الرب -كما سيأتي بيانه لاحقاً إن شاء الله-. إلا أن النصارى أخف وطأة، وأقل غلواً حيث قالوا بالحلول أو الاتحاد الجزئي، وهو المتعلق بشخص المسيح عليه الصلاة والسلام من خلال اعتقادهم بحلول اللاهوت بالناسوت، بينما غلاة الإمامية والصوفية تجاوزوا ذلك إلى القول بالحلول الكلي، والاتحاد العام الذي أوصلهم إلى القول بوحدة الوجود[(٢)].

٢- التربية الذليلة:

وهي تلك التي يرضى بها المريدون والأتباع خضوعاً لذوي العصمة عندهم

---

(١) القبورية في اليمن. أحمد المعلم (ص: ٥٢٢).

(٢) انظر: الصوفية معتقداً ومسلكاً. صابر طعيمة (ص: ٦٧).

من الشيوخ، والمراجع الدينية[1]. والقساوسة قد عرفوا بامتهان الناس وإذلالهم، وحوادث القرون الوسطى شاهدة على ذلك.

٣- المبالغة في مجاهدة النفس، وأخذها بالرياضات الشاقة، وتعذيبها بالإرادة:

وهذا معروف عند قسس النصارى ورهبانهم، فقد كانوا يتبارون في إظهار النسك بتعذيب النفس، فمنهم من امتنع عن أكل الطعام المطبوخ في سنوات عدة، ومنهم من لا ينام لأيام، ومنهم من كان يترك الاستحمام[2]. ومثل هذه الصور وغيرها موجود عند أتباع الفرقتين، ولا سيما في المآتم الحسينية عند الإمامية.

٤- مقابلة النصارى في ألقابهم:

الألقاب مراتب عند الإمامية فطريق المرجعية يبدأ بواعظ، ثم مجتهد، ثم حجة الإسلام، ثم حجة الإسلام والمسلمين، ثم آية الله، ثم آية الله العظمى[3]. وعند الصوفية: الشيوخ ثم الأولياء، ثم الأبدال، ثم النقباء، ثم النجباء ثم القطب الغوث، وعند البكتاشية على وجه الخصوص تبدأ درجات المنتسبين إلى الطريقة بالعاشق، وتنتهي بالددة بابا. وهذه تشبه ألقاب النصارى، فهي عندهم يرتقي الراهب من الرهبنة إلى أن يكون شماساً، ثم قسيساً، ثم مطراناً، ثم بطريركاً، ثم البابا.

٥- مبدأ الفداء والكفارة:

إن فكرة تعذيب شخص فداء عن الآخرين قديمة تبنتها العديد من الديانات والمذاهب، وهي مشتهرة عند النصارى الذين زعموا أن المسيح عليه السلام تألم وتعذب من أجل الآخرين. وتعرف هذه الفكرة بمبدأ «الكفارة والفداء».

(١) انظر: مصادر التلقي عند الصوفية. هارون بشير صديقي (ص: ٣٠).
(٢) انظر: قصة الحضارة، لول ديورانت (١٢/ ١١٩-١٢٣).
(٣) انظر: مقالة بعنوان "فكرة آية الله العظمى". حامد محمود. موقع إسلام أون لاين الإلكتروني.

وهذه الفكرة تسربت إلى أصحاب الطريقة الرفاعية من الصوفية الذين جعلوا شيخهم يتحمل البلاء والمرض نيابة عن الآخرين.

فقد ذكروا أن شيخهم الرفاعي مرض فقال: «أقبل على الخلق بلاء عظيم فتحملته عنهم واشتريته بما بقي من عمري فباعني». وكان يبكي ويقول: اللهم اجعلني سقف البلاء على هؤلاء الخلق[1].

وكان يقول لخادمه يعقوب: "ما وجد أحد من الفقراء أذى إلا وجدت ألمه في قلبي"[2].

وكذلك فإن أئمة الإمامية يفدونهم بأعمارهم وأنفسهم لدفع البلاء والعقاب عنهم في الدنيا والآخرة. فقد روى الكليني بإسناده إلى موسى بن جعفر فيما نسبه إليه قال: "إن الله عز وجل غضب على الشيعة، فخيرني نفسي أو هم، فوقيتهم والله بنفسي"[3].

٦- الكتاب المنزل لا يفهمه إلا الخواص:

قصرت النصرانية حق تفسير الكتاب المقدس على البابا وعلى أعضاء الطبقة الروحية من رجال الدين[4]، وكذلك الإمامية أقرت بأن القرآن لا يفهم إلا بقيم وهو الإمام، والصوفية قالوا إن للقرآن باطناً وهو الحقيقة ولا يعرفها إلا الخواص.

---

(١) انظر: إجابة الداعي في مناقب القطب الرفاعي. إبراهيم البرنزحي (ص:١٩)، والطبقات الكبرى (١/ ١٤٤-١٤٥).

(٢) قلادة الجواهر (ص:١٤٣).

(٣) أصول الكافي (١/ ٢٦٠).

(٤) انظر: الفكر الإسلامي الحديث. محمد البهي (ص: ٢٧٩)، ومذاهب فكرية معاصرة. محمد قطب (ص: ٤٥٠).

٧- الطاعة المطلقة للأئمة والشيوخ والتسليم لهم:

إن الإمامية تقول إن الدين مُسلم للأئمة، فالحلال ما حللوه، والحرام ما حرموه، والدين ما شرعوه، وهكذا عقيدة الصوفية في شيوخهم، وهذا ما يعتقده النصارى في رجالهم من الرهبان كما قال تعالى عنهم: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ [التوبة: ٣١] وقال الرسول ﷺ: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله"(١).

٨- اتخاذ قبور الأئمة والأولياء مساجد وزيارتها والنذر لها ودعاء أصحابها:

إن الإمامية والصوفية تتخذان من قبور الأولياء والصالحين والأئمة مزارات وتجاوزت الحال بهم إلى أن صارت أوثاناً تُعبد من دون الله، لاعتقادهم في الأئمة أنهم قادرون على إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، وغير ذلك من أمور الربوبية، وهذا نفسه ما تتصف به النصارى كما أخبر عنهم الرسول عليه الصلاة والسلام: "لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"(٢)، "ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك "(٣).

ثانياً: الأثر اليهودي:

١- الذكر والسماع والرقص وضرب الدفوف:

وهذا معروف عن اليهود في تلاوة المزامير، فقد جعلوا مهمة أنبيائهم إنشاد المزامير

(١) رواه البخاري. كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: (واذكر في الكتاب مريم إذا انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً) (٦/ ٣٦٥).

(٢) رواه البخاري في كتاب الجنائز باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور، ٣/ ١٦١، ومسلم كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد، (٥/ ١١، ١٢).

(٣) رواه مسلم: كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور (٥/ ١٣).

والترانيم، والابتهال بمصاحبة الآلات الموسيقية في المعابد[١]. جاء في المزمور(١٤٩): "ليبتهج بنو صهيون بملكهم ليسبحوا اسمه برقص، بدف، وعود... سبحوا الله في قدسه، سبحوه برباب وعود، سبحوه بدف ورقص، سبحوه بأوتار ومزمار، سبحوه بصنوج الهتاف".

والسماع الصوفي، وهو إنشاد الأشعار في المساجد ومواطن العبادة بقصد التقرب إلى الله تعالى، واعتبار ذلك من ضمن الوسائل التي تقرب إليه وتزكِّي النفس وتسمو بالروح، سواء حصل معها عزف بالمعازف المعروفة كالدفّ ونحوها أو لم يحصل، وفي كثير من الأحيان يصحب ذلك رقص وتمايل وطرب زائد، وربما وصل إلى السكر والإغماء وفقدان الشعور، وكل ذلك تُعطى له المسوّغات، ويُؤصل له بما يظهره وكأنه من أعظم القرب وأفضل الشعائر في العرف الصوفي[٢].

وقد نقلت شاشات الفضائيات المذهبية والحكومية، وغيرها في المناسبات الدينية خاصة، كذكرى المولد النبوي، ويوم عاشوراء أنواعاً من الترانيم، والابتهالات المصحوبة بالأبواق والطبول، وغيرها من الآلات الموسيقية الحديثة[٣].

٢- سلوك طريق التأويل الباطني والتفسير الرمزي للنصوص:

إن مذهب التأويل الرمزي، مذهب معروف عند اليهود، ابتدعه فيلون اليهودي

---

(١) انظر: أبحاث في الفكر اليهودي. حسن ظاظا (ص: ٧٧-٨٠). وقد أورد المؤلف نصوصاً من التوراة تدل على ذلك.

(٢) انظر: الصوفية في حضرموت (ص: ٩١٢-٩٢٢).

(٣) أفرد عامر النجار في كتابه: "الطرق الصوفية في مصر" (ص:٥٩) فقرة خاصة ذكر فيها الدور المهم والبارز للصوفية في الفن والغناء العربي، وحفظهم له من الاندثار والضياع، وأن بعض مجالس الذكر لا تشغل من أولها إلى آخرها بغير الغناء والترانيم والأناشيد.

الإسكندري[1] الذي حاول أن يؤول التوراة لتتوافق مع الفلسفة اليونانية، ثم ظهرت طائفة القَبَّالا وهم طائفتان: الأولى: طائفة الحروفيين: التي تعتمد على تفسير النصوص بطريق حساب الحروف. والثانية: طائفة الفيضيين: وهم الذين يقولون بالكشف والإشراف مع نبذ مطالب الحياة الجسدية، وتطهير النفس بإدامة الذكر، والاستغراق في الذات الإلهية[2].

وهذان الاتجاهان ظهرا في الصوفية والإمامية، فقد ابتدعوا ما يسمى بالتفسير الباطني؛ واشتغل بعضهم بتأويل المراد بالحروف السبعة كما فعَلَ الدباغ[3]؛ وتأويلات الصوفية والإمامية للنصوص الشرعية عن طريق الكشف أكثر من أن تحصر.

ثالثاً: الأثر الهندي:

١- القول بوحدة الوجود:

يقول أبو الريحان البيروني: "ورد عند الهندوس إن الروح وبرهما والكون، شيء واحد، ولكن نحن فرقناهم وميزناهم؛ لعدم معرفتنا بهم، فلو نزهنا أنفسنا من الشهوة والغضب، والحرص، والتكبر، واشتغلنا بحصول المعرفة لوجدنا هذه الأشياء الثلاثة متحدة"[4].

---

(١) فيلون الإسكندري هو أول فيلسوف جمع بين الفلسفة واللاهوت، من مؤلفاته: دفاع عن اليهود، وموسى، والشرع المجازي للشرائع المقدسة. توفي سنة: ٢٠ ق.م. انظر ترجمته: موسوعة أعلام الفلسفة (٢/ ٢٠٦).

(٢) انظر: اليهودية. عرفان عبد الحميد (ص: ١١٥).

(٣) انظر: كتاب الإبريز من كلام سيدي الغوث عبد العزيز الدباغ. أحمد بن المبارك (١/ ١٦-١٩)، وفصول في أديان الهند. محمد ضياء الأعظمي (ص: ١٧٤).

(٤) فصول في أديان الهند (ص: ١٧٥).

يقول أحمد أمين: "وتحت التشيع ظهر القول بتناسخ الأرواح، وتجسيم الله، والحلول، ونحو ذلك من الأقوال التي كانت معروفة عند البراهمة، والفلاسفة والمجوس قبل الإسلام"[1].

وقد أكَّد نيكلسون - المستشرق المتخصص بدراسات التصوف- أن عقيدة وحدة الوجود نزعة فارسية هندية[2].

٢- العشق الإلهي[3]:

وذلك أن الراهبات الهندوسيات يُعَبرن عن شوقهن وحبهن للإله المعبود بالرقص والغناء والموسيقى، ويسمون: عاشقات كرشنا (أي إلههم)[4].

وانتقلت هذه العقيدة إلى الإمامية والصوفية، حيث يكثر عندهم ما يسمونه بعشق الإله، أو عشق الإمام تصريحاً أو تلميحاً. وقد ألف عبد الله جواد آملي كتاباً كبيراً أسماه: "الإمام الخميني ثورة العشق الإلهي".

ويرى علي شريعتي أن من فوائد الدعاء أنه مدرسة لتجلي العشق الإلهي، وللتعرف إلى العالم الواسع، وحاجات الإنسان الكبرى[5].

٣- مراقبة الشيخ واستحضاره في القلب:

من عقائد البوذيين: مراقبة بوذا -حال العبادة-، مع استحضاره في القلب، والتركيز على تمثاله للقضاء على الآلام والأحزان، وهذا من أعلى مراتب العبادة عند

---

(١) فجر الإسلام. أحمد أمين (ص: ٢٧٧).
(٢) انظر: في التصوف الإسلامي (ص: ٢٤).
(٣) عبارة العشق عند أهل اللغة لا تكون إلا لما ينكح، فهو - سبحانه - يُحب، ولا يقال يُعشق.
(٤) انظر: فصول في أديان الهند (ص: ١٧٧).
(٥) انظر: الإمام السجاد. علي شريعتي (ص: ١١٥).

رهبانهم[1]. وهذه الصور من الغلو في الأشخاص موجودة بقدر كبير عند الإمامية القائلين بتقديس الأئمة.

أما الصوفية، فمن عقائدهم ما يسمى: الفناء في الشيخ؛ فيستحضره حال الذكر؛ ليتحد المريد مع شيخه، وتتبدل صفات المريد، بصفات شيخه، وفي هذا يقول أبو العباس المرسي: «اعمل أيها المريد على أن تتحد بشيخك، فيكون ما عنده من المعارف، عندك على حد سواء، ويكون تميزه عليك إنما هو بالإضافة لا غير»[2].

وقال الشعراني -وهو يعدد آداب الذكر-: «السابع: أن يخيل شيخه بين عينيه ما دام ذاكراً، وهذا عندهم من آكد الآداب، لأن المريد يترقى منه إلى الأدب مع الله، والمراقبة له»[3].

٤- التعذيب الإرادي للنفس:

وهذه عقيدة هندوسية؛ حيث جاء في تعاليمهم الاتصال بإلههم: برهما، وأن ذلك لا يكون إلا بقهر النفس ومخالفتها. ولهذا قطع رهبان الهندوس علاقاتهم الدنيوية، واتجهوا إلى الكهوف، والمغارات، والغابات، والجبال بقصد الرياضة والمجاهدة وقهر أنفسهم للوصول إلى النيرفانا[4].

أما تعذيب الصوفية لأنفسهم، واعتكافهم في الكهوف، وسياحتهم في البراري فكثير، ومن ذلك ما جاء في ترجمة سمنون المحب إنه كان يجلس على شاطئ دجلة،

---

(١) انظر: فصول في أديان الهند (ص: ١٤٧، ١٣٧، ١٤٩).
(٢) الأنوار القدسية في بيان قواعد الصوفية للشعراني (ص: ٢٩٠).
(٣) المرجع السابق (ص: ٥٩).
(٤) انظر: فصول في أديان الهند (ص: ٤٩، ٢٩-٥٢). والنيرفانا تعني: الانطلاق، أو التحرر، أو الانعتاق من التناسخ، والنجاة من أخذ دورة جديدة في الحياة. انظر: المرجع السابق (ص: ١٢٤).

وبيده قضيب يضرب به فخذه، حتى بان عظم فخذه عن ساقه، وتبدد لحمه[1].

وأما الإمامية فحدث ولا حرج عن أفعالهم في ذكرى عاشوراء من التطبير، وضرب أجسادهم بالآلات الحادة، والسلاسل المدمية. وعدوا ذلك من تعظيم شعائر الله، ومن أعلى القربات، فقد ورد إلى محمد آل كاشف الغطاء السؤال التالي:

"ما يقول مولانا حجة الإسلام.. في المواكب المشجية التي اعتاد الجعفريون اتخاذها في العشر من المحرم تمثيلاً لفاجعة الطف وإعلاماً لما انتهك فيها من حرمة الرسول ﷺ في عترته المجاهدين بالتمثيل للشهداء وجهادهم، وما جرى عليهم، وما جرى على الأطفال من القتل والقسوة، وبإعلانهم الحزن لذلك بأنواعه من ندب، ونداء وعويل، وبكاء، وضرب بالأكف على الصدور، وبالسلاسل على الظهور، فهل هذه الأعمال مباحة في الشرع أم لا أفتونا مأجورين"؟

فأجاب بقوله:

"بسم الله الرحمن الرحيم، قال - سبحانه وتعالى -: ﴿**ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى**﴾ [الحج: ٣٢ - ٣٣]، ولا ريب أن تلك المواكب المحزنة، وتمثيل هاتيك الفاجعة المشجية من أعظم شعائر الفرقة الجعفرية.."[2].

وذكر محسن الأمين أنه أقام مجلساً للعزاء في دمشق - كما يزعم - حضره عدد كبير، "وختم باللطم المهيج المؤثر"[3].

(١) انظر: طبقات الصوفية (ص: ١٩٧).

(٢) الآيات البينات (ص: ٥).

(٣) رسالة التنزيه لأعمال الشبيه (ص: ٣٠).



رابعاً: الأثر اليوناني:

اليونانيون أمة وثنية، قد ظهر فيهم فلاسفة بحثوا في أمور العقيدة بأهوائهم وعقولهم المجردة من نور الوحي، فضلوا في مسائل العقيدة بعامة، وبمسائل الإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله خاصة.

ورغم ضعف القول بأن الصوفية مأخوذة من "سوفيا" اليونانية، إلا أن الباحثين في "التصوف" يكادون يجمعون على تأثره بالفلسفة اليونانية بفرقها المختلفة، وخاصة الأفلاطونية المحدثة، حيث يظهر تأثيرها في تصوف أبي يزيد البسطامي، والحلاج، والحكيم الترمذي، وأبي حامد الغزالي، وشهاب الدين السهروردي المقتول - مؤسس المذهب الإشراقي-، وفي ابن الفارض، وابن عربي، وابن سبعين، وجلال الدين الرومي، وعبدالرحمن الجيلي، وعبدالرحمن الجامي، وغيرهم.

ويظهر التأثير اليوناني في الصوفية والإمامية من خلال التالي:

١- القول بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود:

هذه العقائد مذاهب قديمة عرفت عند النصرانية، والمذاهب الهندية، وفلاسفة اليونان.

يقول أفلوطين: "وقد وجدت مرات عديدة أن ارتفعت خارج جسدي بحيث دخلت نفسي، كنت حينئذ أحيا، وأظفر باتحاد مع الله"[١].

٢- المعرفة الغنوصية:

الإمامية والصوفية عندهم اصطلاحات هي في نفسها وجدت أول ما وجدت عند الغنوص ومنها "المعرفة" و"العرفان". وتعني التوصل إلى المعارف العليا عن طريق الكشف لا عن طريق البرهنة.

(١) انظر: أبو حامد الغزالي والتصوف (ص: ١٥٠).

وبلغ تأثير الفكر الغنوصي على الفرقتين حتى جعل منهما فلسفة عقلية لا ديناً شرعياً.

٣- الحقيقة المحمدية:

وهي عندهم مبدأ الخلق وأصله، وأول تعيناته، وهي منتهى غايات الكمال الإنساني، وأكمل تعيناته، وأكمل تعيناتها في النبي ﷺ، فكل نبي يأخذ من مشكاته، فهو وإن تأخر وجود طينته، فإنه بحقيقته موجود. واستدلوا بحديث جابر -رضي الله عنه - الطويل المنسوب إلى "مصنف عبد الرزاق[١] - أنه سأل النبي ﷺ عن أول شيء خلقه الله - تعالى- من المخلوقات، فقال النبي ﷺ: «نور نبيك يا جابر، وخلق بعده كل شيء، وخلق منه كل خير. . . .» الحديث.

ويقول الأب كليمنت الإسكندري: (ليس في الوجود إلا نبي واحد وهو الإنسان الذي خلقه الله على صورته، والذي يحل فيه روح القدس، والذي يظهر منذ الأزل في كل مكان وزمان بصورة جديدة)[٢].

٤- الفلسفة الإشراقية:

يعدُّ السُّهروردي المقتول أول من تكلم من الصوفية في الفلسفة الإشراقية، وكان معظماً لأفلاطون. وقد أخذ عنه بعض الإمامية هذه الفلسفة كما سترد الإشارة إليه في المبحث المقبل بمشيئة الله.

---

(١) الحديث لم أجده في "المصنف" لابن عبدالرزاق، وفي "الجامع" لمعمر بن راشد، ونسبه العجلوني في "كشف الخفا" (١/ ٣١١) إلى عبدالرزاق. والحديث ظاهر الوضع. وحكى أحمد عبد القادر الشنقيطي - في رسالته: تنبيه الحذاق- (ص: ٢٢): عن السيوطي أنه قال عن الحديث: لا سند له يثبت البتة. وعن الألباني أنه قال عنه: إنه باطل. وقال أبو الفيض أحمد بن عبد الله بن الصديق الغماري عنه إنه موضوع. انظر: المعين على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير (ص: ٦-٧). والحديث عند الإمامية في بحار الأنوار (٢٥/ ٢٢).

(٢) فصوص الحكم لابن عربي. تعليق: أبو العلاء العفيفي. قسم التعليقات الثاني (ص: ٣١٩ - ٣٢١).

خامساً: الأثر الفارسي:

١- النشأة الأولى للفرقتين:

أشار أبولبابة الطاهرحسين إلى أن الفرقتين أنشأهما الفرس بقوله: «وذكرت كيف أن التصوف المغربي قاوم التشيّع رغم أن الزهد في المشـرق إنما تطوّر إلى تصوّف على أيدي الزهّـاد الفـرس الذين يمثلون عصب التشيّـع ودمه الفوار»[١].

ويؤكد الباحث الإيراني قاسم غني ذلك بقوله: "وتذهب جماعة إلى أن التصوف ليس إلا رد فعل أوجده الفتح العربي الإسلامي في نفوس العنصر الآري الإيراني، وخلاصة قولهم أن الإيرانيين بعدما غُلِبوا على أمرهم بسيوف العرب في مواقع القادسية وجلولاء وحلوان ونهاوند، أدركوا أنهم فقدوا استقلالهم وأضاعوا مجدهم. ثم إنهم اعتنقوا الديانة الإسلامية، ولكن العرب الذين كان الإيرانيون ينظرون إليهم منذ القدم بنظرة غير راضية لم يستطيعوا أن يغيروا رغم انتصارهم مجرى التفكير الإيراني، وأن يجعلوهم مشاركين لهم في أسلوب تفكيرهم واتجاهاتهم وميولهم وسليقتهم ومنطقهم، وكذلك في آمالهم وأمانيهم وغاياتهم الروحية المثالية، لأن التباين الشكلي والمعنوي أي الفروق العنصرية والاختلافات في أسلوب المعيشة والأوضاع الاجتماعية بين هاتين الأمتين كان شديداً للغاية.

وبناء على ذلك بعدما انتهت المعارك الحربية باندحار الإيرانيين بدأت الانفعالات والتأثيرات المعنوية والروحية تظهر عند الإيرانيين بأسلوب المساجلات الفكرية التي كان لها أثر بالغ في التاريخ الأدبي والمذهبي والاجتماعي والسياسي للعرب والإسلام. ومن أهم تلك الانعكاسات التي تَرَتّبتْ على تلك الانفعالات الفكرية التشيع أولاً والتصوف ثانياً"[٢].

---

(١) موقف متصوفة المغرب وزهادها من الاحتلال العبيدي. أبولبابة الطاهر حسين (ص: ٦-٧).

(٢) تاريخ التصوف في الإسلام. قاسم غني. ترجمة عربية: لصادق نشأت (ص: ١٤).

ومن الأمور المؤيدة لهذه النشأة نظرة الفرس وأكاسرتهم للعرب وأنهم جهلة وبدائيون وهمج، ولهذا صعُب على الفرس انتصار العرب عليهم وتحطيم إمبراطوريتهم على أيدي الصحابة..!!

ويؤيد هذا قول الإحقاقي: "إن الصدمات التي واجهها كل من شعبي إيران والروم الكبيرين نتيجة لحملات المسلمين والمعاملة التي تلقوها من الأعراب البدائيين الذين لا علم لهم بروح الإسلام العظيمة، أورثت في نفوسهم نزعة صدود عن العرب، وشريعة العرب، فطبيعة سكان البادية الأوباش الخشنة، وذلك الخراب والدمار اللذين ألحقوهما بالمدن الجميلة، والأراضي العامرة، في الشرق والغرب، وغارات عباد الشهوات العطاشى إلى عفة وناموس الدولتين الملكية والإمبراطورية... إلخ"(١).

يقول المستشرق براون عن حقيقة التصوف والتشيع: "إن التشيع والتصوف كانا من الأسلحة التي حارب بها الفرس العرب"(٢).

وقال أمين الريحاني: "إن في العالم الإسلامي قطبين للصوفية وموردين؛ هما: إيران، وبلاد المغرب"(٣).

٢- الحكمة الإشراقية:

ويظهر هذا الأثر في فلسفة الإشراق التي اعتمدتها الصوفية والإمامية واحدة من المصادر العرفانية، وقد أصر بعض الباحثين والمستشرقين على إرجاع حكمة الإشراق إلى حضارة إيران القديمة قبل ظهور الإسلام، وهي إيران الزرادشتية(٤). ويشهد لذلك اهتمام السهروردي -شيخ الإشراق- بحكمة الفرس إلى درجة الإيمان، ويعتبرها

---

(١) انظر: رسالة الإيمان. ميرزا حسن الحائري الإحقاقي (ص: ٣٢٣).
(٢) مرجع أجنبي. انظر: موقع صيد الفوائد الإلكتروني.
(٣) ملوك العرب. أمين الريحاني (ص: ٢٩٣).
(٤) انظر: العرفان الإسلامي (ص: ١١٧)

موافقة لمشاهداته الصوفية، ويعترف بفضل حكماء الفرس على فلسفته الإشراقية الجديدة، فيقول في مقدمة كتابه "حكمة الإشراق": (وكان في الفرس أمة يهدون بالحق وبه كانوا يعدلون، حكماء فضلاء، غير مشبهة المجوس، قد أحيينا حكمتهم النورية الشريفة التي يشهد بها ذوق أفلاطون ومن قبله، في الكتاب المسمى بحكمة الإشراق وما سبقت إلى مثله)[1].

وينعكس تقدير السهروردي لحكمة الفرس على تلميذه الشهرزوري، فيزعم أن أصل الفلسفة من الفرس، وأنها قد انتقلت إلى اليونان على عهد الإسكندر الأكبر[2].

٣- تقديس الأشخاص:

يقول الشيبي[3]: "وينبغي أن نذكر الدور الذي قام به الفرس من إدخالهم مُثُلهم الدينية في التشيع الغالي الأول حين نصروا المختار، وعاضدوا حركة الغلو العجلية، وانضموا إلى حركة أبي هاشم، وانضافوا إلى الحركة السرية العباسية التي ورثت حركة أبي هاشم، حتى أدى بهم الأمر إلى تأليه أبي مسلم الخرساني، كما فعلوا مع أئمة الشيعة من العلويين. يضاف إلى ذلك أنهم نصروا حركة عبد الله بن معاوية في فارس أيضاً وأسبغوا عليه النور الإلهي الذي سنجده في التصوف واضحاً جلياً.

هذا كله يعني أن الفرس قد بدؤوا إضافة القداسة إلى البيت النبوي باعتبارها موازياً لأسسهم السياسية والدينية السابقة من تأليههم الملوك، وقولهم بالنور الذي

(١) دراسات إسلامية. حسن حنفي (ص: ٢٣٣)

(٢) انظر: أصول الفلسفة الإشراقية (ص: ٨١)، نقلاً عن العرفان الإسلامي (ص: ١٢١-١٢٢).

(٣) هو كامل مصطفى الشيبي، مفكر شيعي معاصر حصل على درجة الليسانس، والماجستير من جامعة الإسكندرية سنة ١٩٥٨م برسالة قدمها بعنوان: الصلة بين التصوف والتشيع، وحصل على الدكتوراه من قسم الفلسفة من جامعة كمبردج برسالة قدمها بعنوان الفكر الشيعي والنزعات الصوفية. انظر: مقالة بعنوان التشيع بين الاعتدال والتطرف، للكاتب: إبراهيم الداقوقي، نشر في مجلة الحوار المتمدن، العدد (١٤٣٢).

ينتقل من ملك إلى آخر، فثبتت الولاية لعليّ بن أبي طالب على نحو مبالغ فيه، وانتقلت هذه الولاية المقدسة مع زيادات وحواش إلى الأئمة من بعده حتى بلغ الأمر حدّ التأليه"[1].

٤- القول بوحدة الوجود:

وقد ذكرت هذه الصورة من التأثير في أكثر من موضع مما سبق.

وفي نهاية هذا العرض الموجز للمؤثرات الخارجية على الفرقتين أجد من المهم أن أشير إلى اعتراف بعض الصوفية بوجود الصلة بين مذهبهم والأديان والفلسفات السابقة.

يقول أبو الوفا التفتازاني - شيخ مشايخ الطرق الصوفية بمصر سابقاً -: "ونحن لا ننكر الأثر اليوناني على التصوف الإسلامي... وليس من شك أن فلسفة أفلوطين السكندري التي تعتبر أن المعرفة مدركة بالمشاهدة في حال الغيبة عن النفس، وعن العالم المحسوس، كان لها أثرها في التصوف الإسلامي"[2]. بالإضافة إلى أنه أقر بوجود هذه المؤثرات من المسيحية وغير المسيحية على التصوف ولكن طرأت على التصوف بعد القرن الثالث الهجري، مع إثبات مصدريته الإسلامية في نشأته الأولى[3].

ويقول يوسف جشتي - صوفي هندي معاصر -: "إن التصوف لم يقتبس ولم يؤخذ إلا من المنابع الصافية، والمصادر الطاهرة وعلى رأسها الأفلاطونية المحدثة، التي نشرها أفلوطين الإسكندري وفلسفته في الإلهيات تدور على وحدة الوجود، وهذا عين ما كان يؤمن به الشيخ الأكبر ابن عربي وغيره، كما أومن به أنا أيضاً"[4].

---

(١) الصلة بين التصوف والتشيع. كامل مصطفى الشيبي (١/ ٣٧٢).
(٢) مدخل إلى التصوف الإسلامي. أبو الوفا الغنيمي التفتازاني (ص: ٣٩).
(٣) انظر: المرجع السابق (ص: ٢٩-٣٠).
(٤) التصوف المنشأ والمصادر. إحسان إلهي ظهير (ص: ١١٤).

ويقول محمد أبو الفيض المنوفي - شيخ الطريقة الفيضية المعاصرة -: "أكثر الصوفية الأعاجم خلطوا بين الفلسفة الفارسية القديمة، أو الهندية، وما قبسوه من اليونانية، والأفلاطونية الحديثة، وبين تصوفهم الخاص، وقد تأثر أمثال أولئك ببراهمة الهند، والفرس، في أزيائهم، وطقوسهم، واعتنقوا قدراً من أفكارهم"[(١)].

وأختم هذا المبحث بعرض أسباب استنبطها بعض الباحثين متأملين في حال الفرقتين تبرر كما ذكروا وجود الصلة بين الصوفية والإمامية، وهي[(٢)]:

- أن الصوفية والإمامية يؤمنون بالأسرار، ويبحثون عن النجاة في العوالم الغيبية، ولذلك تشابهت أوهامهم وظنونهم وأمانيهم، وتقاربهم في مذاهبهم المعيشية والاجتماعية.

- أن الشيعة انهزموا في ميدان السياسة، والصوفية انهزموا في ميدان الحياة، والاشتراك في الهزيمة يقرب بين النفوس[(٣)].

- الاشتراك في مظاهر الحب والميل، كتشييد المشاهد المنسوبة لأهل البيت، ففي مصر مثلاً نجد: مشهد رأس الحسين، ومشهد السيدة زينب، والسيدة نفيسة وغيرها[(٤)].

- اشتهر في التاريخ أن الدولة الفاطمية كانت تبث الرفض والتشيع تحت ستار الزهد والتصوف، وحب آل البيت.

---

(١) جمهرة الأولياء. محمود أبو الفيض المنوفي (١/ ٢٦٦).

(٢) انظر: الطرق الصوفية في مصر. عامر النجار (ص: ٣٢). إلا أنه بعد أن عرض لهذه الأسباب بين ضعفها من وجهة نظره.

(٣) قد يكون المراد بالهزيمة في الميدانين هو ما كان من جهود السلف رحمهم الله في مواجهة هاتين الفرقتين عسكرياً وعلمياً وتحذير الناس من خطرهما.

(٤) انظر: الشيعة في مصر. جاسم عثمان مرغي (ص: ١٠٩)، وقد ذكر المؤلف قرابة تسعة عشر مرقداً لآل أبي طالب بمصر. انظر: المصدر السابق (ص: ٢١٣-٢١٥).

المبحث الثاني
أوجه الاتفاق في مصادر التلقي ومنهج الاستدلال بين الصوفية والإمامية

من خلال النظر في مصادر التلقي عند الصوفية والإمامية يمكن استنباط عدد من المصادر المشتركة بينهما، والتي من أبرزها المصادر الأربعة التالية:

١ - القرآن الكريم.

٢ - السنة النبوية.

٣ - الاستدلال بأفعال الشيوخ والأئمة وأقوالهم.

٤ - المصادر العرفانية.

وسيكون الحديث في هذا المبحث بعون الله عن هذه المصادر في بيان ثبوت صحتها، وحجيتها، ومنهج الاستدلال بها عند أصحاب الفرقتين.

المطلب الأول
القـــرآن الكـــريم

يتوجه الاهتمام في هذا المطلب لبيان صحة ثبوت النص القرآني وسلامته، ومن ثم حجيته، ومنهج الاستدلال به عند الصوفية أولاً، والإمامية ثانياً ثم أخلص إلى صور الاتفاق والاختلاف بينهما.

أولاً: مكانة القرآن الكريم عند الصوفية:

حكى الكلاباذي قول أهل التصوف في القرآن فقال: "أجمعوا أن القرآن كلام الله تعالى على الحقيقة، وأنه ليس بمخلوق، ولامحدث ولا حدث. وأنه متلو بألسنتنا، مكتوب في مصاحفنا، محفوظ في صدورنا، غير حال فيها... وأجمعوا أنه ليس بجسم، ولا جوهر، ولا عرض"[1].

ومن حيث سلامة النص القرآني فلم يعرف عن الصوفية التشكيك في ثبوته،

---

(١) انظر: التعرف لمذهب أهل التصوف (ص: ٣٩).

أو دعوى تحريف لفظه[1]، بل الذي يلفت الانتباه ويشهد له الواقع عناية أتباع الطرق الصوفية بالقرآن الكريم تلاوة وحفظاً وإقراءً وذلك إلى القدر الذي لا يساويها أو يشاركها فيه الإمامية بل هم على العكس من ذلك كما سيتضح بمشيئة الله تعالى في الفقرة التالية. ولكن رغم ذلك الاهتمام وردت أقوال لبعض أعلام التصوف تقلل من هذا الأمر، وتدعو إلى الحقيقة التي اختص بها الأولياء دون الظاهر الذي هو صفة القراء (أي العلماء الفقهاء). يقول الغزالي: «اعلم أن ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية، ولذلك لم يتعلّموا ولم يحرصوا على دراسة العلم، بل قالوا الطريق تقديم المجاهدات والإقبال على الله، ويقطع الإنسان همه من المال والولد، ويقتصر على الفرائض والرواتب، ولا يقرن همه بقراءة قرآن، ولا يكتب حديثاً»[2]. وجاء في كتاب الكبريت الأحمر قول أحدهم: «يقول الله عز وجل في بعض الهواتف الربانية: أيا عبدي الليل لي لا للقرآن يتلى...»[3]. كما تكرر التحذير من صحبة القراء عند أكثر من واحد من أعلام التصوف، ومن ذلك ما قاله أحدهم لتلميذه: «تباعد عن القراء جهدك، فإنهم إن أحبوك مدحوك بما ليس فيك، وإن غضبوا عليك شهدوا عليك زوراً وقُبِل ذلك منهم»[4].

أما منهج الصوفية في الاستدلال بالقرآن الكريم فيقوم في أساسه على اتباع طريق التأويل، أو ما يسمى عندهم بالتفسير الإشاري[5]؛ ذلك المنهج المعتمد على صرف

---

(١) ذكر الشعراني في طبقاته في ترجمة شعبان المجذوب رأياً شاذاً حيث روى أن المجذوب يقرأ سوراً غير السور التي في القرآن، وعرض لأمثلة منها. انظر: الطبقات (٢/ ١٨٥).

(٢) الإحياء (٣/ ٢١).

(٣) الكبريت الأحمر. عبد الوهاب أحمد الحنفي (ص: ١٦).

(٤) الطبقات الكبرى. الشعراني (١/ ٦٨).

(٥) التفسير الإشاري: يختص بعلوم الخاطر وعلوم المشاهدات والمكاشفات وهو ما تفردت به الصوفية، وهذه العلوم لا تعلم إلا بالمنازلات والمواجيد- حسب قولهم - (انظر: التعرف لمذهب أهل التصوف ص١٠٠)، وقد فسروا آي الذكر الحكيم على هذا الأساس.

النصوص الشرعية عن مرادها الشرعي إلى مراد بعيد الاحتمال، اعتماداً على الخواطر والوساوس والرؤى، حتى طوعوا الآيات القرآنية وفق ما انتهت إليه أقوالهم ومذاهبهم معتقدين أن للقرآن ظاهراً وباطناً، وأن الظاهر للعوام، وهم أهل الشريعة، والباطن للخواص وهم أهل الحقيقة والعارفون، حتى ظهر ما يسمى بمصطلح "الحقيقة والشريعة".

يقول الطوسي: "إن العلم ظاهر وباطن... ولا يستغني الظاهر عن الباطن، ولا الباطن عن الظاهر، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]. فالمستنبط هو العلم الباطن، وهو علم أهل التصوّف؛ لأن لهم مستنبطات من القرآن والحديث وغير ذلك، فالعلم ظاهر وباطن، والقرآن ظاهر وباطن، وحديث رسول الله ﷺ ظاهر وباطن، والإسلام ظاهر وباطن"(١).

ويقول ابن عربي: "اعلم أن رجال الله على أربع مراتب: رجال لهم الظاهر، ورجال لهم الباطن، ورجال لهم الحد، ورجال لهم المطلع. فإن الله سبحانه لما أغلق دون الخلق باب النبوة والرسالة، أبقى لهم باب الفهم عن الله فيما أوحى به إلى نبيه ﷺ في كتابه العزيز، . . . وقد أجمع أصحابنا أهل الكشف على صحة خبر عن النبي ﷺ أنه قال في آي القرآن: «إنه ما من آية إلا ولها ظاهر وباطن وحد ومطلع»(٢).

---

(١) انظر: اللمع (ص ٤٣-٤٤).

(٢) هذا الحديث رواه عبد الرزاق في مصنفه عن هشام بن حسان عن الحسن قال: (لا تتوسدوا القرآن فو الذي نفسي بيده لهو أشد تفصياً من الإبل المعقلة أو قال المعولة إلى عقلها، والذي نفسي بيده ما منه آية إلا ولها ظهر وبطن، وما فيه حرف إلا وله حد، ولكل حد مطلع) قال عبد الرزاق: (فحدثت به معمراً فقال: «امحه، لا تحدث به أحداً» . . .)، انظر: مصنف عبد الرزاق (٣/ ٣٥٩ - ٣٦٠) برقم (٥٩٦٥). كتاب فضائل القرآن، باب تعاهد القرآن ونسيانه، ورواه ابن أبي يعلى بطريق عبد الله عن النبي ﷺ (. . . وإن القرآن على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن، ولكل حد مطلع). انظر: مسند أبي يعلى (٩/ ٨٠ - ٨٢) برقم (٥١٤٩)، ورواه القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص: ٤٢)، والطبراني في مجمع الزوائد (٧/ ١٥٢)، والديلمي في الفردوس حديث رقم (٤٧٠٨) (٣/ ٢٨٠). وقد ضعفه الألباني بعد أن ذكر طرقه بقوله: (وجملة القول أنه ليس في هذه الطرق ما يمكن الاطمئنان إليه. . .). انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٦/ ٥٥٩).

ولكل مرتبة من هذه المراتب رجال، ولكل طائفة من هذه الطوائف قطب، على ذلك القطب يدور فلك الكشف"[١].

وقد ترتب على أقوالهم ودعاويهم حول الحقيقة والشريعة وزعمهم بتلقي علومهم بدون واسطة؛ أن فسروا القرآن تفسيراً باطنياً، نهجوا فيه إلى تأويل الآيات القرآنية عن معناها الحقيقي الذي جاءت به الشريعة، حتى أصبح ذلك منهجاً خاصاً عندهم للاستدلال على صحة عقائدهم وأفكارهم ومستنداً لها. وأمر آخر هو أن من يتولى هذا التفسير هم رجال دون رجال، وقد أفصح بعض أعلام الصوفية عن رموز هؤلاء الرجال الذين خصهم رسول الله بعلم الباطن - حسب زعمهم -، فقال ابن عجيبة[٢]: "نزل جبريل أولاً بالشريعة، فلما تقررت نزل ثانياً بالحقيقة، فخص بها -أي النبي ﷺ - بعضاً دون بعض، فأول ما تكلم فيه وأظهره، سيدنا علي رضي الله عنه"[٣].

وقال أبو الفيض[٤]: "إن جبريل نزل إلى رسول الله أولاً بالشريعة، فلما تقررت ظواهر الشريعة واستقرت، نزل إليه بالحقيقة المقصودة... فخص رسول الله ﷺ بباطن

(١) الفتوحات المكية. ابن عربي (٣/ ١٨٧). وقد ذكر ابن عربي في هذا الكتاب من التأويلات الغريبة ما جعل أبا العلاء العفيفي - المحلل لأسلوب ابن عربي التفسيري- يقول: " إنه يحول القرآن بمنهجه الخطير في التأويل إلى قرآن جديد" . انظر: ابن عربي في دراساتي (ص: ١٣).

(٢) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي، ابن عجيبة الأنجري، صوفي غال من مشايخ الطريقة الشاذلية، ولد بقرية الخميس في المغرب سنة ١١٦٠هـ، اشتغل بالتدريس، وله مؤلفات كثيرة، منها: شرح صلوات ابن مشيش، والفتوحات الإلهية شرح المباحث الأصلية، وإيقاظ الهمم بشرح حكم ابن عطاء السكندري، مات بالطاعون سنة: ١٢٢٤هـ. انظر: جمهرة الأولياء (٢/ ٢٦٧)، ومعجم المؤلفين (١/ ٣٠٠)، والأعلام (١/ ٢٤٥).

(٣) إيقاظ الهمم. أبو العباس أحمد بن عجيبة. تحقيق: خليل المنصور (ص: ٦).

(٤) هو محمود أبو الفيض المنوفي شيخ الطريقة الفيضية الشاذلية، ولد بمدينة "منوف" بمصر سنة ١٣١٢هـ، وكرس حياته لنشر التصوف، وأسس الكلية الصوفية، وأصدر مجلات منها: اللواء الإسلامي، والبهلول، والعالم الإسلامي. من مؤلفاته: الوجود، والوجودية والكونية، والوادي المقدس، وغيرها. ولم أقف على تاريخ وفاته. انظر: جمهرة الأولياء (٢/ ٢٦٩).

الشريعة بعض أصحابه دون البعض. وكان أول من أظهر علم القوم وتكلم فيه علي عن رسول الله ﷺ. . . وأخذه عن علي أول الأقطاب ولده الحسن رضي الله عنهما. . . "[1].

وأورد الصوفية في كتبهم بعض الروايات المشهورة - عند الإمامية - بعينها في اختصاص علي رضي الله عنه بعلم الباطن، ومنها أنه قال: (علمني رسول الله ﷺ سبعين باباً من العلم لم يعلم ذلك أحد غيري)[2].

ومنها ما رووه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: كنا نمشي مع النبي ﷺ فانقطع نعله، فتناولها علي يصلحها، ثم مشى، فقال: (يا أيها الناس، إن منكم من يقاتله علي على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله)[3].

وقال ابن الفارض[4] في ديوانه:

وأوضح بالتأويل ما كان مشكلاً

علي بعلم ناله بالوصية[5].

ثانياً: مكانة القرآن الكريم عند الإمامية:

عرف الإمامية القرآن اصطلاحاً بقولهم: (القرآن الكريم معلوم ومعروف عند جميع المسلمين، ولا يختلف اثنان منهم في أنه هذا المتداول بين أيديهم، لا نحتاج إلى تعريفه، ولكن الأصوليين اهتموا ببيان مفهومه، وذلك ليميزوا بينه وبين ما سواه مما صدر عن النبي ﷺ مما قد يتوهم أنه من القرآن. . .

(١) انظر: جمهرة الأولياء للمنوفي (١/ ١٥٩).

(٢) انظر: درر الغواص على فتاوى سيدي علي الخواص (ص: ٧٣).

(٣) جمهرة الأولياء (٢/ ٢٨).

(٤) هو عمر بن علي بن مرشد الحموي ولد بالقاهرة سنة ٥٧٦هـ، اشتغل أول حياته بطلب العلم وسافر إلى مكة ليروض نفسه على طريقة الصوفية، ولما بلغ درجة الكمال عند الصوفية عاد إلى القاهرة وتوفي بها سنة ٦٣٢هـ. كان من أشهر دعاة عقيدة وحدة الوجود. انظر: جامع كرامات الأولياء (٢/ ٤١٢)، والأعلام (٥/ ٥٥).

(٥) ديوان ابن الفارض (ص: ٦٠).

ومما عُرِّف به القرآن:

- هو كلام الله المنزَّل على خاتم الأنبياء باللفظ العربي، المتعبد بتلاوته، المكتوب في المصاحف المنقول إلينا متواتراً.

- هـو الكلام المنزل على الرسول، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا نقلاً متواتراً)[1].

ومن تعريفات القرآن عند الإمامية أيضاً قولهم: (هو كتاب الله تعالى الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ ألفاظاً، ومعاني، وأسلوباً، واعتبره قرآناً دون أن يكون للنبي ﷺ دخل في انتقاء ألفاظه، أو صياغته)[2].

وأما بالنسبة لموقف الإمامية من سلامة ثبوت النص القرآني فسوف نجد ثلاثة اتجاهات على النحو التالي:

الاتجاه الأول:

ويمثله بعض أعلام الطائفة الأخبارية القائلون بوقوع التحريف في القرآن الكريم من جهة المعنى فقط دون اللفظ[3]، وجمهور الأصولية من الإمامية ممن لا يرتضون التحريف، ويدفعون تهمة القول به بتفنيد الروايات التي جاء فيها إثبات التحريف وذلك من وجوه عدة يجملها الخميني[4] في تقييمه للروايات الواردة عندهم بقوله: "إما ضعيف لا يصلح الاستدلال به، أو مجعول تلوح عليه علامات الجعل، أو غريب

---

(١) دروس في أصول فقه الإمامية. عبد الهادي الفضلي (ص ١٣٨ - ١٣٩).

(٢) الأصول العامة للفقه المقارن. لمحمد تقي الحكيم (ص ٩٩).

(٣) انظر: فقه الشيعة. علي السالوس (ص:١٤٨).

(٤) هو روح الله بن مصطفى الموسوي الخميني، ولد سنة ١٣٢٠هـ، وتعلم في الحوزة العلمية حتى صار مدرساً للفلسفة فيها عام ١٣٤٧هـ، ثم انخرط في العمل السياسي ونفي إلى تركيا ثم العراق ثم فرنسا ومن هناك قاد الثورة حتى سقط نظام الشاه سنة ١٩٧٩م. وتوفي الخميني سنة ١٤٠٩هـ. انظر: الإمام الخميني. عادل رؤوف.

يقتضي العجب، والصحيح منها فيرمي إلى مسألة التأويل والتفسير وأن التحريف إنما حصل في ذلك لا في لفظه وعباراته"[١].

ومن أصحاب هذا الاتجاه: الصدوق، والمرتضى، وأبو جعفر الطوسي، وأبو علي الطبرسي، ومحمد آل كاشف الغطاء، وإبراهيم الموسوي الزنجاني، ومحمد رضا المظفر، ومحمد بهاء الدين العاملي، ومحمد جواد البلاغي، ومحسن الحكيم، وشريعت مداري، ومحمد الخالصي، وجعفر السبحاني، ومحمد حسين فضل الله، والسيستاني[٢]، وعلي بن حسين بن يوسف مكي- إمام الطائفة الشيعية في سورية- وغيرهم من المراجع الإمامية.

وهذه بعض الشواهد من أقوالهم الدالة على نفي تهمة التحريف، ودحض القول بالزيادة والنقصان حيث يقول الصدوق: "اعتقادنا في القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد ﷺ هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس، ليس بأكثر من ذلك، ومبلغ سوره عند الناس مائة وأربع عشرة سورة ومن نسب إلينا أنا نقول إنه أكثر من ذلك فهو كاذب"[٣].

ويقول المرتضى[٤]: "إن القرآن كان على عهد رسول الله ﷺ مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن، لأنه كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان، حتى عين على

---

(١) تهذيب الأصول - تقريرات أبحاث السيد الإمام الخميني- جعفر السبحاني (٢/ ١٦٥)، وانظر في تحليل الروايات ونقدها: البيان في تفسير القرآن. أبو القاسم الخوئي (ص:٢٢٩-٢٣٣)، والميزان في تفسير القرآن. محمد حسين الطباطبائي (١٢/ ١١٢-١١٣)، وموقف الإمامية من كتاب الله تعالى. عائشة المناعي (ص: ١٤-١٧).

(٢) للسيستاني كتاب بعنوان: "صيانة الكتاب العزيز عن التحريف" غير مطبوع. انظر: الموقع الخاص بالسيستاني على الشبكة العالمية.

(٣) اعتقادات الشيعة الإمامية (ص: ١٠١-١٠٢).

(٤) هو أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر. مولده سنة ٣٥٥، وتوفي سنة ٤٣٣ هـ له تصانيف كثيرة منها: الغرر والدرر يعرف بأمالي المرتضى، والشافي في الإمامة، وتنزيه الأنبياء، والانتصار. انظر: أمل الآمل (٢/ ١٨٢)، والذريعة إلى تصانيف الشيعة (١/ ٢١٦)، والأعلام (٤/ ٢٧٨).

جماعة من الصحابة في حفظهم له، وأنه كان يعرض على النبي ﷺ، ويتلى عليه وأن جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي عدة ختمات. . كل ذلك يدل على أنه كان مجموعاً مرتباً. . وأن من خالف في ذلك من الإمامية وحشوية العامة لا يعتد بخلافهم"[1].

وقال محمد بن الحسن الطوسي: (وأما الكلام في زيادته ونقصانه مما لا يليق به أيضاً؛ لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها، والنقصان منه فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا، وهو الذي نصره المرتضى، وهو الظاهر في الروايات، غير أنه رويت روايات كثيرة، من جهة الخاصة والعامة، بنقصان كثير من آي القرآن، ونقل شيء منه من موضع إلى موضع، طريقها الآحاد التي لا توجب علماً ولا عملاً، والأوْلى الإعراض عنها، وترك التشاغل بها؛ لأنه لا يمكن تأويلها، ولو صحت لَمَا كان ذلك طعناً على ما هو موجود بين الدفتين، فإن ذلك معلوم صحته، لا يعترضه أحد من الأمة ولا يدفعه. . .)[2].

وقال جعفر السبحاني[3]: (إنَّ الباطل الذي يمكن أن يتطرق إلى القرآن الكريم بصوره

(١) جواب المسائل الطرابلسيات، نقلاً عن: الشيعة بين الحقائق والأوهام. محسن الأمين (ص: ١٦٢). والمقصود من حشوية العامة هم: أهل السنة، ونسبة القول بالتحريف لأهل السنة باطل فقد أجمع أئمة أهل السنة-وفق المصطلح العام- على حفظ كتاب الله وسلامته، وصيانته من التحريف والزيادة والنقصان. وممن حكى هذا الإجماع، القاضي عياض في الشفاء (٢/ ٣٠٤- ٣٠٥)، وابن قدامة في لمعة الاعتقاد (ص: ٢٠)، والبغدادي في الفرق بين الفرق (ص: ٣٢٧)، وغيرهم. كما ذكر المفيد إجماع المعتزلة والخوارج والزيدية والمرجئة وأصحاب الحديث على خلاف الإمامية. انظر: أوائل المقالات (ص: ٩٣).

(٢) التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي (١/ ٣).

(٣) هو جعفر بن محمد حسين السبحاني، ولد بتبريز سنة ١٣٤٧هـ، من مصنفاته: مفاهيم القرآن، وبحوث في الملل والنحل، والإلهيات. . . إلخ، إضافة إلى أنه أشرف على العديد من الموسوعات الشيعية مثل: موسوعة طبقات الفقهاء، وموسوعة طبقات المتكلمين والتي لم تزل قيد التأليف. انظر سيرته الذاتيه على موقعه: www.imamsadeg.org

المختلفة قد نفاه الله تعالى نفياً قطعياً، ولا شك هو الباطل الذي يوجب وهن القرآن الكريم، ويضعف من مكانته، ويحط من منزلته وحيث إن النقص من القرآن الكريم، أو الزيادة في كلماته وألفاظه مما يوهن مكانة القرآن قطعاً، ويقيناً، ويحط من شأنه؛ لهذا لا يوجد أي لون من ألـوان الزيادة والنقص في القرآن الكريم أبداً، ويقيناً. . .)[1].

الاتجاه الثاني:

ويمثله جمهور الأخبارية من الإمامية، وبعض أعلام الطائفة الأصولية الذين يرون وقوع التحريف في النصوص القرآنية.

ومن أصحاب هذا الاتجاه على سبيل المثال: محمد بن حسن الصفار (ت: ٢٩٠هـ)، وأبو الحسن القمي، ومحمد العياشي، والكليني، وأبو الحسن العاملي، وأحمد النراقي، وسلطان الجنابذي، ومحمد باقر المجلسي، وحسين النوري الطبرسي (مؤلف كتاب: فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب)، ونعمة الله الجزائري، وعدنان الموسوي البحراني، ومن المعاصرين: علي الكوراني، وكاظم الحائري، وغيرهم[2].

ومن شواهد مذهبهم في إثبات التحريف ذكرهم روايات عدة إما تدل على

---

(١) العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت. جعفر السبحاني. ترجمة: جعفر هادي (ص ١٧٠). كما عقد السبحاني في كتابه: "المناهج التفسيرية في علوم القرآن" فصلاً بعنوان: صيانة القرآن من التحريف، ذكر فيه الأدلة على نفي التحريف، والشبه المثارة حول ذلك والجواب عنها. انظر الكتاب (ص: ١٩٥-٢٣٨).

(٢) عمد بعض الإمامية إلى وضع مؤلفات مفردة في إثبات التحريف، ومنها: كتاب التحريف لمحمد بن أحمد البرقي، والتحريف والتنزيل لمحمد بن أحمد السياري، والتنزيل بين القرآن والتحريف لعلي بن حسن بن فضال، والتحريف والتبديل لمحمد بن حسن الصيرفي، والتنزيل والتحريف لحسن بن سليمان الحلي، وقراءة أمير المؤمنين لابن طاهر القمي، وفصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب للنوري الطبرسي.

التحريف صراحة، أو دلت على أن بعض الآيات المنزلة قد ذكرت فيها أسماء الأئمة، أو دلت على تغيير بعض الكلمات، أو دلت على التحريف بالنقص فقط[1]، ومن تلك الروايات:

أ- عن جابر الجعفي قال: قال أبو جعفر: دعا رسول الله أصحابه بمنى فقال: (يا أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين، أما إن تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض). ثم قال: (أيها الناس إني تارك فيكم حرمات الله كتاب الله وعترتي، والكعبة البيت الحرام). ثم قال أبو جعفر: (أما كتاب الله فحرفوا، وأما الكعبة فهدموا، وأما العترة فقتلوا، وكل ودايع الله فقد تبروا)[2].

ب- عن داود بن فرقد، عمن أخبره عن أبي عبد الله أنه قال: (لو قرأ القرآن كما أنزل لألفيتمونا فيه مسمين)[3].

ج- عن أبي بصير عن أبي عبد الله في قول الله تعالى: (ومن يطع الله ورسوله في ولاية علي وولاية الأئمة من بعده فقد فاز فوزاً عظيماً)[4]: (هكذا نزلت)[5].

---

(١) بدأت مقولة التحريف عند الإمامية بروايتين فقط في أول كتاب ظهر للشيعة، وهو كتاب: سليم بن قيس، ولكن الروايات أصبحت فيما بعد أكثر من ألفي رواية -كما سيأتي في نص كلام الجزائري قريباً-.

(٢) بصائر الدرجات الكبرى (ص ٤٣٣).

(٣) تفسير العياشي، (١/ ١٢ - ١٣)، وسنده مجهول كما هو بين واضح، علماً بأن روايات العياشي لا سند لها، وزعم المجلسي أن الذي حذف أسانيده أحد النساخ. انظر: بحار الأنوار (١/ ٢٨).

(٤) والآية كما في المصحف في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧١]. ولهذا النوع من التحريف نماذج عدة أعرضت عنها إجلالاً لكتاب الله عز وجل، ولكن الناظر فيها يدرك لأول وهلة أنها لم تحبك صياغتها، ولم ترتبط باللسان العربي بلاغتها، وهو ما يفضح أمرها، ويكشف زيفها، فتنقض نفسها بنفسها، ويبقى البرهان قائماً على عظمة القرآن الكريم.

(٥) أصول الكافي، للكليني (١/ ٤١٤)، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية. قال المجلسي: "ضعيف على المشهور وقوله: "هكذا نزلت" أن الآية كانت هكذا، وربما يؤول بأن معناه ذلك أو هي العمدة في ذلك، إذ لا طاعة في سائر الأمور لا تتم إلا بذلك". انظر: مرآة العقول (٥/ ١٤).

د- عن علي بن الحكم عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله أنه قال: (إن القرآن الذي جاء به جبريل رضي الله عنه إلى محمد ﷺ سبعة عشر ألف آية)[1].

وأما عباراتهم في ذلك فهي كثيرة منها:

قال أبو الحسن العاملي[2]: "اعلم أن الحق الذي لا محيص عنه بحسب الأخبار المتواترة التالية وغيرها، أن هذا القرآن الذي في أيدينا قد وقع فيه بعد رسول الله ﷺ شيء من التغيرات، وأسقط الذين جمعوه بعده كثيراً من الكلمات والآيات، وأن القرآن المحفوظ عما ذكر الموافق لما أنزله الله تعالى، ما جمعه علي عليه السلام وحفظه إلى أن وصل إلى ابنه الحسن عليه السلام، وهكذا إلى أن وصل إلى القائم عليه السلام، وهو اليوم عنده صلوات الله عليه"[3].

قال نعمة الله الجزائري[4]: "روى أصحابنا ومشايخنا في كتب الأصول من

---

(١) أصول الكافي (٢/ ٦٢٧ -٦٢٨)، كتاب فضل القرآن، باب النوادر. قال المجلسي (فالخبر صحيح). انظر: مرآة العقول (٢/ ٥٣٦)، وقال المظفر: (إنه موثق كالصحيح). انظر: الشافي في شرح أصول الكافي (٧/ ٢٢٧). والمعلوم الثابت أن عدد آيات القرآن لا تتجاوز ستة آلاف آية إلا قليلاً، ويلزم من هذه الرواية أنه لا يوجد بين أيدينا إلا قرابة ثلث القرآن.

(٢) هو أبو الحسن بن محمد بن طاهر بن عبد الحميد بن موسى بن علي بن معتوق بن عبد الحميد الفتوني النباطي العاملي الأصبهاني، مات سنة ١١٣٨ هـ. وصفته الإمامية بأنه: من أجلاء العلماء الأعاظم انظر: تلامذة المجلسي. لأحمد الحسيني (١٢ - ١٤)، والفوائد الرجالية. محمد مهدي بحر العلوم (١/ ٣١١).

(٣) تفسير الصافي. محمد الكاشي (ص: ٣٦) - المقدمة الثانية-.

(٤) هو نعمة الله بن عبد الله بن محمد الحسيني الموسوي الجزائري، ولد في قرية " الصباغية " من قرى الجزائر سنة ١٠٥٠هـ. قال عنه الخوانساري: (كان من أعظم علمائنا المتأخرين، وأفاخم فضلائنا المتبحرين...). له أكثر من ٥٠ كتاباً منها: الأنوار النعمانية، وزهر الربيع، وغاية المرام في تهذيب الأحكام، وأنيس الفريد في شرح التوحيد، توفي سنة ١١١٢هـ. انظر: تلامذة المجلسي (ص ١٣٩)، وروضات الجنات (٨/ ١٥٠).

الحديث وغيرها أخباراً كثيرة بلغت حد التواتر في أن القرآن قد عرض له التحريف، وكثير من النقصان، وبعض الزيادة. . . وقد رواها قدماء أصحابنا في كتبهم من غير تعرض لتأويلها، بل ظاهرهم العمل بمضمونها. . .)[1]. وبين في موضع آخر أن هذه الأخبار الكثيرة تزيد على ألفي حديث[2].

وذكر يوسف البحراني أنَّ لأصحابه في وقوع النقصان والتغيير في القرآن قولين: القول الأول: من قال بالتغيير والتبديل.

القول الثاني: من قال بخلاف ذلك، ثم بيَّن أنه مع الفريق الأول، وأخذ في عرض الروايات الدالة على ذلك[3].

وأكثر حسين الطبرسي[4] النقل عن أئمتهم، وتصريحات متقدميهم في كتابه: "فصلُ الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب"، يقول في الدليل الحادي عشر على التحريف: "الأخبار الكثيرة المعتبرة الصريحة في وقوع السقط ودخول النقصان في الموجود من القرآن زيادة على ما مر من الأدلة السابقة، وأنه أقل من تمام ما نزل إعجازاً على قلب سيد الإنس والجن وغير اختصاصها بآية أو سورة، وهي متفرقة في الكتب المعتبرة التي عليها المعول وإليها المرجع عند الأصحاب، جمعت

---

(١) نور البراهين في أخبار السادة الطاهرين. نعمة الله الجزائري. تحقيق: السيد الرجائي (١/ ٥٢٥).

(٢) انظر: فصل الخطاب. النسخة المخطوطة ورقة (١٢٥)، والمطبوعة (ص: ٢٥١) نقلاً عن: أصول مذهب الشيعة (١/ ٣٣٢).

(٣) الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية. يوسف البحراني (٤/ ٦٥- ٨٢). درة رقم (٦٩).

(٤) حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي، ولد في قرية نور في مقاطعة "مازندران" سنة ١٢٥٤هـ، وهاجر إلى النجف ليواصل دراسته العلمية في حوزتها، وتوفي بها سنة ١٣٢٠هـ. انظر: مقال لمحمد هادي معرفة بعنوان "مع المحدث النوري في كتابه فصل الخطاب" منشور في كتاب المناهج التفسيرية (ص: ٢٣٢).

ما عثرت عليها في هذا الباب . . . "[1].

وذهب عدنان الموسوي البحراني (ت:١٣٤٨هـ) إلى تواتر القول بالنقص والتحريف، وإنكار الترتيب الذي عليه القرآن الكريم، إذ يقول: "والحاصل فالأخبار عن طريق أهل البيت (ع) أيضاً كثيرة إن لم تكن متواترة على أن القرآن الذي بأيدينا ليس هو القرآن بتمامه كما أنزل على محمد (ص) بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله، ومنه ما هو محرف ومغير، وأنه قد حذف منه أشياء كثيرة منها اسم علي (ع) في كثير من المواضع، ومنها لفظة آل محمد (ع)، ومنها أسماء المنافقين، ومنها غير ذلك، وأنه ليس على الترتيب المرضي عند الله، وعند رسول الله (ص) كما في تفسير علي بن إبراهيم"[2].

---

(١) فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب - مخطوط بدار الكتب المصرية - رقم: ٢٣٩١٢(ص: ٢١١). وقد تكلم بعض محققي الإمامية عن هذا الكتاب وقيمته وحال مؤلفه، فذهب الخميني إلى أن الطبرسي يشتاق في تتبعه للضعاف والغرائب والعجائب، وقال عنه البلاغي: "وإن صاحب فصل الخطاب من المحدثين المكثرين المجدين في التتبع للشواذ. . . "، كما واجه الطبرسي أحكاماً بالتكفير من بعض الإمامية، وكتب بعض أعلامهم في الرد على كتابه في مؤلفات مستقلة، أو ضمن مؤلفاتهم الأخرى، ومن ذلك: كتاب "كشف الارتياب في عدم تحريف الكتاب" للمعرب الطهراني، وكتاب " حفظ الكتاب الشريف عن شبهة القول بالتحريف" لمحمد حسين الشهرستاني، وذكروا أن كتاب الطبرسي أوجد في نفس مؤلفه وحشة، وفي علماء عصره نفرة منه -ولكن دفنوه في مكان مقدس لديهم والمسمى بالصحن الشريف بجوار مرقد أمير المؤمنين!!-، وتأثر النوري كثيراً من كتاب الطهراني وتراجع عن رأيه بعض الشيء، وقيل خلاف ذلك بل كتب رداً عليه وطلب إضافته إلى كتابه الأصل. انظر: المناهج التفسيرية (ص: ٣٣٣-٣٣٨).

وقد قام أحد الباحثين المعاصرين بتحليل دقيق للروايات التي اعتمدها النوري والتي وصلت إلى (١٦٠٢) رواية، وقسمها إلى ضعيفة مرسلة أو مقطوعة، أو روايات لا تفيد التحريف. انظر: النص القرآني وتناقضات الخلاف المذهبي: التحريف أنموذجاً. فتح الله النجار (ص: ٢٣٧).

(٢) مشارق الشموس الدرية في أحقية مذهب الأخبارية. عدنان البحراني (ص: ١٢٧). وتفسير علي بن إبراهيم هو المشهور بتفسير القمي.

الاتجاه الثالث:

ويمثله المفيد، والكاشاني، وأبو القاسم الخوئي، والطباطبائي، والخميني. وهذا الاتجاه يتردد أصحابه بين إثبات التحريف ونفيه. ففي نفي التحريف يقول المفيد: "وقال جماعة من أهل الإمامة إنه لم ينقص من كلمة ولا من آية ولا من سورة، ولكن حذف ما كان مثبتاً في مصحف أمير المؤمنين عليه السلام من تأويله وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله، وذلك كان ثابتاً منزلاً، وإن لم يكن من جملة كلام الله تعالى الذي هو القرآن المعجز، وقد يسمى تأويل القرآن قرآناً"[1].

وفي موضع آخر صرَّح المفيد بوقوع التحريف في القرآن الكريم، وادعى استفاضة الأخبار عن الأئمة في ذلك، فقال: (. . . وأما القول في تأليف القرآن، وما ذكر قوم من الزيادة فيه، والنقصان أقول: إن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد ﷺ، باختلاف القرآن، وما أحدثه الظالمون فيه من الحذف، والنقصان، فأما القول في التأليف فالموجود يقضي فيه بتقديم المتأخر، وتأخير المتقدم، ومن عرف الناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني لم يرتب بما ذكرناه، وأما النقصان فإن العقول لا تحيله، ولا تمنع من وقوعه. . .)[2]. وقال أيضاً: (إن الخبر قد صح عن أئمتنا - عليهم السلام - أنهم أمروا بقراءة ما بين الدفتين وأن لا نتعداه بلا زيادة ولا نقصان منه حتى يقوم القائم - عليه السلام - فيقرأ القرآن على ما أنزل الله تعالى وجمعه أمير المؤمنين - عليه السلام -)[3].

---

(١) أوائل المقالات (ص: ٩٢). وهذا القول يفهم منه أن المفيد يحكي مذهب بعض الإمامية في نفي التحريف، ولا يلزم منه أن يكون مذهبه هو، ولكن بعض الباحثين يستدل بهذا القول على نفي المفيد للتحريف.

(٢) أوائل المقالات (ص: ٨٠).

(٣) بحار الأنوار (٩٢/ ٧٤).

وقال الكاشاني[1] في تفسيره: "لولا أنه زيد في كتاب الله ونقص ما خفي حقنا على ذي حجى، ولو قد قام قائمنا صدقه القرآن"[2]. وفي نص آخر نفى تحريف ألفاظ القرآن فقال: "إن مرادهم بالتحريف والتغيير والحذف إنما هو من حيث المعنى دون اللفظ، أي حرفوه وغيروه في تفسيره وتأويله"[3].

كذلك نرى أبو القاسم الخوئي[4]، ومحمد الطباطبائي[5] في حين قاما بتحليل الروايات التي ورد فيها تحريف القرآن عند الإمامية، ونقدها وبيان معناها الحقيقي في تفسيرهما[6]، نجدهما في مواضع أخرى قالا بخلاف ذلك، فقد صنَّف الخوئي أنواعاً للتحريف فقال: (النقص أو الزيادة في الحروف أو في الحركات مع حفظ القرآن وعدم ضياعه، ومن لم يكن متميزاً في الخارج عن غيره. والتحريف بهذا المعنى واقع في القرآن قطعاً بسبب عدم تواتر القراءات، ومعنى هذا أن القرآن المنزَّل إنما هو مطابق لإحدى القراءات، وأما غيرها فهو إما زيادة في القرآن وإما نقيصة فيه. . .

(١) هو محمد بن مرتضى المدعو بمحسن الكاشاني، مات سنة ١٠٩١هـ، وصفته الإمامية بأنه كان فاضلاً، عالماً، ماهراً، حكيماً، متكلماً، محدثاً، فقيهاً، محققاً، شاعراً، أديباً، حسن التصنيف. . . انظر: أمل الآمل (٢/ ٣٠٥).

(٢) تفسير الصافي (ص: ١٠) -المقدمة السادسة-.

(٣) التحقيق في نفي التحريف. علي الحسيني الميلاني (ص: ١٠٧).

(٤) هو أبو القاسم الخوئي بن علي أكبر بن المير الهاشم الموسوي، ولد سنة ١٣١٧هـ في بلدة "خوي" من أعمال أذربيجان، وتوفي سنة ١٤١٣هـ في النجف، هاجر مع والده إلى النجف، وانضم إلى الحلقات الدراسية في مراحلها المتعارف عليها، وبعد وفاة محسن الحكيم ١٣٨٩هـ انتهت إليه المرجعية الدينية في النجف، ومن أشهر مصنفاته: تقريرات في أصول الفقه، والبيان في تفسير القرآن، ومعجم رجال الحديث. . . انظر: مستدركات أعيان الشيعة. حسن الأمين (٧/ ١٦).

(٥) هو محمد حسين بن أبي تراب الطباطبائي، من أعلام المذهب الإمامي في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر، مات سنة ١٤٠٢ هـ. انظر: تراجم الرجال (٢/ ٦٦٥).

(٦) انظر: : البيان في تفسير القرآن. أبو القاسم الخوئي (ص:٢٢٩-٢٣٣)، والميزان في تفسير القرآن. محمد حسين الطباطبائي (١٢/ ١١٢-١١٣).

ومن أنواعه: النقص أو الزيادة بكلمة أو كلمتين، مع التحفظ على نفس القرآن المنزَّل والتحريف بهذا المعنى قد وقع في صدر الإسلام، وفي زمان الصحابة قطعاً، ويدلنا على ذلك إجماع المسلمين على أن عثمان أحرق جملةً من المصاحف، وأمر ولاته بحرق كل مصحف غير ما جمعه، وهذا يدل على أن المصاحف كانت مخالفة لما جمعه، وإلا لم يكن هناك سبب موجب لإحراقها...)[1].

ويقول الطباطبائي: (وما ورد من الروايات أنه يقع في هذه الأمة ما وقع في بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة، وقد حرفت بنو إسرائيل كتاب نبيهم على ما يصرح به القرآن الكريم والروايات المأثورة، فلابد أن يقع نظيره في هذه الأمة فيحرفوا كتاب ربهم وهو القرآن الكريم...)[2].

وأما الخميني فالبرغم مما سبقت الإشارة إليه من نفي التحريف إلا أنه أقر القول به في مواطن أخرى من مؤلفاته، ومما قاله في هذا الشأن على سبيل المثال: "وهذه إحدى معاني التحريف التي وقعت في جميع الكتب الإلهية والقرآن الشريف"[3].

وقال أيضاً: "أولئك - أي الصحابة - الذين لم يكن يهمهم إلا الدنيا والحصول على الحكم دون الإسلام والقرآن والذين اتخذوا القرآن مجرد ذريعة لتحقيق نواياهم الفاسدة، قد سهل عليهم إخراج تلك الآيات من كتاب الله - أي الدالة على خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام - وكذلك تحريف الكتاب السماوي، وإقصاء القرآن عن أنظار الدنيا على وجه دائم، بحيث يبقى هذا العار في حق القرآن والمسلمين إلى يوم القيامة، إن تهمة التحريف التي يوجهونها إلى اليهود والنصارى إنما هي ثابتة عليهم"[4].

---

(١) البيان في تفسير القرآن (ص: ١٩٨).

(٢) الميزان في تفسير القرآن (١٢/ ١٠٨- ١١٠).

(٣) القرآن باب معرفة الله (ص: ٥٠).

(٤) كشف الأستار (ص: ١١٤).

التعقيب والنتيجة:

مما سبق عرضه من اتجاهات الإمامية من مسألة القول بتحريف القرآن يمكن أن نخلص إلى الأمور التالية:

١- ما ذُكر من أن بعض أصحاب الاتجاه الأول ينفون التحريف ويعتقدون أموراً تتضمن القول بالتحريف كتوثيقهم دعاء صنمي قريش، وفيه: "اللهم العنهما بكل آية حرفوها"[١] فيحمل قولهم على تحريف المعنى دون اللفظ.

٢- أن أصحاب الاتجاه الأول - الذين نفوا التحريف- لم يستند قولهم إلى كلام المتقدمين أو المعصومين عندهم، حيث إنهم لم يثبتوا مذهبهم بالروايات المعتمدة لديهم[٢].

٣- يرى أصحاب هذا الاتجاه النافين لتهمة التحريف أن القائلين بالتحريف من الإمامية قد أخطؤوا في مسألة اجتهادية، ولا يحكم بكفرهم بل لهم مكانتهم ومنزلتهم الدينية، في حين أن الإمامية قاطبة ترى أن مسألة إمامة علي رضي الله عنه والأئمة من بعده مسألة قطعية ضرورية وليست اجتهادية[٣]. وعليه فإن الإمامية يكفرون من طعن في الثقل الأصغر، وهم أهل البيت، بخلاف من طعن في الثقل الأكبر وهو القرآن الكريم. يقول أحد مفسري الإمامية: "والذي يهون الخطب أن التحريف اللازم على

---

(١) بحار الأنوار (٨٥/ ٢٦٠-٢٦١).

(٢) انظر: قضية الإمامة عند الشيعة الإثني عشرية وأثرها في الحديث النبوي الشريف. إيهاب عبد العزيز الكومي. رسالة ماجستير في كلية التربية. جامعة عين شمس، ٢٠٠٠/ ٢٠٠١م (ص: ٥٧٩).

(٣) قارن هذا الموقف من القرآن مع روايتهم التي جاء فيها: " إن الله نصب علياً علماً بينه وبين خلقه، فمن عرفه كان مؤمناً، ومن أنكره كان كافراً، ومن جهله كان ضالاً، ومن نصب معه شريكاً صار مشركاً، ومن جاء بولايته دخل الجنة". انظر: أصول الكافي (١/ ٤٣٧)، وتفسير القمي (٢/ ٤١٩).

قولهم يسير جداً مخصوص بآيات الولاية، فهو غير مغير للأحكام ولا للمفهوم الجامع الذي هو روح القرآن، فهو ليس بتحريف في الحقيقة، فلا ينال لغير الشيعة أن يشنع عليهم من هذه الجهة"[1].

ويقول محمد بن الحسين آل كاشف الغطاء: يعتقد الشيعة الإمامية " أن الكتاب الموجود في أيدي المسلمين هو الكتاب الذي أنزله الله إليه - أي إلى محمد ﷺ- للإعجاز والتحدي، ولتعليم الأحكام، وتمييز الحلال من الحرام، وأنه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة، وعلى هذا إجماعهم، ومن ذهب منهم أو من غيرهم من فرق المسلمين إلى وجود نقص فيه أو تحريف فهو مخطئ بنص الكتاب العظيم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، والأخبار الواردة من طرقنا أو طرقهم الظاهرة في نقصه أو تحريفه ضعيفة شاذة، وأخبار آحاد، لا تفيد علماً ولا عملاً، فإما أن تؤول بنحو من الاعتبار، أو يضرب بها الجدار"[2].

٤- ليلحظ أيضاً أن بعض من أنكر التحريف لم يشر إلى القول بنقص القرآن الذي نص عليه أصحاب الاتجاه الثاني، ومن ذلك نستنتج أن بعض من أنكر التحريف هو في الوقت نفسه يثبت النقص، وقد صرح بذلك أبو القاسم الخوئي -كما تبين من موقف أصحاب الاتجاه الثالث-.

٥- إن لعقيدة التقية عند الإمامية دوراً في تباين هذه الاتجاهات ولاسيما أصحاب الاتجاه الثالث الذين قالوا بالتحريف وعدمه[3].

---

(١) مقدمة تفسير القمي (ص: ٢٣-٢٤).
(٢) أصل الشيعة وأصولها (ص: ١٣٣).
(٣) يحسن التنبيه إلى أن الأساس لعقيدة التقية ليس حفظ النفس والمال، وإنما لتغطية انحرافات المذهب ومواقفه العدائية. انظر: حقيقة الشيعة. عبد الله الموصلي (ص: ٢٧)، وخريطة الشيعة في العالم. أمير سعيد (ص: ٥٣).

٦- يجيب أصحاب الاتجاه الثاني -القائل بالتحريف- عن قول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] كما قال حسين البحراني: "قد اختلف علماؤهم الأبرار -رضوان الله عليهم- في هذه المسألة؛ فمنهم: من جعل الحفظ لأجل، ومنهم: من جعله في نفسه من غير تقيد، ومنهم: من جعله كذلك في غير الألفاظ، ومنهم: من لم يسلّم فيه الحفظ لا في المعاني ولا في المباني، وإنما هو حجة الله على العباد، والوزر الملقى على الأمة؛ لما جاء بالأخذ به والتسليم له بنص من المعصومين عليهم السلام، وإن كان قد وقع فيه التحريف..."[1].

٧- إن هذه الاتجاهات المختلفة والمتناقضة جعلت من صلة الإمامية بالقرآن الكريم من حيث التلاوة والحفظ والمدارسة ليست ذات شأن بل انساق الأمر إلى حد الإهمال والتناسي[2]، فإنه لا يوجد من التلاميذ ولا من العلماء من يحفظ القرآن، ولا من يعرف وجوه القرآن الأدائية، بل لا من يقيم القرآن بعض الإقامة بلسانه[3]، ويشهد لذلك شاهدهم بقوله: "من الدعائم الأساسية التي لم تلق الاهتمام المنسجم مع حجمها وأهميتها في الحوزة العلمية هو القرآن الكريم، وما يتعلق به من علوم ومعارف وحقائق وأسرار فهو يمثل الثقل الأكبر والمنبع الرئيسي للكيان الإسلامي بشكل عام. ولكن الملاحظ هو عدم التوجه المطلوب لعلوم هذا الكتاب الشريف، وعدم منحه المقام المناسب في ضمن الاهتمامات العلمية القائمة في الحوزة العلمية. بل وإنه لم يدخل في ضمن المناهج التي يعتمدها طالب العلوم الدينية طيلة مدة دراسته العلمية، ولا يختبر في أي مرحلة من مراحل دراسته العلمية بالقليل منه ولا بالكثير. فيمكن بهذا لطالب العلوم الدينية في هذا الكيان أن يرتقي في مراتب العلم،

---

(١) الأنوار الوضية في العقائد الرضوية (ص: ٢٨).
(٢) انظر: من هنا وهناك ضمن مجموعة مقالات للشيخ محمد جواد مغنية (ص: ٢١٣).
(٣) انظر: الوشيعة. صالح الرقب (ص: ٢٧-٣١).

ويصل إلى أقصى غاياته وهو (درجة الاجتهاد) من دون أن يكون قد تعرف على علوم القرآن وأسراره أو اهتم به ولو على مستوى التلاوة وحسن الأداء. هذا الأمر الحساس أدى إلى بروز مشكلات مستعصية وقصور حقيقي في واقع الحوزة العلمية لا يقبل التشكيك والإنكار"[1].

ويطلق الخميني -الذي لا يحفظ القرآن- صرخة تحذير ينادي بها قومه فيقول: "أيتها الحوزات العلمية وجامعات أهل التحقيق قوموا وأنقذوا القرآن الكريم من شر الجاهلين المتنسكين، والعملاء المتهتكين الذين هاجموا ويهاجمون القرآن عمداً وعن علم فإنني أقول بشكل جدي وليس (للتعارف العادي). إني أتأسف على عمري الذي ذهب هباءً في طريق الضلال والجهالة، وأنتم يا أبناء الإسلام الشجعان أيقظوا الحوزات والجامعات للالتفات إلى شؤون القرآن وأبعاده المختلفة جداً واجعلوا تدريس القرآن في كل فروعه مد نظركم وهدفكم الأعلى لئلا لا قدر الله أن تندموا في آخر عمركم عندما يهاجمكم ضعف الشيخوخة على أعمالكم وتتأسفوا على أيام الشباب كالكاتب نفسه"[2].

ويقول الخامنئي[3]: "مما يؤسف له أن بإمكاننا بدء الدراسة ومواصلتنا لها إلى

---

(١) ثوابت ومتغيرات الحوزة العلمية. جعفر الباقري (ص: ١٠٩).

(٢) القرآن الثقل الأكبر. الخميني مصطفى (ص: ٣٢).

(٣) علي بن جواد الخامنئي، ولد عام ١٩٣٩م في مدينة مشهد، تلقى دراسته الحوزوية على يد أبي الحسن الأصفهاني، والميرزا النائيني، والآقا حسين قمّي، وبعد إتمامه الدراسة الابتدائية دخل مدرسة " سليمان خان" ثم مدرسة " نواب" لتلقي دروس آداب اللغة العربية والمنطق والفقه والأصول والفلسفة، ومنذ نهضة الخميني دخل الخامنئي ساحة النضال من أوسع أبوابها باعتباره أحد أقرب الموالين للخميني، وساعد في إرساء القواعد الفكرية وبيان المفاهيم الإسلامية والثورية، وبرحيل الخميني في ٣ حزيران ١٩٨٩م، تم انتخاب الخامنئي مرشداً للثورة الإيرانية بأكثرية الآراء. انظر سيرته الذاتية على موقعه: http://www.wilayah.ir

حين استلام إجازة من دون أن نراجع القرآن ولو مرة واحدة "[١].

ويقول محمد حسين فضل الله[٢]: "فقد نفاجأ بأن الحوزة العلمية في النجف أو في قم أو في غيرهما لا تمتلك منهجاً دراسياً للقرآن"[٣].

وينتقد أبو الفضل البرقعي (ت: ١٤١٢هـ) واقع الإمامية في وقته المتمثل في بُعْد كثير من أتباعها عن القرآن الكريم دراسة، وتدبراً وتحاكماً، ويلخص أسباب هذا الواقع في سببين[٤]:

١ - الروايات التي تقرر بأن الذين يفهمون القرآن هم الأئمة فقط.

٢ - القول بأن القرآن غير كاف للأمة.

وقال أبو الحسن الندوي: "ومما قد نال شهرة بين الناس أن الشيعة لا يوجد فيهم حفظة للقرآن، وذلك نتيجة نفسية للشك في صحة القرآن الكريم وأصالته، وقد جربت ذلك شخصياً لدى رحلتي إلى إيران عام ١٩٧٣م.

ولذلك فإن مكتبات (الإثني عشرية) لا تحتوي على آثار ونماذج كثيرة لخدمة القرآن والتأليف في مختلف موضوعاته، ولا تشهد بالحركة العلمية القوية في بيان إعجازه، وما يشتمل عليه من علوم وحقائق"[٥].

(١) ثوابت ومتغيرات الحوزة العلمية (ص: ١١٠).

(٢) هو محمد حسين بن عبد الرؤوف بن نجيب الدين بن محيي الدين بن نصر الله بن محمد بن فضل الله، ولد بالنجف سنة ١٣٥٤هـ، وترعرع في أحضان الحوزة العلمية فيها حتى بدأ عطاءه العلمي أستاذاً للفقه والأصول، ثم انتقل إلى لبنان وظلَّ فيها حتى توفي في ٢٢/ ٧/ ١٤٣١هـ. من مصنفاته: قضايا إسلامية معاصرة، والمعالم الجديدة للمرجعية الشيعية، وفقه الشريعة، وغيرها. انظر سيرته الذاتية على الرابط: http://arabic.bayynat.org.lb/sira/index.htm

(٣) ثوابت ومتغيرات الحوزة العلمية (ص: ١١١).

(٤) انظر: كسر الصنم (ص: ١٦٣-١٦٥).

(٥) صورتان متضادتان عند أهل السنة والشيعة الإمامية. أبو الحسن الندوي (ص: ٦٥).

ولعل من الأسباب أيضاً وراء عدم اهتمام الإمامية بالقرآن الكريم ما رووه عن أبي جعفر: "إذا قام القائم من آل محمد ضرب فساطيط لمن يعلم الناس القرآن على ما أنزله الله فأصعب ما يكون على من حفظ اليوم لأنه يخالف فيه التأليف"[1]. كما أن هذا التناسي مبعثه العمد وليس الغفلة لأن القرآن الكريم في حقيقته وظاهره صريح في نقض عقائد الإمامية، وأمر آخر هو الدعوى بأن القرآن لا يفهم إلا عن طريق الإمام وهو ما أدى إلى إهمال تدبره.

أما في منهج الاستدلال فقد ذهبت الإمامية إلى ما ذهب إليه المتصوفة من أن القرآن الذي أنزله الله تعالى على محمد ﷺ له ظهر وبطن، ويروون عن النبي ﷺ أنَّه قال: (إنَّ للقرآن ظهراً، وبطناً وحدّاً ومطلعاً). ورووا عن علي رضي الله عنه أنَّه قال (ما من آية إلا ولها أربعة معان: ظاهر وباطن وحد ومطلع، فالظاهر التلاوة، والباطن الفهم، والحد هو أحكام الحلال والحرام، والمطلع هو مراد الله من العبد بها)، وفي لفظ: (إنَّ للقرآن ظهراً، وبطناً، ولبطنه بطناً إلى سبعة أبطن)[2].

وكذا عن الإمام زين العابدين رحمه الله أنه قال: (كتاب الله تعالى على أربع أشياء: على العبارة، والإشارة، واللطائف، والحقائق. فالعبارة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء)[3].

وعن جابر بن يزيد أنه سأل أبا جعفر عن شيء من التفسير فقال: (يا جابر إن للقرآن بطناً، وللبطن بطناً، وله ظهر، وللظهر ظهراً... وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إنَّ الآية لتكون أولها في شيء، وآخرها في شيء، وهو

---

(١) البيان في تفسير القرآن (ص: ٢٢٣)، وإرشاد المفيد (٢/ ٣٨٦).

(٢) انظر: تفسير الصافي، (١/ ٢٨-٣١)، والحديث سبق تخريجه.

(٣) ميزان الحكمة، لمحمد ري شهري (٣/ 2531). وهذا النص تظهر فيه مصطلحات التصوف بشكل جلي.

كلام متصل يتصرف على وجوه)[١].

هذا إلى جانب الروايات الكثيرة الموجودة في تفاسيرهم، أمثال تفسير القمي[٢]، والعياشي[٣]، والكاشاني[٤]... وغيرها.

وتناقلت كتب الإمامية هذا الأمر حتى عقد المجلسي لها في بحاره باباً سمَّاه: "باب أن للقرآن ظهراً وبطناً" وساق ما يقارب ٨٤ رواية[٥].

وكذا عقد لها المفسر هاشم البحراني في تفسيره باب: "أن القرآن له ظهر وبطن" وذكر فيها ١٩ رواية[٦].

أما أبو الحسن العاملي فجعل المقدمة الأولى من كتابه "في بيان ما يوضح حقيقة ورود بطن القرآن فيما يتعلق بدعوة الولاية والإمامة كما أن ورود ظهره فيما يتعلق بدعوة التوحيد والنبوة"[٧].

ويقول الخميني: "إن للقرآن بطوناً سبعة باعتبار، وسبعين بطناً بوجه، لا يعلمها إلا الله والراسخون في العلم"[٨].

ومن ناحية من يختص بهذا العلم والتأويل فإن الإمامية تتفق على أنَّ الأئمة من آل بيت النبي ﷺ - في نظرهم - هم المختصون بعلم كتاب الله تعالى كله، وأنهم المصدر الوحيد في تفسير آياته بعد النبي ﷺ دون غيرهم من الصحابة رضوان الله

(١) انظر: وسائل الشيعة، للحر العاملي، (٢٧/ ١٩٢).
(٢) انظر: تفسير القمي، (١/ ٢٨ - ٢٩).
(٣) انظر: تفسير العياشي، (١/ ٢٢ - ٢٣).
(٤) انظر: تفسير الصافي، (١/ ٢٩).
(٥) انظر: بحار الأنوار (٨٩/ ٧٨ - ١٠٦).
(٦) انظر: البرهان في تفسير القرآن (١/ ٤٩ - ٢٥).
(٧) انظر: مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار (ص: ٨ - ٦١).
(٨) شرح دعاء السحر. الخميني ابن مصطفى. تقديم: أحمد الفهري (ص: ٧٠).

عليهم، والتابعين، وأئمة الإسلام على مدى العصور.

قال محمد رضا حكيمي: (للقرآن الكريم كأي شيء آخر متخصصوه الذين يجب مراجعتهم لفهمه فهماً تأسسياً، أو توكيدياً، وقد هدانا القرآن ذاته إلى هؤلاء بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

ولا بد لهؤلاء المتخصصين أن يكونوا معصومين؛ ذلك أن القرآن كتاب لا تناقض فيه بتصريح القرآن ذاته. إذن لابد أن يكون المرجع في فهم القرآن، وتوضيح ما أشكل منه بمعزل عن التناقض أيضاً. أي لا يصح أن يكون أهل الذكر أصحاب مشارب متضاربة، ولا يمكن أن نجد هذه الميزة إلا في المعصومين)[1].

ويقول الخوئي: (فالعترة هم الأدلاَّء على القرآن، والعاملون بفضله، فمن الواجب أن نقتصر على أقوالهم، ونستضيء بإرشاداتهم...)[2].

نماذج من التفسير الباطني عند الصوفية والإمامية:

- ما قاله ابن عربي في تفسيره مفسراً قول الله عز وجل: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ [النبأ: ١ - ٢] (إنه القيامة الكبرى، ولهذا قيل: إن أمير المؤمنين علي هو النبأ العظيم، وهو فلك نوح أي الجمع والتفصيل - باعتبار الحقيقة والشريعة - لكونه جامعاً لهما)[3].

- وتأولت الإمامية قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً ۝٢٦ إِلاَّ

(١) الاجتهاد التحقيقي، ترجمة: حيدر نجف وخليل العصامي، تقديم: عبد الجبار الرفاعي (كتاب قضايا إسلامية معاصرة " سلسلة دورية تتناول الهموم الثقافية للمسلم المعاصر، ورئيس تحريرها: عبد الجبار الرفاعي "، الكتاب الخامس والعشرون (ص: ٧٣).

(٢) البيان في تفسير القرآن، الطبعة الرابعة، (بيروت: دار الزهراء، ١٣٩٥ هـ)، (ص ١٨).

(٣) تفسير ابن عربي (٢/ ١٨٤).

﴿مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٧]. على أن الأئمة يعلمون الغيب[1].

- كما أن الخميني يفسر بعض الآيات تفسيراً باطنياً فيقول مثلاً في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]: (فقد أمر الله الرسول ﷺ برد الأمانة - أي الإمامة - إلى أهلها وهو أمير المؤمنين، وعليه هو أن يردها إلى ما يليه وهكذا..)[2].

وقال بعض الصوفية في قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦]: أي ما نذهب من ولي لله، إلا ونأت بخير منه أو مثله[3].

كما أوّل بعض الصوفية، قوله تعالى: ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ [ق: ٧]، قال: إن «... رواسي الأرض هم أولياء الله»[4].

- وقالت الختمية في قول الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾ [آل عمران: ١٠٣] إن حبل الله مقصود به آل البيت[5].

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩]: روى القمي بسنده أن رب الأرض يعني إمام الأرض الذي إذا خرج للناس استغنوا عن ضوء الشمس ونور القمر[6]. كما تأولت الإمامية آيات كثيرة يزعمون أن المراد بها أئمة آل البيت.

---

(١) انظر: كسر الصنم نقض كتاب أصول الكافي. أبو الفضل البرقعي. ترجمة: عبد الرحيم البلوشي (ص: ١٨٨-١٨٩)، وقد أنكر البرقعي هذا الاستدلال، وأجاب عنه.

(٢) الحكومة الإسلامية (ص: ٨١).

(٣) انظر: لطائف المنن. لابن عطاء الله السكندري (ص: ٢٢).

(٤) رماح حزب الرحيم، بهامش جواهر المعاني (١/ ٢٣).

(٥) انظر: براءة الشيعة من مفتريات الوهابية. محمد أحمد خير (ص: ٢٥).

(٦) انظر: تفسير القمي (٢/ ٢٥٣). وانظر المزيد من التاويلات على موقع المنقب القرآني الرافضي على الرابط: http://www.holyquran.net/search

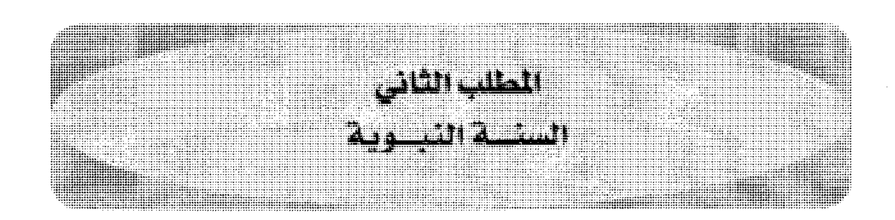
ويلحظ أن هذه التأويلات اتفقت في دعوى أن العارف أو الإمام يعلم الباطن، كما أنهم أقحموا الأولياء والأئمة عنوة في بيان المقصود من الآية لتعزيز إمامتهم، وأنه ما خلا القرآن عن ذكرهم.

مما سبق يتبين لنا أن الصوفية والإمامية افترقتا في القول بالتحريف نصاً كما ورد عند كثير من الإمامية، ولكن اتفقتا في منهج الاستدلال بالقرآن الكريم على اعتماد التفسير الباطني، ففسروا النصوص القرآنية دون أن يراعوا أياً من القواعد الشرعية واللغوية، وحملوها على غير معانيها، وساقوها على غير مقاصدها ولا شك في أن هذا تحريف لها في معناها وإن أنكروا تحريف اللفظ، كما اتفقوا على أن هذا النوع من التفسير لا يدركه إلا الخواص منهم، واجتمعوا في الاستشهاد بحديث تكرر لديهم أصلوا به مذهبهم، وقد ظهر في نماذج الآيات التي تأولوها تقارب واضح في المعاني والألفاظ.

وأما سبب التجاء الصوفية والإمامية إلى علم الباطن، ومنه إلى التأويل الباطني هو أنهم لم يجدوا في القرآن ما يمكن أن يكون سنداً لهم على منهجهم ومسلكهم، ولا سيما أنه خلا من ذكر أئمتهم وأعدائهم فكان ذلك كفيلاً في تأويله لديهم والأخذ بعنان الآيات والميل بها إلى جانب الهوى والرأي، والحق أن القرآن يفضحهم ويعريهم، فالتجؤوا إلى علم الباطن والتأويل الباطني كما قال نيكلسون: (لا يمكن أن يكون القرآن أساساً لأي مذهب صوفي، ومع ذلك استطاع الصوفية متبعين في ذلك الشيعة أن يبرهنوا بطريقة التأويل نصوص الكتاب والسنة معنى باطناً لا يكشفه الله إلا للخاصة من عباده الذين تشرق هذه المعاني في قلوبهم في أوقات جدهم. ومن هنا نستطيع أن نتصور كيف سهل على الصوفية بعدما سلموا بهذا المبدأ أن يجدوا دليلاً من القرآن لكل قول من أقوالهم ونظرية من نظرياتهم أياً كانت، وأن يقولوا إن

التصوف ليس في الحقيقة إلا العلم الباطن الذي ورثه علي بن أبي طالب عن النبي. ويلزم من هذا المبدأ أيضاً «مبدأ التأويل» أن تأويل الصوفية لتعاليم الإسلام قد يأتي على أنحاء وأشكال لا حصر لعددها، وربما أدى إلى تناقض في العبادات والمسائل العلمية...)[1].

(١) في التصوف الإسلامي وتاريخه. لنيكلسون. ترجمة: أبو العلاء العفيفي (ص ٧٦ - ٧٧).



في هذا المطلب نسلط الضوء على موقف الصوفية والإمامية من السنة النبوية لنضع أيدينا على نقاط الالتقاء بينهما نصاً أو ضمناً.

أولاً: موقف الصوفية من السنة النبوية:

للصوفية في الاستدلال بالسنة النبوية موقفان:

فريق منهم يقرون بالأحاديث النبوية الصحيحة ويعملون فيها قواعد الجرح والتعديل، ولكنهم يحيدون بها عن مرادها بالتأويلات الفاسدة، أو يزاحمون السنة الصحيحة بالأحاديث الضعيفة، وما وضعوه من الأحاديث؛ واتخذوه منهجاً خاصّاً للاستدلال على صحة أقوالهم وأفعالهم، وبلغ الأمر بهم أحياناً أن ردوا الأحاديث الصحيحة؛ زعماً منهم بأنها لا تفيد اليقين، وإنما تفيد الظن، ولذلك لجؤوا إلى تأويلها التأويل الذي أخرجها عن مرادها الشرعي. وجعلوا ذلك ركناً وأساساً متيناً لقاعدتهم الاستدلالية.

وأحياناً يوردون بعض الإسرائيليات على أنها أحاديث قدسية، أو يدرجون كلاماً في أحاديث نبوية صحيحة تحرف الكلم عن مواضعه، أو يستدلون بروايات ضعيفة وينسبونها إلى الصحيحين أو المسند أو أصحاب السنن[1].

فعقائدهم، وأخلاقهم، وآدابهم، وسلوكياتهم، وعباداتهم، بنوها على ذلك المنهج في الاستدلال. فمثلاً نجدهم يستدلون على جواز التواجد، والحركة، والرقص أثناء السماع، بما روي عن أنس رضي الله عنه أنه قال: "كنا عند رسول الله ﷺ، إذ نزل جبريل، فقال: يا رسول الله، إن فقراء أمتك يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام، ففرح رسول الله ﷺ فقال: هل فيكم من ينشدنا؟ فقال بدوي: نعم يا رسول الله، فقال: هات، فأنشد الأعرابي:

قد لسعت حيّة الهوى كبدي
فلا طبيب لها ولا راق
إلا الحبيب الذي به شغفت
فعنده رقيتي وترياقي

فتواجد رسول الله ﷺ وتواجد الأصحاب معه، حتى سقط رداؤه عن منكبه، فلما فرغوا. أوى كل واحد منهم إلى مكانه. قال معاوية بن أبي سفيان: ما أحسن لعبكم يا رسول الله، فقال: مه يا معاوية ليس بكريم من لم يهتز عند سماع الحبيب، ثم قسم رداء رسول الله ﷺ على من حضر أربعمائة قطعة"[2].

---

(١) انظر الدراسة المتخصصة للرد على الصوفية في مثل هذه المخالفات؛ كتاب إلى أين أيها الحبيب الجفري. لخلدون الحسني الذي انتقد فيه كتاب الجفري المسمى " معالم السلوك " .

(٢) صفوة التصوّف. محمد بن طاهر المقدسي. مراجعة وتدقيق: أحمد الشرباصي (ص: ١١٢)، وقد ردّ السهروردي من أئمة الصوفية الذين عاشوا معظم حياتهم في القرن السادس حديث أنس=

وفريق آخر من الصوفية سلكوا منهج التزهيد في تعلم الحديث، والتقليل من شأنه والاستغناء عنه بمصادر للتلقي غير السنة النبوية، فقد قالت رابعة العدوية لسفيان الثوري: "نعم الرجل أنت لو لا رغبتك في الدنيا، قال: وفي ماذا رغبت؟! قالت: في الحديث"[1].

وقد قالوا: "أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت"[2].

وقال أحد الصوفية لصاحبه: تترك علم الخرق، وتأخذ علم الورق[3].

ثانياً: موقف الإمامية من السنة النبوية:

تتفق الإمامية - أخبارية وأصولية على حدٍّ سواء - أنَّ السنة في الاصطلاح هي: قول المعصوم أو حكاية قوله، أو فعله، أو تقريره[4].

=في تواجد النبي ﷺ وأصحابه لما أنشد الأعرابي: قد لسعت حية الهوى كبدي... . إلخ، بقوله: "فهذا الحديث أوردناه مسنداً كما سمعناه ووجدناه، وقد تكلّم في صحته أصحاب الحديث، وما وجدنا شيئاً نقل عن رسول الله ﷺ يشاكل وجد أهل الزمان وسماعهم واجتماعهم وهيئتهم إلا هنا، وما أحسنه من حجة للصوفية وأهل الزمان في سماعهم وتمزيقهم الخرق وفسخها أن لو صحّ -والله أعلم- ويخالج سري أنه غير صحيح، ولم أجد فيه ذوق اجتماع النبي ﷺ مع أصحابه وما كانوا يعتمدونه، على ما بلغنا في هذا الحديث، ويأبى القلب قبوله، والله أعلم بذلك". عوارف المعارف (ص: ١٨٩). كما حكم علماء الحديث على هذه الرواية بأنها موضوعة. انظر: ميزان الاعتدال للذهبي (٥/ ١٩٨)، ولسان الميزان لابن حجر (٤/ ٢٧٠)، وكشف الخفاء للعجلوني (٢/ ١٨٤).

(١) الإحياء (٢/ ٢٣٧).

(٢) الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية. للمناوي (١ / ٢٤٦).

(٣) تاريخ بغداد (٧/ ٢٢٧)، وتلبيس إبليس (ص: ٣٩٩).

(٤) انظر: شرح البداية في علم الدراية. لزين الدين العاملي المعروف بالشهيد الثاني، تحقيق: محمد رضا الحسيني الجلالي (ص:٦ - ٧)؛ ودراسات في علم الدراية تلخيص مقباس الهداية للمامقاني، تلخيص: علي أكبر غفاري (ص: ١١ - ١٣).

ويقصد بالمعصومين عندهم أربعة عشر شخصاً هم: النبي ﷺ، وفاطمة الزهراء، والأئمة الاثنا عشر، فكل أحاديثهم حجة مثل حديث النبي ﷺ[(١)].

فقد رووا عن حماد بن عثمان وغيره أنهم قالوا: سمعنا أبا عبد الله يقول: (حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين رضي الله عليه، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله ﷺ، وحديث رسول الله قول الله تعالى...)[(٢)].

وقد عقد الكليني باباً سماه " باب أن الأئمة - عليهم السلام - ولاة أمر الله وخزنة علمه"[(٣)]، وباباً آخر " أن الأئمة ورثوا علم النبي، والأنبياء، والأوصياء الذين من قبلهم"[(٤)]، وباباً ثالثاً بعنوان: "أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة، والأنبياء، والرسل - عليهم السلام - "[(٥)].

ويقول محمد رضا المظفر: (أما فقهاء "الإمامية" بالخصوص؛ فلمّا ثبت لديهم أنَّ المعصوم من آل البيت يجري قوله مجرى قول النبي من كونه حجة على العباد واجب الاتباع، فقد توسعوا في اصطلاح السنة إلى ما يشمل قول كل واحد من المعصومين، أو فعله، أو تقريره...)[(٦)].

---

(١) انظر: العقيدة الإسلامية. جعفر السبحاني (ص: ١٠٥).
(٢) أصول الكافي، للكليني، (١/ ٥٣)، كتاب فضل العلم، باب رواية الكتب والحديث، وفضل التمسك بالكتب. قال المجلسي: (ضعيف على المشهور)، مرآة العقول، (١/ ١٨٢).
(٣) انظر: أصول الكافي (١/ ١٩٢ - ١٩٣)، كتاب الحجة.
(٤) انظر: المصدر السابق (١/ ٢٢٣ - ٢٢٧).
(٥) انظر: المصدر السابق (١/ ٢٢٥ - ٢٢٦).
(٦) أصول الفقه (٢/ ٥٧ - ٥٨).

وعرَّف السنة محمد باقر الصدر فقال: (هي كل بيان صادر من الرسول ﷺ، أو أحد الأئمة المعصومين - عليهم السلام - . .)[1].

وإذا اطلعت على كتب الحديث عند الإمامية لا تجد إلا القليل النادر منها المسند إلى النبي ﷺ، وأكثر ما يروونه في كتبهم واقف عند جعفر الصادق، وقليل منها يعلو إلى أبيه محمد الباقر، وأقل من ذلك يعلو إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ونادراً ما يصل إلى النبي ﷺ[2].

والسبب الأساس في تمسك الإمامية بأحاديث الأئمة هو القول بعصمتهم، قال حسين عبد الصمد العاملي[3]: (وإنما تمسكنا بالأئمة الإثني عشر من أهل بيت النبي - عليهم السلام - ونقلنا أحاديثنا وأصول ديننا عنهم؛ لما ثبت عندنا من عصمتهم؛ لوجوب كون الإمام معصوماً؛ ليؤمن الوقوع في الخطأ منه، ويستقيم النظام، وتتم الفائدة بنصبه، وغيرهم ليس بمعصوم إجماعاً. . .)[4].

ويقول جعفر السبحاني عن مدى حجية السنة الإمامية: (إنَّ الأحاديث والروايات التي تنقل عن أئمة أهل البيت المعصومين بأسانيد صحيحة، حجةٌ شرعية، ويجب العمل بمضمونها، والإفتاء وفقها. . .)[5].

---

(١) المعالم الجديدة في الأصول (ص: ٣٢).

(٢) انظر دراسة تفصيلية لهذه المسألة على الكتب الحديثية المتقدمة عند الإمامية في: نقد الحديث عند الشيعة الإمامية الإثني عشرية. مجدي عوض. رسالة دكتوراه من كلية الآداب في جامعة القاهرة (ص: ٢٨١) وما بعدها.

(٣) هو حسين بن عبد الصمد بن محمد بن علي الحارثي العاملي، والد البهائي العاملي، ولد سنة ٩١٨هـ، ومات سنة ٩٨٤هـ ودفن بالبحرين، روى عن شيخهم حسن بن جعفر الكركي، وشهيدهم الثاني. من مصنفاته: وصول الأخيار إلى أصول الأخبار، وشرح القواعد، وحاشية الإرشاد. . . إلخ. انظر: تكملة أمل الآمل (ص: ١٨٣).

(٤) وصول الأخيار إلى أصول الأخبار (ص: ٤٥).

(٥) العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت (ص: ٣١٨ - ٣٢٠).

وقد وقع الخلاف في المذهب الإمامي في مدى صحة مرويات الأئمة الواردة في كتب الحديث، وخاصة الكتب الأربعة[1] - المعتمدة عندهم - على قولين:

القول الأول:

وهو للأخباريين الذين يرون قطعية صدور ما جاء في هذه الكتب من أخبار دون اشتراط اتصال سندها إلى النبي ﷺ، قال النوري الطبرسي عن كتاب "من لا يحضره الفقيه": (كتاب من لا يحضره الفقيه أحد الكتب الأربعة التي هي في الاشتهار، والاعتبار كالشمس في رابعة النهار، وأحاديثه معدودة في الصحاح من غير خلاف، ولا توقف من أحد...)[2].

وقد أفاضوا في الاستدلال على ذلك، وجعلوا لذلك فصولاً في مؤلفاتهم، حتى أنَّ الاسترابادي جعل فصلاً سماه "تصحيح أحاديث كتبنا" لذكر الوجوه الدالة على صحة الأخبار الواردة في الكتب الأربعة في اثني عشر وجهاً[3].

وعلى الوتيرة نفسها سار الحر العاملي، واستدل على صحة أحاديث الكتب الأربعة باثنين وعشرين وجهاً، وذلك في الفائدة التاسعة التي عقدها لإثبات صحة أحاديث جميع الكتب التي جمع منها كتابه، وحكم بوجوب العمل بها أجمع[4].

أمَّا يوسف البحراني فقد استدل على ذلك بوجوه عدة، وقال بعدها: (إلى غير ذلك من الوجوه التي أنهيناها في كتاب المسائل إلى اثني عشر وجهاً، وطالبُ الحق المنصفِ تكفيه الإشارة، والمكابرُ المتعسف لا ينتفع ولو بألف عبارة)[5].

---

(١) سبق ذكرها.

(٢) خاتمة المستدرك، (٤/ ٥).

(٣) الفوائد المدنية (ص: ٣٧١ - ٣٨٨).

(٤) وسائل الشيعة (٣٠/ ١٩١ - ٢١٨)، (٣٠/ ٢٤٩ - ٢٦٧).

(٥) الحدائق الناضرة (١/ ٥٣ - ٦١). المقدمة الثانية.

كما استدل الأخباريون على صحة الكتب الأربعة اعتماداً على المقدمات الواردة فيها، فقد صرح الكليني في أول كتابه "الكافي" بصحة أحاديثه جميعها[1]، وكذا الصدوق في كتابه " من لا يحضره الفقيه "[2]، ومع ذلك كثيراً ما يذكر في أوائل الأسانيد من ليس بثقة.

القول الثاني:

وهو للأصوليين الذين لايرون الوثوق في كل ما نقل في هذه الكتب؛ لاشتمالها على الحديث الصحيح والضعيف؛ فقد حرص أصحابها على جمع كل ما يسمعونه خوفاً من اندراس الحديث وضياعه، فاحتمال الخطأ، أو الغفلة، أو الكذب في نقل الأخبار واردٌ لا محالة.

قال نور الدين العاملي: (يكفي أصحاب الكتب الأربعة أن يكون الداعي لجمعها خوفاً من اندراس الحديث وضياعه، ولم يمكنهم تمييز الصحيح والضعيف باليقين، فجمعوا ما حسن الظن لهم به، ولم يعلموا كذبه، ومخالفته قطعاً لمذهب أهل البيت، وأحالوا العمل به على ما يتحقق...)[3].

ويقول الوحيد البهبهاني: (لا يخفى أنَّ دعوى قطعية صدور الأحاديث واضحة الفساد، إن كان المراد ما هو المنصرف والمتبادر من القطع الذي هو اليقين الجازم المانع من النقيض لكثرة الدواعي، والأسباب المانعة من حصوله؛ لاحتمال الخطأ، والغفلة، والنسيان، بل وتعمد الكذب في أصل كتابة الأخبار، بل وفيما بعد ذلك في كل عصر وزمان، مضافاً إلى احتمال الدَّسِّ في تلك الأعصار السابقة، بل وفي كل عصر وزمان من أهل الضلال، والعناد المتصدين لذلك، وخصوصاً في أعصار

(١) انظر: مقدمة أصول الكافي (١/ ٢٤ - ٢٦).
(٢) انظر: مقدمة من لا يحضره الفقيه، (١/ ٢ - ٣).
(٣) الشواهد المكية. تحقيق: رحمة الله الأراكي (ص: ١١٣).

الأئمة - عليهم السلام - . . .)[1].

وقال مرتضى العسكري: (لم يكن علماء مدرسة أهل البيت بصدد تدوين الحديث الصحيح في كتبهم. . . فكانوا بصدد جمع الأحاديث المناسبة لكل باب، لهذا اقتضت الأمانة العلمية في النقل أن يدونوا كل ما انتهى إليهم من حديث في بابه، مع غض النظر عن صحة الحديث لديهم، أو عدمه كي تصل جميع أحاديث الباب إلى الباحثين في الأجيال القادمة كاملة، مهما كان بعض الأحاديث مكروهة لديهم، وضعيفة بموازين النقد العلمي. . .)[2].

وعلى كل فإن المعاصرين من الإمامية اعتمدوا في تلقِّي السنة على أصول شيوخهم القديمة المجموعة في الكتب الأربعة الأولى، وهي: الكافي، والتهذيب، والاستبصار، ومن لا يحضره الفقيه! كما قرَّر ذلك طائفة من شيوخهم المعاصرين: كأغا برزك الطهراني[3]، ومحسن الأمين[4]، وغيرهما.

قال عبد الحسين الموسوي عن كتبهم الأربعة: (وهي متواترة، ومضامينها مقطوعٌ بصحتها، والكافي أقدمها، وأحسنها، وأتقنها)[5].

وقد بدأت ظاهرة تقويم السنة عند أصحاب هذا القول في القرن السابع على يد أحمد بن طاووس (٦٧٣هـ) بمعنى أنهم لم يعملوا قواعد الجرح والتعديل، ولم يعرفوا الإسناد إلا لاحقاً فقسموا الأخبار إلى خمسة أقسام هي: الصحيح، والحسن، والموثق، والقوي، والضعيف. وفي حكمهم على صحة الحديث أو حسنه يشترطون

(١) الفوائد الحائرية مطبوع ضمن كتاب رجال الخاقاني. لعلي الخاقاني. تحقيق: محمد صادق بحر العلوم (ص: ٢٠٩)

(٢) معالم المدرستين (٣/ ٢٨٦ - ٢٨٧).

(٣) الذريعة (١٧/ ٢٤٥).

(٤) أعيان الشيعة (١/ ٢٨٠).

(٥) المراجعات ص٣١١ (المراجعة رقم ١١٠).

لذلك إمامية الراوي[1]. ومع هذه الصحوة الحديثية عندهم إلا أن كتبهم الحديثية شحنت بكم هائل من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، فمن خلال عينة من الدراسة قام بها آصف محسني شملت أكثر من خمسة آلاف حديث من كتاب بحار الأنوار تبين له أن الصحيح منها لا يتجاوز (٥٪)[2]. وقال العاملي بعد أن ذكر تعريف الحديث الصحيح: "وهذا يستلزم ضعف كل الأحاديث عند التحقيق" وعلل السبب بقوله: "لأن العلماء لم ينصوا على عدالة أحد الرواة إلا نادراً، وإنما نصوا على التوثيق، وهو لا يستلزم العدالة قطعاً"[3].

إضافة إلى هذا التصريح فإن الإمامية أنفسهم قد اعترفوا بكثرة الأحاديث المكذوبة على أهل البيت، وجاءت على ألسنة الأئمة ومنها: أن الفيض بن المختار شكا لأبي عبد الله كثرة اختلافهم فقال: "ما هذا الاختلاف بين شيعتكم، إني لأجلس في حلقهم بالكوفة فأكاد أن أشك في اختلافهم في حديثهم، فقال أبو عبد الله: هو ما ذكرت يا فيض إن الناس أولعوا بالكذب علينا وإني أحدث أحدهم بالحديث، فلا يخرج من عندي حتى يتأوله على غير تأويله، وذلك أنهم لا يطلبون بحديثنا وحبنا ما عند الله، وإنما يطلبون الدنيا، وكل يحب أن يدعى رأساً"[4].

---

(١) انظر: الوجيزة. بهاء الدين العاملي (ص: ٥)، ومقياس الهداية في علم الدراية. عبد الله المقاني. تحقيق: محمد رضا المقاني (١/ ١٦٧-١٧٣)، ونظرية السنة في الفكر الإمامي الشيعي التكون والصيرورة. حيدر حب الله (ص: ١٨٥-١٨٦).

(٢) انظر: مشرعة بحار الأنوار. آصف محسني. مواضع متفرقة. وقد نشأت حركة لتهذيب الأحاديث الشيعية، كان من أبرز أعلامها: أبو الحسن الشعراني (١٣٩٣هـ)، وهاشم معروف الحسني (١٤٠٣هـ)، ومحمد باقر البهبودي المعاصر، وآصف محسني، وصالحي نجف آبادي. انظر: نظرية السنة في الفكر الإمامي الشيعي (ص: ٥٤٧-٥٩٦).

(٣) انظر: خاتمة الوسائل (٣٠/ ٢٠٦).

(٤) بحار الأنوار (٢/ ٢٤٦)، ورجال الكشي (ص: ١٣٥).

وعن المغيرة بن سعيد قال: "دسست في أخباركم أخباراً كثيرة، تقرب من مائة ألف حديث"(١).

والإمامية بفرعيها (أخبارية وأصولية) حرمت نفسها من كثير من السنة الصحيحة ولم تبق إلا الشيء اليسير لأنهم استبعدوا روايات الصحابة الكرام رضي الله عنهم. يقول محمد حسين آل كاشف الغطا -أحد مراجع إمامية هذا العصر- في ذلك: "إن الشيعة لا يعتبرون من السنة (أعني الأحاديث النبوية) إلا ما صح لهم من طرق أهل البيت.. أما ما يرويه مثل أبي هريرة، وسمرة بن جندب، وعمرو بن العاص ونظائرهم فليس لهم عند الإمامية مقدار بعوضة"(٢).

وقال الكليني: "من ادعى سماعاً من غير هذا الباب الذي فتحه الله فهو مشرك"(٣).

وقال آخر: "لأن البخاري ومسلماً وأضرابهما وضاعون كذابون عند الشيعة، بل حكموا بحماقة البخاري، وقصور فهمه عن التمييز بين الصحيح والضعيف، لأمور شتى"(٤).

وإضافة إلى هذا التجافي في الموقف من السنة فإن الإمامية قضت بأنها لن تكون عاملة بأخبار الآحاد لا في العقديات ولا في العمليات وتطلق عليها السنة الظنية. وفي المقابل تذهب الإمامية إلى تصحيح الأحاديث التي تلقاها علماؤهم ومفكروهم بالقبول حتى وإن كان سندها ضعيفاً أو موضوعاً، ويمثلون لهذا الاتجاه بتصحيح

(١) تنقيح المقال للمامقاني (١/ ١٧٤).
(٢) أصل الشيعة وأصولها. محمد حسين آل كاشف الغطا (ص: ٧٩).
(٣) الكافي (١/ ٣٩٩).
(٤) الصوارم المهرقة. نور الله التستري (ص: ٥٧).

زيارة عاشوراء، ودعاء كميل، وخطبة السيدة الزهراء رضي الله عنها في المهاجرين والأنصار، وغير ذلك[1].

ومن صور الابتعاد عن السنة الصحيحة أيضاً عند الإمامية دعوى بعضهم أن النبي ﷺ كتم جزءاً من الشريعة أودعه علياً رضي الله عنه كالجفر، والجامعة، ومصحف فاطمة، وهي محفوظة عند الإمام المنتظر[2].

وخلاصة القول أن الصوفية والإمامية اتفقتا باختلاف اتجاهاتهما على الإعراض عن السنة الصحيحة أو تأويلها، والتعويل في الاستدلال بالسنة على الضعيف والموضوع بزعم السعي وراء اليقينيات وليس الظنيات، أو الاستدلال بكلام الأئمة والشيوخ وتقديمه على السنة الصحيحة، ولا شك في أن انحراف الإمامية في هذا الباب أشد وأسوأ من انحراف الصوفية.

---

(١) انظر: مختصر مفيد أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة. جعفر مرتضى العاملي (٩/ ١٠٨).

(٢) انظر: الكافي. كتاب الحجة. باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة (١/ ٢٣٨-٢٤٠).

المطلب الثالث
الاستدلال بأفعال الشيوخ والأئمة وأقوالهم

١ - موقف الصوفية من طاعة شيوخهم:

عد الصوفية الاستدلال بأفعال الشيوخ وأقوالهم ومصنفاتهم من مناهج الاستدلال المهمة، واعتنوا بتدوين أخبار هذا المنهج في الكثير من مؤلفاتهم قديماً وحديثاً، بل منهم من يخلع على هذا المنهج القدسية التامة بحيث لا يرقى إليه أي منهج آخر، بل يعتقد كثير منهم أن شيوخهم معصومون من الخطأ والزلل والنسيان.

ولهذا قال بعضهم: «من لم يعتقد في شيخه الكمال لا يفلح على يديه أبداً»[(١)].

وغلا بعض الصوفية بذلك حتى جعل أدنى مناقشة للشيخ من علامات الخسران وعدم الفلاح، وأن من أنكر على الشيخ ستعاجله العقوبة حتماً، فقال أحدهم: «من قال لشيخه لِمَ لا يفلح، لأن الشيخ في أهله كالنبي في أمته»[(٢)].

(١) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية (١/ ١٧٤).
(٢) عوارف المعارف (ص: ٣٧٠).

وقال علي الدقّاق: "من دخل في صحبة شيخ، ثم اعترض عليه بعد ذلك فقد نقض عهد الصحبة، ووجب عليه تجديد العهد"[1].

وبالغ الصوفية في العلاقة بين المريد وشيخه والعكس، وخاصة علاقة المريد بشيخه، حتى أصبحت هذه العلاقة تشكل منهجاً خاصاً للاستدلال بأقوال المشايخ، قال القشيري: «يجب على المريد أن يصحح عهده بينه وبين الله تعالى أن لا يخالف شيخه في كل ما يشير به عليه»[2].

وقالوا في آداب المريد: "الصحبة مع الأستاذ باتباع أمره ونهيه... والقيام بخدمة أستاذه واجب، والصبر تحت حكمه، وترك مخالفته ظاهراً وباطناً، وقبول قوله والرجوع إليه في جميع ما يعرض له، والتعظيم لحرمته، ومجانبة الإنكار عليه سراً وجهراً"[3].

ويقول السهروردي أثناء ذكره آداب المريدين ما نصه: "أن يكون مسلوب الاختيار، لا يتصرف في نفسه إلا بمراجعة الشيخ وأمره... والشيخ للمريدين أمين الإلهام، كما أن جبريل أمين الوحي. فكما لا يخون جبريل في الوحي، لا يخون الشيخ في الإلهام. وكما أن رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى، فالشيخ مقيد برسول الله ﷺ ظاهراً وباطناً، لا يتكلم بهوى النفس"[4].

كما استدلوا بأقوال أئمتهم ومشايخهم، وعظموهم أشد تعظيم، وجعلوا أقوالهم هي المعيار في الأخذ والرد؛ وقدموها على الكتاب والسنة.

---

(١) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية (١/ ٧٤).
(٢) السابق (١/ ١٧٩).
(٣) آداب المريدين، تأليف أبي النجيب ضياء الدين السهروردي، تحقيق: فهيم محمد شلتوت (ص: ٦٦).
(٤) انظر: عوارف المعارف (ص: ٣٦٤-٣٦٥).

ويستدلون للطاعة التامة للشيخ بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١][1].

ويقول أحد أتباع الطريقة الختمية مؤكداً المعاني السابقة في موقف الصوفية من أقوال شيوخهم وأفعالهم: "ولما كان أول آداب الطريق أن تكون بين يدي شيخك كالميت بين يدي غاسله، فإن طاعة أهل الطريقة الختمية لشيخهم أمر لابد منه، وإن لم يلتزموا به خرجوا عن الطريقة إلى غير رجعة.

وعليه فإن أهل الطريقة الختمية بالإضافة إلى وجوب ولاية أهل البيت عليهم كبقية المسلمين فهم كذلك مطالبون بطاعة أخرى التزاماً بأدب الطريق"[2]. ويستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً﴾ [الفرقان: ٥٩][3]، أي اسأل عارفاً بالله يوصلك إليه، ولا ريب أنك لن تصل إلا بطاعته لا بمخالفته فلذا وجبت طاعة الشيخ المرشد في كل أمر من الأمور[4].

كما تزعم الختمية أنه يجب على المريد طاعة شيخه وإن خالف الشرع، قال أحدهم: "فإذا قال الشيخ للمريد اقرأ كذا، أو صم كذا، أو قال له وهو صائم أفطر، أو قال له لا تقم الليلة فإنه يطيعه، قال سيدي أبو يزيد البسطامي لتلميذ له: أفطر ولك أجر يوم فأبى، وقال: ولك أجر جمعة فأبى، فقال: ولك أجر شهر فأبى، وقال:

---

(١) ورد في معنى " إمامهم " معان هي: نبيهم، وقيل: بكتابهم الذي أنزل على نبيهم من التشريع، وقيل: بكتاب أعمالهم، ويحتمل أن المراد من بإمامهم أي كل قوم بما يأتمون به، فأهل الإيمان ائتموا بالأنبياء عليهم السلام، وأهل الكفر ائتموا بأئمتهم. انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٨٦).

(٢) الختمية (ص: ٢٥).

(٣) ورد في معنى "فاسأل به خبيراً" أي استعلم عنه من هو خبير به عالم به وهو الرسول ﷺ، وقيل هذا القرآن خبير به. انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٥١٦-٥١٧).

(٤) انظر: السابق (ص: ١٣٥).

ولك أجر سنة فأبى، فقال له بعض الحاضرين: مخالفتك هذه تضرك، فقال الشيخ: دعوا من سقط من عين الله"[1].

وقد صنف محمد بن عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني (ت:٧٦٨هـ) كتاباً أسماه: "نشر المحاسن الغالية في فضل المشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية" أسبغ فيه من الفضائل والمنازل لمشايخ الصوفية مما لا يليق إلا بالله عز وجل كإحياء الموتى، وعلمهم ببعض الحوادث قبل وجودها، والاطلاع على ضمائر الخلق، ونحو ذلك من الأمور التي تؤصل منزلة طاعة الشيوخ عند الصوفية.

ويعبر أحد شعراء الصوفية عن هذه المكانة فيقول[2]:

كـن عـنـده كـالمـيـت عـنـد مغسل
يـقـلـبـه مـا شـاء وهـو مـطـاوع
وسـلـم لـه فـيـمـا تـراه ولـم يكن
عـلـى غـيـر مـشـروع فـثـم مـخـادع

وتبريراً لإيجاب الصوفية الطاعة المطلقة للشيخ فقد أوجبوا على المريد أن يعتقد أن شيخه معصوم من الذنوب، سالم من العيوب، فقد نقل أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية عن أحد أئمتهم أنه سئل عن علامة الصوفي ما هي؟ فقال: (... ويكون معصوماً من المذمومات)[3].

وقال القشيري: اعلم أن من أجل الكرامات التي تكون للأولياء: العصمة عن المعاصي والمخالفات[4].

(١) منحة الأصحاب. أحمد عبد الرحمن (ص: ٦٧).
(٢) انظر: الصوفية والوجه الآخر. محمد جميل غازي. إعداد: عبد المنعم الجداوي (ص: ٣٠)
(٣) انظر: طبقات الصوفية للسلمي (ص: ٤٤٨).
(٤) انظر: الرسالة القشيرية (ص: ٥٦٨).

٢- موقف الإمامية من طاعة أئمتهم:

تعتقد الإمامية أن الأئمة هم أولو الأمر الذين أمر الله تعالى بطاعتهم، وأنهم الشهداء على الناس، وأنهم أبواب الله والسبل إليه والأدلاء عليه، وأن أمرهم أمر الله تعالى، ونهيهم نهيه، وطاعتهم طاعته، ومعصيتهم معصيته، ووليهم وليه، وعدوهم عدوه، وأن أقوالهم كأقوال الله ورسوله، ولا يجوز الرد عليهم، والراد عليهم كالراد على الرسول، والراد على الرسول كالراد على الله تعالى. فيجب التسليم لهم والانقياد لأمرهم والأخذ بقولهم[١]. وهذه المسألة تنبني على أمرين مقررين عند الإمامية وجعلتهما من ضروريات المذهب[٢]، وهما:

- أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل عليهم السلام.

- عصمة الأئمة -كما قالت الصوفية في شيوخهم- محتجين بأن دليل العقل عندهم يقضي بأن مرجع الأحكام لا يجوز أن يكون معرضاً للخطأ والإثم وإلا لما وثق بأقواله وأفعاله[٣]، وقد غلوا في إثبات العصمة إلى حد نفي صدور السهو عنهم[٤]. يقول الخميني عن الأئمة: "لا نتصور فيهم السهو أو الغفلة"[٥].

ومما يؤكد مكانة هذا المصدر للتلقي عند الإمامية أن الكليني عقد في كتابه الكافي باباً بعنوان: "فرض طاعة الأئمة"، وذكر فيه (١٧) رواية لهم، كما عقد أبواباً مشابهة تؤدي النتيجة نفسها مثل: باب أن الأئمة ولاة أمر الله وخزنة علمه، وباب أن الأئمة

(١) انظر: الاعتقادات. ابن بابويه (ص: ١٠٦)، وعقائد الإمامية. محمد رضا المظفر (ص: ٦٩-٧١)، والآداب المعنوية للصلاة. الخميني بن مصطفى (ص: ٨٨).
(٢) انظر: تنقيح المقال في علم الرجال. عبد الله الممقاني (٣/ ٢٤٠).
(٣) انظر: الشيعة والتشيع. محمد الحسيني الشيرازي (ص: ٦٥-٦٦).
(٤) انظر: بحار الأنوار (٢٥/ ٣٥٠-٣٥١).
(٥) الحكومة الإسلامية (ص: ٩١).



خلفاء الله عز وجل في أرضه، وباب أن الأئمة هم أركان الأرض، ونحوها.

وفي رواية مشابهة لقول الختمية السابق الذكر وردت في بحار الأنوار جاء فيها: "أقسمت بعزتي أن أدخل الجنة من أطاعه وإن عصاني، وأن أدخل النار من عصاه وإن أطاعني"[(١)].

والدليل القطعي عندهم الذي دل على وجوب الرجوع إلى آل البيت وأنهم المرجع الأصلي لأحكام الله المنزلة، هو رواية: "إني قد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً: الثقلين، وأحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي. ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض"[(٢)].

---

(١) بحار الأنوار (٢٧/ ١٠).

(٢) الحديث بهذه الرواية ضعيف لأن فيها عطية العوفي وهو ضعيف انظر: الضعفاء والمتروكين للنسائي. مراجعة: إبراهيم محمد زايد (٤٨١)، كما ضعف الحديث ابن الجوزي في العلل المتناهية. وأما الرواية الثانية فهي ما رواه مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله ﷺ فينا خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ، وذكر، ثم قال: " وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به"، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: "وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي". وفي رواية: " ألا وإني تارك فيكم ثقلين، أحدهما كتاب الله عز وجل، وهو حبل الله.." انظر: صحيح مسلم. كتاب فضائل الصحابة. باب من فضائل علي رضي الله عنه. حديث رقم (٢٤٠٨). والحديث ليس فيه الأمر بالأخذ من أهل البيت وإنما التوصية بهم، وأما بالنسبة للتمسك بكتاب الله عند الإمامية فهو ساقط عند القائلين بتحريفه، وأما العترة فإن الإمامية ينكرون بعضهم كزينب ورقية وأم كلثوم بنات رسول الله ﷺ، وكالعباس عم رسول الله وأولاده، رضي الله عنهم أجمعين. قال ابن الأثير: عترة الرجل: أخص أقاربه، وعترة النبي ﷺ بنو عبد المطلب، وقيل أهل بيته الأقربون وهم أولاده، وعلي وأولاده. .إلخ. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر. ابن الأثير. تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطحان (٣/ ١٧٧). بينما جاء في بعض كتبهم قولهم: " ذكر المؤرخون أن للنبي (ص) أربع بنات، وهن بحسب تسلسل ولادتهن: زينب- رقية- أم كلثوم- فاطمة. ولدى التحقيق في النصوص التاريخية لم نجد دليلاً على ثبوت بنوة غير الزهراء (ع) منهن، بل الظاهر أن البنات الأخريات كن بنات خديجة من زوجها الأول قبل محمد (ص)". دائرة المعارف الإسلامية الشيعية لحسين الأمين ج١/ ٢٧، وانظر: كشف الغطاء لجعفر النجفي (ص: ٥).

قال عدنان البحراني: "خبر الثقلين المشهور المدعى تواتره من العامة والخاصة، فإنه قد اشتمل على الأمر بالتمسك بالكتاب والعترة الطاهرة، ولا ريب في أن التمسك بالعترة غير مشروط بموافقة الكتاب..."[1].

ومما يعدونه حجة لهم في هذا المذهب قول أبي عبد الله: "حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله ﷺ، وحديث رسول الله قول الله عز وجل"[2]. قال شارح الكافي: إن هذا القول يدل على أن حديث كل واحد من الأئمة الطاهرين، قول الله عز وجل ولا اختلاف في أقوالهم كما لا اختلاف في قوله تعالى. بل قال: يجوز من سمع حديثاً عن أبي عبد الله أن يرويه عن أبيه، أو عن أحد من أجداده، بل يجوز أن يقول: قال الله تعالى[3].

ويصف الخميني الأئمة فيقول: "أهل بيت العصمة عليهم السلام، الذين هم معادن الوحي، وإن أقوالهم وعلومهم من الوحي الإلهي، والكشف المحمدي"[4]. ويقول الخميني أيضاً: "إن تعاليم الأئمة كتعاليم القرآن لا تخص جيلاً خاصاً، وإنما هي تعاليم للجميع في كل عصر ومصر إلى يوم القيامة يجب تنفيذها واتباعها"[5].

ويقول الخميني مانحاً هذه المنزلة لمنصب ولاية الفقيه: (من حق الفقهاء بل من واجبهم ومن المفروض عليهم أن يسعوا إلى أن يكونوا خلفاء لإمام آخر الزمان، الإمام الغائب، وأن يمتلكوا زمام الحكم كممثلين للإمام وكمندوبين عنه، ومن هنا

(١) مشارق الشموس الدرية (ص: ١٠٦).
(٢) الكافي (١/ ٥٣).
(٣) انظر: شرح جامع للكافي. المازنداني (٢/ ٢٧٢).
(٤) الآداب المعنوية للصلاة. الخميني بن مصطفى (ص: ٨٨).
(٥) الحكومة الإسلامية. الخميني (ص: ١١٣).

تصبح طاعته واجبة ليس فقط كإمام بل كنبي ورسول)[1].

ويصل الأمر في منزلة طاعة الأئمة عند الإمامية إلى القول بأن الإمام يحل ما يشاء ويحرم ما يشاء. فقد جاء في بعض الرايات أن الله تعالى " خلق محمداً وعلياً وفاطمة فمكثوا ألف دهر ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها وفوض أمورهم إليها، فهم يحلون ما يشاؤون ويحرمون ما يشاؤون"[2].

قال المجلسي معلقاً على النص: "وأجرى طاعتهم عليها، أي أوجب وألزم على جميع الأشياء طاعتهم حتى الجمادات من السماويات والأرضيات، كشق القمر، وإقبال الشجر، وتسبيح الحصى وأمثالها مما لا يحصى، وفوض أمورها إليهم من التحليل والتحريم والعطاء والمنع.. "[3].

ثم بلغت الحال إلى أن يصبح الناس جميعاً عبيداً للأئمة. قال الرضا: "الناس عبيد لنا في الطاعة، موال لنا في الدين، فليبلغ الشاهد الغائب"[4].

هذه أمثلة من أقوال الصوفية والإمامية في وجوب اتباع الشيوخ والأئمة، والاستدلال بأقوالهم وأفعالهم، ويظهر فيها الغلو الكبير في تعظيم أقوال وأفعال شيوخهم وأئمتهم حيث نصوا على طاعتهم طاعة مطلقة، دون تفريق بين طاعتهم فيما يحبه الله ويرضاه، وبين ما يغضب الله ورسوله ﷺ بل إن طاعتهم - عند كثير منهم - مقدمة على طاعة الله ورسوله ﷺ. كما عمد هؤلاء إلى الاكتفاء بنسبة القول أو الفعل إلى الشيوخ أو الأئمة ليتم إلباسه لبوس القداسة والتعظيم دون التحري عن صحة نسبته إليهم.

---

(١) السابق (ص: ٣٦).
(٢) أصول الكافي (١/ ٤٤١).
(٣) بحار الأنوار (٢٥/ ٣٤١-٣٤٢).
(٤) الأمالي. المفيد (ص: ٤٨)، وبحار الأنوار (٢٥/ ٢٧٩).

المطلب الرابع
المصادر العرفانية

تعد المصادر العرفانية واحدة من أبرز وأخص مصادر التلقي التي تتفق الصوفية والإمامية في سلوك سبيلها، والاعتراف بها حجة في الاستدلال على الأمور العقدية واليقينية، وهنا سأعرض بمشيئة الله معنى المصادر العرفانية، وأتناول بالشرح والبيان أفرادها المتمثلة في: الفلسفة الإشراقية، والكشف بأنواعه، وأقتصر في عرضها على ما كان منها ذو صلة بالفرقتين.

١- العرفان لغة واصطلاحاً:

العرفان لغة:

من عرف بالكسر معرفة وعرفاناً، والعرفان العلم، والعريف، والعارف بمعنى مثل عليم وعالم والجمع عرفاء، ورجل عارف، أي صبور، والعريف: القيم والسيد[1].

---

(١) انظر: الصحاح (٤/ ١٤٠٠)، ولسان العرب (٩/ ٢٣٦)، والقاموس المحيط (٣/ ١٧٣).

العرفان اصطلاحاً:

يطلق العرفان اصطلاحاً على المعرفة الحاصلة عن طريق المشاهدة القلبية لا بوساطة العقل، ولا بفضل التجربة الحسية[1].

ويعرف أيضاً بأنه: رؤية في الكون والوجود تستند في بنيتها المعرفية إلى المعرفة الوجدانية القلبية[2].

والعرفان يرادفه في اللغة اليونانية كلمة "غنوص" التي معناها: العلم بلا واسطة، الناشئ عن الكشف والشهود.

وبعد هذا التعريف الموجز للعرفان أعرض إجمالاً أقسامه، ومدى حجية الاستدلال بها عند الصوفية والإمامية.

أولاً: الفلسفة الإشراقية:

١- موقف الصوفية من الفلسفة الإشراقية:

يعدُّ السُّهروردي المقتول أول من تكلم من الصوفية في الفلسفة الإشراقية، وكان معظماً لأفلاطون.

وخلاصتها: أن من تَجَرَّد عن الملذات الجسمية، يتجلى له نور إلهي لا ينقطع مدده، وهو صادر ممن كان منا بمنزلة الأب، والسيد الأعظم للنوع الإنساني، وهو الذي يسمى بلغة الفلاسفة: العقل الفَعَّال.

ويتضح بهذا أن المعرفة عند الإشراقيين، لا تكتسب عن طريق البرهنة، أو البحث المجرد، بل من طريق سوانح نورانية من طريق الأدب المقدس.

---

(١) انظر: محاضرات في الأيديولوجية المقارنة. محمد تقي مصباح اليزدي. ترجمة: محمد الخاقاني (ص: ٢١).

(٢) انظر: العرفان الشيعي (ص: ٩).

وعلى هذا الأساس تقوم الفلسفة الإشراقية في مقابل الفلسفة المشائية[1]، فبينما تقوم الأولى على الكشف والذوق والإلهام، تقوم الثانية على البحث المجرد والتفكير النظري.

والفلسفة الإشراقية نتاج مزيج من الفلسفات المختلفة؛ كالغنوصية، ونظرية الفيض في الأفلاطونية المحدثة، ومن ديانات الفرس القديمة، ومذاهب الصابئة في الكواكب والنجوم[2].

٢- موقف الإمامية من الفلسفة الإشراقية:

اشتهرت أصفهان في القرن الثالث عشر الهجري بأنها معهد دراسات الحكمة، وخاصة حكمة الإشراق. وبرز من أعلام الفلسفة الإشراقية آنذاك كل من: مولى علي النوري، ومولى إسماعيل الدرب كوشكي، وملا هادي السبزواري الذي جاء في ترجمته أنه: "أستاذ العصر وفيلسوف الزمان، حكيم إلهي متأله إشراقي، انتهت إليه حكمة الإشراق في عصرنا... وكان هو على منهاج أستاذه العالم الرباني المتأله المولى علي النوري بأصفهان"[3].

ويقرر محمد تقي المدرسي فلسفة الإشراق بقوله: هي طريقة في التفكير تعتمد على الوجدان والفطرة.

وفي الواقع أثَّر فِكر السهروردي - وعلى مدى التاريخ - على علماء عدة، وغذيت فلسفة الإشراق بأفكار جديدة، لا سيما في الحلقات الشيعية وفي الشيعة

---

(١) الفلاسفة المشاؤون: هم أتباع أرسطو (ت: ٣٢٢ ق. م). ومن أشهر أتباعه من فلاسفة المسلمين: الفارابي (ت: ٣٣٩هـ)، وابن سينا (ت: ٤٢٨هـ)، وابن رشد الحفيد (ت: ٥٩٥هـ). ويقابلهم الفلاسفة الإشراقيون، كابن عربي، والسهروردي المقتول.

(٢) انظر: نشأة الفلسفة الصوفية (ص: ٢٠٩-٢١٢)، والمعجم الفلسفي (١/ ٩٣-٩٥).

(٣) بحر المعارف والأسرار من كلام الحكيم المتأله الحاج ملا هادي السبزواري. رضوان سعيد فقيه (ص: ٦).

الذين كانوا في إيران أثناء العهد الصفوي[١]؛ بسبب شرحهم أفكار ابن عربي، وبسبب خلط محمد بن أبي جمهور الأحسائي فلسفة الإشراق، وفلسفة ابن عربي، والتشيع بعضها مع بعض[٢].

وينقل المدرسي عن هنري كوربان قوله: (لا يمكننا اليوم أن نفصل بين تأثيرات السهروردي وتأثيرات المفكرين الشيعة ممن يشبهه، وفي طليعتهم ملا صدرا، وأتباعه)[٣].

ويعدد لنا حسن القبانجي طرق معرفة الله تعالى، وبعد أن يذكر الدليل الفطري والدليل النظري، يتطرق إلى الدليل الإشراقي فيعرفه بقوله: (دليل الإشراق وهو: أنَّ الإنسان متى خلصت نفسه من الشوائب، وانصرفت عن كل ما يشين، انعكست في قلبه معرفة الله سبحانه بدون استعمال النظر تماماً، كما ينعكس المثال في المرآة الصافية. والدليل الأول والثاني ينتقل بنا من العلم بالمسبب إلى العلم بالسبب، ومن العلم بالأثر إلى العلم بالمؤثر. والدليل الثالث بالعكس، ينتقل بنا من العلم بالسبب، والمؤثر إلى العلم بالمسبب والأثر. وهذا أعلى مراتب المعرفة. قيل للإمام علي رضي الله عنه: هل عرفت الله بمحمد، أو عرفت محمداً بالله؟ قال: (ما عرفت الله بمحمد، ولكن عرفت محمداً بالله)[٤]...)[٥].

(١) مؤسس الدول الصفوية شاه إسماعيل (١٥٠٠ - ١٥٢٤م) ادعى أنه منحدر من سلالة صوفية ترتقي إلى القرن الثالث عشر، فأخذ على عاتقه بجدية فرض العقيدة الشيعية في بلاد فارس من أقصاها إلى أدناها بثوبها الجديد وكان من نتائج ذلك العناية بالفلسفة وعلم الكلام. انظر: تاريخ الفلسفة الإسلامية. ماجد فخري (ص: ٤١٥).

(٢) وذلك من خلال كتابه " مرآة النور المنجي من الظلام " ويعرف باسم " مجلي مرآة المنجي ".

(٣) تاريخ فلسفة إسلامي (ص: ٢٩١) نقلاً من: العرفان الإسلامي. للمدرسي (ص ١٢٧).

(٤) الخبر كما رواه الصدوق وبتمام الكلام المنسوب للإمام علي رضي الله عنه: (ما عرفت الله بمحمد ﷺ، ولكن عرفت محمداً بالله تعالى حين خلقه، وأحدث فيه الحدود من طول وعرض، فعرفت أنه مدبر مصنوع باستدلال وإلهام منه، وإرادة كما ألهم الملائكة طاعته، وعرفهم نفسه بلا شبه، ولا كيف). التوحيد (ص: ٢٨٧).

(٥) شرح رسالة الحقوق، للإمام زين العابدين رحمه الله (ص: ٤١).

بل يصل الأمر بتقرير من الخميني أنَّ نسبة فلسفة الحكماء الذين ظهروا في الإسلام والمعارف الواردة على لسان أهل المعرفة إلى حكماء اليونان إنما هو من الجهل بكتب فلاسفة الإمامية كالشيرازي، وأستاذه الداماد، وتلميذه الفيض الكاشاني، وسعيد القمي... وغيرهم[1]!!

إذن فقد وجدت الفلسفة الإشراقية - الأفلاطونية - الأرض الخصبة لدى الإمامية مع تطويرها، وإعطائها الصبغة الشيعية، حتى أصبحت فلسفة مستقلة في حد ذاتها - كما قرر الخميني - لكونها مدخلاً لمصدر من مصادر التلقي في الاستدلال عندهم.

ثانياً: الكشف:

١ - موقف الصوفية من الكشف:

يعرف الكشف اصطلاحاً بأنه: الاطلاع على ما وراء الحجاب، من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية، وجوداً، وشهوداً[2].

وينسب إلى الرفاعي تعريفه للكشف بقوله: قوة جاذبية بخاصيتها نور عين البصيرة إلى فيض القلب[3].

وتعد الصوفية منهج الكشف من أرقى مناهج المعرفة، وطريقاً موصلاً إلى اليقين - عندهم - وهذا طرف من أقوالهم، في الكشف ومنهجيتهم فيه:

قال أبو القاسم القشيري: «قد درج أشياخ الطريق كلهم، على أن أحداً منهم، لم يتصدر قط للطريق، إلا بعد تبحره، في علوم الشريعة، ووصوله إلى مقام الكشف،

---

(١) انظر: التعليقة على الفوائد الرضوية، (ص ١٢).
(٢) انظر: معجم المصطلحات الصوفية (ص: ١٤٧).
(٣) انظر: الطبقات الكبرى للشعراني (ص: ٣١٣).

الذي يستغني به عن الاستدلال . . . فإن حجج القوم أظهر من حجج غيرهم، لتأيدها بالكشف»(١).

وقال داوود ابن ماخلا(٢): «لا تقنع قط بسمعت ورويت؛ بل شهدت ورأيت»(٣).

وقال أبو حامد الغزالي: «. . . الكشف باب الفوز الأكبر، وهو الفوز بلقاء الله تعالى»(٤).

ويقول ابن عربي: «ورب حديث يكون صحيحاً عن طريق رواته حصل لهذا الكاشف الذي عاين هذا المظهر فسأل النبي ﷺ عن هذا الحديث فأنكره وقال له: لم أقله ولا حكمت به فيعلم ضعفه فيترك العمل به على بينة من ربه، وإن كان قد عمل به أهل النقل لصحة طريقه وهو في نفس الأمر ليس كذلك»(٥).

وبالرجوع إلى الجزء الخاص بنماذج الكشف ستجد أن من أنواع الكشف الصوفي:

الأخذ عن الله مباشرة - علم الغيبات الخمس والنظر في اللوح المحفوظ - مخاطبة الرسول والأخذ عنه يقظة لا مناماً - الأخذ عن جبريل - الإخبار بوقت الموت - العلم بخائنة الأعين - العلم بما تخفي الصدور - العلم بما في أصلاب الرجال وما تخفي

---

(١) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية. عبد الوهاب الشعراني. حققه وقدم له: طه عبد الباقي سرور (١/ ٦٣).

(٢) هو داود الكبير بن ما خلا، شيخ محمد وفا الشاذلي، كان شرطياً في بيت الوالي بالإسكندرية. انظر: طبقات الشعراني (١/ ١٨٨).

(٣) طبقات الشعراني (١/ ١٩٩).

(٤) إحياء علوم الدين، تصنيف: أبي حامد محمد الغزالي، وبذيله كتاب المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، للعلامة زين الدين العراقي (٣/ ١٤).

(٥) الفتوحات المكية. ابن عربي (١/ ٤٠٠).

الأرحام- العلم بقدر الناس عند الله ومصيرهم في الآخرة- الكتب السماوية التي تتنزل على بعض أولياء الصوفية[1].

وعن طريق هذا الكشف يزعمون أنهم يستطيعون تأويل الأحاديث والتمييز بين الصحيح منها والضعيف دون ما حاجة إلى الرجوع إلى دواوين السنة ورواتها.

هذه هي حال الصوفية أو أهل الحقيقة والباطن باسم الكشف وعلم الباطن يعطون أنفسهم الحق في الحكم على أحاديث الرسول وتأويلها وتمييز الصحيح منها والضعيف. . وباسم الكشف يعطون لأنفسهم الحق في تأويل آيات الله وفقاً لأهوائهم.

٢ - موقف الإمامية من الكشف:

وأما بالنسبة لموقف الإمامية من الكشف ومدى حجيته في الاستدلال فقد رووا عن الإمام الرضا أنه قال: "إن العبد إذا اختاره الله عز وجل لأمر عباده شرح لذلك صدره، وأودع قلبه ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهاماً، فلم يعي بعده بجواب، ولا يحير فيه عن الصواب، فهو معصوم مؤيد، موفق مسدد، قد أمن من الخطايا والزلل والعثار، يخصه الله بذلك ليكون حجته على عباده، وشاهده على خلقه"[2].

ويقرر جعفر السبحاني الطرق التي اتبعها اختلاف الحكماء، والمتكلمين لمعرفة صفات الله تعالى[3]، والذي يهمنا التطرق إليه منها هو الطريق الرابع وهو طريق الكشف والشهود الذي يقول فيه: (هناك ثلة قليلة يشاهدون بعيون القلوب ما لا

---

(١) انظر: نقض الصوفية (ص: ٣٢-٧٣) وقد ذكر هذه الأنواع بأدلتها ومصادرها الصوفية.

(٢) أصول الكافي (١/ ٢٠٢).

(٣) الطريق الأول: الطريق العقلي، والطريق الثاني: المطالعة في الآفاق والأنفس وذلك من خلال الطرق، والأصول التي يمكن التعرف بها إلى صفات الله، مطالعة الكون المحيط بنا، والطريق الثالث: الرجوع إلى الكتاب والسنة الصحيحة. انظر: محاضرات في الإلهيات، تلخيص: علي الرباني الكلبايكاني (ص: ٨٠ - ٨٤).

يدرك بالأبصار، فيرون جماله وجلاله وصفاته وأفعاله بإدراك قلبي، يدرك لأصحابه ولا يوصف لغيرهم، والفتوحات الباطنية من المكاشفات أو المشاهدات الروحية والإلقاءات في الروع غير مسدودة بنص الكتاب العزيز. قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩]، أي يجعل في قلوبكم نوراً تفرقون به بين الحق والباطل، وتميزون به بين الصحيح والزائف، لا بالبرهنة والاستدلال بل بالشهود والمكاشفة)[١].

ويستدل المظاهري[٢] على التوسل بأهل البيت بمكاشفة حصلت للمجلسي من قوله الذي استشهد به: (ذهبت إلى النجف، وأردت الذهاب إلى الحرم، فرأيت نفسي غير متهيئ ومستعد للزيارة!! ولهذا صممت أن أشتغل بالعبادة فترة من الزمان حتى أجد في نفسي العلاقة مع الولاية، فكنت أجيء في الليالي وأشتغل بالعبادة في الرواق المطهر، وفي النهار أذهب إلى وادي السلام وأشتغل بالعبادة في مقام القائم رضي الله عنه. فأتممت عشرة أيام، فرأيت في عالم الكشف والشهود أني في سامراء، ورأيت نفسي عند قبر الإمام الهادي والإمام العسكري - عليهما السلام - وكان الإمام صاحب الزمان رضي الله عنه هناك. وحينما وقعت عيني عليه - سلام الله عليه - حتى أخذت أقرأ له الزيارة الجامعة. فقال لي الإمام: تقدم إلى هنا، فذهبت إليه، فوضع يده على عاتقي وقال: (نِعْمَ الزيارة هذه) ثم يقول: وانتهت المكاشفة هكذا)[٣].

---

(١) محاضرات في الإلهيات، (ص ٨٤).

(٢) هو حسين المظاهري، ولد في أصفهان عام ١٣٥١هـ، ودخل الحوزة عام ١٣٦٥هـ واشتغل بدراسة الأدب، ثم الفلسفة. من مصنفاته: سيرة حياة المعصومين الأربعة عشر، وعلى شاطئ فجر الإخلاص، ودراسات في الأخلاق وشؤون الحكمة العلمية. وغيرها من المصنفات. انظر ترجمته على هذا الرابط: http://www.alsada.net/maw/page.php?id=142.

(٣) الفضائل والرذائل الأخلاقية، والتأمل في الآيات الإلهية. المظاهري (ص: ١٤٦ - ١٤٧).

وسبق معنا في الحديث عن الأخبارية أن أتباع الكشفية يعتقدون أنَّ شيخهم الكامل يتلقى عن الأئمة عن طريق الكشف والإلهام.

ويحصل الكشف للصوفي والإمامي من طرق كثيرة أقتصر على ما كان منها مشترك بينهما على النحو التالي:

أ - **حصول الكشف للصوفي عن طريق الإلهام:**

المراد بالإلهام عند الصوفية: ما وقع في القلب من علم يدعو إلى العمل من غير استدلال بآية، ولا نظر في حجة[1]. وقد يسمى الإلهام بالعلم اللّدنيّ.

ويرى بعض الصوفية، أن لا فرق، بين وحي الأنبياء، وإلهام الأولياء، إلا أن النبي يرى المَلَك، الذي يحمل الوحي.

يقول الغزالي: «ولم يفارق الوحي الإلهام في شيء، بل في مشاهدة المَلَك المفيد العلم، فإن العلم إنما يحصل في قلوبنا، بواسطة الملائكة»[2].

وقد رد بعض الصوفية، على من أنكر الإلهام، أو قول الصوفي حدثني قلبي عن ربي، بقولهم: «لا إنكار؛ لأن المراد، أخبرني قلبي عن ربي، من طريق الإلهام، الذي هو وحي الأولياء»[3].

ب - **حصول الكشف للإمامي عن طريق الإلهام:**

يعرف الإمامية الإلهام بقولهم: ما يلقى في القلب بطريق الفيض فلا يجب إسناده واستناده إلى المعرفة بالنظر في الأدلة، ويقال لما يقع في النفس من عمل الخير: إلهام، ولما يقع من الشر وما لا خير فيه: وسواس، ولما يقع من الخوف: إيحاش: ولما يقع

(١) التعريفات (ص: ٣٥).

(٢) الإحياء (٣/ ٢١).

(٣) الفتوحات المكية (١/ ٣٥٨).

من تقدير نيل الخير: أمل ولما يقع من التقدير الذي لا على الإنسان ولا له: خاطر[1].

ويؤكد عبد الهادي الفضلي مصدرية الإلهام إذ يقول: (وعدَّه بعضهم - كما رأينا سابقاً - من أنواع الوحي. وعدّ في رأي آخرين رافداً معرفياً مستقلاً. وكيفما كان الأمر، فالإلهام مصدر آخر من مصادر المعرفة كالوحي)[2].

وعند الإمامية يتحقق العلم للأئمة من طريقين: علم حادث وهذا يتحقق عن طريق الإلهام وغيره ويدعونه: النكت في القلوب، والعلم الآخر هو المستودع عندهم ورثوه عن الرسول، والأئمة قبلهم.

ويركز الإمامية على الإلهام المختص بالأئمة الإثني عشر فقد رووا عن النبي محمد ﷺ أنه قال: (أعطاني الله تبارك وتعالى خمساً، وأعطى علياً خمساً: أعطاني جوامع الكلم، وأعطى علياً جوامع العلم، وجعلني نبياً، وجعله وصياً، وأعطاني الكوثر، وأعطاه السلسبيل، وأعطاني الوحي وأعطاه الإلهام، وأسرى بي إليه، وفتح له أبواب السماوات والحجب حتى نظر إلى ما نظرت إليه. . .)[3].

وروى الكليني بسنده عن أبي عبد الله أنه قال: علمنا غابر ومزبور، ونكت في القلوب، ونقر في الأسماع، فقال: أما الغابر فما تقدم من علمنا، وأما المزبور فالعلم فيما يأتينا، وأما النكت في القلوب فإلهام، وأمَّا النقر في الأسماع فأمر الملك)[4].

---

(١) انظر: رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين، لعلي خان المدني الشيرازي. تحقيق: محسن الحسيني الأميني (١/ ٣١٨ - ٣١٩).

(٢) أصول البحث. عبد الهادي الفضلي (ص: ٣٢).

(٣) الخصال. للصدوق (ص: ٢٩٣)، وبحار الأنوار (١٦/ ٣٢٢).

(٤) أصول الكافي. للكليني (١/ ٢٦٤)، وكتاب الحجة. باب جهات علوم الأئمة - عليهم السلام -. قال المجلسي: (حديث ضعيف على المشهور)، مرآة العقول، (٣/ ١٣٨).

وبلفظ آخر رواه الطبرسي عنه: (علمنا غابر ومزبور، ونكت في القلوب، ونقر في الأسماع، وإن عندنا الجفر الأحمر، والجفر الأبيض، ومصحف فاطمة - عليها السلام -، وعندنا الجامعة فيها جميع ما تحتاج الناس إليه)، فسئل عن تفسير هذا الكلام فقال: (أما الغابر فالعلم بما يكون، وأما المزبور فالعلم بما كان، وأما النكت في القلوب فهو الإلهام، وأما النقر في الأسماع فحديث الملائكة - عليهم السلام - نسمع كلامهم، ولا نرى أشخاصهم)[1].

وقيل لأبي عبد الله: إذا سئلت كيف تجيب؟ قال: (إلهام وسماع، وربما كانا جميعاً)[2].

كما أن الإلهام عند الإمامية يحصل للأشخاص الذين علاقتهم بربهم قوية ومحكمة يمتلكون الكثير من هذه الخواطر. أي أنَّ الملائكة تلقي الحقيقة في قلب ذلك الشخص، وينمو الخطور في الذهن، وبطريقة لا يشعر فيها بذلك ولا يرى الملائكة - حسب قولهم -.

ج - حصول الكشف للصوفي عن طريق الرؤى المنامية:

يعتمد الصوفية على الرؤى المنامية في حصول الكشف، وقد عقد القشيري لها باباً في رسالته، قال: باب رؤيا القوم، وكذلك فعل الكلاباذي في «التعرف»، قال: الباب السبعون: تنبيهه إياهم في الرؤيا ولطائفها، وساقا تحتهما جملة من الحكايات[3].

---

(١) الاحتجاج (٢/ ١٣٤)، وانظر أيضاً: بحار الأنوار (٢٦/ ١٨).
(٢) أمالي الطوسي. للطوسي (ص: ٤٠٨).
(٣) انظر: الرسالة القشيرية (٢/ ٧١٤-٧٣٠)، والتعرف لمذهب أهل التصوف (ص: ١٥٣-١٥٥).

وقال أحمد بن إدريس[1]: "من رأى النبي ﷺ فقد رآه حقاً، وإن كان على غير صورته. . . وإذا أمره، أو نهاه عن نهي فإن كان في الصورة المنعوت بها ﷺ فما أمره به في النوم، كأمره في اليقظة، وأنه يتبع، وكذلك ما نهى عنه. . . "[2].

وقلَّ أن تقرأ كتاباً من كتب التصوف ولا تجد فيه ذكر الأحلام والرؤى، ومنها يتلقون الأمر بالزواج أو التصنيف للكتب، أو ينزجرون عن مخالفة كادوا أن يقعوا فيها، وعلى ذلك فقس. والطريق الموصل إليها عندهم هما: الخلوة، والمداومة على الذكر[3].

د - حصول الكشف للإمامي عن طريق الرؤى المنامية:

تظهر مدى حجية الرؤى المنامية في الاستدلال عند الإمامية باعتبار حال الرائي وهل هو معصوم أم لا؟ وهل هو حجة يجب العمل به، والالتزام بدلالته له ولغيره على أحوال هي:

- إن كان الرائي أحد الأئمة المعصومين - عندهم -، فقد ذهب جمهور الإمامية إلى صدق رؤيا المعصوم وصحتها، وأنها صادرة من الوحي الإلهي، فهو حجة شرعية يجب العمل به والالتزام بدلالته، ولا يمكن التشكيك ولا النقاش في القطع الحاصل لدى المعصوم، أو في مقدماته؛ لأنه يمثل اتصالاً بالوحي، والارتباط

(١) أحمد بن إدريس هو: صاحب الطريقة الإدريسية الشهيرة. زعم أنه التقى النبي ﷺ يقظة، وعنه أخذ أوراده. كان آخر مقامه بصبية من مدن جازان، وتوفي بها سنة: ١٢٥٣هـ. انظر: الأعلام (١/ ٩٥).

(٢) سعادة الدارين (ص: ٤٦٩) نقلاً عن المصادر العامة للتلقي عند الصوفية. صادق سليم صادق (ص: ٣١٠).

(٣) انظر: ولاية الله والطريق إليها. إبراهيم إبراهيم هلال (ص: ١٦١).

بالسماء، وإن لم يكن بصورة مباشرة، وخصوصاً إن رأى مناماً يخبر فيه عن قضية ما ترتبط بالواقع، وتكشف عن الغيب، فهو يعتبر ذلك من الإلهام، وإخبار من قبل الله تعالى، فيصح أنْ يخبر عنها على نحو القطع واليقين، وهي بهذا المعنى تدخل في البحث الفقهي إذ يعتبر إخباراً عن الله، فيجري عليه الأحكام التكليفية من الحرمةِ والوجوبِ وغيرهما[1].

فقد رووا عن رسول الله ﷺ أنه قال: (من رآني في منامه فقد رآني؛ لأن الشيطان لا يتمثل في صورتي، ولا في صورة أحد من أوصيائي، ولا في صورة أحد من شيعتهم، وإن الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزءاً من النبوة)[2].

- وإنْ كان الرائي ممن حسنت سيرته الدينية والعلمية والخلقية كأحد العلماء أو الفضلاء. فقد ذهب الإمامية في اعتبار حجيتها إلى ثلاثة أقوال، لعل أشهرها القول بإطلاق حجيتها على الرائي وغيره من الناس تأثراً بالصوفية، ولكن منها ما هو حق عندهم، ومنها ما هو باطل، فعلى سبيل المثال: إنْ رأى المرء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يأمره بالاقتداء به دون غيره، ويخبره بأنَّه الخليفة بعد الرسول ﷺ، وأنَّ أبا بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم قد اغتصبوا الخلافة منه وهم أعداؤه، وينهاه عن موالاتهم، ويأمره ببغضهم وسبهم... ونحو ذلك بما يوافق مذهب الإمامية؛ فهو حق.

(١) انظر: منامات المعصومين رؤية عقائدية، فقهية، تاريخية. لمحمد حسن القبانجي (ص: ٨ - ٩).

(٢) الأمالي. للصدوق (ص: ١٢١). لم يرد هذا الحديث عند أهل السنة بهذا اللفظ، فالثابت عن النبي ﷺ ما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: (... من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)، رواه البخاري في صحيحه حديث رقم ١١٠، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ. وما ورد عن أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة) رواه البخاري أيضاً في صحيحه. حديث رقم: (٦٥٨٨) كتاب التعبير. باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة.

وإنْ كان العكس كأنْ يأمره بمحبة أبي بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم وموالاتهم، ويخبره بأنَّهم خلفاء رسول الله ﷺ، وأنهم أصحابه في الدنيا والآخرة، وينهاه عن بغضهم وسبهم. . . ونحو ذلك بما يخالف مذهب الإمامية؛ فهو باطل[1].

يقول المفيد: (أولى الأشياء أن يكون الحق منها ما ثبت بالدليل في اليقظة على صحة ما تضمنه، والباطل ما أوضحت الحجة على فساده وبطلانه)[2].

---

(١) انظر: الحدائق الناضرة. للبحراني (٢/ ٢٧٦).

(٢) نقله أبو الفتح الكراجكي في كنز الفوائد (ص ٢١٣)، ويوسف البحراني في الحدائق الناضرة (٢/ ٢٧٦).

الفصل الثاني

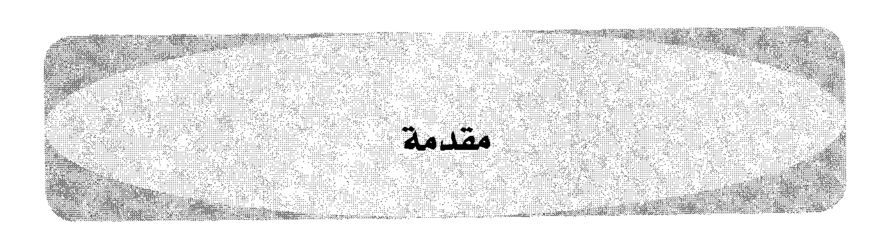
اتجاهات أعلام الصوفية والإمامية ومفكريهما من العلاقة بين الفرقتين

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: اتجاهات أعلام الصوفية ومفكريها في القديم والحديث.

المبحث الثاني: اتجاهات أعلام الإماميةومفكريها في القديم والحديث.





أقصد بمصطلح القديم هنا: الفترة الزمنية ما بين نشأة التصوف باعتباره اللاحق لنشأة التشيع، وحتى قيام الثورة الإسلامية في إيران.

وأما مصطلح الحديث: فأريد به الفترة الزمنية من إعلان قيام جمهورية إيران الإسلامية (في الحادي والثلاثين من آذار سنة ١٩٧٩م)، وحتى وقتنا الحالي. وقد جاء هذا التصنيف إبرازاً لجانب المعاصرة الذي ارتبطت به هذه الدراسة، ووسمت به.

ولا شك في أن العلاقة بين الصوفية والإمامية انتابتها موجات التأييد والمعارضة في مختلف الأعصار، ولذا سأعرض نماذج من ذلك.

المبحث الأول
اتجاهات أعلام الصوفية ومفكريهما في القديم والحديث

المطلب الأول
الاتجاه القائل بإنكار العلاقة بين الفرقتين، وأبرز أعلامه

إن أول ما يتبادر إلى الأذهان عند تناول هذا الاتجاه ما صنفه ابن حجر الهيتمي (ت: ٩٧٣هـ)[١] في الرد على الشيعة، وهو كتابه: (الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة) وفي الكتاب ذكر أنه سيتلى فيه ما يعلم منه علماً قطعياً بأن

---

(١) كتب عبد الحميد عبد المعز الجزار كتاباً بعنوان: "ابن حجر الهيتمي" وأفرد الفصل السادس منه للحديث عن ابن حجر الهيتمي الصوفي (ص: ٥٥) وما بعدها، وذكر في تصوفه جوانب عدة منها: إقرار الهيتمي بكرامات الصوفية، ودعواهم الإلهام، وأن لا ينتقد على السادة الصوفية ويسلم لهم أحوالهم.

وذكر محمد الشايع في كتابه: "آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية" في تصوفه (ص: ٧٢٩) أموراً منها: تفضيله ذكر الله بالاسم الظاهر على الذكر بـ: لا إله إلا الله، وتجويزه صرف بعض العبادات لغير الله، وتقريره جواز شد الرحال لمجرد زيارة قبر النبي ﷺ والتوسل به، والقول بجواز تجصيص القبور والكتابة عليها، والقول برؤية الرسول ﷺ يقظة، ونحو ذلك. وانظر للاستزادة: الفتاوى الحديثية للهيتمي (ص: ٢١٥-٢١٧)، ونقض الصوفية (ص: ٢٢٦، ٢١).

الرافضة والشيعة ونحوهما من أكابر أهل البدعة، ووصفهم في مواطن أُخر بالشرك وإطلاق اللعنة عليهم.

وأثبت صحة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وأفضليتهم على علي رضي الله عنهم أجمعين وسرد مئات الأدلة النقلية والعقلية الدالة على ذلك. وأجاب عما سماه بجهالات الشيعة، واستهلك هذا الأمر قدراً كبيراً من مصنفه.

ومما عني به الكتاب بيان فضل الصحابة رضي الله عنهم وإنكار القول بسبهم، وشنع بمن يقع في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على وجه الخصوص.

كما حذر أن يشغل يوم عاشوراء ببدع الرافضة من الحزن والنياحة إذ ليس ذلك من أخلاق المؤمنين. إلى غير ذلك من الأمور التي انبرى لها الهيتمي بالرد على الرافضة وبيان موقف أهل السنة - بالمفهوم العام- من تلك المسائل التي عرض لها. وإن كان الهيتمي لا يصنف ضمن فلاسفة الصوفية الباطنية الغلاة.

وكنت أظن أن هذا الكتاب هو الوحيد في بابه مما صنفه الصوفية في الرد على الشيعة خلال ثلاثة عشر قرناً، وقد يحكم على أمثال هذا بالغرابة والشذوذ[1]. وظل الأمر كذلك حتى وقعت يدي على رسالة عنوانها: "الأساليب البديعة في فضل الصحابة وإقناع الشيعة" مطبوعة ضمن كتاب: "شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق" كلاهما ليوسف بن إسماعيل النبهاني (ت: ١٣٥٠هـ)، وفي هذه الرسالة عرض المؤلف لتعريف الصحابي، ونقل عبارات أكابر العلماء من أئمة المذاهب الأربعة في بيان فضلهم وعظيم منزلتهم، ثم قال مشنعاً بمذهب الشيعة في الصحابة: "فقد علمت أن أصل الفضلين فضل الذرية، وفضل الصحابة هو رسول الله ﷺ،

---

(١) يجب الأخذ في الحسبان أن أهل السنة والجماعة ألفوا في هذه الفترة مئات الكتب والرسائل العلمية التي ترد على الإمامية، وتبين مواضع الخلل في عقائدهم.

وهما فرعان عن أصل واحد، فمهما حصل لأحدهما من مدح أو ذم لا بد وأن يتعدى إلى الآخر فلعنة الله على من فرق بينهما بولاء بعضهم ومعاداة البعض، فإن من عادى أحدهما لم ينفعه ولاء الآخر وكان عدو الله ورسوله"[1]، وقال أيضاً: "أما الروافض فهم ما بين كافر وفاسق، لأنهم رفضوا موالاة كثير من الصحابة رضي الله عنهم، والكافر منهم من يطعن السيدة عائشة أم المؤمنين، وينكر صحبة أبيها رضي الله عنه"[2].

ثم عقد النبهاني قسماً خاصاً في الاحتجاج على فضل الصحابة ولاسيما الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ورؤساء الأصحاب الذين خالفوا علياً، وهم: طلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهم أجمعين، وختم رسالته بذكر جملة حكايات ومنامات تدل على فضل الصحابة، وسوء عاقبة الروافض الذين يبغضونهم.

كما أن هناك عبارات لبعض أعلام الصوفية يعلنون من خلالها موقفهم الرافض للتشيع، ومنها: قول الإسفراييني (ت:٤٧١هـ): "وسادسها علم التصوف والإشارات وما لهم فيها من الدقائق والحقائق، لم يكن قط لأحد من أهل البدعة فيه حظ، بل كانوا محرومين مما فيه من الراحة والحلاوة والسكينة والطمأنينة، وقد ذكر أبو عبد الرحمن السلمي من مشايخهم قريباً من ألف، وجمع إشاراتهم وأحاديثهم، ولم يوجد في جملتهم قط من ينسب إلى شيء من بدع القدرية والروافض والخوارج، وكيف يتصور فيهم من هؤلاء وكلامهم يدور على التسليم والتفويض والتبري من النفس والتوحيد بالخلق والمشيئة..."[3].

---

(١) شواهد الحق. يوسف النبهاني (ص:٤٨٨).
(٢) السابق (ص:٤٩١).
(٣) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين (١/ ١٩٢).

وقد جاء ضمن سيرة إمام وشيخ الطائفة النقشبندية: بهاء الدين الجامي النقشبندي (ت: ٧٩١) أنه كان شديداً على المنحرفين، وأنه صبغ الطريقة بصبغة جديدة ليرد على الانحرافات الشيعية باسم التصوف، حتى كاد له الشيعة ولفقوا عليه التهم[١].

أما في العصر الحديث فلم أقف على ما هو مؤلف أو مسموع للصوفية في الإنكار والتحذير من الإمامية إلا على الشيء اليسير جداً، في حين صحب هذه الندرة سيل من المؤلفات والأقوال تصل إلى حد الموسوعات وتتسم بالتشنيع والغلظة على أهل السنة والجماعة المتبعين لمنهج السلف الصالح، ووسمهم بألفاظ يقصد بها التنقص من مثل: الوهابية، وعدم محبة رسول الله ﷺ وأولياء الله، ونحو ذلك.

ولكن من باب الإنصاف أثبت هنا ما اطلعت إليه – حسب جهدي- من موقف إنكار الصلة بين الفرقتين عند بعض الصوفية المعاصرين، حيث نجد تعليق الباحث محمود مصطفى في كتابه: "علم التصوف" بأن الشيبي في كتابيه اعتاد المبالغة المفرطة في تلمس وجوه الشبه بين التصوف والتشيع إلى حد الإغراب[٢]. وقال أيضاً: "ولذلك لم يكن صحيحاً القول بأن مجرد المشابهة بين وسائل التصفية الإسلامية وبين غيرها في الملل وألوان الغنوص المختلفة كاف للحكم بأخذها عن هذه المصادر، وإلا لأدى الأمر إلى القول بأن الإسلام أخذها عن غيره.. "[٣].

وأما شيخ الطريقة العلية النقشبندية – المعاصر في مصر-: محمد نجم الدين الكردي فقد بذل جهداً استغرق صفحات عدة لينكر فيه ما أسماه باتهام التصوف بالتشيع، وأودعه مؤلفه: "الدلائل العالية أسئلة وأجوبة في التصوف وطريقة السادة النقشبندية"، ومما جاء فيه قوله: "جنح البعض إلى هذا الاتهام، وزعموا أن هناك

(١) انظر: التعريف بالجامي في أول كتاب نفحات الأنس، طبعة: الأزهر.
(٢) انظر: علم التصوف (ص: ١٤٥-١٤٦).
(٣) السابق (ص: ٢٣٢).

صلة ما بين التصوف والتشيع، أو بالأحرى: إن التصوف متأثر بالتشيع بل هو من أيادي الشيعة الخفية في المجتمع السني. وهؤلاء ممن يغترون بالظواهر ويتمسكون بما يقال عن وجوه الشبه بينهما، ولا يفطنون إلى الحقائق التي تبرز الفروق الأساسية التي تجعل التصوف في واد والتشيع في واد آخر يناقضه.."[1]. ثم شرع المؤلف في بيان وجوه الاختلاف بين التصوف والتشيع في أبواب: العقيدة، والشريعة، والموقف من أئمة آل البيت وصحابة رسول الله ﷺ، كما أفرد الحديث عن الفرق بين التصوف السني والعرفان الشيعي، وأنكر ما ذهبت إليه الإمامية من مذهب التقية، والقول بالظاهر والباطن، وعصمة الأئمة، والغلو في محبتهم، ونحو ذلك[2].

ونجد في هذا الاتجاه شيوخ الأزهر الذين يكثر فيهم التصوف قد حذروا من التشيع، وأصدروا بعض الفتاوى في بيان حقيقته وخطره، وقد سبقت الإشارة في مقدمة البحث إلى بعض جهود مجمع البحوث الإسلامية في رصد التقارير حول الاختراق الشيعي للطرق الصوفية في مصر، وبيان دور المجمع في مواجهة النشاط الشيعي بمصادرة الكتب والمجلات الشيعية.

وفي كتاب: "بيان للناس من الأزهر الشريف" الذي أصدره الأزهر تحت إشراف الشيخ جاد الحق علي جاد الحق - شيخ الأزهر الأسبق- حيث ورد في هذا الكتاب التحذير من بعض أصول الشيعة الإمامية الإثني عشرية، كتكفير الصحابة ولعنهم، وادعاء أن القرآن الموجود في المصاحف الآن ناقص، ورفض كل رواية تأتي من غير أئمتهم، والقول بالتقية، والبداء، وتعطيل الجمعة والجهاد لغيبة الإمام... إلخ[3].

---

(١) الدلائل العالية (ص: ١٦٧-١٦٨).

(٢) انظر: السابق (ص: ١٦٩-٢٠٧).

(٣) انظر: بيان للناس من الأزهر الشريف (٢/ ١٣-١٥) نقلاً عن: عقيدة الشيعة في صحابة رسول الله ﷺ وأهل السنة والجماعة. دندل جبر (ص: ١٤١-١٤٢).

وعلى الشبكة العالمية (الإنترنت) فقد خصصت منتديات رباط الفقراء إلى الله الصوفية على موقعها الإلكتروني ساحة للرد على: "شبهات الرافضة وأدعياء التشيع لآل البيت الشريف"، وفي هذه الساحة تم التركيز على فضل الصحابة، وبالأخص الخلفاء الراشدين، وأمهات المؤمنين، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم أجمعين.

كما تناولت موضوعات هذه الساحة رفض العلاقة بين التصوف والتشيع، والتحذير من الاختراق الشيعي للطرق الصوفية، وكشفت العديد من وسائل نشر التشيع في العالم[1].

ولقد خصصت منتديات سفينة النجاة، والحوار الإسلامي - وهما من أكبر المواقع الصوفية على الشبكة العالمية- أقساماً للرد على الشيعة. وكذلك منتدى الصوفية فيه قسم الحوار العلمي والرد على شبهات الشيعة.

---

(١) انظر الرابط: ttp://www.rubat.com/phpbb/viewforum.php?f=58&s

المطلب الثاني
الاتجاه القائل بوجود العلاقة بين الفرقتين، وأبرز أعلامه

عرض طائفة من الصوفية لأهل البيت، ونسبوهم للتصوف، وأنهم من أئمتهم، وأساس في طريقتهم، ورأس في مذهبهم، ومنتهى لعلومهم وأحوالهم. وأول هؤلاء الأئمة أبو الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ذكره الصوفية في طبقاتهم ومؤلفاتهم على أنه من أئمتهم في المذهب، ومن رجال التصوف الأوائل. فذكره السراج الطوسي، وأبو بكر الكلابادي، وأبو نعيم الأصبهاني، وعلي بن عثمان الهجويري، وعبد الوهاب الشعراني، وأبو الفيض محمود المنوفي[1].

قال الهجويري: (علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو ابن عم المصطفى، وغريق بحر البلاء، وحريق نار الولاء، وقدرة الأولياء والأصفياء أبو الحسن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

---

(١) انظر: اللمع (ص:١٧٩)، والتعرف لمذهب أهل التصوف (ص:٣٦)، وحلية الأولياء (١/ ٦١)، وكشف المحجوب (١/ ٢٧٣)، والطبقات الكبرى للشعراني (١/ ١٩)، وجمهرة الأولياء (٢/ ٢٧).

وله في هذه الطريقة شأن عظيم، ودرجة رفيعة. وكان له حظ تام في دقة التعبير عن أصول الحقائق إلى حدّ أن قال الجنيد رحمه الله: شيخنا في الأصول والبلاء علي المرتضى رضي الله عنه. أي أن علياً رضي الله عنه هو إمام هذه الطريقة في العلم والمعاملة، فأهل الطريقة يطلقون على علم الطريقة اسم الأصول، ويسمون تحمل البلاء فيها بالمعاملات)[1].

ونقل الطوسي عن علي رضي الله عنه أشياء وقال بعدها: (ولعلي رضي الله عنه أشباه في ذلك كثير من الأحوال والأخلاق والأفعال التي يتعلق بها أرباب القلوب وأهل الإشارات وأهل المواجيد من الصوفية)[2].

وذكروا عن الجنيد أيضاً أنه قال عن علي رضي الله عنه: "لولا أنه اشتغل بالحروب لأفادنا من علمنا هذا معاني كثيرة، أو ما يقوم به القلوب"[3].

وكتب الصوفية مليئة بالنصوص التي تظهر الغلو فيه، وفي علمه وأحواله وأوصافه، والانتساب إليه في الطريقة والنسب، وأن الله خصه بالعلوم والأسرار شأنهم في ذلك شأن الإمامية، وسائر فرق الباطنية.

ومنهم: محمد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم الملقب بالباقر والمعدود خامس الأئمة الاثني عشر. ذكره أبو بكر الكلاباذي على أنه من رجال التصوف، ممن نطق بمعلومهم، وعبَّر عن مواجيدهم، ونشر مقاماتهم، ووصف أحوالهم قولاً وفعلاً. وقد عده من رجال التصوف كل من أبي نعيم الأصبهاني، وترجم له، وقال إنه تكلم في العوارض والخطرات الصوفية[4]، والشعراني، وأبو الفيض المنوفي وقال

---

(١) كشف المحجوب للهجويري (١/ ٢٧٣، ٢٧٤).
(٢) اللمع (ص: ١٨٢).
(٣) اللمع (ص: ١٧٩).
(٤) انظر: التعرف لمذهب أهل التصوف (ص: ٣٦)، وحلية الأولياء (٣/ ١٨٠).

عنه: إنه تكلم في الأحوال والخطرات. وأما متصوفة الشيعة فقد ذكروه أيضاً على أنه من رجال التصوف[1].

وقال المنوفي أيضاً: "وكان من أوائل أهل الطريق بعد الصحابة علي بن الحسين (زين العابدين)، وابنه محمد بن علي (الباقر)، وابنه جعفر بن محمد (الصادق). وذلك بعد علي والحسن والحسين رضي الله عنهم جميعاً"[2].

ومن هؤلاء الأعلام جعفر بن محمد الباقر، الملقب بالصادق، ذكره أبو بكر الكلاباذي أنه من رجال التصوف.

وعدّه أبو نعيم الأصبهاني من رجال التصوف. وذهب الهجويري إلى أن الإمام الصادق من أئمة الصوفية، ووصفه بجمال الطريقة.

كما ترجم له وعدّه من رجال التصوف عبدالوهاب الشعراني، وأبو الفيض المنوفي. ونسبوا إليه شيئاً كثيراً من الأقوال والأفعال والأحوال التي هي من أصول مذهب المتصوفة. فجعلوه ممن التزم لبس الصوف، ونقلوا أنه كان يلبس الصوف على جسده ثم يخفيه بكساء من خز، ويقول معللاً فعله -فيما نسبوه إليه-: «لبسنا هذا لله، وهذا لكم، فما كان لله أخفيناه، وما كان لكم أبديناه»[3].

ويقول كامل مصطفى الشيبي الشيعي عن موسى بن جعفر الصادق، الملقب بالكاظم: "والمهم أن الكاظم كان زاهداً يروي عنه الصوفية أخباراً تناسب مشربهم،

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٣٢)، وجمهرة الأولياء (٢/ ٧٤)، وتذكرة الأولياء (٢/ ٢٦٦).

(٢) جمهرة الأولياء (١/ ١٦٣).

(٣) انظر: التعرف لمذهب أهل التصوف (ص: ٣٦)، وحلية الأولياء (٣/ ١٩٢-١٩٣)، وكشف المحجوب (١/ ٢٨٣)، والطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٣٢)، وجمهرة الأولياء (٢/ ٧٥).

وكانوا في ذلك الحين يؤسسون قواعد التصوف ويطورون الزهد الصوفي إلى صور التصوف العميقة"[1].

وأما غير هؤلاء الأئمة فقد سبقت الإشارة إلى أن أوائل الصوفية الذين ظهر وصف التصوف مقترناً بأسمائهم ولأول مرة في حياة المسلمين كان منهم: جابر بن حيان الكوفي (ت: ٢٠٨هـ)، الذي يذكر في صلته بالإمامية أنه تتلمذ على يد الإمام الصادق، وقد ألف في التشيع: "رسائل جعفر الصادق"، و"رسالة في الإمامة"، وذكره الإمامية في مصنفاتهم وطبقاتهم، ووصفوه بالتصوف والتشيع، مع تعظيمه وإجلاله[2].

والآخر هو: عبد الكريم الصوفي -المشهور بعبدك- (ت: ٢١٠هـ) الذي كان -كما وصف- رأساً غالياً في التشيع، ورأساً غالياً في التصوف[3].

وذهب بعض الباحثين إلى أن جابر وعبدك هما في الحقيقة من الشيعة ولكنهما تظاهرا بالتنسك والزهد والعبادة تلبيساً على عوام المسلمين، وليتمكنا من نشر دعوتهما دون مقاومة من أهل السنة الذين دخلوا في التصوف[4].

وأما غيرهما من الصوفية ممن نسب لهم الارتباط الوثيق بالإمامية فقد ترجم

---

(١) الصلة بين التصوف والتشيع (ص٢١٨).

(٢) انظر: الفهرست. ابن النديم (ص:٤٩٨-٤٩٩)، وروضات الجنات في أحوال العلماء والسادات. محمد باقر الخوانساري (٢/ ٢١٨)، وأعيان الشيعة. محسن الأمين (٤/ ٣٠-٣٩).

(٣) انظر: الصلة بين التصوف والتشيع (١/ ٢٩٢-٢٩٣)، ودائرة المعارف الإسلامية (٥/ ٢٦٦)، والتصوف. إحسان إلهي ظهير (ص: ١٤٣-١٤٤).

(٤) انظر: العلاقة بين التشيع والتصوف. فلاح إسماعيل أحمد (ص: ١٢٠). ويؤكد عبد الله نعمة في كتابه: فلاسفة الشيعة (ص: ٢٣٥): على أن جابراً إنما أطلق عليه الصوفي لأنه كان متقلداً لعلم الباطن، أو لالتزامه لبس الصوف، وإظهاره الزهد، أو لاشتهاره بالحكمة والفلسفة فأطلق عليه (سوفي) ثم قلبوا السين صاداً.

الخوانساري[1] لجمع من أعلام الصوفية ووصفهم بأنهم من الإمامية المخلصين، وممن أخذوا من بركات أنفاس الأئمة، ورووا عنهم، وقضوا زمناً في خدمتهم، واستفاد الإمامية على وجه الخصوص من مصنفاتهم، وأن منهم من كان من مشاهير محدثي العامة ظاهراً، إلا أنه من خلص الشيعة في باطن أمره، أمثال: إبراهيم بن أدهم (١٦٢هـ)، وشقيق البلخي (١٩٤هـ)، ومعروف الكرخي (٢٠٠هـ)، وبشر الحافي (٢٢٧هـ)، وأبو يزيد البسطامي (٢٦١هـ)، والحسين بن منصور الحلاج (٣٠٩هـ)، وأبو نعيم الأصبهاني (٤٣٠هـ)، وغيرهم[2].

ومما يذكر في هذا الشأن محمد بن علي الأندلسي -المعروف بابن عربي- (٦٣٨هـ) فهو يقول بقول الإمامية في عصمة الأئمة، ويربط هذه العصمة بالحفظ الذي هو عقيدة الصوفية في شيوخهم، ويوافق الإمامية أيضاً في عقيدتهم في المهدي[3]، بالإضافة إلى أمور أخرى يأتي ذكرها إن شاء الله.

كما ظهرت في تراجم عبد الوهاب الشعراني (٩٧٣هـ) في كتابه "الطبقات الكبرى" أموراً تتفق مع مذهب الإمامية، كالقول بالأئمة الإثني عشر، والعقيدة

---

(١) هو محمد باقر بن زين العابدين بن جعفر الموسوي الخوانساري الأصفهاني، ولد بخوانسار سنة ١٢٢٦هـ، ونشأ بأصفهان، وتوفي بها سنة ١٣١٣هـ، من أهم مصنفاته: روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، وأحسن العطية في شرح الألفية للشهيد في فقه الإمامية، وأرجوزة في أصول الدين. انظر: معجم المؤلفين (٩/ ٨٧).

(٢) انظر: روضات الجنات (١/ ١٣٩-١٤٥)، (٤/ ١٠٦-١٠٨)، (٨/ ١٣٤-١٣٨)، (٢/ ١٢٩-١٣٤)، (٣/ ١٠٨-١١١)، (١/ ٢٧٢-٢٧٥)، ومدخل إلى العلوم الإسلامية (الكلام-العرفان-الحكمة العملية). مرتضى المطهري. ترجمة: حسن علي الهاشمي (ص: ٨٠-٩٧)، ولا شك في أن الزعم بإمامية إبراهيم بن أدهم، وبشر الحافي، وأبي نعيم من الإفك المبين على هؤلاء.

(٣) انظر: الفتوحات المكية. ابن عربي (١/ ١٩٦-١٩٧)، (٣/ ٣٢٧-٣٣٦).

في المهدي المنتظر، وأنه موجود ويجتمع به، وباق من سنة ولادته (٢٥٥هـ) إلى أن يجتمع بعيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام، وغير ذلك من مسائل الغلو، ودعوى علم الغيب، والتصرف في الأكوان، ونحوها[1].

وأما أرباب الطرق الرفاعية، والختمية، والبكتاشية، فهم مما أشرت سابقاً لأوجه عديدة من علاقتهم بالإمامية، وستأتي صور أخرى بمشيئة الله لاحقاً لبيان ذلك إذ هم مقصود البحث، وحدود دراسته. أضف إلى ما سبق من الطرق المتأثرة بالتشيع وقد لحقتها اعتقالات سياسية في مصر خاصة: الطريقة الهاشمية الشاذلية، والطريقة البرهانية، وغيرهما.

أما في العصر الحديث فنجد شيخ الطريقة العزمية محمد علاء الدين ماضي أبو العزايم وهو عضو في المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في إيران، وقام بزيارات عدة إلى إيران لحضور مؤتمرات التقريب.

وعقدت مشيخة الطريقة العزمية تحت رعاية شيخها ندوة موسعة حول "الشيعة والسنة أمة واحدة" بدار مشيخة الطريقة العزمية بالقاهرة، وشارك فيها لفيف من علماء الأزهر و(٤١) شيخ طريقة صوفية[2].

ومن أقوال أبي العزايم: "يجب أن نعلم أن الخلاف بين الشيعة والسنة خلاف سياسي وليس دينياً"[3].

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى (١/٣٨)، ولطائف المنن (ص:٤٨٩-٤٩٠)، واليواقيت والجواهر (٢/١٤٣).

(٢) انظر: الشيعة والتشيع في فكر القادة ورؤية الأئمة (ص: ١٧). وهذه الندوة كانت بتاريخ: ٢٧/٢/١٤٢٨هـ.

(٣) الشيعة والتشيع في فكر القادة ورؤية الأئمة (ص: ٩٢).

وأما عن نشاط الطريقة العزمية والذي يكشف العلاقة مع الإمامية فيمكن النظر إليه من خلال النقاط التالية:

١- إصدار سلسلة الشيعة والتشيع في فكر القادة والأئمة (للدفاع عن الشيعة) من أجزاء عدة أعدتها لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية.

٢- الترويج للمعتقد الشيعي بتحريف القرآن الكريم، ودعوة لإحياء ثورة الحسين رضي الله عنه، والترويج لحزب الله اللبناني. مقالة الصواريخ المضادة لعبد الحليم العزمي(١).

٣- الدعوة والترويج لما يسمى بمصحف فاطمة. مقالة: أهل البيت نجاة الأمة. لقنديل عبد الهادي(٢).

٤- حصر أهل البيت في الخمسة أصحاب الكساء فقط. مقالة: أهل البيت نجاة الأمة. لقنديل عبد الهادي(٣).

٥- التبرير لأذان الشيعة المستحدث. مقالة: الشيعة والسنة أمة واحدة. لعبد الله القمي(٤).

٦- الترويج للحرس الثوري الإيراني(٥).

ويؤكد محمد أحمد حامد - كاتب ختمي معاصر - الارتباط الوثيق بين الشيعة والصوفية، وتطابق المبادئ والأصول، فيقول: "الحقيقة التي لابد من إدراكها أن

---

(١) انظر: مجلة الإسلام وطن - عدد ٢٥٨ لشهر صفر ١٤٢٩، فبراير ٢٠٠٨ (ص: ٣٦).
(٢) انظر: مجلة الإسلام وطن - عدد ٢٧٣ لشهر جمادى الأولى ١٤٣٠، مايو ٢٠٠٩ (ص: ٥٤).
(٣) انظر: مجلة الإسلام وطن - عدد ٢٧٢ لشهر ربيع لآخر ١٤٣٠، إبريل ٢٠٠٩ (ص: ٥٤).
(٤) انظر: مجلة الإسلام وطن - عدد ٢٥٣ لشهر رمضان ١٤٢٨، أكتوبر ٢٠٠٧ (ص: ٢١).
(٥) انظر: قسم الأخبار مجلة الإسلام وطن - عدد ٢٥٥ لشهر ذو القعدة ١٤٢٨، ديسمبر ٢٠٠٧ (ص: ٢٨).

الصوفية من أهل السنة هم الوجه الآخر للشيعة، فكلاهما مؤمن بولاية أهل البيت مقر ببيعة لإمام قائم يسعى لتطبيق الشريعة بالإضافة إلى تطابقهما في مسألة السلوك على الشيخ المرشد"[1].

كما نجد من المؤيدين للصلة بين الفرقتين: حسن شحاته موسى - صوفي أزهري وإمام مسجد كوبري الجامعة بمصر ومتحدث بالإذاعة والتلفزيون- والذي اعترف بصوفيته من ناحية إلا أنه من ناحية أخرى أقر بمشاركته الإمامية في معتقدات الإمامة، والقول بعصمة الأئمة، والغلو فيهم، وسب الصحابة بأقذع الألفاظ والسخرية منهم، واتهامهم باتهامات باطلة[2].

ومن أصحاب هذا الاتجاه يوسف الرفاعي - شيخ الرفاعية في الكويت - أجرت معه مجلة المنبر مقابلة جاءت بعنوان (هو عالم سني المذهب.. لكنه لا يقل ولاء لأهل البيت عليهم السلام عن الشيعة! السيد يوسف الرفاعي: لو عمل الإمام علي عليه السلام بسيرة الشيخين لكان تفريطاً منه!)[3]. وفي المقابلة من الأمور التي توافق مذهب الإمامية ما يلي:

أن الأئمة هم في مرتبة الحفظ بعد العصمة مباشرة أما أصحاب الكساء فقد ثبتت لهم العصمة دون شك، وأقر الرفاعي بكتاب «الجفر» الشيعي، وأخرج أمهات المسلمين من آية التطهير، وقال إن الاعتقاد بالإمامة نوعان هما: القول بالإمامة كما يراها الشيعة، والقول بالإمامة عندنا من حيث الاعتقاد بالأئمة الاثني عشر كونهم

(١) الختمية العقيدة والتاريخ والمنهج (ص: ١٢٧).
(٢) انظر: الشيعة في مصر. جاسم مرغي (ص: ١١٢-١٢٤)، ونص التحقيق مع حسن شحاته في مجلة روز اليوسف. العدد (٣٥٧٧) وتاريخ: ٣٠/ ١٢/ ١٩٩٦م.
(٣) انظر المقابلة على الرابط:
http://www.14masom.com/menbar/07/05.htm والرابط:
http://www.alsrdaab.com/vb/showthread.php?p=342338

خيار الخلق في زمانهم والأفضل والأقرب إلى الله والأفهم بكتابه والقدوة، ونحن نعتقد باثني عشر إماماً كل واحد منهم كان إمام زمانه، وعلى هذا فلا يجوز رد قولهم، لأنهم يتمتعون بالتوفيق الإلهي الخاص.

وقال يوسف الرفاعي أيضاً: لا أرى ما يمنع من ذهاب المرء إلى المجالس الحسينية، وكنت أحتفل أنا وبعض الإخوان على طريقتنا الخاصة وهي قراءة ختمة القرآن الكريم ونهديها إلى روح الإمام وأهل بيته من شهداء كربلاء عليهم سلام الله أجمعين، أو قراءة سورة يس في حال ضيق الوقت.

وفي سؤال لموقع المنبر الأخير جاء: يا سيدنا.. وبصراحة.. هل أنت شيعي؟ فأجاب الرفاعي بقوله: أنا شيعي وفق مفهومي الخاص.. لكنني سني العقيدة شافعي المذهب. وبعبارة تفصيلية: أنا في ولائي لأهل البيت ساداتي واعتقادي باثني عشر إماماً هم أئمة المسلمين وقادتهم وكذلك إيماني بأفضلية الإمام علي (عليه السلام) وأحقيته بالخلافة.. أنا في هذا كله شيعي، لكنني من جانب آخر مؤمن بعقيدتي على ما عليه أهل السنة والجماعة في الأصول والفروع. وربما أتشيع إذا وفقني الله تعالى للقاء بالإمام المهدي (عليه السلام) الذي تقولون أنه لا يزال حياً.. ومن يدري قد أحظى بذلك.

ويمثل هذا الاتجاه المتعاطف مع الإمامية أكد أحمد حسون - مفتي سورية وأحد كبار شيوخ النقشبندية في بلاد الشام- رجوع جميع الطرق الصوفية وانتسابها إلى الشيعة، ووجوب الحزن والنوح على الحسين رضي الله عنه في عاشوراء، وشارك حسون الإمامية في موقفهم من معاوية رضي الله عنه، وتفضيل علي على سائر الصحابة بما فيهم الشيخين رضي الله عنهم أجمعين.

وزعم أن النبي ﷺ كتم حقيقة الدين عن جميع الصحابة، وأسرها إلى علي، وأن علياً كتمها أيضاً، وخص بها بعض أولاده وهؤلاء بدورهم لم يودعوها إلا عند الخواص(١).

ونطالع في هذا الاتجاه أيضاً حسن بن علي السقاف الذي أكد أكثر من مرة بأن مذهبه مذهب الوصي أبي السبطين، وأن علياً رضي الله عنه باب مدينة العلم، كما قال بتكفير معاوية رضي الله عنه(٢).

وقد حفلت بمؤلفاته مكتبة أهل البيت الإيرانية، ونشرت له في موسوعتها أكثر من عشرة كتب.

ومن القيادات الصوفية التي تبنت رأي الالتقاء بين الصوفية والإمامية: علي زين العابدين السوداني(٣) الذي بين أن الفرقة الناجية التي كانت على ما كان عليه الرسول وأصحابه هي فرقة أهل البيت.

وأن المتصوفة - من وجهة نظره - هم أنفسهم الشيعة لأنهم وقفوا إلى جانب أهل بيت رسول الله ﷺ، والشيعة كانوا نواة التصوف، وتفرقت بعد ذلك الطرق الصوفية، وجميع مسالك وأسانيد ودلائل الطرق الصوفية ترجع إلى أهل البيت،

---

(١) انظر: تلخيص عقائد الشيعة ومقارنتها بعقائد الصوفية. عبد الله المشيرفي (ص: ٢٠-٢٥)، والمقابلة التي أجرتها معه مجلة المنبر الكويتية. العدد (١٤) بتاريخ: ٢٤/ ربيع الآخر/ ١٤٢٤هـ.

(٢) المرجع: تسجيل صوتي لحسن السقاف في موقع: صوفية حضرموت، وموقع: عالم المعرفة. كما تم بث هذا التسجيل على قناة المستقلة في مناظرة لحسن السقاف مع عدنان عرعور، وعبد الرحمن دمشقية.

(٣) علي زين العابدين ولد سنة ١٩٢٤م في المديرية الشمالية بالسودان، وأكمل دراسته في الأزهر، ومن مصنفاته: تابع الأولياء والأولياء، والبراءة من الاختلاق في الرد على أهل الشقاق والنفاق. انظر: الشيعة في شمال إفريقيا (ص: ٣٩).

وأن أهل السنة حقيقة هم الشيعة، وإن انتزع غيرهم هذا الاسم[١].

كما توجد في السودان مؤسسات صوفية تتبنى بعض معتقدات الإمامية، ومنها: جمعية آل البيت الخيرية، وجمعية الثقلين الخيرية، وفيهما تقام مجالس العزاء لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وابنه الحسين رضي الله عنهما، والاحتفال بمولد فاطمة الزهراء رضي الله عنها، وغير ذلك[٢].

وفي الفكر الصوفي الحضرمي المعاصر ما يشير إلى قبول التقارب بين الفرقتين تاريخياً ومذهبياً، حيث رجح مؤرخ حضرموت - صالح الحامد- أن جد السادة الأشراف العلويين في حضرموت - وعلى رأسهم: (سالم الشاطري، وأبو بكر المشهور العدني، عمر بن حفيظ، وعلي الجفري) - هو أحمد المهاجر بن عيسى بن علي العريضي، كان شيعياً إمامياً، وأما علي العريضي جد المهاجر فقد اتفقوا على أنه شيعي إمامي المذهب[٣].

وقال عبدالرحمن بن عبيد الله السقاف أحد مؤرخي حضر موت: "إن العلويين الحضرميين ومن لف لفّهم إلى هذا الحين إن لم يكونوا على مذهب الإمامية فإنهم على أخيه، إذ طالما سمعنا ممن لا يحصر عداً ولا يضبط كثرة منهم من يقول: إنها لما زويت عنهم الخلافة الظاهرة عُوضوا بالخلافة الباطنة، فصارت إلى علي ثم إلى ابنه الحسين ثم إلى زين العابدين ثم إلى الباقر ثم إلى الصادق، وهكذا فالأفضل ثم الأفضل من ذرياتهم، ألا ترى أنهم يقولون بقطبانية هؤلاء وما القطبانية إلا الإمامة نفسها"[٤].

---

(١) انظر: الشيعة في شمال إفريقيا. جاسم مرغي (ص: ٤٠-٤١)، ومقالة: الشيعة نواة التصوف. أحمد كاني. مجلة العالم. العدد (٢٠٩)، ١٩٨٨م.

(٢) انظر: الشيعة في شمال إفريقيا (ص: ٤٥-٥٠).

(٣) انظر: تاريخ حضرموت. صالح الحامد (١/ ٣٢٤)، والفكر والمجتمع في حضرموت. كرامة مبارك با مؤمن (ص: ٢٧٢-٢٧٥).

(٤) نسيم حاجر في تأييد قولي عن مذهب المهاجر عبدالرحمن بن عبيد الله السقاف (ص: ٨).

وأعلام الفكر الصوفي الحضرمي المعاصر المشار لهم سلفاً قد قرظوا بالثناء والمدح والإطراء للمؤلف الموسوم بـ: "غاية التبجيل وترك القطع في التفضيل"[1]، وفيه أثبت المؤلف إمامية جدهم المهاجر، كما ذكر أن من سلكوا طريق التصوف عملاً أو محبة يميلون بقلوبهم ومهجهم لأهل الكساء، ومنهم من يصرح بذلك، وأكثرهم يسكتون. وقد أخبره بذلك جمع من أهل العلم الأشاعرة - لا سيما المتصوفة منهم- بالحجاز، واليمن، والشام، ومصر، والمغرب، والعراق، والهند[2].

ونجد عند أبي بكر المشهور العدني ما يدل على المشابهة والرضا بمذهب الإمامية من مثل النيل من معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، والقول بغيبة المهدي، وتقرير مشروعية الاحتفال بـ(عيد الغدير - وعاشوراء - ويوم كربلاء) مما تحتفل به الإمامية[3].

وينكشف لنا أيضاً من خلال اللقاءات الإعلامية بعلي الجفري عدداً من أوجه التقارب والتقريب بين الفكرين الصوفي والشيعي عنده، حيث إنه لم ينصب الخلاف بين أهل السنة عموماً والشيعة خصوصاً إلا في مسألتي: سب الصحابة، وعصمة الأئمة الإثني عشر، كما يدعو دائماً من خلال تلك المقابلات إلى جهود العلماء والدعاة لخلق قاعدة دائمة للاتحاد بين السنة والشيعة[4].

---

(١) الكتاب من تأليف: محمود سعيد ابن محمد ممدوح المصري. وقد طبع الكتاب في مكتبة الفقيه بدولة الإمارات العربية المتحدة، وهي مكتبة تابعة لعلي الجفري الحضرمي العلوي.

(٢) انظر: غاية التبجيل وترك القطع في التفضيل (ص: ١٩٥-١٩٧).

(٣) انظر: التليد والطارف. أبو بكر المشهور العدني (ص: ١٤٦، ٢٧٣)، والأبنية الفكرية. أبو بكر المشهور العدني (ص: ٥٠-٥٢).

(٤) انظر: لقاء الجفري مع مجلة التصوف الإسلامي، عدد: ٢٨٠، بتاريخ: ١/٧/٢٠٠٢م، ولقاء مع قناة العربية الفضائية بتاريخ: ٢٧/٩/١٤٢٧هـ، ولقاء مع موقع الشورى نت، بتاريخ: ١٠/٨/ ٢٠٠٦.

المبحث الثاني
اتجاهات أعلام الإمامية ومفكريها في القديم والحديث

المطلب الأول
الاتجاه القائل بإنكار العلاقة بين الفرقتين، وأبرز أعلامه:

ذهبت طائفة من الإمامية إلى إنكار وجود أي مظهر للصلة بينهم وبين التصوف، محذرين بذلك من الصوفية ومذاهبهم، إذ يرون أن الصوفية منذ نشأتها كانت صورة من صور الرهبانية المبتدعة التي نهى عنها الإسلام في الكتاب والسنة، واستدلوا على رأيهم بالآيات القرآنية الناهية عن الرهبنة، وبالأحاديث التي منعت من الانقطاع التام للعبادة، وبالأخص ما ورد في كتبهم الحديثية منها في التشنيع بشأن الصوفية، ومن ذلك ما روي عن النبي ﷺ في وصيته لأبي ذر (رضوان الله عليه)، قال: «يا أبا ذر، يكون في آخر الزمان، قومٌ يلبسون الصوف في صيفهم وشتائهم، يرون أن لهم الفضل بذلك على غيرهم، أولئك يلعنهم ملائكة السموات والأرض»[1]. وفي رواية أخرى عن النبي ﷺ أنه كان يقول: لا تقوم الساعة على أمتي حتى يقوم قوم من

(١) آمالي الطوسي (ص: ٥٣٩).

أمتي اسمهم الصوفية أولئك ليسوا من أمتي وأنهم يحلقون للذكر ويرفعون أصواتهم يظنون أنهم على طريقتي وهم أضل من الكفار ومن أهل النار ولهم شهيق الحمار[1].

كما استدلوا بموقف الأئمة الإثني عشر المحذرين من التصوف، ومنها قولهم: أنه بعد أن تطور التصوف في عهد الإمام علي رضي الله عنه إلى الاعتزال عن الحياة السياسية، وكان إمام هذا الاتجاه الحسن البصري غضب عليه الإمام ونعته بسامريّ هذه الأمة[2].

كما رووا عن الإمام عبد الله الصادق حين سأله رجل عن قوم ظهروا في ذلك الزمان، يقال لهم الصوفية؟ قال: "إنهم أعداؤنا، فمن مال إليهم فهو منهم ويحشر معهم، وسيكون أقوام، يدّعُون حبنا ويميلون إليهم ويتشبهون بهم، ويلقبون أنفسهم بلقبهم، ويقولون أقوالهم، ألا فمن مال إليهم فليس منّا، وأنا منه براء، ومن أنكرهم وردَّ عليهم، كان كمن جاهد الكفار بين يدي رسول الله ﷺ"[3].

وعندما سُئل الإمام الصادق عن بعض أئمة التصوف في عهده نعته الإمام بفساد المذهب، فقد روي عن الإمام أبي محمد الحسن العسكري أنه قال: سُئِل أبو عبد الله الصادق عن حال أبي هشام الكوفي؟

قال: إنه كان فاسد العقيدة جداً، وهو الذي ابتدع مذهباً يقال له: التصوف

---

(١) انظر: الإثنا عشرية في الرد على الصوفية. الحر العاملي (ص:١٧)، وبين التصوف والتشيع (ص:٥٨٦). وقال الحسني معلقاً في الهامش: قد فسر الحسن بن محمد المعروف بالنظام النيسابوري الآية: إن أنكر الأصوات لصوت الحمير بالصوفية الذين يتكلمون ويصيحون في خلاياهم واجتماعاتهم، كما جاء في سفينة البحار.

(٢) انظر: العرفان الإسلامي (ص: ١٩٦). وهذه من الحكايات الغريبة التي يثبت زيفها لأول وهلة لأن الحسن البصري ولد سنة (٢١هـ) أي: لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه، وكان الحسن صغيراً بالبصرة، حين كان علي بالكوفة. انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر (٢/ ٢٦٤).

(٣) سفينة البحار (٢/ ٥٧).

وجعله مفراً لعقيدته الخبيثة (وفي بعض النسخ: مفراً لنفسه الخبيثة) وأكثر الملاحدة، وجُنَّة لعقائدهم الباطلة[1].

وروي عن الإمام الرضا أنه قال: لا يقول بالتصوف أحد إلاَّ لخدعة أو ضلالة أو حماقة[2]. وروى البزنطي وإسماعيل بن بزيغ عن الإمام الرضا أنه قال: من ذكر عنده الصوفية ولم ينكرهم بقلبه ولسانه فليس منا ومن أنكرهم فكأنما جاهد الكفار والمنافقين بين يدي رسول الله ﷺ[3].

وجاء في رواية لهم عن الإمام الرضا أنه قال: لا يقول بالتصوف أحد إلا لخدعة أو ضلالة أو حماقة ومن سمى نفسه صوفياً للتقية فلا إثم عليه إذا اكتفى بالتسمية ولم يقل بشيء من عقائدهم الباطلة[4].

كما روي عن الإمام الهادي في شأن التصوف أنه قال: «لا تلتفّوا إلى هؤلاء الخداعين، فإنهم حلفاء الشياطين ومخرّبو قواعد الدين... أورادهم الرقص والتصدية، وأذكارهم الترنُّم والتغنية، فلا يتبعهم إلاَّ السفهاء ولا يعتقد بهم إلا الحمقاء... والصوفية كلهم من مخالفينا، وطريقتهم مغايرة لطريقتنا، وإن هم إلاَّ نصارى ومجوس هذه الأمة، أولئك الذي يجهدون في إطفاء نور الله، والله يتم نوره ولو كره الكافرون»[5].

وروي عن الإمام الحسن العسكري أنه قال لأبي هشام الجعفري: "يا أبا هشام، سيأتي زمان على الناس وجوههم ضاحكة مستبشرة، وقلوبهم مظلمة منكدرة...

(١) الإثنا عشرية في الرد على الصوفية. الحر العاملي (ص: ٣٣).
(٢) سفينة البحار (٢/ ٥٧).
(٣) جامع أحاديث الشيعة. البروجردي (١٤/ ٤٥٠).
(٤) إكليل المنهج في تحقيق المطلب. محمد جعفر الخرساني (ص: ١٢٩)
(٥) انظر: سفينة البحار (٢/ ٥٨).

علماؤهم شرار خلق الله على وجه الأرض، لأنهم يميلون إلى الفلسفة والتصوف، وايم الله: إنهم من أهل العدوان والتحرف... فمن أدركهم فليحذر منهم وليصن دينه وإيمانه.

ثم قال: يا أبا هشام، هذا ما حدَّثني أبي عن آبائه عن جعفر بن محمد وهو من أسرارنا فاكتمه إلاَّ عند أهله"[1].

ومن أبرز المهاجمين للتصوف من أعلام الإمامية، الشيخ المفيد الذي قال: "إن المتصوفة هم أصحاب الإباحة والقول بالحلول وهم قوم ملاحدة وزنادقة يموهون بمظاهر كل فرقة بدينهم ويدعون للحلاج الأباطيل ويجرون في ذلك مجرى المجوس في دعواهم ازدادت المعجزات ومجرى النصارى في دعواهم لرهبانهم الآيات والبينات"[2]. وصنّف المفيد كتاباً عنوانه: «الردّ على الحلاّج»[3].

وممن هاجم التصوف، وصنف في الرد على الصوفية من تنعته الإمامية بالمقدس الأردبيلي (ت: ٩٣٣) الذي ألف كتاب «حديقة الشيعة» في الرد على الصوفية. ويحمل في كتابه خصوصاً على القائلين بالاتحاد من الصوفية المتأخرين، مثل محيي الدين بن عربي، وعبد الرزاق الكاشاني، وشيخ عزيز النسفي، وينعتهم بالكفر والزندقة[4].

---

(١) انظر: سفينة البحار (٢/ ٥٨).

(٢) بين التصوف والتشيع. هاشم معروف الحسني (ص: ٥٨٨)، وانظر في موقف المفيد من التصوف كتاب: الإثنا عشرية في الرد على الصوفية (ص: ١٧).

(٣) انظر: العرفان الإسلامي (ص: ١٩٩). وكتاب الشيخ المفيد هذا في الردِّ على الحلاج مفقود، ولكن ذكره ابن حمزة تلميذ الطوسي (المتوفى سنة ٤٥٩) في «الهادي إلى النجاة من جميع المهلكات». انظر: تاريخ التصوف الإسلامي (ص: ٦٦-٦٧).

(٤) انظر: العرفان الإسلامي (ص: ١٩٨).

وألف الحكيم المتأله الملاصور كتاباً في الرد عليهم سماه كسر الأصنام، جاء فيه: إن الصوفي لا يزال يملأ من الشبهة والحرام الحشا، ويؤذي الجلاس والندماء من الجشأ، وأكثر أوقاته في التلاعب والتحدق بالصبيان والمردان، والمنادمة مع السفهاء والولدان واستماع الغناء ومزاولة آلات اللهو واللعب والخسران[1].

وقال الشهيد الأول محمد بن جمال الدين مكي الجزيني[2] في وصف الصوفية:

ليس التصوف عكازاً ومسبحة
كلا ولا الفقر رؤيا ذلك الشرف
وأن تروح وتغدو في مرقعة
وتحتها موبقات الكبر والسرف
وتظهر الزهد في الدنيا وأنت على
عكوفها كعكوف الكلب بالجيف

وجاء في ترجمة الشيخ محمد بن الحسن المعروف بالحر العاملي (ت: ١١٠٤هـ) أنه ألف رسالة في الرد على الصوفية تشتمل على اثني عشر باباً واثني عشر فصلاً فيها نحو ألف حديث في الرد عليهم عموماً[3]. ومما جاء فيها أنه قال: "إجماع جميع الشيعة الإمامية واتفاق الفرقة الإثني عشرية على ترك هذه النسبة واجتنابها ومباينة أهلها في زمن الأئمة (عليهم السلام) وبعده إلى قريب من هذا الزمان لم يكن أحد من الشيعة صوفياً أصلاً... بل لا يوجد للتصوف وأهله في كتب الشيعة وكلام الأئمة ذِكْرٌ إلا الذم...".

---

(١) انظر: بين التصوف والتشيع (ص: ٥٨٩).
(٢) أحد أقطاب الشيعة وقد تعرض لمطاردة الحكام والحبس والتشريد. وأخيراً تم قتله، وإحراقه بالنار بعد أن حكم عليه أحد قضاة المالكية بالكفر والارتداد عن الدين سنة ٧٨٦هـ.
(٣) انظر: دائرة المعارف الشيعية. للأمين (٨/ ١٠٠ - ١٠١).

وقال وهو في معرض الرد على أصحاب الحلاج باعتبار انتمائهم إلى الشيعة: (أولئك فرقة شاذة أيضاً، أجمعت الشيعة على خروجهم عن الدين وعلى البراءة منهم ولعنهم ولعن رئيسهم وذلك بأمر الأئمة عليهم السلام حتى قتل رئيسهم بإشارة الإمام عليه السلام . . . .).

وقال: (قال بعض المحققين من مشائخنا . . . اسم التصوف كان مستعملاً في فرقة الحكماء الزائغين عن الصواب ثم بعدهم في جماعة من الزنادقة وأهل الخلاف . . . ثم جاء فيمن جاء بعدهم وسلك سبيلهم كالغزالي رأس الناصبين لأهل البيت . . ثم سرى الأمر إلى تعلق بعضهم بجميع طريقتهم وصار من تبع بعض مسالكهم سنداً لهم . . وصار اعتقادهم في النواصب والزنادقة أنهم على الحق، فتركوا أمور الشريعة . . .)[1].

وفي العهد الصفوي برز اختلاط التشيع بالتصوف، ونشوء علماء شيعة وسط مصدر التصوف، واستمرت أيضاً الميول الصوفية بين الشيعة، حتى هزت إيران أحداث جديدة متمثلة في طغيان أمراء التصوف " القزلباش "[2] وهو ما شكل تهديداً للحكومة فبدأت الحرب تجاههم، وانتهت بإقصاء التصوف عن مواقعه السياسية، والاجتماعية، والثقافية[3].

وقد تبنى هذا الاتجاه من العهد الصفوي بداية الأخباري محمد باقر المجلسي (ت: ١١١١هـ) ومن تبعه من الأخباريين وأكثر الأصوليين. فقد حاول الأخذ بالتشيع نحو الخلاص من شوائب الصوفية، وأول من بدأ بمحاربته والده، وأعلن براءته من هذه النسبة، وشن هجمات قوية على مشايخ الزهد، والتصوف، ورفض ارتداء الصوف، وانتهى أخيراً إلى تكفير الصوفيين.

---

(١) انظر: الإثنا عشرية في الرد على الصوفية. للحر العاملي (ص: ١٣-١٦).
(٢) القزلباش ورد التعريف بهم في الدور الخامس من أدوار المدرسة الأخبارية.
(٣) انظر: دائرة المعارف الشيعية. لحسن الأمين (٨/ ١٠٠).

ومن خطواته العملية في هذا المجال ضغطه على الجهاز الحاكم في أصفهان حتى أفلح في إخراج جميع الصوفيين من العاصمة.

وقد منعت إثر ذلك مجالس الذكر وجميع الطقوس الصوفية التي كانت تمارس من قبل الصوفيين، بل وصل الأمر إلى منع كلمة " ياهو " لمسح الآثار الصوفية من البلاد.

وانتشر تلامذة المجلسي في أنحاء أصفهان لتنفيذ هذا الأمر لدرجة أنهم كانوا يتجولون على دكاكين الفخَّارين، فإذا ما رأوا زيراً كسروه بحجة أنه يردد كلمة (ياهو) إذا ما صيح في جوفه![1].

ولا بد أن نذكر في هذا المقام يوسف البحراني (ت: ١١٨٦هـ) ومهاجمته للملا صدرا، وللكاشاني بسبب اتباعهما لهذا المنهج، ولكن حاول الأمين تأويل أقواله ضدهما، وقرر بأن سبب نقده لهما لجهله بطريق أرباب المعقول، وعدم إدراكه الفرق بين الحكماء الربانيين، والصوفيين البسطاء، على الرغم من أنَّ علماء الشريعة وقتئذ ينظرون إلى العارفين، والصوفيين بعين واحدة، فهم يهاجمون العارفين لاعتقادهم ببعض المسائل كالمكاشفة والشهود ووحدة الشهود، ويهاجمون الصوفيين لتقاليدهم ولسماعهم، وغيرها من الأمور التي يرونها مخالفة للشريعة وأساساً للضلالة[2].

وإذا ما انتقلنا إلى المعاصرين نجد أن محمد جواد مغنية (ت: ١٤٠٠هـ) قال تحت عنوان (ما موقف الإسلام من التصوف): فإن كان من نوع مجاهدة النفس والإقبال على الله فهو من صميم الإسلام والجهاد الأكبر. وإن كان بمعنى الاتصال بالله مباشرة بلا واسطة أو الحلول والاتحاد فهو كفر وإلحاد. وإن كان من نوع الشعوذة والمراء وادعاء السحر وعلم الغيب فهو فسق ونفاق.

---

(١) انظر: دائرة المعارف الشيعية (٨/ ١٠٠).
(٢) انظر: السابق (٨/ ١٠٢).



وقال: وقد جاء من طرق الشيعة أحاديث كثيرة في ذم التصوف والمتصوفين بهذا المعنى، والمعنى الذي قبله، وإن الصوفية قطاع طريق المؤمنين والدعاة إلى نحلة الملحدين، وأنهم حلفاء الشياطين، ومخربو قواعد الدين، يتزهدون لراحة الأجسام، ويتهجدون لصيد الأنام، ولا يتبعهم إلا السفهاء، ولا يعتقد بهم إلا الحمقاء[1].

وقال المفسر الطباطبائي: (إن كلاً من مشائخ الطريقة جعل كل ما رآه صلاحاً من عادات وتقاليد في منهج سيره وسلوكه، وأمر متَّبعيه بذلك، وبمرور الزمن أصبح منهاجاً وسعياً مستقلاً مثل: مراسم الخضوع والخشوع وتلقين الذكر والخرقة والاستفادة من الموسيقى والغناء عند إقامة مراسم الذكر حتى آل الأمر في بعض الفرق منها أن تجعل الشريعة في جانب والطريقة في جانب آخر، والتحق متبعو هذه الطريقة بنهج الباطنية ولكن المعايير للنظرية الشيعية استناداً على مصادر أساسية للإسلام - الكتاب والسنة- تقر خلاف ذلك)[2].

ومن الرافضين لصور العلاقة بين الإمامية والتصوف، آية الله المرعشي (ت: ١٤١١هـ) -من مراجع مدينة قم- فقد تصدى للتصوف بقوة، ومن جملة ما قاله في ذم الصوفية: «عندي أن مصيبة الصوفية على الإسلام من أعظم المصائب، تهدمت بها أركانه وانثلم بنيانه وظهر لي بعد الفحص الأكيد والتجول في مضامير كلماتهم والوقوف على ما في خبايا مطالبهم والعثور على مخبياتهم بعد الاجتماع برؤساء فرقهم أن الداء سرى إلى الدين من رهبة النصارى فتلقّاه جمع من العامة كالحسن البصري والشبلي ومعروف وطاووس والزهري وجنيد ونحوهم، ثم سرى منهم إلى الشيعة حتى رقى شأنهم وعلت راياتهم بحيث ما أبقوا حجراً على حجر من أساس الدين، أوّلوا نصوص الكتاب والسنّة وخالفوا الأحكام الفطرية العقلية والتزموا

(١) انظر: نظرات في التصوف والكرامات (ص: ١٥).
(٢) الشيعة في الإسلام. محمد حسين الطباطبائي (ص: ١٣٧-١٣٩).

بوحدة الوجود، بل الموجود، وأخذ الوجهة في العبادة والمداومة على الأوراد المشحونة بالكفر والأباطيل التي لفقتها رؤساؤهم والتزامهم بما يسمُّونه بالذكر الخفي القلبي"[1].

ومن أصحاب هذا الاتجاه المرجع محمد رضا الكلبيكاني (ت: ١٤١٤هـ) فعندما سئل: ما هو المتصوف وهل يجوز اعتناق مذهب الصوفية؟ وهل في علمائنا الإمامية من ينسب إليه هذا المذهب أو من هذا المذهب؟

قال: بسمه تعالى: اختلفت الآراء في تعريف التصوف، والقول الفصل في المقام: أن الحق في الطريقة القويمة والمنهج الذي سار عليه أصحاب الأئمة «رضوان الله عليهم» تبعاً لأئمتهم الأطهار «عليهم السلام» وتبعهم علماؤنا الأبرار، وصلحاء الشيعة وأسلافهم، وما خالف ذلك بدعة وضلال، فلا منهج في العبادة ولا طريق ولا رياضة في مجاهدة النفس وتزكيتها غير ما يستفاد من الكتاب والسنة النبوية والأئمة الهداة «عليهم السلام» لذا فيجب الاحتراز عما يخترعه أولئك كاختراع السلاسل والأخذ عن غير الفقهاء والتفريق بين الشريعة والطريقة، ولا يجوز اعتناق طريقتهم أو الركون إليهم ولا نرى من علمائنا الإمامية أحداً قد سلك مسلكهم أو يرضى بعقيدتهم، عصم الله المسلمين من شرور المبدعين إن شاء الله تعالى)[2].

وأما المرجع الديني الأعلى محمد مهدي الشيرازي (ت: ١٤٢٢هـ) فقد نصَّ في مقدمات المسائل الإسلامية تحت عنوان المحرمات على تحريم الدخول في التصوف حيث قال: (رابعاً: الدخول في الأديان الباطلة كالصوفية والبابية ونحوهما)[3].

---

(١) انظر: العرفان الإسلامي (ص: ١٩٩-٢٠٠). وما أقحمه المرعشي في هذا النص من ذكر الحسن البصري وطاووس والزهري لا يسلم له فهؤلاء من جهابذة أهل السنة، وقد نسبهم بعض الصوفية إليهم لإضفاء الشرعية على سلوكهم وطريقتهم وهم منها براء.

(٢) إرشاد الساري في فتاوى الكلبيكاني (ص: ١٩٧).

(٣) المسائل الإسلامية. السيد الشيرازي (ص: ٧٧).

وممن كتب في العرفان الإسلامي إلا أن يتخذ موقفاً معارضاً للتصوف محمد تقي المدرسي حيث قال: للتصوف ثلاث مراحل وبالتالي ثلاثة معان:

أ - الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة.

ب - التصوف اللامسؤول.

ج - التصوف الفلسفي.

ثم قال: (طريقة التصوف كانت قديمة، وربما تعود إلى أقدم نزعات الفرار عن المسؤولية عند البشر في مقابل نزعة الإقدام والمبادرة... ويبدو لي أن التصوف عند المسلمين تأثر بالاتجاه الأفلاطوني الجديد وبالذات في مسائل وحدة الوجود في الجانب الفلسفي، بينما اقتبس من الفرس الجانب الشاعري، وقلد الهنود في الرياضيات الروحية وفكرة الفناء، كما وأن متصوفة النصارى... تأثر بهم المتصوفة المسلمون... مثل لبس الصوف، وتكريم الفقر)[1].

أما جعفر السبحاني فإنه يشدد النكير على المتصوفة الذين اعتبرهم هداماً للتوحيد، تفوح منهم رائحة الشرك، وأنهم بذلك خالفوا الإمامية في مسألة مهمة من مسائل الدين، إذ يقول عنهم: "ذهب بعض المتصوفة والدراويش في وصف أقطابهم وشيوخ طرقهم إلى حد الشرك كما هو ظاهر، وبذلك هدموا حدود التوحيد والشرك وتجاوزوا معاييرهما، ويبدو هذا الأمر - بجلاء - من الأبيات التي مجد بها القوم مشايخهم حيث تفوح من أكثرها رائحة الشرك الجلي فضلاً عن الخفي، تلك الأبيات التي لا تنسجم مع أسس التوحيد القرآني بحال، وإن كان بعضهم يحاول أن يجد لتلك الأبيات والكلمات محامل بمنأى عن الشرك، ولكن الحق هو أن الموحد لا ينبغي له بل ولا يجوز أن يجري على لسانه كلاماً غير منسجم مع التوحيد الإسلامي القرآني

(١) انظر: العرفان الإسلامي. محمد تقي المدرسي (ص: ١٣٨، ١٥١-١٥٢).

الجلي الملامح، الواضح الطريق. نعم لا يعم ذلك جميع المتصوفة بل بعضهم"[1].

وقال هاشم معروف الحسني في كتابه "بين التصوف والتشيع" الذي جاء رداً على أبحاث الشيبي في الصلة بين التصوف والتشيع ليبين مؤلفه الفجوة بين التصوف والتشيع، وأنها بالغة أقصى حدودها في المعتقدات والآراء والأفكار والأحوال، معتبراً أن أبحاث الشيبي مهاجمة للشيعة وعدوان صارخ عليهم، كما أكد الحسني على أن الشيعة يبرؤون من شعوذة المتصوفة وتهويشهم وتضليلهم، وكان من جملة ما قال: «إن التصوف كان حدثاً طارئاً على الإسلام وأنه منذ ظهوره في القرون الإسلامية الأولى وحتى عصرنا الحالي لا يزال في الأوساط الإسلامية السنية وبين شيوخهم ولم يظهر له أثر يذكر في الأوساط الشيعية ولا بين شيوخهم منذ ظهوره في القرون الإسلامية الأولى وحتى عصرنا الحالي، وقد وقف منه أئمة الشيعة وعلماء الشيعة منذ ظهوره موقفاً سلبياً كموقفهم من الغلاة وسائر الفرق الضالة وأعلنوا براءتهم منه ومن دعاته وحذروا المسلمين من دسائس الصوفية وشعبذاتهم وطرقهم الهدامة»[2].

وفي ختام عرض الحسني لنماذج من رفض العلاقة بين الفرقتين عند أئمة الإمامية وأعلامهم يؤكد أن دعوى الصلة بينهما خطأ لا يغفره التاريخ، ويقول في هذا الشأن: "ومن خلال هذه النماذج من آراء علماء الشيعة بالصوفية والتصوف التي تعبر عن رأي عامة الشيعة تبدو الفجوة واسعة إلى أبعد الحدود بين الفريقين، وأتمنى على الباحثين في التصوف وغيره من الأفكار والمعتقدات أن يتحروا الحقيقة لأي جهة كانت وأن يتحروا ما قيل وكتب في ظل الترغيب والترهيب والأحقاد حتى لا يقعوا فيما وقع فيه الدكتور الشيبي من الأخطاء التي لا مبرر لها ولا يغفرها له التاريخ . . ."[3].

---

(١) التوحيد والشرك في القرآن الكريم. جعفر السبحاني (ص: ١٢٥).
(٢) بين التصوف والتشيع. هاشم معروف الحسني (ص: ٥٨٣).
(٣) انظر: السابق (ص: ٥٩٢-٥٩٣).

ومن الإمامية الذين انتقدوا ربط التصوف بالتشيع الباحثة: إنعام قدوم، في كتابها: "التشيع والتصوف لقاء أم افتراق" حيث سبرت في كتابها هذا وحدات الارتباط الأولى، ورصدت جذور الاتهام واندفعت في نقدها.

ونقض الإمامي حسين الرجا كل ما ذكره الباحثون قبله حول مظاهر الصلة بين الفرقتين، وأجاب تفصيلاً عن كل ما أوردوه من مسائل، وذلك في كتابه: "التصوف في البداية والتطرف في النهاية". ولكن في حقيقة الأمر نجد أنه يقر اتفاقاً بين الصوفية والإمامية في أصول المبادئ والأفكار، ويخالفها في النماذج، والأمثلة، والضوابط. فعندما تناول مسألة (العلم اللدني) أقر بوجوده في مذاهب الإمامية، إلا أنه يفارق الصوفية في ثمانية فروقات، ذكر من أبرزها: أن العلم اللدني خاص بالأئمة من آل البيت، وأنه يحصل لهم دون تكلف أو اجتهاد. كما نلحظ هذه الطريقة في النقد في مسألة الحقيقة المحمدية، وغيرها[1].

(١) انظر: التصوف في البداية والتطرف في النهاية. حسين الرجا (ص: ١٤٣-١٤٤، ١٦٣-١٦٧).

المطلب الثاني
الاتجاه القائل بوجود العلاقة بين الفرقتين، وأبرز أعلامه

نسب بعض الإمامية تعريف التصوف - بصيغة المدح والثناء - لعلي رضي الله عنه بما رووه عنه أنه سئل عن معنى التصوف؟ فقال: "التصوف مشتق من الصوف، وهو ثلاثة أحرف (ص. و. ف) فالصاد صبر وصدق وصفا، والواو ود وورد ووفاء، والفاء فقر وفرد وفناء"(١). كما نسبوا له تعريفاً آخر هو: «التصوف من لبس الصوف على الصفا، وأطعم الهوى طعم الجفا، وكانت الدنيا منه على القفا، واستوى عنده الذهب والحجر والفضة والمدر، وإلا فالكلب الكوفي خير من ألف صوفي»(٢).

كما أن هناك جمعاً من الإمامية الذين ارتبط اسمهم بالصوفية، ومنهجهم وآرائهم، ومنهم على سبيل المثال: محمد بن علي المشهور بابن بابويه القمي (ت: ٣٨١هـ). ذكره الطوسي أنه ألّف رسائل في الزهد لكل من الأئمة المعصومين، وذكر في مصنفاته كتاب «معاني الأخبار». الذي صنفه على مذهبه، وضمنه الكثير من

(١) عوالي اللئالي. ابن أبي جمهور الأحسائي (٤/ ١٠٥).
(٢) روضات الجنات للخوانساري (٣/ ١٣٠).

مشارب الصوفية وطريقتهم فيذكر فيه الفتوة، والجهاد الأكبر[1]، وهو جهاد النفس، وهما من مصطلحات الصوفية، وشعاراتهم وأساليبهم. وذكر مسألة الحقيقة المحمدية، والنور المحمدي، وغير ذلك.

ويصف أهل التقوى من الصوفية بأنهم تزودوا بغير الذهب والفضة، ولبسوا الخشن، وصبروا على الذل، وأنهم مصابيح في الدنيا، وأهل النعيم في الآخرة. ويُكثر من النقل، ونسبة الأقوال إلى نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام، فيذكر عنه مثلاً أنه يرغب الناس بالنوم على المزابل، وأكل خبز الشعير، ويحثهم على ذلك لما فيه من خير كثير[2].

ومنهم: محمد بن محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٦٧٢هـ) - وزير هولاكو التتري-.

ذكر الخوانساري بأنه وُصِف بقولهم: كان جامعاً بين مسلكي الاستدلال والعرفان، وذكر أنه كان بينه وبين صدر الدين القونوي المتوفى سنة ٦٧٢هـ، تلميذ ابن عربي وربيبه؛ مراسلات ومكاتبات في قضايا التصوف، ومقامات العارفين والسالكين، ووحدة الوجود، وأنه قد سجل معظم تلك المراسلات في كتابه «الفصول». ويعلق الخوانساري قائلاً: «إن الإنصاف ليس فقط وصفه بأنه كان جامعاً بين مسلكي الاستدلال والعرفان، بل إن كتابه الفصول من أحسن ما كتب وصنف في مسائل الاستدلال والعرفان»[3].

(١) الفهرست لأبي جعفر الطوسي (ص١٨٨-١٩٠)، وأعيان الشيعة (١٠/ ٢٤-٢٥)، ومعاني الأخبار للصدوق القمي (ص/ ١١٨، ١٦٠).
(٢) انظر: معاني الأخبار (ص: ١٩٩، ٣٤١).
(٣) انظر: روضات الجنات (٦/ ٣١٢-٣١٣).

وذكر الخوانساري أيضاً في ترجمة الحلاج أن الخواجة الطوسي من جملة من اعتذر عن شطحات الحلاج، ودافع عنه، وتأول أقواله وأفعاله[1].

وذكر محسن الأمين من مصنفات الطوسي كتاب: أوصاف الأشراف، ورسالة في العلم الاكتسابي واللدني[2].

ومنهم: ميثم بن علي البحراني (ت: ٦٧٩هـ). الذي شرح نهج البلاغة في: "شرح المائة كلمة لنهج البلاغة"، شرحاً صوفياً ممزوجاً بفلسفة ذوقية، أظهر فيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه في شخصية صوفية، ليكون إماماً وقدوة للأولياء والمتصوفين. ثم إنه قدم هذا الشرح هدية لوكيل التتار على بلاد العراق، علاء الدين عطا، وكان على اتصال به، فكافأه الوكيل على هديته ببناء خانقين للصوفية: أحدهما في مشهد علي، والآخر في مشهد سلمان الفارسي[3]. وبهذا يتبين تصوفه، وبالأخص ما كافأه به وكيل التتر على كتابه وشرحه لنهج البلاغة شرحاً يتفق مع مشارب الصوفية، وكذا كتاب المعراج السماوي، ورسالته في الوحي والإلهام يظهر أنها على الطريقة الصوفية التي يطلقون عليها غالباً العلوم العرفانية.

ومما ينبغي أن يذكر أنَّ حيدر العاملي الذي نهض بتوحيد التصوف، والتشيع في كتابه «جامع الأسرار» - كما سيأتي- احتج بميثم البحراني في شرح نهج البلاغة، وقال فيه: (رجح طرف العارفين الموحدين على طرف جميع العلماء والمتفلسفين في شرحه الكبير، والصغير لنهج البلاغة، وأسند علومهم، وخرقتهم إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وكذلك في كتابه «مناهج العارفين في شرح كلام أمير المؤمنين». . . وأقر فيه بأنَّ الحق الذي لا ريب فيه طريق الموحدين من أهل الله المسمين

(١) انظر: روضات الجنات (٣/ ١٠٩)

(٢) أعيان الشيعة (٩/ ٤١٤-٤١٩).

(٣) انظر: الصلة بين التصوف والتشيع (٢/ ٩٠-٩١)، والعلاقة بين التشيع والتصوف (ص: ١٥٨).

بالصوفية)[1]، وأضاف إلى ذلك موافقته التامة على اعتبار علي رضي الله عنه شيخ الصوفية، ووليهم[2].

ومنهم: حيدر بن علي العبيدي الآملي (ت: ٧٩٤هـ) الذي بذل جهداً كبيراً في سبيل تقريب التشيع والتصوف الواحد نحو الآخر، وكان تلميذاً مخلصاً لابن عربي، ومعجباً به وبشروحه[3].

ترجم له الخوانساري ووصفه بقوله: «سيد أفاضل المتألهين، من أجلة علماء الظاهر والباطن، وأعاظم فضلاء البارز والكامن، صاحب الكشف الحقيقي».

وذكر عنه في كتابه جامع الأسرار قوله: «أخذت من لدن عنفوان الشباب... في تحصيل المعارف على طريقة أجدادي الطاهرين، والأئمة المعصومين، وهي التي في الظاهر شريعة للشيعة الإمامية، وفي الباطن حقيقة من حقائق الصوفية الإلهية، إلى أن وُفقت للتوفيق بين الطائفتين، ومطابقة كل منها بالآخر حتى تحققتْ حقيقة الطرفين، وعرفت حقيقة القاعدتين، وطابقت بينهما حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة، وسُررت لما صرت جامعاً بين الشريعة والحقيقة، وحاوياً بين الظاهر والباطن، واصلاً مقام الاستقامة والتمكين.... وفي الهامش ذكر عن جامع الأسرار قوله: «الشيعي والصوفي اسمان متغايران لمعنى واحد»[4].

وترجم له محسن أمين ولقّبه بالصوفي، لأنه يُعرف به. ووصفه بأنه من عظماء الإمامية وأفاضلهم، ومن أفاضل علماء الصوفية، وذكر من مصنفاته كتاب

(١) جامع الأسرار، (مخطوط)، (ص ٣٨٩) نقلاً عن: الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري، لمصطفى كامل الشيبي، (ص ١٠٣).
(٢) انظر: المصدر السابق، (١/ ٣١).
(٣) انظر: الاتجاه الإشراقي عند صدر الدين الشيرازي. سمية محمد محمود. رسالة ماجستير في كلية الآداب. جامعة عين شمس، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م (ص: ٨٦).
(٤) روضات الجنات (٢/ ٣٧٧-٣٧٩).

«التأويلات». وله أيضاً: "نص النصوص في شرح الفصوص"، أي: فصوص الحكم لابن عربي، وله تلخيص كتاب الاصطلاحات الصوفية لعبد الرزاق الكاشاني تلميذ ابن عربي وغيرهما[1].

وذكر الشيبي أن كتابه جامع الأسرار اسمه الكامل «جامع الأسرار ومنبع الأنوار في أن عقائد الصوفية موافقة لمذهب الإمامية الإثني عشرية»[2].

ومنهم: عبدالرزاق بن أحمد القاشاني (ت: ٧٣٠هـ)، ويعرف أيضاً بالكاشاني، والكاشي، ذكرالخوانساري من مصنفاته: شرح فصوص ابن عربي، وشرح منازل السائرين للأنصاري، ورسالة في اصطلاحات الصوفية.

وذكر الزركلي من مؤلفاته التي لها علاقة بالتصوف: كشف الوجوه الغر في شرح تائية ابن الفارض، ولطائف الإعلام في إشارات أهل الأفهام، ورشح الزلال في الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال[3].

ومنهم: أحمد بن محمد بن فهد الحلي (ت: ٨٤١هـ)، ترجم له عبد الله الأصبهاني، وقال: «وله ميل إلى مذهب الصوفية، وتفوه به في بعض مؤلفاته». وذكر من مصنفاته عدة الداعي، والتحصين وصفات العارفين، وذكر في الهامش أن مضمونه العزلة، والخمول بالأسانيد المتلقاه عن آل الرسول، وذكر ميله إلى التصوف[4].

ومنهم: محمد بن علي بن أبي جمهور الأحسائي (ت: ٩٠١هـ). ترجم له عبد الله الأصبهاني، وأثنى عليه في علمه وفضله ودينه، وذكر من مصنفاته مما لها علاقة بالتصوف: «رسالة مسلك الأفهام في علم الكلام».

---

(١) انظر: أعيان الشيعة (٦/ ٢٧١-٢٧٣).
(٢) انظر: الصلة بين التصوف والتشيع للشيبي (٢/ ١٠٤-١١١).
(٣) روضات الجنات (٤/ ١٩٧-١٩٨)، والكنى والألقاب للقمي (٣/ ٣٠)، وأعيان الشيعة (٧/ ٤٧٠)، والأعلام للزركلي (٣/ ٣٥٠).
(٤) رياض العلماء وحياض الفضلاء (١/ ٦٤-٦٥).

وترجم له المامقاني[1] وذكر علمه وفضله وثناء علماء الشيعة عليه، وذكر ميله إلى الحكمة والتصوف وتصنيفه فيه[2].

وترجم له محسن أمين على أنه من أعيانهم وأعلامهم ووصفه بالفقيه، الحكيم، الفيلسوف المتكلم، المحدث، الصوفي وذكر كتابه «المجلي في مرآة المنجي» وأنه في العرفان والتصوف والأخلاق[3].

كما ذكر الشيبي اهتمام وتقدير الشيعة له، وأن معصوم على الشيعي الصوفي وصفه بأنه من جملة الفقهاء الأعلام، والمحققين العظام، الذين صحبوا للشيوخ طريق التصوف، وصدّقوه، ووضعوا أسس العقائد الدينية[4].

وأما في العهد الصفوي فقد تأثر التشيع بالتصوف إبَّان ذلك العهد، وذلك بسبب الأصل الصفوي للحكومة، وتسلم مقاليد القوة والزعامة للشيعة جعل المنهجين في تقارب ملاحظ. وقد ترجم الخوانساري لإسماعيل الصفوي ووصفه بقوله: «. . . . الخارج على دولة الباطل بسيفه القاطع، والفتح المبين. . . وكان بدء خروجه من بلاد جيلان مع بعض الصوفية المريدين له، ولآبائه العرفاء الراشدين في سنة ٩٠٦هـ، ثم فتح بلاد أذربيجان على وفق المراد، وأمر بإظهار مذهب الإمامية على رؤوس الأشهاد بسنتين بعدها»[5].

---

(١) هو عبد الله بن محمد المامقاني من آخر من كتب في علوم الحديث عند الإمامية ولد بالنجف سنة: ١٢٩٠هـ، وتوفي بها سنة: ١٣٥١هـ. ومن كتبه " تنقيح المقال في علم الرجال". انظر: معجم المؤلفين (٦/ ١١٦).

(٢) رياض العلماء وحياض الفضلاء (٥/ ٥٠-٥١)، وتنقيح المقال في علم الرجال (٣/ ١٥١).

(٣) انظر: أعيان الشيعة (٩/ ٤٣٤)

(٤) الصلة بين التصوف والتشيع (٢/ ٣٢٣).

(٥) انظر: روضات الجنات (٢/ ٣٣٣)

كما ظهر في أوائل العهد الصفوي مجموعة من الفقهاء الإيرانيين الذين يختلفون عن الجيل الشيعي الأول، ويؤكدون على العرفان والتصوف، وذلك عن طريق إنشاء مدارس خاصة لتدريس علوم العرفان في إطار التشيع لآل البيت.

وقد تبنى هذا الرأي جُلُّ العلماء الأخباريين أمثال: محمد أمين الاسترابادي، وأستاذه محمد بن علي بن إبراهيم الاسترابادي، اللذان نسب إليهما تقليد ابن عربي، وغيره.

وتبعاً لأثر اختلاط التشيع بالتصوف لم ير محمد بن الحسين البهائي - الملقب بشيخ الإسلام - (ت: ١٠٣١) مانعاً من كتابة رسالة صوفية صريحة باسم "وحدة الوجود" و" الكشكول" مستعملاً فيهما عبارات الصوفية، وقصصهم، وأشعارهم، بل لم يمتنع بعضهم من اعتباره أحد أتباع الطريقة النوربخشية[(١)] [(٢)]. ووصفه أحد تلامذته بأنه يميل إلى التصوف كثيراً[(٣)].

ومن الإمامية أصحاب النزعة الصوفية: محمد بن إبراهيم الشيرازي (ت: ١٠٥٠هـ). المشهور بصدر المتألهين، وصدر الدين. ترجم له الخوانساري، ووصفه بأنه منقح أسس الإشراق، بما لا مزيد عليه. وذكر له مؤلفات كثيرة، منها شرح على أصول الكافي للكليني، وشواهد الربوبية، وشرح حكمة الإشراق، والواردات

---

(١) النوربخشية نسبة إلى محمد نوربخش القوهستاني يكنى بأبي القاسم، المولود سنة ٧٩٥هـ، والمتوفى سنة ٨٦٩ هـ يدعي الإثنا عشرية أنها فرقة من فرقهم، وهي توجد في وديان هملايا، وكوهستان بلتستان المتصلة بتبت الصينية، وقد ادعى المهدية لنفسه، وطبق الأحاديث الواردة عن طريق أهل السنة في اسم المهدي وكنيته على شخصه، وأنكر مهدي الشيعة وانفصل عنها، وبهذا رأى بعضهم أنه ليس من فرق الإثني عشرية، بل هو من الصوفية أصحاب وحدة الوجود. انظر: الشيعة، لإحسان إلهي ظهير (ص: ٣١٦).

(٢) انظر: دائرة المعارف الشيعية. للأمين (٨/ ١٠٠).

(٣) انظر: فلاسفة الشيعة (ص: ٤٤٧).

القلبية، والمسائل القدسية والقواعد الملكوتية، وإكسير العارفين في معرفة طريق الحق واليقين، وغيرها مما له علاقة بالتصوف والفلسفة والإلحاد، ونقل عن بعض علماء الشيعة قوله فيه: «كان حكيماً فلسفياً، صوفياً بحتاً»[1].

وكان من آثار نزعته الصوفية أنه يُكبِر ابن عربي إكباراً كبيراً، ويغرق في تمجيده وتعظيمه، ويكثر الاستشهاد بكلامه، ويدافع عنه، ويلتمس الأعذار لشطحاته.

كما كان ممن يقول ويصرح بوحدة الوجود، وألّف فيها رسالة «طرح الكونين في وحدة الوجود».

كذا نجد الأخباري محمد بن المرتضى المشهور بالفيض الكاشاني (ت: ١٠٩١) الذي كان من أتباع الطريقة النوربخشية، وتلميذاً نجيباً للملا صدرا الشيرازي، ومتصوفاً من أتباع وحدة الوجود، ألف رسالتين إضافة إلى تفسيره الصافي، والأصفى المشهورين بالاتجاه العرفاني هما «الكلمات المكنونة في علوم أهل المعرفة» و «ضياء القلب» التي تحوي ميولاً صوفية واضحة، وتهاجم المجتهدين، إضافة إلى مصنف آخر واسمه «المحجة البيضاء في إحياء الإحياء» وهو تهذيب للإحياء[2].

وممن ينتمون إلى هذا الاتجاه أعلام دعوة التقريب من الإمامية، ومن أبرزهم: شرف الدين الموسوي – صاحب كتاب المراجعات– (ت: ١٣٧٧هـ)، ومحمد الحسين آل كاشف الغطاء(ت: ١٣٧٣هـ)[3].

---

(١) روضات الجنات (٤/ ١٢٠-١٢٢)، راجع أعيان الشيعة (٩/ ٣٢١-٣٣٠).

(٢) انظر: أمل الآمل (٢/ ٣٠٥).

(٣) انظر: التقريب بين أهل السنة والشيعة (ص: ١١٣-١٢١). ويلحظ أن بعض هؤلاء يتنكر لما يكتبه في مجلة رسالة الإسلام من دعوة للتقريب، ويثبت في مؤلفاته ما يناقض ذلك، مثل حملة الموسوي المغلوطة على الصحابي الجليل أبي هريرة، وإساءة آل كاشف الغطاء لبعض الصحابة بالسب والنيل منهم في مؤلفه: "أصل الشيعة وأصولها"، فهم دعاة التقريب باللسان، ودعاة الفرقة بالعلم والعمل.

وعند الإمامية المعاصرين فأول ما نطالع في هذا الاتجاه روح الله بن مصطفى الخميني (ت: ١٤٠٩هـ). حيث جاء في ترجمته التي كتبها المعرف عندهم بالعلاّمة وحجة الإسلام والمسلمين أحمد الفهري - الذي جند نفسه لنشر كتب ومؤلفات الخميني -: "... ثم انتقل إلى قم. وهناك درس الفلسفة والحكمة على يد آية الله رفيعي، والعرفان العلمي والعملي على يد آية الله شاه أبادي. ثم تولى تدريس الفلسفة والعرفان في مدينة قم. وذكر أنه كان يكن تقديراً خاصاً لأستاذه في العرفان من بين جميع أساتذته، وكذلك لصدر المتألهين الشيرازي الفيلسوف المتصوف"(١).

وفي كتاب آخر، قدم له فيه أيضاً يصفه فيقول: "صاحب الروح المتلاطم من العرفان... وفكره النقاد الفلسفي في مرآة أفكاره وشخصيته الملكوتية المنعكسة في تأليفاته المتعددة.... أستاذ العصر في العرفان. الموصي أصدقاءه الروحانيين بكتم أسرار الربوبية والنواميس الإلهية عن غير أهلها، وسترها عن جميع الأجانب"(٢).

ثم إنه يعظم فلاسفة الشيعة المتصوفين كثيراً، ويثني عليهم، ولا يذكرهم إلا بعبارات المدح والتبجيل، مثل صدر المتألهين الشيرازي، ومحسن الفيض القاشاني، وغيرهما من مشاهير أهل الفلسفة والعرفان من الشيعة المتأخرين، وكذلك المتقدمين منهم مثل: صدر الدين القونوي ويصفه بخليفة الشيخ الكبير محيي الدين، وعبد الرزاق القاشاني، وهما من أخص تلامذة ابن عربي من الشيعة.

وكذلك الحال مع الفلاسفة المتصوفين مثل ابن عربي، الذي يبالغ في الثناء عليه ووصفه، فيقول مثلاً: الشيخ الكبير، صدر الحكماء المتألهين، شيخ العرفاء الشامخين، العارف الكامل. وقد كتب تعليقاً على كتاب الفصوص لابن عربي، وهو مطبوع متداول.

---

(١) راجع مقدمة كتاب شرح دعاء السحر.

(٢) راجع مقدمة كتاب مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية.

كما نظم قصيدة صوفية قبل موته بشهر أو شهرين عبر فيها عما في نفسه من تصوف. يقول فيها:

يا حبيبي أسرني خال على شفتيك
فرغت من نفسي فصرخت أنا الحق
الحنين إلى المحبوب وضع في روحي شرارة
رأيت عيونك الناحلة فصرت نحيلاً
فطلبت المشنقة مثل منصور الحلاج
وأنا أصرخ من لوعة الفراق
ويشار لي بالبنان افتحوا باب الحان لي ليل نهار
فقد سئمت من المسجد والمدرسة
لباس الدليل إلى الحب فصحوت
فطلبت الاستغاثة من المرشد المخمور
خلعت لباس الزهد والرياء ولبست
ضجرت من مواعظ فقهاء المدينة
دعوني أتذكر معبد الأصنام
لأن صنم الحانة هو الذي أيقظني[1].

وللخميني كتابان في الحلول والاتحاد هما: "مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية" و «سر الصلاة». وله أقوال تشابه الصوفية في مسائل منها: الولاية والأولياء، والأسرار، ووحدة الوجود، وغيرها مما سيأتي ذكره في المباحث المقبلة بمشيئة الله.

---

(١) انظر: جريدة الشرق الأوسط في عددها (٣٨٥٢) بتاريخ ١٢/ ١١/ ١٤٠٩هـ، الموافق ٥/ ٦/ ١٩٨٩م.

كما أن الكثير من أتباع الخميني في العصر الحاضر برز تأثرهم بالنزعة العرفانية، وكان من أشهرهم: المرجع العارف آية الله العظمى محمد تقي بهجت (ت: ١٤٣٠هـ) الذي لقب بـ (سلطان العرفان، ومركز النور والعرفان، وجبل العرفان، وأستاذ العرفان. .) ونحو ذلك من الألقاب، وكان محباً للخميني وصديقاً ومؤيداً.

قال محمد حسين الطهراني عنه: (إن الشيخ بهجت كان زمان المرحوم القاضي - علي القاضي الطباطبائي - واجداً لحالات، ومكاشفات غيبية إلهية وكان حائزاً للحد الأعلى من مراتب المراقبة والصمت)[١].

ومن الإمامية المعاصرين الذين يتقاربون مع الصوفية أحمد راسم النفيس - أحد أقطاب المتشيعين في مصر- حيث قال أثناء حديثه عن معوقات مستقبل التشيع في مصر: "خامساً: ذلك المخزون الاستراتيجي المصري الهائل من الولاء لأهل البيت عليهم السلام والمتمثل في الطرق الصوفية والذي لم تفلح المحاولات الوهابية المدعومة من بعض الرسميين في هدمه والقضاء عليه إلا أن المشكلة الكبرى التي يعاني منها هؤلاء هو الجهل بحقيقة التشيع لأهل البيت رغم انتساب أعداد كبيرة منهم للدوحة النبوية الطاهرة. . . "[٢].

وجاء في موقع مفكرة الإسلام الإلكتروني أن السلطات المصرية قد كشفت العديد من التنظيمات السرية، التي تعمل لحساب إيران الشيعية، ويتزعمها عناصر صوفية. ووجهت مؤخراً انتقادات لـ "الطريقة العزمية" بسبب تلاقيها مع المحاولات التي يقودها، القيادي الشيعي المصري أحمد راسم النفيس للربط بين الطريقة العزمية والشيعة. وأشار النفيس في أكثر من مناسبة إلى دعم "الطريقة العزمية" للشيعة، وإلى تبنيها لمطالبهم.

(١) انظر في سيرة محمد تقي بهجت على الرابط:
http://www.qatif-network.com/news-action-show-id-1916.htm
(٢) المصريون والتشيع الممنوع. أحمد راسم النفيس (ص: ١٣٩).

وفي ختام هذا الفصل فإنه من المستحسن تدوين الملحوظات التالية:

١ - إن التناقض والاضطراب الحاصلين في مواقف الفرقتين تجاه بعضهما دليلان على عدم قيامهما على منهج مؤصل يحدد بوضوح مصادر التلقي الصحيحة، وكيفية التعامل مع النصوص، ليمكن من خلاله تقييم المواقف والآراء.

٢ - الاتجاهات الواردة في مواقف الفرقتين تخضع في كثير من الأحيان لمؤثرات سياسية تعمل على توجيهها وصياغتها، دون الخضوع لثوابت عقدية في التعامل مع الوقائع والأحداث.

٣ - ادعت كل فرقة نسبة أهل الفضل والسبق من آل البيت الأطهار إلى طريقتها بدعاوى مستندة إلى روايات موضوعة، وحكايات مستبعدة عقلاً ونقلاً مسترشدين في ذلك بمنهج الغلو في الأشخاص.

٤ - اتجاهات التأييد وأعلامه من الصوفية والإمامية لم تعمل بشكل معلن ومنظم يجمع صور التشابه بين الفرقتين في مصنف أو موسوعة أو مجمع أو نحوها، بخلاف تخصيص التصنيف في اتجاه الإنكار في القديم والحديث.

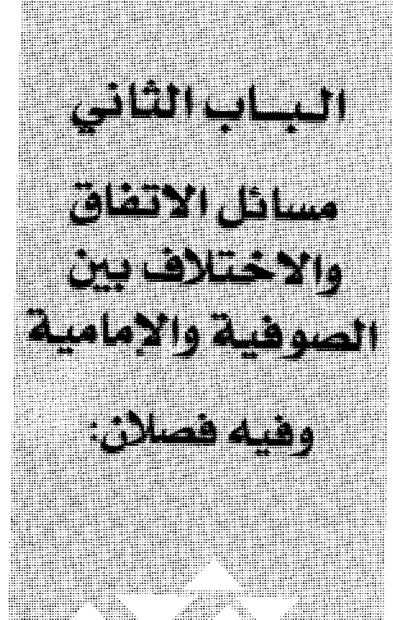
٥ - إن الذين يغلب عليهم التوجه لرفض العلاقة بين الفرقتين من الصوفية هم متصوفة الأشاعرة والماتريدية، بينما نجد توجه التأييد عند الصوفية الباطنية الغلاة.

٦ - التيار الأصولي هو الأقرب تعاطفاً والأوفر حظاً في التقارب مع الصوفية من التيار الأخباري.

٧ - تركزت صور الرفض للعلاقة بين الفرقتين في مسألتي الموقف من الصحابة، والإمامة، بينما برزت صور التأييد في دعاوى الغلو في محبة آل البيت، وتعظيم القبور والمشاهد، والتاثر بالفلسفة الإشراقية، والعداء لأهل السنة والجماعة.

٨ - تبين دور الدولة الصفوية في استغلال التصوف أو إقصائه حسب مصالحها السياسية والاجتماعية والثقافية.

٩ - برزت دعوات التقارب والتأييد لصور العلاقة من قبل الشيعة المعاصرين، والمؤيدين لهم من الصوفية، وذلك لاستغلال هذا الجانب في نشر التشيع.



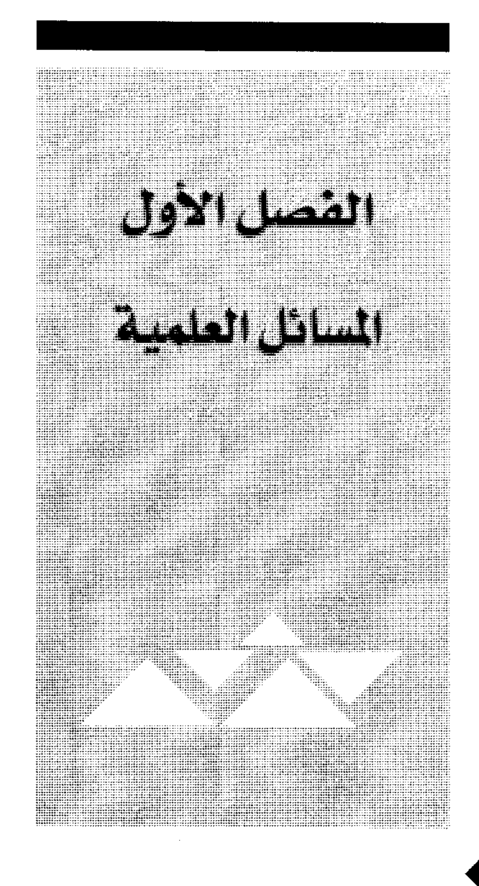
البـاب الثاني

مسائل الاتفاق والاختلاف بين الصوفية والإمامية

وفيه فصلان:

الفصل الأول: المسائل العلمية، وفيه ثلاثة مباحث.

الفصل الثاني: المسائل العملية، وفيه ثلاثة مباحث.

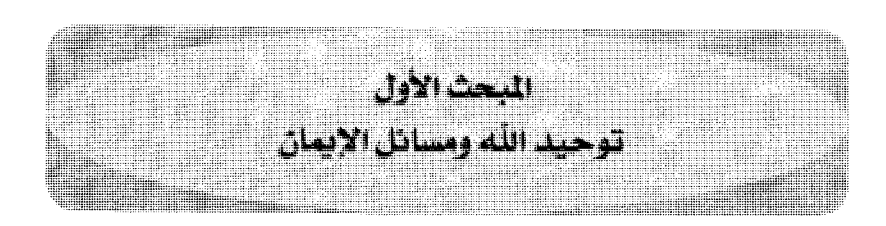


وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: توحيد الله وأصول الإيمان.

المبحث الثاني: النبوة والإمامة والولاية.

المبحث الثالث: الموقف من الصحابة.



المبحث الأول
توحيد الله ومسائل الإيمان

المطلب الأول
توحيد الله وأصول الإيمان عند الصوفية

أولاً: التوحيد والشرك عند الصوفية:

عبر بعض الصوفية عن التوحيد بتصورات غريبة وغامضة تؤدي في مجملها إلى أنه لا تصح العبارة عن التوحيد، وأن من زعم أنه موحد فهو جاحد. فعندما سئل عنه الشبلي[1] قال: "ويحك من أجابك عن التوحيد بالعبارة فهو ملحد، ومن أشار إليك فهو ثنوي، ومن أومأ إليه فهو عابد وثن، ومن نطق به فهو غافل، ومن سكت عنه فهو جاهل. . . ". وقال أيضاً: "ما شم روائح التوحيد من تصور عنده التوحيد"[2].

(١) أبو بكر دلف بن جحدر الشبلي، ويقال اسمه جعفر بن يونس، خراساني الأصل، بغدادي المولد والمنشأ، توفي سنة ٣٣٤هـ، ودفن في مقبرة الخيزران. انظر: طبقات الصوفية (ص: ٨٢)، والطبقات الكبرى (١/ ١٠٣).

(٢) الرسالة القشيرية (٢/ ٥٨٦-٥٨٧)، وحلية الأولياء (١٠/ ٣٧٤).

وقال ابن عطاء[1]: "حقيقة التوحيد نسيان التوحيد"[2].

وعبر الهروي عن توحيد الصوفية بنظمه الأبيات التالية[3]:

وما وحد الواحد من واحد
إذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته
تثنية أبطلها الواحد
توحيده إياه توحيده
ونعت من ينعته لاحد

وقسم الصوفية التوحيد ثلاثة أقسام اختلفوا في عباراتها واتفقوا في مضمونها الذي يرمون إليه دون الاستناد إلى النصوص الشرعية، وهذه الأقسام هي[4]:

١ - توحيد العامة الذي يصح بالشواهد: وهو التوحيد الظاهر الجلي الذي نفى الشرك الأعظم، وعليه نصبت القبلة، وبه وجبت الذمة، وبه حقنت الدماء والأموال، وانفصلت دار السلام عن دار الكفر، وصحت به الملة للعامة. وهذا توحيد العامة الذي يصح بالشواهد، والشواهد هي الرسالة.

٢ - توحيد الخاصة الذي يثبت بالحقائق: وهو إسقاط الأسباب الظاهرة، والصعود عن منازلات العقول، وعن التعلق بالشواهد، وهو أن لا يشهد في التوحيد دليلاً، ولا في التوكل سبباً، ولا في النجاة وسيلة.

---

(١) هو: أحمد بن عطاء: أبوالعباس، أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء، من مشايخ الصوفية، توفي سنة تسع أو إحدى عشرة وثلاثمائة من الهجرة. انظر: الطبقات الكبرى (١/ ٩٥).

(٢) الرسالة القشيرية (٢/ ٥٨٨).

(٣) منازل السائرين إلى الحق المبين. أبو إسماعيل الهروي (ص: ٤٨).

(٤) انظر: منازل السائرين إلى الحق المبين. أبو إسماعيل الهروي (ص: ٤٧)، واللمع (ص: ٤٩-٥١)، ومنهاج السنة. شيخ الإسلام ابن تيمية (٥/ ٣٧٠).

٣ - توحيد قائم بالقدم وهو توحيد خاصة الخاصة: وهو توحيد اختصه الحق لنفسه واستحقه، وألاح منه لائحاً إلى أسرار طائفة من صفوته، وأخرسهم عن نعته، وأعجزهم عن بثه. وحقيقة هذا التوحيد هو قولهم بوحدة الوجود.

- عقيدة وحدة الوجود عند الصوفية وأثرها في مفاهيم التوحيد والشرك:

إن عقيدة وحدة الوجود تعني - بأوجز عبارة - إن الله تعالى والعالم شيء واحد[١].

واشتهرت هذه العقيدة في أوساط غلاة الصوفية سواء كان ذلك من أعلامها أو طرقها في القديم والحديث، وأقوالهم في ذلك مستفيضة مشهورة.

وقد تبنى الختمية عقيدة وحدة الوجود، ودافعوا عنها، وأشادوا بدعاتها، ومن أقوال مؤسس هذه الطريقة في الإشارة إلى وحدة الوجود ما ذكره في الصلاة المشيشية على النبي ﷺ، قوله: "اللهم زج بي في بحار الأحدية، وانشلني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة، حتى لا أرى، ولا أجد، ولا أحس إلا بها"[٢].

ومن دعائهم الذي نسبه الميرغني إلى كُمّل العارفين، قولهم: "إلهي يا حقيقة كل موجود، وعين كل مسموع ومشهود... يا متكلماً بكلام مني على لساني، بل بكلام كل متكلم، وعلى لسان كل قائل.."[٣].

ومن أوراد الختمية: "لا موجود إلا الله"[٤] يقولونها خمسين مرة.

ومن خلال عقيدة وحدة الوجود برزت مظاهر الانحراف العقدي عند الصوفية في توحيد الله تعالى في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه، وصفاته.

---

(١) انظر: الوجود الحق. للنابلسي (ص: ١٤٠)، وعقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية (ص: ٢٨).
(٢) فتح الرسول. محمد عثمان الميرغني (ص: ٢١).
(٣) السابق (ص: ١٠٧).
(٤) مجموع الأوراد الكبير. محمد عثمان الميرغني (ص: ٧٥).

فمن حيث الإيمان بربوبية الله تعالى فإن القائلين بوحدة الوجود ينكرون أن يكون الله تبارك وتعالى خالقاً للأشياء على وجه الحقيقة، لأنها - عندهم - هي الله سبحانه، ومحال أن يخلق الشيء نفسه. فهم لا يؤمنون بوجود خالق ومخلوق، ورب ومربوب، فالكل عندهم عين واحدة، هي ذات الرب تبارك وتعالى.

يقول النابلسي في ديوانه[١]:

ليس الوجود كما يقال اثنان
حق وخلق إذ هما شيئان
هذا المقال عليه قبح عقيدة
عند المحقق ظاهر البطلان

وأما بالنسبة لتوحيد الألوهية فإنه يتضمن أمرين، هما: عبادة الله تعالى، والكفر بالطاغوت والبراءة من الشرك. ولكن القول بعقيدة وحدة الوجود أخلت بالأمرين معاً، حيث إن هذه العقيدة قادت الصوفية إلى اعتقاد سقوط العبادة عمن وصل منهم إلى درجة الكمال - حسب مفهومهم -، واعتقدوا صحة الأديان، وصحة عبادة كل معبود.

يقول ابن عطار مفسراً قول الله عز وجل: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: ١٩]: "أي: اقترب إلى بساط الربوبية نعتقك من بساط العبودية"[٢]. وسمع أبو يزيد البسطامي رجلاً يقول: عجبت ممن عرف الله كيف يعصيه! فقال: "عجبت ممن عرف الله كيف يعبده"[٣].

---

(١) ديوان الحقائق للنابسي (ص: ١٠٤).
(٢) الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٩٥).
(٣) النور من كلمات أبي طيفور للسهلكي (ص: ١٠٩).

وقال آخر: (وفي النساك قوم يزعمون أن العبادة تبلغ بهم إلى درجة تزول فيها عنهم العبادات، وتكون الأشياء المحظورات على غيرهم من الزنى وغيره مباحات لهم)[1].

وقالوا: (إذا وصلت إلى مقام اليقين سقطت عنك العبادة، مؤولين قول الله عز وجل: واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)[2].

ولقد أقر بعض الصوفية بوجود أمثال هؤلاء، يقول القشيري: (وارتحل عن القلوب حرمة الشريعة، فعدّوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة، ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام، ودانوا بترك الاحترام، وطرح الاحتشام، واستخفوا بأداء العبادات، واستهانوا بالصوم والصلاة، وركضوا في ميدان الغفلات، وركنوا إلى اتباع الشهوات، وقلة المبالاة بتعاطي المحظورات، والارتفاق بما يأخذونه من السوقة والنسوان وأصحاب السلطان.

ثم لم يرضوا بما تعاطوه من سوء هذه الأفعال، حتى أشاروا إلى أعلى الحقائق والأحوال، وادعوا أنهم تحرروا من رقّ الأغلال، وتحققوا بحقائق الوصال، وأنهم تجري عليهم أحكامه وهم محو، وليس لله عليهم فيما يؤثرونه أو يذرونه عتب ولا لوم، وأنهم كوشفوا بأسرار الأحدية، واختطفوا عنهم بالكلية، وزالت عنهم أحكام البشرية، وبقوا بعد فنائهم عنهم بأنوار الصمدية، والقائل عنهم غيرهم إذا نطقوا، والنائب عنهم سواهم فيما تصرفوا، بل صرفوا. .)[3].

كما نتج عن عقيدة وحدة الوجود قولهم بأن الأديان لا تختلف من حيث الحقيقة،

---

(١) مقالات الإسلاميين للأشعري (ص: ٢٨٩).

(٢) اتحاف السادة للزبيدي (٨/ ٢٧٨) المنقول من كتاب نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها. عرفان عبد الحميد (ص: ٧٤).

(٣) الرسالة القشيرية (١/ ٢٢، ٢٣، ٢٤).

وإنما هي دين واحد[1]، فاليهودية والنصرانية والإسلام والمجوسية والوثنية وغير ذلك هي ألقاب مختلفة لدين واحد.

وإلى هذا القول ذهبت البكتاشية[2].

وقال ابن عربي[3]:

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة
فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف
وألواح توراة ومصحف قرآن

ومن آثار عقيدة وحدة الوجود عند الصوفية إباحة عبادة غير الله من الأصنام والأشخاص والحيوانات والجمادات. يقول ابن عربي: (العارف المكمل من رأى كل معبود مجلي للحق يعبد فيه، ولذلك سموه كلهم إلهاً مع اسمه الخاص بحجر أو شجر أو حيوان أو إنسان أو كوكب أو ملك)[4]. والدباغ يقول إن القط هو الله، ويجوز السجود للقط[5]. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وباعتبار القول بوحدة الوجود فإن الصوفية يعطلون الله عن أسمائه وصفاته وأفعاله؛ لأنهم يعبرون عن هذا الوجود بالمطلق الذي لا ظهور فيه لاسم، ولا نعت، ولا نسبة، ولا إضافة[6].

---

(١) انظر: الإنسان الكامل للجيلي (ص: ٢٧٠-٢٧٧)، وأخبار الحلاج (ص: ٥١).
(٢) انظر: الطرق الصوفية في مصر (ص: ١٤٥)، وتاريخ الطرق الصوفية في مصر (ص: ١٣)، والطرق الصوفية للسهلي (ص: ٩٥).
(٣) ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق لابن عربي (ص: ٤٩).
(٤) فصوص الحكم- فص حكمة إمامية في كلمة هارونية (ص: ١٩٥).
(٥) الإبريز من كلام الدباغ (ص: ٣٤٣-٣٤٤).
(٦) انظر: الإنسان الكامل للجيلي (١/ ١٧).

ثانياً: الإيمان عند الصوفية وأصوله الاعتقادية:

إذا ما أردنا تعريف الإيمان عند الصوفية فإن أكثرهم يقرون أنهم في باب الإيمان على مذهب الأشعرية والماتريدية[(1)].

ويعرف الأشعري والماتريدي الإيمان بأنه التصديق، والأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان، وعليه قالوا بعدم زيادة الإيمان ونقصانه، لأن التصديق لا يتصور فيه الزيادة والنقصان[(2)].

ورغم إقرار معظم الصوفية بأصول الإيمان الاعتقادية التي هي: الإيمان بالله، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره إلا أن لهم تطبيقات مغايرة تماماً للمعتقد الصحيح فيها، كما يلي:

ففي ركن الإيمان بالله: يرى غلاة الصوفية مشاركة أقطابهم وأوتادهم وأوليائهم لله تعالى وتنزه في الربوبية بادعائهم في أوليائهم أنهم يعلمون الغيب، ويحيون الموتى، ويدبرون الأمر في الكون، ومن أمثلة ذلك ما ذكره الشعراني في ترجمة: جاكير قال: وكان يقول: "ما أخذت العهد على مريد حتى رأيت اسمه مكتوباً في اللوح المحفوظ"[(3)].

وقال الشعراني في ترجمته لسويد السخاوي: "وهو أحد من ملكه الله تعالى التصرف في العالم، وجمع له بين علمي الشريعة والحقيقة"[(4)].

كما اعتقد أتباع الرفاعي في شيخهم بعض خصائص الربوبية والألوهية مثل:

(1) انظر: الدلائل العالية (ص: ١٦٩)، والبراهين الساطعة للعزامي (ص: ١٧٤).
(2) انظر: اللمع للأشعري (ص: ٧٥)، وشرح العقائد النسفية بحاشية عبد العزيز الدهلوي (ص: ٥٥-٥٦)، والتمهيد لأبي المعين النسفي (ص: ١٠٢).
(3) طبقات الشعراني (ص: ١٧٤).
(4) السابق (ص: ١٧٧).

تصريف الكون، وأن الله كلفه النظر في أمر الدواب والحيوانات، ودعوى علم الغيب، وإحياء الموتى، وأنه يملك الجنة والنار، ونحوها.

ومن النصوص الدالة على ذلك قولهم بأنه: "كان قطب الأقطاب في الأرض، ثم انتقل إلى قطبية السماوات، ثم صارت السماوات السبع في رجله كالخلخال"[1].

وذكروا أن الشيخ أحمد الرفاعي قال: جاء في بعض الكتب الإلهية أن الله تعالى قال: «يا بني آدم أطيعوني أطعكم، وراقبوني أراقبكم، وأجعلكم تقولون للشيء: كن فيكون»[2].

وقد نقل عن أحد الصوفية قوله: "تركت قولي للشيء: كن فيكون تأدباً مع الله"[3].

وقال الرفاعي ليعقوب الخادم: "فإن الله تعالى إذا أحب عبداً صرفه في جميع مملكته وأطلعه على ما شاء من علوم الغيب"[4]. ومما ذكروه عن الشيخ الرفاعي أنه قال: «الولي المتمكن يحيي الموتى بإذن الله»[5].

ومن غلوهم في هذا الجانب ادعاؤهم أنهم يحضرون ديوان الربوبية، ويمحون ما في اللوح المحفوظ، فقد ذكروا أن الشيخ الرفاعي قال: «أيها الفقراء: الشيخ عثمان السالم أبادي قدس الله سره يصعد كل يوم عند غروب الشمس إلى ديوان الربوبية، وينظر ديوان ذريته: فما يجد من سيئة يمحوها ويكتب «عوضها» بلا معارضة. ثم

---

(١) طبقات الشعراني (ص: ١٤١)، وقلادة الجواهر (ص: ٤٢).

(٢) جامع كرامات الأولياء للنبهاني(٢/ ١٥٨)، وجمهرة الأولياء (١/ ١٠٦).

(٣) قلادة الجواهر (ص: ٧٣، ١٤٥)، والمعارف المحمدية (ص: ٤٧ - ٤٨).

(٤) قلادة الجواهر (ص: ٦٨).

(٥) الفجر المنير (ص: ٥، ١٥ - ١٦)، وقلادة الجواهر للصيادي (ص: ٧٣، ١٤٥)، وإرشاد المسلمين (ص: ٨٥ - ٨٦)، وسواد العينين (ص: ١٣ - ١٤)، وروضة الناظرين (ص: ٥٨).

التفت إلى ابن أخته - إبراهيم الأعزب - وقال له: يا إبراهيم لا يكون الرجل ممكناً في سائر أحواله حتى يعرض عليه عند غروب الشمس جميع أعمال أصحابه وأتباعه وتلامذته فيمحو منها ما يشاء ويثبت فيها ما يشاء»[1].

ومما غلا به الصوفية مفهومهم في حقيقة توحيد الألوهية حيث يصرفون الدعاء لغير الله، والذبح والنذر لغير الله، ونحوها مما يحصل عند أضرحة الأولياء، ومن آرائهم أيضاً في توحيد الألوهية طاعة الشيخ طاعة مطلقة ولو بتحليل الحرام، وتحريم الحلال - كما سبق بيانه في الباب السابق-.

ومما يرتبط بمفهوم توحيد الألوهية عند الصوفية تعريفهم للعبادة إذ يعرفونها بقولهم: هي الإتيان بأقصى غاية الخضوع مع اعتقاد ربوبية المخضوع له أو شيء من خصائصها، كاستقلال النفع والضر، وأما مع انتفاء هذا الاعتقاد فلا يكون المأتي به عبادة أصلاً ولو كان ذلك سجوداً فضلاً عمن دونه[2].

والختمية يذكرون الله بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان ويسمونه بأسماء غير أسمائه الحسنى وقد ذكر في أذكارهم في دعوة البرهتية عن محمد الحسن الميرغني «أن يقول بسم الله الرحمن الرحيم وصلى آله على سدنا برهتيه، تبتليه طوارِكِ، مزحل، برهشب، خوطر، قلينهود، برشا كطهير باثموا شلخ، شماهير، شمها حيرحورب النور الأعلى عبطال فلا إله إلا هو رب العرش العظيم»[3].

وفي الإيمان بالملائكة يتوجه بعض الصوفية بالدعاء لهم، ويزعمون أنهم يتلقون عنهم بطريق الكشف والإلهام والهواتف.

---

(١) قلادة الجواهر (ص: ١٩٣).

(٢) انظر: الأجوبة الغالية في عقيدة الفرقة الناجية. زين العابدين العلوي (ص: ٤٢-٤٣). وليلحظ أن هذا التعريف للعبادة هو الثابت عند الإمامية -كما سنرى بمشيئة الله-.

(٣) مجمع الأوراد الكبير (ص: ١١٦).

يقول نجم الدين الكبري المتوفى ٦١٨ هـ أن الملائكة تنزل على الصوفية[١].

ويقول محمد الملكي: (وقال سيدي عبدالوهاب الشعراني رحمه الله: قول من قال: «لا ينزل الملك إلا على النبي أما الولي فيلهم» غلط، والحق أن الملك ينزل أيضاً على الولي لكن ينزل عليه بالاتباع لنبيه بإفهام ما جاء نبيه به مما لم يتحقق علمه كحديث قال العلماء بضعفه مثلاً فيخبره ملك الإلهام بأنه صحيح، وقد وقع ذلك للشيخ الأكبر الإمام الحاتمي «ابن عربي» صحح أحاديث بالباطن وقد ضعفها علماء الظاهر وامتحن لأجل ذلك من علماء عصره ا.هـ باختصار. فبان بهذا أن مثل الإمام الجيلي إذا روى أحاديث في تأليف لا تقدم على القول بأنها موضوعة)[٢].

وبمثل ذلك قال الدباغ، وبعبارة أكثر وضوحاً: (وأما ما ذكروه في الفرق بين النبي والوليّ من نزول الملك وعدمه فليس بصحيح، لأن المفتوح عليه سواء كان ولياً أو نبياً لا بد له أن يشاهد الملائكة بذواتهم على ما هم عليه، ويخاطبهم ويخاطبونه، وكل من قال: إن الوليّ لا يشاهد الملك ولا يكلمه فذاك دليل على أنه غير مفتوح عليه)[٣].

وزعم بعضهم: (أن الملائكة تزورني فآنس بها، وتسلم عليّ فأسمع تسليمها)[٤].

ومما خالفوا به الاعتقاد في الملائكة أن الدباغ يتهم الملائكة بالرقص عن طريق الكشف فيقول: (الصوفية يهتزون يميناً وشمالاً لأن الأقطاب رأوا الملائكة تفعل ذلك)[٥].

---

(١) انظر فوائح الجمال وفواتح الجلال لنجم الدين الكبري (ص: ١٠).
(٢) رسالة موسومة بالسيف الرباني في عنق المعترض على القوت الجيلاني. محمد الملكي (ص: ٢١-٢٢).
(٣) الإبريز للدباغ (ص: ١٥١).
(٤) غيث المواهب العلية للنفزي الرندي (١/ ٢٦٢).
(٥) الإبريز (ص: ٧٢).

ومن غلوهم فيما يتعلق **بالإيمان بالكتب** أنهم قالوا: إن للقرآن ظاهراً وباطناً، وإن الظاهر هو علم الشريعة، وأما العلم الفاضل فهو علم الباطن الذي هو علم الحقيقة، ولا يعلمه إلا خاصة الأولياء وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وتوصلوا من ذلك إلى تأويل القرآن على غير ظاهره، وتحريفه عن معانيه، وتفسيره بما يخالف مقتضى دلالته بحسب لغة العرب(1).

وقد وصلت الحال ببعضهم إلى أن قال بأن أذكارهم أفضل من القرآن الكريم حيث جاء عن بعضهم قوله: صلاة الفاتح لما أغلق تعدل ستة آلاف ختمة من القرآن الكريم(2).

وفي ركن **الإيمان بالأنبياء** ذهب بعض الصوفية إلى أن النبي ﷺ قد خلق من نور، وأن النور المحمدي هو أصل الوجود، وهذا المعروف عندهم بالحقيقة المحمدية(3).

ومنهم من يتوجه للنبي ﷺ بالدعاء، وطلب الغوث ولهم في ذلك كتب ورسائل.

ومنهم من يفضل مقام الأولياء على مقام الأنبياء.

قال الواسطي في مدح الرسول ﷺ:

هو الذي خلق الله الوجود له ... هو الذي فضله جاءت به الكتب

لولاه لم تكن الأكوان كائنة ... ولم يكن للورى نسك ولا قرب

---

(1) سبقت الإشارة إلى هذه المسألة بتفصيل أكثر في الباب السابق (ص: ٩٠) وما بعدها.

(2) انظر: مظاهر الغلو عند الصوفية. محمد الشثري (ص: ١٠٥).

(3) سيأتي التعريف بالحقيقة المحمدية بمشيئة الله (ص: ٢٣٧) من البحث.

وأنــت أرحــم مـن لاذ المـسـيء به
وخـيـر مـن يـرتجى إن جـدت الكرب
صلى عليك إلـه الـعـرش مـا طلعت
شمس وأصبح نجم وهـو محتجب[1].

ومن الأمور التي ضلوا فيها وانحرفوا عن هدي النبي ﷺ بناء الأضرحة وتقديسها وما يحصل عندها من القرب، والتعبد لله بالرقص والسماع والصوت والغناء، والتقرب إلى الله بزوال العقل والسكر عند سماع الأذكار، والاحتفال بالموالد النبوية، وموالد الأولياء، والبيعة للمشايخ، والأذكار المختلقة، وشد الرحال لزيارة القبور والمشاهد، والحلف بالأولياء، وغير ذلك.

ومما يخالفون فيه ركن الإيمان بالأنبياء دعواهم حياة النبي ولقياهم إياه، والتلقي عنه يقظة ومناماً، وحضوره مجالس ذكرهم. قال أحدهم: "ولا يكمل العبد في مقام العرفان حتى يصير يجتمع برسول الله ﷺ يقظة ومشافهة.."[2]. وذكر الصيادي الرفاعي أن أحد أعيان الطريقة (الشيخ جلال الدين) كان يجتمع بالنبي ﷺ يقظة لا في المنام، قيل له: كم مرة رأيته يقظة؟ قال بضعاً وسبعين مرة. وألف كتاباً جمع فيه من اجتمعوا به يقظة وأسماه: "تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك"[3]. وهذا ما يعرف بعقيدة الرجعة -وسيأتي بيانها قريباً-.

وبالنسبة لركن **الإيمان باليوم الآخر** فإن غلاة الصوفية يرون أن درجة الصديقين تكون بعدم الخوف من عذاب الله، وعدم رجاء مغفرته وجنته؛ لأن الخوف من

(١) ترياق المحبين (ص: ٧١ - ٧٢)، وروضة الناظرين (ص: ١٠٥، ١٠٦).
(٢) رماح حزب الرحيم (١/ ١٩٩)، وانظر: جواهر المعاني (١/ ١٢٩).
(٣) قلادة الجواهر (ص: ٤٢٢ - ٤٢٣).

العقاب والرغبة في الثواب هما مرتبة العامة من الناس[١].

ولم يقفوا عند هذا الحد بل منهم من زعم أنه ليس هناك جنة أو نار، وإن الجميع منعم، وإن تسمية العذاب بهذا الاسم لعذوبة طعمه[٢].

ومن الصوفية من ضمن الجنة له ولأتباعه مثل الميرغني الذي يقول: إن النبي ﷺ أوصى رضوان خازن الجنة بأن يعمر جناناً ومساكن له ولأتباعه إلى يوم القيامة، وأوصى خازن النار بأن يبني فيها مواضع لأعدائه[٣]. وقال مرة: "خاطبني الحق جل جلاله، وقال: أنت تذكرة لعبادي يا محمد عثمان، فمن أراد طريقاً يوصله إليَّ فليتخذك سبيلاً، وما يفعلون ذلك إلا أن أريد، إن كل من أحبك وأخذ عنك، وتعلق بك هو الذي خلد في رحمتي، وكل من أبغضك وتباعد عنك فهو الظالم المعدود له العذاب الأليم"[٤].

ومثل ذلك أيضاً ما يزعمه متصوفة آخرون عن مشايخهم كالتيجاني القائل: «وعدني رسول الله ﷺ أن كل من رآني يدخل الجنة وإن كان كافراً»[٥].

وكذلك قول أحد أتباعه: «رأيت شيخنا التيجاني رضي الله عنه بيده حلة، وقال لي: من رأى هذه الحلة دخل الجنة»[٦].

وقال التيجاني أيضاً: "وليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلا أنا وحدي"[٧].

---

(١) انظر: الإحياء للغزالي (٤/ ٣٢٨).
(٢) انظر: فصوص الحكم لابن عربي. تعليق: أبو العلا عفيفي (١/ ٩٤ - ١٠٩).
(٣) انظر: مظاهر الغلو عند الصوفية (ص: ١١٨).
(٤) رسالة الهبات المقتبسة ضمن الرسائل الميرغنية. محمد عثمان ابن محمد أبي بكر (ص: ٣٦).
(٥) بغية المستفيد (ص: ٢١٦)، والدرة الخريدة (١/ ٨٠).
(٦) رماح حزب الرحيم على حزب الرجيم (١/ ١٨٢).
(٧) جواهر المعاني (٢/ ١٧٦).

وضمن الرفاعي الجنة لآخر مقابل عصفور يشتريه منه، ومن خرافات الرفاعية حكايتهم قصة ينسبونها إلى الشيخ الرفاعي مفادها أنه قد باع رجلا قصرا في الجنة محدد المساحة لقاء شراء بستان في الدنيا. ونص المبايعة: "بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى إسماعيل بن عبد المنعم من العبد الفقير الحقير أحمد بن أبي الحسن الرفاعي، ضامناً على كرم الله تعالى قصراً في الجنة تجمعه حدود أربعة: الأولى: إلى جنة عدن. الثانية: إلى جنة المأوى. الثالثة: إلى جنة الخلد. الرابعة: إلى جنة الفردوس.

وذلك بجميع حوره وولدانه وفرشه وستره وأنهاره وأشجاره، عوض بستانه في الدنيا. وله الله شاهد وكفيل.

ثم طوى الكتاب وسلمه إليه، وأوصى صاحب البستان المذكور أن يوضع الصك معه في كفنه إذا مات، ففعل أبناؤه ذلك، ولما دفنوه وجدوا صبيحة اليوم التالي وقد كتب على قبره «وقد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً»[1].

وركن **الإيمان بالقضاء والقدر** سوغ فيه بعض الصوفية فعل المعاصي لأنها من خلق الله وكيف يخلق ما لا يرضى، وكيف يعاقب على شيء خارج عن مقدور العبد؟ فوافقوا بذلك الجبرية.

وبزعمهم كل ما يقع في هذا الكون محبوب لله مرضي له، فعليه ليس عندهم منكراً ولا معروفاً.

وفسر بعضهم التوكل بترك الأسباب في التكسب والتداوي وغير ذلك[2].

---

(١) قلادة الجواهر (ص: ٧٠ - ٧١)، وانظر: روض الرياحين (ص: ٤٤٠ - ٤٤١)، وجامع كرامات الأولياء (١/ ٢٩٦ - ٢٩٧).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٣٥٢)، وشفاء العليل لابن القيم (ص: ١٠٥).

المطلب الثاني
توحيد الله ومسائل الإيمان عند الإمامية

أولاً: التوحيد والشرك عند الإمامية:

أنواع التوحيد عند الإمامية ثلاثة، هي: توحيد الله سبحانه من حيث الذات، والفعل، والعبادة. وأحياناً يقولون: توحيد الذات، وتوحيد الصفات، وتوحيد الأفعال.

ومراتب التوحيد سبع هي: التوحيد في الذات، والتوحيد في الخالقية، والتوحيد في الربوبية والتدبير، والتوحيد في التشريع والتقنين، والتوحيد في الطاعة، والتوحيد في الحاكمية، والتوحيد في العبادة، ويطلقون على الأخير أيضاً التوحيد في الألوهية الذي يُعنى منه أن لا يعبد سوى الله[1].

وتقصر الإمامية مفهوم الربوبية فيما يفيد التدبير وإدارة العالم، وتصريف شؤونه، وأما التوحيد الخالقي فمن الخطأ والاشتباه عندهم أن يسمى بالتوحيد الربوبي.

---

(١) انظر: أصل الشيعة وأصولها (ص: ٢١٩)، والتوحيد والشرك في القرآن الكريم. جعفر السبحاني (ص: ٥).

وتعد أهم المعاني المرتبطة بالتوحيد مفاهيم الشرك والعبادة عند كل طائفة، فأما عن **مفهوم الشرك** فإن الإمامية تعبر عنه بأكثر من معنى، منها[1]:

- الاعتقاد بوجود أكثر من مبدأ واحد للعالم.
- ومن معاني الشرك أيضاً الشرك في العبادة ويعني عبادة أكثر من إله وتقديس آلهة أو صور آلهة.
- أو يقولون: الشرك هو إما الاعتقاد بإلهين أو عبادة صنم أو كوكب على أنه رب أو صورة رب أو طلب الحاجة على هذا الأساس.
- أو أن مادة الشرك في القرآن الكريم في جميع مواردها تُؤَوّلُ أو تُطلق: على من لَم يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده، وفضَّل عليهم غيرهم[2].

وأما مفهوم العبادة وتحديد حقيقتها فإن العبادة تعد عند الإمامية من المفاهيم الواضحة كالماء والأرض والتي يصعب التعبير عنها بالكلمات لشدة وضوحها، وحضور معناها في الأذهان، وإذا تطلب الأمر أن تعرّف العبادة تعريفاً موضوعياً فمن الممكن أن تصدق عليها التعريفات الثلاثة التالية[3]:

التعريف الأول:

العبادة هي الخضوع اللفظي أو العملي الناشئ عن الاعتقاد بـ "ألوهية" المخضوع له.

التعريف الثاني:

العبادة هي الخضوع أمام من يعتقد بأنه يملك شأناً من شؤون وجوده، وحياته، وآجله، وعاجله.

---

(١) انظر: التوحيد عند الشيعة. الخميني (ص: ١١-١٢).
(٢) انظر: بحار الأنوار (٢٣/ ٣٩٠) وما بعدها من الصفحات.
(٣) انظر: التوحيد والشرك في القرآن الكريم. جعفر السبحاني (ص: ٧١-٨٠)، وآلاء الرحمن. محمد جواد البلاغي (ص: ٥٧).

التعريف الثالث:

العبادة هي الخضوع ممن يرى نفسه غير مستقل في وجوده وفعله، أمام من يكون مستقلاً.

ويمكن جمع التعريفات السابقة في أن: (العبادة هي الخضوع عن اعتقاد بألوهية المعبود وربوبيته واستقلاله في فعله)[١]. فهي بهذا خضوع مخصوص ولا تعني مطلق الخضوع، وقد أكد ذلك جعفر كاشف الغطاء بقوله: "لا ريب أنه لا يراد بالعبادة التي لا تكون إلا لله، ومن أتى بها لغير الله فقد كفر، مطلق الخضوع والانقياد كما يظهر من كلام أهل اللغة، وإلا لزم كفر العبيد والأجراء وجميع الخدّام للأمراء، بل كفر الأنبياء في خضوعهم للآباء"[٢].

وترتب على مفهومي الشرك والعبادة عند الإمامية انحرافات عديدة من أبرزها[٣]:

١- طلب الحاجة من النبي أو الإمام:

يقولون: إن كان طلب الحاجة من النبي أو الإمام أو أي شخص آخر غير الله باعتبار أنه رب مستقل في قضاء الحاجة فهو شرك يدل على ذلك العقل والقرآن. وإن لم يكن على هذا الاعتبار فليس من الشرك في شيء.

---

(١) ومن الموافقات بين الصوفية والإمامية أن هذا التعريف اختاره بنصه من الصوفية: عبد الحليم العزمي – رئيس تحرير مجلة الإسلام وطن العزمية- في برنامج (الحوار الصريح بعد التراويح) على قناة المستقلة الفضائية في حلقة عدد (١٥) بتاريخ: ١٥/ ٩/ ١٤٣٠هـ- ٥/ ٩/ ٢٠٠٩م، والتعريف أيضاً قريب جداً من قول الصوفية في معنى العبادة الذي سبقت الإشارة إليه.

(٢) أصل الشيعة وأصولها (ص: ٢١٩).

(٣) انظر هذه التطبيقات مفصلة في: كتاب التوحيد عند الشيعة (ص: ١٧-٥٥)، وكشف الأسرار (ص: ٤٩)، والتوحيد والشرك في القرآن الكريم للسبحاني (ص: ١٥٧-٢٢٧).

وإذا طلب على أساس أن رب العالم قد أعطاه القوة وأنه محتاج لله وهو غير مستقل في هذا العمل فليس هذا عملاً إلهياً، ولا يكون طلب الحاجة حينئذ شركاً حسب مذهبهم.

ويستشهدون لذلك من القرآن بقول الله عز وجل: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ [النمل: ٣٨ - ٤٠]. وقول الله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِئُ الأكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِـي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٨ - ٤٩].

وإذا قيل إن الشرك هو طلب الحاجة من الأموات لأنه لا نفع ولا ضرر من نبي أو إمام ميت إن هما إلا كالجمادات. فتجيب الإمامية بقولهم: نحن نستمد من أرواح الأنبياء والأئمة المقدسة التي منحها الله القدرة. وقد ثُبِتَ بالبراهين القطعية والأدلة العقلية المحكمة في الفلسفة العليا القديمة، والفلسفة الأوروبية الروحية أن الروح باقية بعد الموت.

وقال الخميني في كشف الأسرار: (إنَّ الشرك هو طلب الحاجة من غير الله مع الاعتقاد بأنَّ هذا الغير هو إلهٌ وربٌّ، وأمَّا إذا طلبَ الحاجة من الغير من غير هذا الاعتقاد فليس بشركٍ، ولا فرق في هذا المعنى بين الحيِّ والميت، ولهذا لو طلبَ أحدٌ حاجته من الحجر والمدر، لا يكونُ شركاً)(١).

(١) كشف الأسرار للخميني (ص: ٣٠).

٢- طلب الشفاء من التراب:

الشرك كما مرّ في معناه عند الإمامية عبارة عن الاعتقاد بأن شخصاً هو رب أو أن يعبد على أنه رب أو أن تطلب الحاجة منه على أنه مستقل التأثير، كما كانت عليه طوائف المشركين.

وأما إذا كان الأمر لاعتقاده أن الله على كل شيء قدير، وقد يجعل الشفاء في حفنة من التراب إكراماً لشهيد قدَّم وجوده في سبيل الدين، فهذا لا يلزم منه أي شرك وكفر عند الإمامية.

ويستدلون بقول الله تعالى: ﴿ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٦٩]. فيقولون: فإذا كان مطلق طلب الشفاء من غير الله شركاً، يصير طلبه من العسل وإن كان على أساس أن الله قد جعل فيه الشفاء؛ شركاً.

والله قد يهب آثار الحياة لحفنة من تراب مشى عليها حي، كما قال تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾ [طه: ٩٥ - ٩٦].

ويرون أنه لا مجال لأحد أن يقول إن الله غير قادر على أن يجعل التراب الميت منشأ حياة، وعليه فإن تأثير دم الشهداء الأحياء في الأبدية الذي أريق على التراب ليس أمراً بعيداً عن قدرته. إن الاعتقاد بأن الله على كل شيء قدير لا يدع مجالاً للشك في أنه تعالى يجعل عديم الأثر ذا أثر.

بل إن تراب قبر الحسين عندهم شفاء من كل داء، حيث جاء في أخبارهم: "..عن الحارث بن المغيرة قال: قلت لأبي عبد الله - رضي الله عنه - إني رجل كثير العلل والأمراض، وما تركت دواء إلا تداويت به، فقال لي: أين أنت عن طين قبر

الحسين بن علي، فإنه فيه شفاء من كل داء، وأمناً من كل خوف"[1].

ويؤكد الخميني نوع التراب الذي يستشفى به فيقول: "يستثنى من الطين طين قبر سيدنا أبي عبد الله الحسين عليه السلام للاستشفاء ولا يجوز أكله بغيره، ولا أكل ما زاد عن قدر الحمصة المتوسطة، ولا يلحق به طين غير قبره، حتى قبر النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام"[2].

ومن غلوهم في هذا الباب أنهم يرون أنه إذا سجد العبد على تربة القبر أو غيره لله وطاعة لأمره تعالى فهذا ليس شركاً بأي وجه بل هو عين التوحيد وعين عبادة الله. غاية الأمر أن الشيعة يعتقدون أن في السجود على التربة ثواباً أكثر، وهم يسجدون لله ويطلبون منه الأجر.

٣- بناء القبب والمقامات:

يقولون: إن كان ذلك احتراماً للنبي ﷺ، والأئمة، أو لأجل تحصيل الراحة والطمأنينة أو لعبادة الله في ذلك المكان فهذا ليس شركاً أبداً. بل هو عين عبادة الله واتباع أوامره، وهو موافق لمواصفات التوحيد، لأنه تكريم عبد من عباد الله لما أسداه من خدمة في سبيل الله، مع الاعتراف بأنه عبد لا يملك شيئاً إلا ما ملكه الله، ولا يقدر على عمل إلا بما أقدره الله عليه، فهذا - حسب مذهبهم - يوافق أصل التوحيد بمراتبه المختلفة دون أي شك.

وأمثال هذه الأمور عندهم مستغنية عن الدليل، إذ يكفي أن الله لم ينهَ عنها كي تكون جائزة ولا مانع منها. قال تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

(١) أمالي الطوسي (١/ ٣٢٦).
(٢) تحرير الوسيلة. الخميني (٢/ ١٦٤).

ويرون أن في هذه الأماكن المحترمة مئات الآلاف من المسلمين الأطهار يشتغلون بعبادة الله ومدحه وثنائه والصلاة والتذلل في محضره المقدس، فما أحسن أن تبنى قبّة عالية رفيعة تعظيماً لعبادة الله والشعيرة الإلهية، وأن يبنى مسجد في عظمة وجلال كي يميل الناس للدخول إليه، وإن هذا لا ربط له بالشرك أبداً عندهم.

ويستدلون بقوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: ٣٦ - ٣٧].

ويفسرون الآية بأنه لما كانت العيون الضيّقة تنظر إلى الظواهر، فمن التعظيم الشكلي يترسخ ذكرى في القلب، ومن عظمة البنيان يُنتقل إلى عظمة صاحبه، وقد اهتم الإسلام بتعظيم البيوت التي يُعبد فيها وبتعظيم الشعائر الدينية واعتبرها من التشريعات القرآنية.

وتستدل الإمامية على هذه المسألة أيضاً بقول الله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧].

فمن أراد الله في ذلك الزمان عليه أن يأتي إبراهيم أولاً، وفي زمان رسول الإسلام يجب أيضاً أن نأتي الرسول، وفي زمان الأئمة يجب الذهاب إليهم.

كما يزعم الخميني أن بناء القبب والمقامات لأعاظم الدين ليست من مختصات الشيعة فقط، بل إن جميع الملل الإسلامية وكل الفرق الدينية لها مثل هذا الأبنية والقبب المهيبة والعظيمة، فإن كانت هذه الأعمال شركاً، لزم أن يكون جميع المسلمين على اختلاف المذاهب والفرق مشركين، والتوحيد خاصاً بفئة من البعيدين عن التمدن! إن الكعبة ليست إلا الجدران الحجرية الأربعة، والحجر الأسود.

وإذا قيل ماذا تفهمون من الرواية المنقولة عن علي رضي الله عنه: (لا تدع صورةً إلاَّ محوتها، ولا قبراً إلاَّ سويته)[1].

يقولون: إن المراد بالتسوية هنا التسطيح والتعديل وهي مقابل التسنيم، وليس الهدم والمساواة بالأرض، والمنع من بناء القبب والمقامات، واستحباب إتيانها، والتنويه بها[2].

وعلى المنوال نفسه من الأدلة والحجج التي ذكرها الخميني في المسائل السابقة فصل القول فيها جعفر السبحاني، وزاد عليها فيما أسماه بالمسائل العشر، التي فعلها أو طلبها من غير الله ليس من الشرك، وهي: الإشفاء، والشفاعة، والاستعانة، ودعوة الصالحين، وتخليد ذكريات أولياء الله بإحياء مناسبات مواليدهم أو ووفياتهم، والتبرك بآثار النبي ﷺ والأولياء، والبناء على القبور، والقيام عند القبور، والصلاة عندها، والحلف بغير الله سبحانه وإقسامه بمخلوق أو بحقه عليه[3].

كما أسهب السبحاني في تحقيق أن ادعاء علم الغيب، والحياة والموت، والقدرة والعجز، وطلب الأمور الخارقة خارجة من ملاك الشرك[4].

٤- القول بعقيدة وحدة الوجود:

لقد ذهب أهل العرفان من الإمامية إلى القول بعقيدة وحدة الوجود مستندين في ذلك إلى المنظرين لها من أعلام الصوفية - كما ظهر جلياً في حال أعلام الإمامية القائلين بوجود علاقة مع التصوف في الفصل الثاني من الباب الأول- ويكفي في

---

(١) فروع الكافي للكليني (٢/ ٢٢٧)، ووسائل الشيعة للحر العاملي (٢/ ٨٦٩). والحديث في صحيح مسلم. كتاب الجنائز. باب الأمر بتسوية القبر. حديث رقم (٩٦٩).

(٢) انظر: نقض فتاوى الوهابية. محمد كاشف الغطاء (ص: ١٨-١٩).

(٣) انظر: التوحيد والشرك في القرآن الكريم (ص: ١٥٧-٢٢٧).

(٤) انظر: السابق (ص: ١٠٩-١٤٦).

الدلالة على ذلك أن صدر المتألهين ألف رسالته المشهورة: "طرح الكونين في وحدة الوجود"، ونقل عنه محسن الأمين قوله: "إن وحدة الوجود هي التوحيد الحقيقي الذي لا يشاب بالشرك، لأن التوحيد توحيد في العبادة، وتوحيد في الخلق، وتوحيد في الوجود"[1].

وقال القاشاني: "كل خلق تراه العيون فهو عين الحق، ولكن الخيال المحجوب سماه خلقاً، لكونه مستوراً بصورة خلقية"[2].

ويقول إبراهيم الزنجاني: إن مراتب التوحيد أربع.. توحيد العوام وتوحيد الخواص، وتوحيد خاص الخاص، وتوحيد أخص الخواص، والأول مدلول كلمة لا إله إلا الله.

ويذكر بأن شيعته تمتاز عن المسلمين جميعاً بعقيدة توحيد خاص الخاص، وتوحيد أخص الخواص، ويقول بأن المقام لا يتسع لشرح وتفاصيل هذه المراتب، لكنهم أخذوها عن أمير المؤمنين علي في قوله: "أول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده.. نفي الصفات عنه.. فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عده.."[3].

والخميني ذكر هذه العقيدة في كتابه "مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية" ثم كتابه الآخر "سر الصلاة".

---

(١) أعيان الشيعة (٩/ ٣٢٢).

(٢) شرح فصوص الحكم للقاشاني (ص: ١٥٢).

(٣) انظر: عقائد الإمامية الإثني عشرية (ص: ٢٤).

يقول الخميني عن أمير المؤمنين علي: "خليفته (يعني خليفة الرسول ﷺ) القائم مقامه في الملك والملكوت، المتحد بحقيقته في حضرة الجبروت واللاهوت، أصل شجرة طوبى، وحقيقة سدرة المنتهى، الرفيق الأعلى في مقام أو أدنى، معلم الروحانيين، ومؤيد الأنبياء والمرسلين علي أمير المؤمنين"[١].

ويعلق الخميني فيقول: "فإنه عليه السلام صاحب الولاية المطلقة الكلية، والولاية باطن الخلافة.. فهو بمقام ولايته الكلية: قائم على كل نفس بما كسبت، ومع كل الأشياء معيةً قيومية ظلية إلهية، ظل المعية القيومية الحقة الإلهية"[٢].

ويقول بعبارة أكثر صراحة ووضوحاً: "النتيجة لكل المقامات والتوحيدات عدم رؤية فعل وصفة حتى من الله تعالى، ونفى الكثرة بالكلية، وشهود الوحدة الصرفة.."[٣].

ثم ينقل عن أحد أئمته أنه قال: "لنا مع الله حالات هو هو ونحن نحن، وهو نحن، ونحن هو".

ثم يعلق على ذلك بقوله: "وكلمات أهل المعرفة خصوصاً الشيخ الكبير محيي الدين مشحونة بأمثال ذلك مثل قوله: الحق خلق، والخلق حق، والحق حق، والخلق خلق"[٤].

وقال: "وإذا نظف دار التحقق من غبار الكثرة، وطوى الحجب النورانية والظلمانية ونال مقام التوحيد الذاتي، والفناء الكلي تحصل له الاستعاذة الحقيقية..".

---

(١) مصباح الهداية (ص: ١).
(٢) السابق (ص: ١٤٢).
(٣) السابق (ص: ١٣٤).
(٤) السابق (ص: ١١٤، ١٢٣).

ثم قال: وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] رجوع العبد إلى الحق بالفناء الكلي المطلق"[1].

وقد نتج عن عقيدة وحدة الوجود عند الإمامية تلك الآثار التي خلفتها في معاني التوحيد والشرك والتي سبق عرضها في بيان موقف الصوفية من هذه العقيدة، ولكن تأثيرها عند الإمامية كان بنسبة أقل، وذلك لمزاحمة معتقدهم في الإمامة وخصائصها ومكانتها التي قلبت موازيين الحقيقة في العقيدة في الله تعالى. فاتفقت الصوفية والإمامية في التأثير واختلفوا في المؤثر.

والمهم عند الإمامية إثباته من خلال عقيدة وحدة الوجود هو الإيمان بإسلام أبي طالب وعبد المطلب وآبائهم وأجدادهم كافة.

- معتقد الإمامة عند الإمامية وأثره في مفاهيم التوحيد والشرك:

يعد معتقد الإمامة عند الإمامية الأصل الرئيس من أصول الإيمان، ومنهم من جعله هو الإيمان بعينه، وشرط قبول الأعمال، وبه تحصل النجاة، يقول البحراني: "وليت شعري أي فرق بين من كفر بالله سبحانه وتعالى ورسوله، وبين من كفر بالأئمة عليهم السلام مع ثبوت كون الإمامة من أصول الدين"[2].

وقال المجلسي: "اعلم أنّ إطلاق لفظ الشّرك والكفر - يعني في نصوصهم - على من لم يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمّة من ولده عليهم السّلام، وفضّل عليهم غيرهم يدلّ أنّهم كفّار مخلّدون في النار"[3].

---

(١) سر الصلاة (ص: ١٧٨).
(٢) الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة (١٨/ ١٥٣).
(٣) بحار الأنوار(٢٣/ ٣٩٠).

ويقول المامقاني: "وغاية ما يستفاد من الأخبار جريان حكم الكافر والمشرك في الآخرة على كل من لم يكن إثني عشري"[1].

وقال محمد جواد العاملي: "الإيمان عندنا إنما يتحقق بالاعتراف بإمامة الأئمة الإثني عشر عليهم السلام، إلا من مات في عهد أحدهم فلا يشترط في إيمانه إلا معرفة إمام زمانه ومن قبله"[2].

وهذا ما انفردت به الإمامية الإثني عشرية عن كل الفرق باعتمادها على مبدأ الإمامة وجعله ركناً أساسياً ينبني عليه الدخول في الإسلام أو الخروج منه، بل جعلوه أهم ركن من أركانه: جاء في الكافي عن أبي جعفر قال: «بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية، فأخذ الناس بأربع، وتركوا هذه»[3].

وفي رواية «بني الإسلام على شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان والحج إلى البيت، وولاية علي بن أبي طالب»[4].

ويقول محمد حسين آل كاشف الغطا في مدح الأئمة:

يا كعبة الله إن حجت لها الـ
أملاك فعرشه ميقاتها

(١) تنقيح المقال (١/ ٢٠٨).
(٢) مفتاح الكرامة (٢/ ٨٠).
(٣) الكافي (٢/ ١٨).
(٤) انظر هذه الروايات في الكافي (٢ / ٢١، ٢٢، ٣٢)، وأمالي الصدوق(ص: ٢٢١، ٢٧٩، ٥١٠)، وثواب الأعمال (ص: ١٥)، وإثبات الهداة (١ / ٩٠، ٩١، ٥٢٩، ٥٤٥، ٦٣٥)، ورجال الكشي (ص: ٣٥٦)، وعلل الشرائع (ص: ٩٤)، وتفسير العياشي (٢/ ١١٧)، وأمالي المفيد (ص: ٢٠٩)، وأمالي الطوسي (ص: ٥٣٠)، ومن لا يحضره الفقيه (١/ ١٠١، ١٣١).

أنتم مشيئته التي خلقت بها الـ
أشياء بل ذرئت بها ذراتها
أنا في الورى قال لكم إن لم أقل
ما لم تقله في المسيح غلاتها(١)

ومن ذلك أنهم يرون أن دخول الجنة والنجاة من النار مرتبطان بالإيمان بولاية علي رضي الله عنه، وقد نقل الخوانساري عن الطوسي شعراً قال:

لو أن عبداً أتى بالصالحات غداً
وود كلَّ نبيٍّ مرسلٍ وولي
وصام ما صام صوامٌ بلا مللٍ
وقام ما قام قوامٌ بلا كسلِ
وحج كم حجة لله واجبة
وطاف بالبيت حافٍ غير منتعل
وطار في الجو لا يأوي إلى أحد
وغاص في البحر مأموناً من البلل
وأكسى اليتامى من الديباج كلهم
وأطعمهم من لذيذ البر والعسل

(١) ديوان شعراء الحسين. جمع محمد باقر النجفي(ص: ١٢).
ولمن أراد المزيد من الأمثلة والشواهد في منزلة الأئمة ينظر: الحائري/ مقتبس الأثر: ١/ ١٥٣، ٢٤٥-٢٤٨، محسن الأمين/ أعيان الشيعة: ٥/ ٢١٩، ودايون الحسين لمجموعة من شيوخ الشيعة في مواضع كثيرة، وعبد الحسين الأميني/ الغدير: ٧/ ٣٤-٦٧ وغيرها.

وعـــاش فـــي الـنـــاس آلافـــاً مـؤلـفـــةً

عـــارٍ مـن الـذنـب معصوماً مـن الزلل

مـا كـان فـي الحشر يـوم البعث منتفعاً

إلا بـحـــب أمـيـــر المـؤمـنـين عـلـي[1]

وهذا المعتقد له تأثيره البارز عند الإمامية في توحيد الله تعالى في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته.

فمن حيث الإيمان بربوبية الله تعالى جاء في بعض أخبار الإمامية أن الرب هو الإمام، وذلك في تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [**الكهف**: ١١٠] حيث قالوا: يعني التسليم لعلي - رضي الله عنه - ولا يُشرك معه في الخلافة من ليس له ذلك، ولا هو من أهله[2]، ورواياتهم في تفسير ذلك في كثير من الآيات[3].

وجاء في مرآة الأنوار أن علياً قال: "أنا رب الأرض الذي تسكن الأرض به"[4].

وقال الخميني في قوله عز وجل: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [**الرعد**: ٢] قال: "أي ربكم الذي هو الإمام، فانظر ما أحكم كلام الله وأتقن صنع الله"[5].

ويقول الخميني: إن الله تعالى أيّد أنبياءه وأولياءه بالمعجزات والكرامات، وهي فروع إظهار الربوبية والقدرة والسلطنة والولاية في العوالم العالية والسافلة. ولكنهم رغم جعل الله هذه الربوبية في أيديهم إلا أنهم يأبون إظهارها إلا عند الضرورة

(١) روضات الجنات (٦/ ٣٠٥).

(٢) تفسير القمي (٢/ ٤٧)، وتفسير العياشي (٢ / ٣٥٣).

(٣) انظر: تفسير القمي (٢/ ١١٥، ٢٥٣)، وتفسير العياشي (٢/ ٢٦١)، ورجال الكشيّ (ص: ٣٠٠).

(٤) مرآة الأنوار (ص: ٥٩).

(٥) مصباح الهداية (ص: ١٤٥).

وذلك لقوة سلوكهم وطهارة نفوسهم وعدم ظهورهم بالربوبية التي هي شأن الرب المطلق[1].

وقال أيضاً في تعريف الولي ما نصه: "فإن الولاية هي القرب أو المحبوبية أو التصرف أو الربوبية أو النيابة . . ."[2].

وذكر بعض شيوخ الإمامية بأنَّ لأئمتهم: (حالة روحانية برزخية أوليَّة تجري عليهم فيها صفات الربوبية، وإليه أُشير في الدعاء: لا فرق بينك وبينهم إلاَّ أنهم عبادك المخلصون)[3].

وتزعم الإمامية بأن الدنيا والآخرة كلها للإمام، يتصرف بها كيف يشاء، وقد عقد الكليني في الكافي باباً بعنوان: (باب أن الأرض كلها للإمام)[4].

ويقوم الإمامية بإسناد الحوادث الكونية إلى الأئمة، حيث جاء في رواياتهم: "عن سماعة بن مهران قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فأرعدت السماء وأبرقت، فقال أبو عبد الله - عليه السلام - أما إنه ما كان من هذا الرعد، ومن هذا البرق، فإنه من أمر صاحبكم، قلت: من صاحبنا؟ قال: أمير المؤمنين - عليه السلام - "[5]، ويقولون إن السحاب هو المطية الذلول لعلي يسيرها كيف يشاء، حيث يقولون: ". . ما كان من سحاب فيه رعد وصاعقة وبرق، فصاحبكم يركبه، أما إنه سيركب السحاب، ويرقى في الأسباب، أسباب السماوات والأرض السبع . . ."[6].

(١) انظر: مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية (ص: ٩٠-٩٢).
(٢) مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية (ص: ٥٧).
(٣) مصابيح الأنوار في حل مشكلات الأخبار. عبد الله شبر. ج٢، الحديث ٢٢٢.
(٤) أصول الكافي للكليني (١/ ٤٠٧، ٤١٠).
(٥) الاختصاص للمفيد (ص: ٣٢٧)
(٦) السابق (ص: ١٩٩، ٣٢٧).

وتزعم روايات الإمامية أن جزءاً من النور الإلهي حل بعلي، حيث جاء في رواياتهم: "قال أبو عبد الله ثم مسحنا (أي الله) بيمينه، فأفضى نوره فينا"[1]، ويقولون: ". . ولكن الله خلطنا بنفسه. ."[2]، ومع ذلك يزعمون أن علياً رضي الله عنه قد صرح بذلك على الملأ معلناً اتصاف الأئمة بأوصاف الله فقال: «إن الله سبحانه قد تكلم بكلمة فصارت نوراً فخلق منه نور النبي ونوري ونور الأئمة وتكلم أخرى فصارت روحاً، فأسكنها في ذلك النور، وذلك النور مع تلك الروح ركبها في أبداننا معاشر الأئمة، فنحن الروح المصطفاة ونحن الكلمات التامات ونحن حجة الله الكاملة على الخلق، فنحن كنا نوراً أخضر حيث لا شمس ولا قمر ولا ليل ولا نهار ولا مخلوق ولا مخلوقات. . . فأخذ الله لنا العهد من أرواح الأنبياء على الإيمان بنا وعلى نصرتنا»[3].

وهذا الجزء الإلهي الذي حل في الأئمة - كما يزعمون - أُعطوا به قدرات مطلقة، فهذا مثلاً علي - رضي الله عنه - يحيي الموتى، حيث جاء في الكافي: عن أبي عبد الله، قال: إن أمير المؤمنين له خؤولة في بني مخزوم، وإن شاباً منهم أتاه، فقال: يا خالي، إن أخي مات، وقد حزنت عليه حزناً شديداً، قال: فقال: تشتهي أن تراه، قال: بلى، قال: فأرني قبره، قال: فخرج ومعه بُردة رسول الله ﷺ متزراً بها، فلما انتهى إلى القبر تلملمت شفتاه، ثم ركضه برجله، فخرج من قبره، وهو يقول بلسان الفرس، فقال أمير المؤمنين - عليه السلام - ألم تمت وأنت رجل من العرب؟ قال: بلى، ولكنا متنا على سنة فلان وفلان (يقصد أبا بكر وعمر) فانقلبت ألسنتنا"[4].

(١) أصول الكافي (١/ ٤٤٠، ٤٤٢).
(٢) السابق (١/ ٤٣٥).
(٣) الأنوار النعمانية، نعمت الله الجزائري (٢/ ٩٩، ١٠٠).
(٤) أصول الكافي للكليني (١/ ٤٥٧).

ويقول عبد الحسين العاملي:

أبـــا حـــســـن أنـــت عـــين الإلـــه
وعـــنـــوان قـــدرتـــه الـــسـامـيـة
وأنـــت المحـــيـــط بـعـلـم الـغـيـوب
فـهـل عـنـك تـعـزب مـن خـافـيـة
وأنـــت مـديـر رحـــى الـكـائـنـات
وعـــلـــة إيـجـــادهـــا الـبـاقـيـة
لـــك الأمـــر إن شـئـت تـنـجـي غـداً
وإن شـئـت تـسـفـع بـالـنـاصـيـة[1]

وفي محاضرات للخميني طبعت في تفسير آية البسملة، قال تحت عنوان: علي عليه السلام التجلي الإلهي العظيم: "إذا أنشد قصيدة في مدح الأمير علي عليه السلام فهو يريد أن يقول إنه يدرك أنها لله، لأن الإمام عليه السلام هو التجلي العظيم لله، ولكونه كذلك لذا فإن ما فرضتموه مدحاً له فهو مدح لله من خلال مدح تجليه"[2].

كما أن اعتقاد الإمامية في الأئمة قد أثر في توحيد الألوهية حيث قام الإمامية بتحريف معنى آيات القرآن، التي تأمر بعبادة الله وحده، إلى الإيمان بإمامة علي والأئمة، وتحريف معنى الآيات التي تنهى عن الشرك، حيث جعلوا المقصود بها الشرك في ولاية الأئمة. ومن ذلك ما جاء في تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]. حيث جاء في كتاب الكافي، وجاء في تفسير القمي، وفي غيرهما من

---

(١) ديوان شعراء الحسين (ص: ٣٨٤).

(٢) محاضرات للخميني في تفسير آية البسملة (ص: ٣١).

مصادرهم المعتمدة، تفسيرها بما يلي: "يعني إن أشركت في الولاية غيره"، وفي لفظ آخر: "لئن أمرت بولاية أحد مع ولاية علي ليحبطن عملك"[1]. وجاء في سبب نزولها عند الإمامية: ".. إن الله عز وجل حيث أوحى إلى نبيه ﷺ أن يقيم علياً للناس علماً، أتى إليه معاذ بن جبل فقال: أشرك في ولايته الأول والثاني" يعنون أبا بكر وعمر "حتى يسكن الناس إلى قولك ويصدقوك، فلما أنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، شكا رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جبرائيل، فقال: إن الناس يكذبونني ولا يقبلون مني، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾"[2]. وفسر الإمامية ذلك في آيات كثيرة[3].

ولم يكتف الإمامية بذلك، بل جعل بعض شيوخهم هذا التأويل قاعدة مطردة في القرآن، حيث قال: "كل ما ورد ظاهره في الذين أشركوا مع الله سبحانه رباً غيره من الأصنام التي صنعوها بأيديهم ثم عظموها وأحبوها والتزموا عبادتها، وجعلوهم شركاء ربهم، وقالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله بغير أمر من الله، بل بآرائهم وأهوائهم، فبطنه وارد في الذين نصبوا أئمة بأيديهم، وعظموهم، وأحبوهم، والتزموا طاعتهم، وجعلوهم شركاء إمامهم الذي عينه الله لهم.."[4].

فمذهب الإمامية في تأويل نصوص التوحيد، والنهي عن الشرك، بالمعنى الباطني المبتدع، لا تكاد تخلو منه آية من آيات القرآن المتعلقة بالتوحيد والنهي عن الشرك، ووضعهم هذا قاعدة يعني أن أخبارهم تواطأت وتضافرت على ذلك، ولهذا

---

(١) أصول الكافي للكليني (١/ ٤٢٧)، وانظر أيضاً تفسير القمي (٢/ ٢٥١).
(٢) البرهان في تفسير القرآن. لهاشم بن سليمان البحراني الكتكاني (٤/ ٨٣).
(٣) أصول الكافي (١/ ٤٢١، ٤٣٧)، وتفسير القمي (٢/ ٢٥٦).
(٤) مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار لأبي الحسن الشريف (ص: ٥٨، ١٠٠).

قال بعض شيوخهم: "إن الأخبار متضافرة في تأويل الشرك بالله، والشرك بعبادته، بالشرك في الولاية والإمامة، أي يُشرك مع الإمام من ليس من أهل الإمامة، وأن يتخذ مع ولاية آل محمد رضي الله عنهم (أي الأئمة الإثنا عشر) ولاية غيرهم"[1].

ولقد جاء عند الإمامية روايات كثيرة، ليست من قبيل التأويل للآيات، بل هي أحاديث مستقلة عن أئمتهم تؤصل هذا الزعم، ومن ذلك قولهم: "من أشرك مع إمام إمامته من عند الله من ليست إمامته من عند الله كان مشركاً"[2]. ومن ذلك قول ابن بابويه القمي: ". . إن الله هو الذي لا يخليهم في كل زمان من إمام معصوم، فمن عبد رباً لم يقم لهم الحجة، فإنما عبد غير الله عز وجل"[3]. وهو يعني بذلك: أن من آمن بالله سبحانه رباً، وأخلص له العبادة، ولكن اعتقد أنه لم يول علياً، ولم ينص على إمامته، فقد عبد غير الله. وقد أخذ الإمامية من هذه النصوص الحكم بتكفير من عداهم من المسلمين.

وتعد الإمامية أن ولاية الأئمة الإثني عشر، والتوسل بهم والتوجه إليهم هو أصل النجاة وشرط قبول الأعمال، وجاءت رواياتهم لتجعل المغفرة والرضوان والجنات، لمن اعتقد الإمامة، ولو جاء بقراب الأرض خطايا، والطرد والإبعاد والنار، لمن لقي الله لا يدين بإمامة الإثني عشر[4].

ويزعم الإمامية أنه لا يُقبل الدعاء إلا بأسماء الأئمة، ولا يُفلح من دعا الله بغير الأئمة، وجاءت روايات كثيرة بهذا المعنى[5].

---

(١) السابق (ص: ٢٠٢).

(٢) الغيبة. للنعماني (ص: ٨٢).

(٣) علل الشرائع لابن بابويه القمي(ص: ١٤).

(٤) انظر: التوسل ركن الإيمان والعبادة. حسن العالي (ص: ١٠٥).

(٥) انظر: تفسير الحسن العسكري (ص: ١١٧، ١١٨)، وتفسير العياشي (١ / ٤١)، والخصال لابن بابويه القمي (١/ ١٣٠)، ومعاني الأخبار لابن بابويه القمي (ص: ٤٢).

ولقد أسبغت الإمامية على أئمتهم خصائص ومزايا كثيرة سيرد تفصيلها في الفصل المقبل بمشيئة الله. ومنها: أن الإمام يحرم ما يشاء، ويحل ما يشاء، وأن الناس عبيد للأئمة، والحج إلى أضرحة الأئمة أفضل من الحج إلى البيت الحرام، ووجوب الاستغاثة بهم، ونحو ذلك.

وفي الإيمان بأسماء الله وصفاته تزعم الإمامية أن الأئمة هم أسماء الله وصفاته، ومما جاء في ذلك ما رواه الكليني في (الكافي) عن أبي عبد الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، قال: «نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا»[١]. والروايات في ذلك كثيرة[٢]. وجاء في (رجال الكشي) قال علي - كما يزعمون -: (أنا وجه الله، أنا جنب الله، وأنا الأول، وأنا الآخر، وأنا الظاهر، وأنا الباطن، وأنا بكل شيء عليم.. وأنا أُحيي، وأنا أُميت، وأنا حيٌّ لا أموت..)[٣].

وفصَّل شيوخ الشيعة فأصدروا روايات على ألسنة أئمتهم أنهم قالوا: (نحنُ المثاني الذي أعطاه الله نبيَّنا محمداً «ص»، نحنُ وجه الله نتقلَّبُ في الأرض بين أظهركم، ونحنُ عينُ الله في خلقه، ويده المبسوطة بالرحمة على عباده، عَرَفَنا مَنْ عَرَفَنا وجَهِلَنا مَن جَهِلَنا)[٤].

ورووا عن أبي عبد الله رحمه الله أنه قال: (إنَّ الله خلَقنا فأحسن صُوَرنا، وجعلنا عينه في عباده، ولسانه الناطق في خلقه، ويده المبسوطة على عباده بالرأفة والرحمة، ووجهه الذي يُؤتى منه، وبابه الذي يَدلُّ عليه، وخُزَّانه في سمائه وأرضه، بنا أثمرت

(١) أصول الكافي (١/ ١٤٣، ١٤٤)، وتفسير العياشي (٢/ ٤٢)، والاختصاص للمفيد (ص: ٢٥٢).
(٢) أصول الكافي (١/ ١٤٣، ١٤٥)، والتوحيد لابن بابويه (ص: ١٥١، ١٥٢، ١٦٤، ١٦٧).
(٣) رجال الكشي (ص: ٢١١)، وانظر: بحار الأنوار (٩٤/ ١٨٠)، وبصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد (ص: ١٥١).
(٤) أصول الكافي (١/ ١٤٣).

الأشجار، وأينعت الثمار، وجرَتِ الأنهارُ، وبنا يَنزلُ غيث السماء، ويَنبتُ عُشبُ الأرض، وبعبادتنا عُبد الله، ولولانا ما عُبد الله)[1].

وفي روايةٍ أنَّ أئمتهم قالوا: (. . . ثمَّ يُؤتى بنا فنجلسُ على عرش ربنا)[2].

ولم يكتف الإمامية بذلك، بل أضفوا على الأئمة أيضاً بعض صفات الله - تعالى - كعلم الغيب، حيث عقد الكليني في (الكافي) باباً بعنوان: "أن الأئمة يعلمون علم ما كان وعلم ما يكون، وأنه لا يخفى عليهم الشيء"[3]، وضمنه طائفة من رواياتهم، وعقد باباً آخر بعنوان "أن الأئمة إذا شاؤوا أن يعلموا علموا"[4]، وضمنه مجموعة من رواياتهم، ومن ذلك: قال أبو عبد الله - كما يزعمون - "إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض، وأعلم ما في الجنة، وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما يكون. ."[5].

وينسبون إلى علي رضي الله عنه قولاً يجعلونه به جامعاً لأنواع التوحيد كلها، وهو: «يعني يعبدونني ولا يتقون من أحد. . لا أنا صاحب الرجعات وصاحب الصولات وصاحب الانتقامات وصاحب الدولة العجيبة أنا حصن الحديد وأنا عبد الله وأخو رسوله، وأنا أمين الله على علمه وصندوق سره وحجابه وصراطه وميزاته وكلمته، أنا أسماء الله الحسنى وأمثاله العليا وآياته الكبرى، أنا صاحب الجنة والنار أسكن أهل الجنة في جنتهم وأهل النار في نارهم، وأنا الذي أزوج أهل الجنة وإليَّ مرجع هذا الخلق في القيامة، وعليَّ حسابهم»[6].

---

(١) السابق (١/ ١٤٤).

(٢) تفسير العياشي (٢/ ٣١٢)، وبحار الأنوار (٣/ ٣٠٢)، وتفسير البرهان للبحراني (٢/ ٤٣٩).

(٣) انظر: أصول الكافي للكليني (١ / ٢٦٠، ٢٦٢).

(٤) انظر: السابق (١/٢٥٨).

(٥) انظر: أصول الكافي (١/ ٢٦١).

(٦) الأنوار النعمانية، ٢/٩٩، ١٠٠.

وعلى كل حال فإننا سنلمس آثاراً أخرى لعقيدة الإمامة عندهم فيما يأتي من المباحث حيث تتوالد العقائد الضالة بعضها من بعض.

ثانياً: مفهوم الإيمان وأصوله الاعتقادية عند الإمامية:

ذهبت الإمامية في تعريفها للإيمان إلى قولين، هما:

١ - الإيمان تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان وهو المحكي عن بعض علماء الإمامية مثل الطوسي في (التجريد)[١]. وروى هذا التعريف الشيخ الصدوق بسنده عن الإمام الرضا في رواية: "الإيمان إقرار باللسان ومعرفة بالقلب وعمل بالجوارح"[٢].

٢ - الإيمان هو تمام التصديق وهو ما اختاره جمع واسع من علماء الإمامية. وأما العمل فهو من لوازم الإيمان وليس من ماهيته[٣]. وبناءً على هذا المعنى فإن الإيمان لا يقبل الزيادة والنقيصة[٤].

واستدل أصحاب هذا القول بالروايات الواردة في الكافي والتي تنفي دخول العمل في مسمى الإيمان، واستشكلوا الروايات الأخرى الواردة في الكافي أيضاً والتي تدخل العمل في مفهوم الإيمان بالطعن في سندها، أو أنها من قبيل المكاتبات التي تكون من باب التقية[٥].

وأما أصول الإيمان عندهم فهي خمسة: معرفة الله تعالى (التوحيد)، والعدل،

---

(١) انظر: حقائق الإيمان. الشهيد الثاني (ص: ٥٤).
(٢) الخصال للصدوق (ص: ١٧٨-١٧٩).
(٣) انظر: ظاهرة التكفير في الفكر الإسلامي. مالك مصطفى العاملي (ص: ١٢٤، ١١٧).
(٤) انظر: السابق (ص: ١٥٤)، وحقائق الإيمان (ص: ٩٨).
(٥) انظر: الكافي (٢/ ٢٤-٣٨)، وتحليل الروايات في حقائق الإيمان (ص: ٣٨).

والنبوة، والإمامة، والمعاد[1]. يقول الكركي: "يجب على كل مكلف حر وعبد، ذكر وأنثى، أن يعرف الأصول الخمسة التي هي أركان الإيمان وهي: التوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة، والمعاد بالدليل لا بالتقليد، ومن جهل شيئاً من ذلك لم ينتظم في سلك المؤمنين، واستحق العقاب الدائم مع الكافرين"[2].

ولقد أدخل شيوخ الشيعة الإيمان بالأئمة الإثني عشر في مسمَّى الإيمان. قال ابن المطهر الحلي: (مسألة الإمامة: هي أحدُ أركان الإيمان المستحقِّ بسببه الخلود في الجنان، والتخلُّص من غضب الرحمن)[3].

وقال أمير محمد الكاظمي القزويني: (إنَّ من يكفر بولاية علي رضي الله عنه وإمامته فقد أسقط الإيمان من حسابه، وأحبطَ بذلك عمله)[4].

وقال الخميني: "لأن الإيمان لا يحصل إلاَّ بواسطة ولاية علي وأوصيائه من المعصومين الطاهرين عليهم السلام، بل لا يُقبل الإيمان بالله ورسوله من دون الولاية. إن ولاية أهل البيت ومعرفتهم شرط في قبول الأعمال يعتبر من الأمور المُسلَّمة، بل تكون من ضروريات مذهب التشيّع المقدّس"[5].

وقال السيستاني: "اتفقت الإمامية أن من أنكر إمامة أحد من الأئمة، وجحد ما أوجبه الله من فرض الطاعة له فهو كافر ضال مستحق للخلود في النار"[6].

---

(١) انظر: أصل الشيعة وأصولها (ص: ٢١٠) وما بعدها.

(٢) رسائل الكركي (٢/ ٥٩).

(٣) منهاج الكرامة في معرفة الإمامة. لابن المطهر الحلي (ص: ١).

(٤) الشيعة في عقائدهم وأحكامهم. للقزويني (ص: ٢٤).

(٥) الأربعون حديثاً للخميني (ص: ٥١٢).

(٦) انظر: موقع مركز الأبحاث العقائدية الإلكتروني الذي يشرف عليه السيستاني. وقد تم مناقشة هذه المقولة على قناة المستقلة اللندنية في يناير ٢٠١٠م.

وبالنسبة لموقف الإمامية من أركان الإيمان وأصوله الاعتقادية الثابتة بنصوص الكتاب والسنة فإنهم يشاركون الصوفية في الإخلال بحقيقتها، وما تقتضيه، على النحو التالي:

ففي ركن الإيمان بالله: أدخل الإمامية الإثنا عشرية، الإيمان بالأئمة الإثني عشر في مسمى الإيمان ولم يكتفوا بذلك بل جعلوه هو الإيمان بعينه، جاء في (الكافي) قوله: الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس. . "وذكر أركان الإسلام"، ثم قال: الإيمان معرفة هذا الأمر مع هذا، فإن أقر بها ولم يعرف هذا الأمر (يقصد إمامة الإثني عشر) لا كان مسلماً وكان ضالاً[1].

بل إن الإمامية جعلت الولاية للأئمة، والتوسل بهم والتوجه إليهم شرط قبول الإيمان والعبادة أو صحتهما[2].

ومن خلال هذا المعتقد في الأئمة زاحموا الله تعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته كما سبق تفصيله.

ويزعم الإمامية تأثير بعض الأيام بالنفع والضر، حيث قال أمير المؤمنين: "يوم السبت: يوم مكر وخديعة، ويوم الأحد: يوم غرس وبناء، ويوم الاثنين: يوم سفر وطلب، ويوم الثلاثاء: يوم حرب ودم، ويوم الأربعاء: يوم شؤم يتطير فيه الناس، ويوم الخميس: يوم الدخول على الأمراء، وقضاء الحوائج، ويوم الجمعة: يوم خطبة ونكاح"[3] والروايات في ذلك كثيرة[4].

---

(١) انظر: أصول الكافي (٢/ ٢٤).

(٢) انظر: التوسل ركن الإيمان والعبادة. حسن العالي (ص: ١٠٥).

(٣) علل الشرائع (ص: ١٩٩)، والخصال لابن بابويه القمي (٢/ ٢٨).

(٤) انظر: من لا يحضره الفقيه لابن بابويه القمي (١/ ٩٥).

ونجد أن الخميني يزعم أن هناك أياماً منحوسة من كل شهر يجب أن يتوقف الشيعي فيها عن كل عمل، وأن لانتقال القمر إلى بعض الأبراج تأثيراً سلبياً على عمل الإنسان، فليتوقف الشيعي عن القيام بمشروع معين حتى يتجاوز القمر ذلك البرج المعين.

ومما يشهد لاتجاه خميني هذا ما جاء في تحرير الوسيلة؛ حيث يقول: "يكره إيقاعه (يعني الزواج) والقمر في برج العقرب، وفي محاق الشهر، وفي أحد الأيام المنحوسة في كل شهر وهي سبعة: يوم ٣، ويوم ٥، ويوم ١٣، ويوم١٦، ويوم ٢١، ويوم ٢٤، ويوم ٢٥ (وذلك من كل شهر)"(١).

ويُجيز الإمامية الاستغاثة بغير الله، حيث جاء في مصادرهم المعتمدة: عن أبي بصير، عن أبي عبد الله، قال: إذا ضللت الطريق، فناد يا صالح.. أرشدونا إلى الطريق، يرحمكم الله. وروي أن "البر موكل به صالح، والبحر موكل به حمزة"(٢). وجاء في كتاب الخصال لابن بابويه القمي، بإسناده عن علي، قال: "ومن ضل منكم في سفر، وخاف على نفسه، فليناد: يا صالح، أغثني فإن من إخوانكم من الجن جنياً، يسمى صالح، يسبح في البلاد لمكانكم، محتسباً نفسه لكم، فإذا سمع الصوت، أجاب وأرشد الضال منكم.."(٣).

كما يستغيثون بالطلاسم، ومن ذلك: زعمهم أنَّ حرز أمير المؤمنين رضي الله عنه للمسحور، هو: (بسم الله الرحمن الرحيم، أي كنوش أي كنوش، ارشش عطنيطنيطح يا مطيطرون فريالسنون، ما وما، ساما سويا، طيطشا لوش خيطوش، مشفقيش، او صيعينوش ليطفيتكش....) ثمَّ وضع المجلسي: رسم رموز غريبة على شكل خطوط متداخلة..(٤).

(١) تحرير الوسيلة (٢/ ٢٣٨).
(٢) من لا يحضره الفقيه (٢/ ١٩٥).
(٣) الخصال لابن بابويه القمي (٢/ ٦١٨).
(٤) بحار الأنوار (٩١/ ١٩٣).

ويُجيز الإمامية الاستخارة بما يشبه أزلام الجاهلية، حيث جاء في رواياتهم: "عن هارون بن خارجة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إذا أردت أمراً، فخذ ست رقاع، فاكتب في ثلاث منها بسم الله الرحمن الرحيم، خيرة من الله العزيز الحكيم، لفلان بن فلانة، افعل، وفي ثلاث منها: بسم الله الرحمن الرحيم، خيرة من الله العزيز الحكيم، لفلان بن فلانة، لا تفعل، ثم ضعها تحت مصلاك، ثم صل ركعتين، فإذا فرغت فاسجد سجدةً، وقل فيها مئة مرة: أستخير الله برحمته، خيرة في عافية، ثم استو جالساً، وقل: اللهم خر لي، واختر لي، في جميع أموري، في يُسر منك وعافية، ثم اضرب بيدك إلى الرقاع، فشوّشها، وأخرج واحدة واحدة، فإن خرج ثلاث متواليات، افعل، فافعل الأمر الذي تريده، وإن خرج ثلاث متواليات، لا تفعل، فلا تفعله، وإن خرجت واحدة: افعل، والأخرى لا تفعل، فأخرج من الرقاع إلى خمس، فانظر أكثرها، فاعمل به، ودع السادسة، لا تحتاج إليها"[1].

ورووا أنَّ استخارة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: (أنْ تُضمرَ ما شئتَ، وتكتبَ هذه الاستخارة وتجعلهما في مثل البندق، ويكون بالميزان، وتضعهما في إناء فيه ماء، ويكون على ظهر إحداهما: افعل، والأخرى: لا تفعل، فأيُّهُمَا طلع على وجه الماء، فافعل به ولا تخالفه)[2].

وتذهب الإمامية إلى القول بسقوط التكاليف الشرعية - كما قال بذلك الصوفية القائلين بوحدة الوجود - فقد ذكر ابن بابويه القمي أن علي بن موسى الرضا قال: (رفع القلم عن شيعتنا، فقلت: يا سيدي، كيف ذاك؟ قال: لأنهم أخذ عليهم العهد بالتقية في دولة الباطل، يأمن الناس ويخوّفون، ويكفرون فينا ولا نكفر فيهم، ويقتلون بنا ولا نقتل بهم، ما من أحد من شيعتنا ارتكب ذنباً أو خطأً إلا ناله في ذلك غمّ يمحص

---

(١) فروع الكافي للكليني (١/ ١٣١)، وانظر: تهذيب الأحكام للطوسي (١/ ٣٠٦).
(٢) بحار الأنوار (٩١/ ٢٣٨)، ووسائل الشيعة (٨/ ٧٢).

عنه ذنوبه، ولو أتى بذنوب عدد القطر والمطر، وبعدد الحصى والرمل، وبعدد الشوك والشجر)[1].

ويذكر علي بن إبراهيم القمي المفسر، عن جعفر أنه قال: (إذا كان يوم القيامة يدعى بعليّ أمير المؤمنين عليه السلام... ثم يدعى بالأئمة... ثم يدعى بالشيعة، فيقومون أمامهم، ثم يدعى بفاطمة ونسائها من ذريتها وشيعتها، فيدخلون الجنة بغير حساب)[2].

وفي ركن الإيمان بالملائكة: يزعم الإمامية أن من ملائكة الرحمن من لا وظيفة لهم إلا البكاء على قبر الحسين، والتردد لزيارته، حيث قالوا: «وكل الله بقبر الحسين أربعة آلاف ملك... يبكونه إلى يوم القيامة..»[3]، وقالوا: «إن الملائكة لخدمنا وخدام محبينا»[4]، وقالوا: «وليس شيء في السماوات إلا وهم يسألون الله أن يؤذن لهم في زيارة الحسين، ففوج ينزل وفوج يعرج»[5]. وأن الملائكة لم تشرف إلا بقبولها ولاية علي[6]. ويزداد غلو الإمامية فيقولون: «وكانت الملائكة لا تعرف تسبيحاً ولا تقديساً من قبل تسبيحنا (يعني تسبيح الأئمة) وتسبيح شيعتنا»[7].

ومن الأعمال التي نسبوها إلى الملائكة، ولم تثبت بالكتاب أو صحيح السنة دعواهم أنه يوم ولادة الحسين بن علي رضي الله عنه هبط من السماء ألف ألف ملك معهم جبريل بأمر من الله ليهنئوا رسول الله ﷺ به، وزعموا أن جبريل كان ينزل

---

(١) عيون أخبار الرضا لابن بابويه القمي (٢/ ٢٣٦).
(٢) تفسير القمي (١/ ١٢٨).
(٣) فروع الكافي للكليني (١ / ٣٢٥)، وثواب الأعمال (ص: ٤٩).
(٤) تهذيب الأحكام للطوسي (٢/ ١٦)، ومصباح الهداية إلى الخلافة والولاية. الخميني (ص: ١٢٤-١٢٦).
(٥) إكمال الدين لابن بابويه القمي (ص: ١٤٧). وعيون أخبار الرضا لابن بابويه القمي (ص: ٢٦٢).
(٦) تفسير الحسن العسكري (ص: ١٥٣).
(٧) جامع الأخبار (ص: ٩).

يناغي الحسين ويسكته عن البكاء حينما تكون أمه فاطمة رضي الله عنها نائمة، وأن ميكائيل كان يهز مهد الحسين، وملك آخر يطحن الرحى لأمه عندما تعبت، وغلبها النعاس[1].

وفي الإيمان بالكتب: قد تأثر معنى الإيمان بالكتب عند الإمامية بمقتضى عقائدهم التي انفردوا بها عن سائر المسلمين في مسألة الإمامة وغيرها.

حيث يزعم الإمامية نزول كتاب على رسول الله قبل أن يأتيه الموت، فيقولون: "عن أبي عبد الله الصادق - عليه السلام - قال: إن الله- عز وجل - أنزل على نبيه كتاباً قبل أن يأتيه الموت، فقال: يا محمد، هذا كتاب وصيتك إلى النجيب من أهل بيتك، فقال: ومن النجيب من أهلي يا جبرائيل؟ فقال: علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان على الكتاب خواتيم من ذهب، فدفعه النبي صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السلام وأمره أن يفك خاتماً منها ويعمل بما فيه، ففك عليه السلام خاتماً وعمل بما فيه، ثم دفعه إلى ابنه الحسن عليه السلام ففك خاتماً وعمل بما فيه، ثم دفعه إلى الحسين عليه السلام ففك خاتماً فوجد فيه أن اخرج بقوم إلى الشهادة، فلا شهادة لهم إلا معك وأشر نفسك لله - عز وجل - ففعل، ثم دفعه إلى علي بن الحسين عليه السلام ففك خاتماً، فوجد فيه أن اصمت والزم منزلك، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ففعل، ثم دفعه إلى محمد بن علي عليه السلام ففك خاتماً فوجد فيه حدث الناس وأفتهم، وانشر علوم أهل البيت، وصدق آبائك الصالحين، ولاتخافن أحداً إلا الله، وأنت في حرز وأمان ففعل، ثم دفعه إلى موسى ابن جعفر، وكذلك يدفعه موسى إلى

(١) انظر: بحار الأنوار (٤٣/٢٤٨)، (٤٤/ ١٨٧)، ومعاجز أهل البيت. محسن عقيل (ص: ١٢٢، ١٣٧-١٣٨). وكتاب المعاجز هذا طبع على غلافه الخارجي: صورة طفل رضيع في حجر أمه، وصور بعض الحيوانات كالأسد والذئب التي يقولون إنها تخاطب الأئمة، من قبيل تصوير بعض المعاجز للأئمة سيأتي ذكرها في موضعها بمشيئة الله تعالى.

الذي من بعده، ثم كذلك أبداً إلى قيام المهدي عليه السلام[1].

وتدعي الإمامية نزول مصحف على فاطمة بعد وفاة رسول الله، حيث جاء في الكافي: "إن الله تعالى لما قبض نبيه - صلى الله عليه وآله - دخل على فاطمة عليها السلام من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله -عز وجل- فأرسل الله إليها ملكاً يسلي غمها، ويحدثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: إذا حسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي، فأعلمته بذلك، فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يكتب كل ما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفاً. . أما إنه ليس فيه شيء من الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون"[2].

ويزعم الإمامية أن مصحفهم هذا ثلاثة أضعاف القرآن، حيث جاء في الكافي قول أبي عبد الله عن أبي عبد الله - عليه السلام - قال: «وإنّ عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة - عليها السلام-؟ قال: قلت: وما مصحف فاطمة (عليها السلام)؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، ما فيه من قرآنكم حرف واحد».

وكان الأئمة يتخذون من مصحف فاطمة وسيلة لمعرفة الغيب واستطلاع ما يكون، ومن ذلك قول أبي عبد الله كما يزعمون "تظهر الزنادقة في سنة ثمان وعشرين ومائة وذلك أني نظرت في مصحف فاطمة عليها السلام"[3]

ومن ذلك قول أبي عبد الله أيضاً عن مصحف فاطمة: "ما أزعم أن فيه قرآناً وفيه ما يحتاج الناس إلينا، ولا نحتاج إلى أحد، حتى في الجلدة، ونصف الجلدة، وربع الجلدة. . ."[4].

(١) أصول الكافي (١ / ٢٨٠).
(٢) السابق (١ / ٢٤٠).
(٣) السابق.
(٤) السابق.

ويزعم الإمامية بوجود مايسمى (لوح فاطمة) وهو غير (مصحف فاطمة) حيث يقولون في رواياتهم: "عن أبي بصير عن أبي عبد الله قال: قال أبي لجابر بن عبد الله الأنصاري: إن لي إليك حاجة متى يخف عليك أن أخلو بك فأسألك عنها؟ فقال له جابر: في أي الأحوال أحببت فخلا به في بعض الأيام فقال له: يا جابر أخبرني عن اللوح الذي رأيته في يد فاطمة بنت رسول الله - صلى الله عليه وآله - وما أخبرتك به أمي أنه في ذلك اللوح مكتوب فقال جابر: أشهد بالله أني دخلت على أمك فاطمة - عليها السلام - في حياة رسول الله - صلى الله عليه وآله -فهنيتها بولادة الحسين، فرأيت في يديها لوحاً أخضر ظننت أنه من زمرد، ورأيت فيه كتاباً أبيض شبه لون الشمس فقلت لها: بأبي وأمي أنت يا بنت رسول الله ما هذا اللوح؟ فقالت: هذا لوح أهداه الله تعالى إلى رسوله - صلى الله عليه وآله - فيه اسم أبي واسم علي واسم ابني واسم الأوصياء من ولدي وأعطانيه أبي ليبشرني بذلك قال جابر: فأعطتنيه أمك فاطمة - عليها السلام - فقرأته واستنسخته فقال أبي: فهل لك يا جابر أن تعرضه علي؟ فقال: نعم فمشى معه أبي إلى منزل جابر فأخرج صحيفة من رق فقال: يا جابر انظر في كتابك لأقرأ عليك فنظر جابر في نسخته وقرأ أبي فما خالف حرف حرفاً فقال جابر: أشهد بالله أني هكذا رأيته في اللوح مكتوباً: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لمحمد نبيه ونوره وسفيره وحجابه ودليله نزل به الروح الأمين من عند رب العالمين عظم يا محمد أسمائي واشكر نعمائي ولا تجحد آلائي إني أنا الله لا إله إلا أنا قاصم الجبارين. . . "[1].

ويقول الإمامية: "إن عندنا لصحيفة يقال لها الجامعة ما من حلال ولا حرام إلا هو فيها. ."، وكذلك عندهم صحيفة تسمى (صحيفة الحدود) فيها من الحدود "ثلث جلدة من تعدى ذلك كان عليه حد جلدة"، وعندهم (الجفر) وفيه علم ما يكون

(١) أصول الكافي (١/ ٥٢٨، ٥٢٧)، وإكمال الدين لابن بابويه القمي (ص: ٣٠١، ٣٠٤).

وقالوا: "ما ينقلب طائر في الهواء إلا وعندنا فيه علم"[(١)].

ويزعم الإمامية نزول اثنتي عشرة صحيفة من السماء على رسول الله تتضمن صفات الأئمة حيث يقولون في رواية طويلة من رواياتهم أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال: كما يزعمون "إن الله تبارك وتعالى أنزل علي اثني عشر خاتماً واثنتي عشر صحيفة اسم كل إمام على خاتمه وصفته في صحيفته"[(٢)]، وهناك صحيفة أخرى وهي "صحيفة بيضاء من درة فيها أسماء الأئمة وقد نهى أن يمسها إلا نبي أو وصي نبي أو أهل بيت نبي"[(٣)].

ويزعم الإمامية أن عند الأئمة الإثني عشر كل كتاب نزل من السماء وأنهم يقرؤونها على اختلاف لغاتها ومن ذلك ما جاء في (الكافي) باب: "أن الأئمة عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله وأنهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها"[(٤)]، وتقول رواياتهم: "كل كتاب نزل فهو عند أهل العلم ونحن هم"، و"إن عندنا صحف إبراهيم وألواح موسى"، و"إن عندنا علم التوراة والإنجيل والزبور وبيان ما في الألواح"[(٥)].

وفي **ركن الإيمان بالأنبياء**: تقول الإمامية إن الأئمة أفضل من الأنبياء وجاء في كتب الإمامية المعتمدة أفضلية الأئمة على سائر الأنبياء ما عدا أولي العزم[(٦)]، وأنهم جاؤوا بالمعجزات لإقامة الحجة على الخلق أجمعين وقد قرر شيخهم ابن بابويه في كتابه (الاعتقادات) الذي يسمى أيضاً (دين الإمامية) هذا المعتقد عندهم حيث قال: "يجب أن يعتقد أن الله لم يخلق خلقاً أفضل من محمد -صلى الله عليه وآله وسلم-

(١) أمالي الشيخ الطوسي (ص: ٢٦٠).
(٢) إكمال الدين لابن بابويه القمي (ص: ٢٦٣).
(٣) السابق (ص: ١٧٨).
(٤) أصول الكافي (١/ ٢٢٧).
(٥) شرح جامع الكافي للمازنداني (٥/ ٣٥٤، ٣٥٥).
(٦) أوائل المقالات (ص: ٤٢، ٤٣). وسيأتي تفصيل هذه المسألة عندهم في (ص: ٢٨١).

والأئمة وأنهم أحب الخلق إلى الله، وأكرمهم، وأولهم إقراراً به لما أخذ الله ميثاق النبيين في الذر، وأن الله تعالى أعطى كل نبي على قدر معرفته نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - وسبقه إلى الإقرار به ويعتقد أن الله تعالى خلق جميع ما خلق له ولأهل بيته -عليهم السلام- وأنه لولاهم ما خلق السماء، ولا الأرض، ولا الجنة، ولا النار، ولا آدم، ولا حواء، ولا الملائكة، ولا شيئاً مما خلق - صلوات الله عليهم أجمعين -"[1].

وليس الأئمة أفضل من الأنبياء فحسب بل ما استحق الأنبياء ما هم فيه من فضل إلا بسبب الولاية كما يزعم الإمامية حيث يقولون: "ما استوجب آدم أن يخلقه الله بيده وينفخ فيه من روحه إلا بولاية علي وما كلم الله موسى تكليماً إلا بولاية علي ولا أقام الله عيسى بن مريم آية للعالمين، إلا بالخضوع لعلي ثم قال: أجمل الأمر ما استأهل خلق من الله النظر إليه إلا بالعبودية لنا"[2].

وقد جاء في (الكافي) وغيره نصوص كثيرة تقول: بأن لعلي والأئمة من الفضل ووجوب الطاعة ما لرسول الله، ولكنها تذهب إلى القول بأن علياً والأئمة انفردوا بخصائص لا يشاركهم فيها أحد من الخلق، وإذا تدبرت تلك الخصائص وجدت أنها من صفات الرب - جل جلاله - حيث يزعمون أن علياً قال: "لقد أعطيت خصالاً ما سبقني إليها أحد قبلي، علمت المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب، فلم يفتني ما سبقني، ولم يعزب عني ما غاب عني، أبشر بإذن الله، وأؤدي عنه، كل ذلك مكنني فيه بعلمه"[3].

ويزعم الإمامية أن الاستجابة لدعاء الأنبياء بسبب الأئمة، وأن ما جرى لبعض

(١) الاعتقادات لابن بابويه القمي (ص: ١٠٦، ١٠٧).
(٢) الاختصاص للمفيد (ص: ٢٥٠).
(٣) أصول الكافي (١/ ١٩٦، ١٩٧).

الأنبياء، كان بسبب موقفهم من الأئمة، حيث يزعمون أن آدم عليه السلام ". . لما أسكنه الله الجنة، مثل له النبي، وعلي، والحسن والحسين - صلوات الله عليهم - فنظر إليهم بحسد، ثم عرضت عليه الولاية فأنكرها، فرمته الجنة بأوراقها، فلما تاب إلى الله من حسده، وأقر بالولاية، ودعا بحق الخمسة - محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم -غفر الله له، وذلك قوله: ﴿ **فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ** ﴾ [البقرة: ٣٧](١).

ويزعم الإمامية أن يونس عليه السلام حبسه الله في بطن الحوت، لإنكاره ولاية علي بن أبي طالب، ولم يخرجه حتى قبلها(٢).

ويزعم الإمامية أن علامة الإمام عندهم، هي صدور المعجزة منه، وقد امتلأت كتب الحديث عنهم برواية هذه المعجزات وقصصها وأحداثها، فهم يرون أنها معجزات لإثبات الإمامة، وإقامة الحجة على الخلق، لأن الأئمة هم الحجة البالغة على من دون السماء وفوق الأرض(٣)، حيث يقولون: "إن الحجة لا تقوم لله على خلقه إلا بإمام"(٤)، ويقولون: "فنحن حجج الله في عباده" و "لولانا ما عبد الله" و "الأوصياء هم أبواب الله التي يؤتى منها، ولولاهم ما عرف الله، وبهم احتج الله -تبارك وتعالى - على خلقه"(٥).

وللإمامية في **معنى الإيمان باليوم الآخر** أقوال منكرة، وبدع كثيرة، حيث قاموا بتأويل آيات القرآن في اليوم الآخر بالرجعة(٦).

(١) تفسير العياشي (١/ ٤١).
(٢) تفسير فرات الكوفي (ص: ١٣).
(٣) أصول الكافي (١/ ١٩٢).
(٤) السابق (١/ ١٧٧).
(٥) السابق (١ / ١٩٣).
(٦) انظر: تفسير القمي (٢/ ٧٦)، وبحار الأنوار (٥٣/ ٤١ - ٩٢).

كما يزعم الإمامية أن: «الآخرة للإمام يضعها حيث يشاء، ويدفعها إلى من يشاء، جائز له ذلك من الله»[1]، ويقول ابن بابويه القمي: «ويجب أن يعتقد أنه لولاهم لما خلق الله سبحانه السماء، والأرض، ولا الجنة، ولا النار، ولا آدم، ولا حواء، ولا الملائكة، ولا شيئاً مما خلق»[2].

ويزعم الإمامية أن أمور الحساب، والصراط، والميزان، والجنة، والنار، بيد الأئمة، حيث يقولون: قال أبو عبد الله: «إلينا الصراط، وإلينا الميزان، وإلينا حساب شيعتنا، والله لأنا لكم أرحم من أحدكم بنفسه...»[3].

وجاء في نص الزيارة الجامعة، المنسوبة إلى عدد من الأئمة، والمنقول عن عدد كبير من أئمتهم وعلمائهم قديماً وحديثاً، وهي عمدتهم في زياراتهم لمشاهد الأئمة، جاء فيها: «... وإياب الخلق إليكم، وحسابهم عليكم، وفصل الخطاب عندكم...».

ويقول عبد الله شبر في شرحه لهذه الزيارة: «ذكر عن الباقر أنه قال: إذا كان يوم القيامة، جمع الله الأولين والآخرين لفصل الخطاب، ودعا رسول الله ﷺ، ودعا أمير المؤمنين.... ثم يدعى بنا، فيدفع إلينا حساب الناس، فنحن والله ندخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار». وذكر عن الصادق في تفسير قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ**﴾ [**الغاشية**: ٢٥ - ٢٦] أنه قال: إذا كان يوم القيامة جعل الله حساب شيعتنا إلينا[4].

ويزعم الإمامية أن علياً هو قسيم الجنة والنار، حيث يقولون: قال الرضا: «لقد سمعت أبي يحدث عن آبائه، عن علي أنه قال: قال لي رسول الله -صلى الله عليه

---

(١) أصول الكافي (١/ ٤٠٩).
(٢) الاعتقادات لابن بابويه القمي (ص: ١٠٦، ١٠٧).
(٣) رجال الكشي (ص: ٣٣٧).
(٤) الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة (ص: ١٣٧).

وآله: يا علي، أنت قسيم الجنة والنار يوم القيامة، تقول للنار: هـذا لي، وهذا لك»[1].

وفي ركن الإيمان بالقضاء والقدر: كان قدماء الشيعة الإمامية متفقين على إثبات القدر، وإنما شاع فيهم نفي القدر حين اتصلوا بالمعتزلة، وكان هذا في أواخر المائة الثالثة، وكثر بينهم في المائة الرابعة لما صنف لهم المفيد وأتباعه، كما أن سائر علماء أهل البيت متفقون على إثبات القدر[2].

ومن الروايات التي تثبت القدر وتقول بأن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى في كتب الإمامية المعتمدة قول ابن بابويه القمي: «اعتقادنا في أفعال العباد أنها مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين، ومعنى ذلك أنه لم يزل الله عالماً بمقاديرها»[3]، وقولهم «ما خلا الله فهو مخلوق، والله خالق كل شيء»[4].

ومن الروايات التي تنفي القدر، وتنفي أن تكون أفعال العباد مخلوقة لله، ما جاء عن شيخهم المفيد، قال: «إن أفعال العباد غير مخلوقة لله»[5]، وقال الإمامية: «إن الله سبحانه خالق كل شيء إلا أفعال العباد»، «ومذهب الإمامية والمعتزلة أن أفعال العباد صادرة عنهم، وهم خالقون لها»[6].

---

(١) عيون أخبار الرضا لابن بابويه القمي (ص: ٢٣٩). وقد شاهدت قناة الأنوار الفضائية في يوم عيد الغدير عندهم بتاريخ: ١٨/ ١٢/ ١٤٣٠هـ، وسمعت هتافات الجماهير الحاضرة لمهرجان الاحتفال وهي تردد بصوت جماعي عالٍ: قسيم النار والجنة علّينا.

(٢) انظر: منهاج السنة (١/ ٢٢٩).

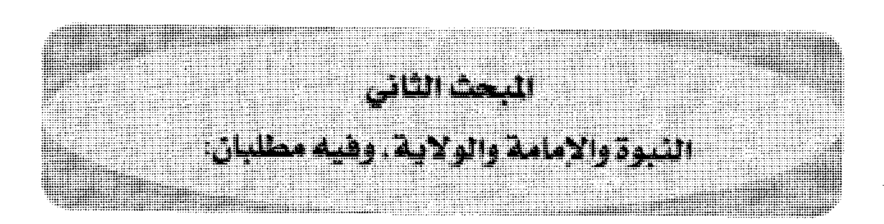
(٣) عقائد الصدوق لابن بابويه القمي (ص: ٧٥).

(٤) الفصول المهمة للحر العاملي (ص: ٣٥).

(٥) شرح عقائد الصدوق للمفيد (ص: ١٠، ١٢)، ونهج المسترشدين لابن المطهر الحلي (ص: ٥٢).

(٦) الفصول المهمة للحر العاملي (ص: ٨٠ - ٨١).

وبذلك يتبين لنا التقارب الكبير بين عقائد الإمامية والصوفية في مسائل التوحيد وأصول الإيمان، إلا أن عقيدة الصوفية في وحدة الوجود واعتقادهم في الأولياء كانت الأعمق تأثيراً وانحرافاً، وعقيدة الإمامية في الإمامة هي الأبرز تأثيراً وانحرافاً. وأن كلا الفريقين يعتقدون في أئمتهم وأوليائهم أنهم يعلمون الغيب، ويدعون فيهم النفع والضر، ويدعونهم من دون الله، ويعكفون على قبورهم بالتعظيم والتقديس، وسيأتي تفصيل لبعض ذلك في المبحث المقبل بمشيئة الله تعالى.


المبحث الثاني
النبوة والإمامة والولاية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول
مفهوم النبوة والإمامة والولاية لدى الصوفية والإمامية

جاء إيراد هذه المسائل مجتمعة في هذا المبحث إشارة إلى ما تضفيه الإمامية والصوفية على الأئمة والأولياء من خصائص ومنزلة تساوي أو تفضل أحياناً خصائص ومنزلة الأنبياء، هذا بالإضافة إلى اتفاق الفرقتين في القول بالحقيقة المحمدية، ومفهوم عصمة الأنبياء، وعقيدة رجعة الأنبياء.

كما زعم غلاة الصوفية أن الله -تعالى عن قولهم- لم يختم النبوة والرسالة بنبوة ورسالة محمد ﷺ، بل إن النبوة مستمرة في أشخاص الأولياء، وأن الأولياء يفوقون في ظاهرهم الأنبياء. يقول السهروردي: "بل العالم ما خلا قط من الحكمة أو عن شخص قائم بها عنده الحجج البينات، وهو خليفة الله في أرضه، وهكذا يكون ما دامت السموات والأرض"(١).

(١) حكمة الإشراق للسهروردي (ص: ١١).

أ- مفهوم النبوة:

النبوة لغة: قال صاحب اللسان: "النبأ: الخبر والجمع أنباء، وإن لفلان نبأً: أي خبراً. . . وقيل النبي من النباوة، وهي الشيء المرتفع. . . وقيل: النبي: الطريق الواضح"(١).

وعليه فإن النبوة في اللغة تطلق على ثلاثة معان هي: الإخبار، أو الرفعة والعلو، أو الطريق بمعنى أنها الطريق إلى الله عز وجل.

والنبوة عند غلاة الصوفية والإمامية تعد من الأمور المكتسبة(٢). يقول أحد الصوفية في كلام له عن المسافات التي يقطعها المريد في سيره إلى الله تعالى: "الثالثة: مسيرة من قلبه إلى ربه المعبر عنه بالحقيقة وهو محو ما سوى الله تعالى عن القلب بمداومة الأنس بذكره، ولهذا السفر عدة وبضاعة إلى أن قال: وهو مبدأ سفر الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام–.

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩]. ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام: ٧٩]. ومعنى الذهاب إلى ربه والتوجه إليه العبور بالباطن عما سوى الله تعالى"(٣).

وهذا الخميني يرسم للسالك أسفاراً أربعة:

ينتهي السفر الأول إلى مقام الفناء "وفيه السر الخفيّ والأخفى. . ويصدر عنه الشطح، فيحكم بكفره، فإن تداركته العناية الإلهية. . فيقر بالعبودية بعد الظهور

---

(١) انظر: لسان العرب. مادة: نبأ (١/ ١٦٢-١٦٤).

(٢) هذه مأخوذة من الفلاسفة، وليست أصلاً لا عند الصوفية ولا الإمامية، ومن قال بها منهم فهو أخذها من الفلاسفة لا من المذهب.

(٣) غاية القرب في شرح نهاية الطلب. عبد القادر بن شيخ العيدروس، (ص٨٧).

بالربوبية"، وينتهي السفر الثاني عنده إلى أن "تصير ولايته تامة، وتفنى ذاته وصفاته وأفعاله في ذات الحق وصفاته وأفعاله، وفيه يحصل الفناء عن الفنائية أيضاً الذي هو مقام الأخفى، وتتم دائرة الولاية".

أما في السفر الثالث فإنه "يحصل له الصحو التام ويبقى بإبقاء الله، ويسافر في عوالم الجبروت والملكوت والناسوت، ويحصل له حظ من النبوة، وليست له نبوة التشريع، وحينئذ ينتهي السفر الثالث ويأخذ في السفر الرابع".

وبالسفر الرابع "يكون نبياً بنبوة التشريع"[1].

فمراحل السفر عنده: الفناء، والولاية وفيها الفناء عن الفناء، والنبوة بلا تشريع، ثم النبوة الكاملة.

وقوله هذا يتضمن أن النبوة مكتسبة عن طريق "رياضات" ومجاهدات أهل التصوف.

ب- مفهوم الإمامة:

الإمامة لغة: يقول الأزهري: "الإمام كل من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين"[2].

ويقول ابن فارس والجوهري: "الإمام: الذي يُقتدى به"[3].

وجاء في لسان العرب: "أَمَّ القوم، وأَمَّ بهم: تقدَّمهم، وهي الإمامة. وعن ابن سيده: الإمام ما ائتمَّ به من رئيس وغيره، وإمام كلِّ شيء قيِّمه والمصلِح له... والخليفة: إمام الرعية"[4].

---

(١) انظر: مصباح الهداية (ص: ١٤٨-١٤٩).

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (١٥/ ٦٣٨).

(٣) مجمل اللغة لابن فارس (١/ ٨٢). والصحاح للجوهري (٥/ ١٨٦٥).

(٤) لسان العرب (١٢/ ٢٤).

فالإمامة في اللغة: مصدر من الفعل أمَّ، بمعنى تقدّم ورَأَسَ، سواءً كان المتقدم على هدى وعلى صراطٍ مستقيم، أو كان على الضلالة والفجور؛ فهي قيادة ورئاسة عامة مطلقة.

والإمامة في اصطلاح الإمامية تعني كما قال حسن الخرازي في شرحه على عقائد المظفر في تعريف الإمامة: "الإمامة عند الشيعة هي الخلافة الكلية الإلهية التي من آثارها ولايتهم التشريعية التي منها الإمارة والخلافة الظاهرية لأن ارتقاء الإمام إلى المقامات الإلهية المعنوية يوجب أن يكون زعيماً سياسياً لإدارة المجتمع الإسلامي أيضاً، فالإمام هو الإنسان الكامل الإلهي العالم بجميع ما يحتاج إليه الناس في تعيين مصالحهم ومضارهم، الأمين على أحكام الله تعالى وأسراره، المعصوم من الذنوب والخطايا، المرتبط بالمبدأ الأعلى، الصراط المستقيم، الحجة على عباده، المفترض طاعته اللائق لاقتداء العام به والتبعية عنه الحافظ لدين الله، المرجع العلمي لحل المعضلات والاختلافات وتفسير المجملات، الزعيم السياسي والاجتماعي، الهادي للنفوس إلى درجاتها اللائقة بهم من الكمالات المعنوية الوسيط في نيل الفيض من المبدأ الأعلى إلى الخلق، وغير ذلك من شؤون الإمامة"(١).

والإمامة عند الإمامية منصب إلهي كالنبوة، أي أن الله هو الذي يعين الأئمة، وإن الله يؤيد الإمام بالمعجزات كما يؤيد رسله وأنبياءه(٢).

يقول محمد رضا المظفر: "نعتقد أن الإمامة أصل من أصول الدين، لا يتم الإيمان إلا به... كما نعتقد أنها كالنبوة لطف من الله تعالى، فلابد أن يكون في كل عصر إمام هادٍ يخلف النبي في وظائفه من هداية البشر، وإرشادهم إلى ما فيه الصلاح

---

(١) انظر: بداية المعرف الإلهية في شرح عقائد الإمامية. حسن الخرازي (ص: ٢٧٦).

(٢) انظر: أصل الشيعة وأصولها (ص: ٥٨). وهذه النظرة من الإمامية تعد دعوة مبطنة لاستمرار النبوة.

والسعادة... وله ما للنبي من الولاية العامة على الناس لتدبير شؤونهم ومصالحهم، وإقامة العدل بينهم، ورفع الظلم والعدوان من بينهم... فالإمامة استمرار للنبوة، والدليل الذي يوجب إرسال الرسل وبعث الأنبياء هو نفسه يوجب أيضاً نصب الإمام بعد الرسول"[1].

ويقول أيضاً: «نعتقد أن الإمامة كالنبوة لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان رسوله أو لسان الإمام المنصوب بالنص إذا أراد أن ينص على الإمام من بعده، وحكمها في ذلك حكم النبوة بلا فرق، فليس للناس أن يتحكموا فيمن يعينه الله هادياً ومرشداً لعامة البشر، كما ليس لهم حق تعيينه أو ترشيحه أو انتخابه، لأن الشخص الذي له من نفسه القدسية استعداد لتحمل أعباء الإمامة العامة وهداية البشر قاطبة يجب ألا يعرف إلا بتعريف الله ولا يعين إلا بتعيينه»[2].

واتفقت الختمية والإمامية في مفهوم الإمامة واستشهد الختمية في هذا المقام بما استشهد به الشيعة من آيات قرآنية تدل، في زعمهم، على ولاية علي، ومن أحاديث تنص- كما يدعون- على إمامته، فيقول أحد الختمية المعاصرين: "إن ولاية أهل البيت على المؤمنين ذكرها المولى سبحانه في كتابه المكنون قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ [المائدة: ٥٥]، فقد روى الطبراني والنسائي وابن عساكر أن سائلاً دخل المسجد وكان سيدنا علي يصلي فرمى له بخاتمه وهو راكع، وذلك لأن السائل لم يحصل على شيء من الموجودين، فنزلت الآية وهي توضح ولاية أمير المؤمنين "علي" على الأمة المحمدية، وولاية أبنائه من بعده[3].

---

(١) عقائد الإمامية (ص: ١٠٢-١٠٣).

(٢) السابق (ص: ٧٤).

(٣) الختمية العقيدة والتاريخ والمنهج (ص: ١٠).

وهذا الفهم للآية هو نفسه الذي ذهب الشيعة وربطوا فيه سبب نزول الآية ببعض الأحاديث التي تشير إلى حادثة تصدق علي بخاتمه وهو يصلي. وبعد أن يورد جملة من هذه الأحاديث، يقول الطوسي، أحد علماء الشيعة: اعلم أن هذه الآية من الأدلة الواضحة على ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد النبي بلا فصل ووجه الدلالة فيها أنه قد ثبت أن الولي في الآية بمعنى الأولى والأحق، وثبت أيضاً أن المعنى بقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، أمير المؤمنين (عليه السلام). فإذا ثبت هذان الأصلان، دل على إمامته؛ لأن كل من قال إن معنى الولي في الآية ما ذكرناه، قال إنها خاصة فيه، ومن قال باختصاصها فيه (عليه السلام) قال المراد بها الإمامة[1].

وأورد الختمية أيضاً ما يعرف لدى الشيعة بحديث "الغدير" واتخذوه دليلاً على ولاية علي رضي الله عنه[2].

---

(١) التبيان. للطوسي(٣/ ٥٤٩).

(٢) غدير خم، خمّ: واد بين مكة والمدينة عند الجحفة به غدير يقع شرق رابغ بما يقرب من (٢٦) كيلاً، ويسمونه اليوم "الغربة"، وهذا الوادي مستنقع من ماء المطر موصوف بكثرة الوخامة، وخم اسم رجل صباغ نسب إليه الغدير. (معجم البلدان: ٢/ ٣٨٩)، وعلى طريق الهجرة. عاتق البلادي (ص: ٦١). وحديث غدير خم زاد الوضّاعون فيه، ولا يصحّ منه في نظر طائفة من أهل العلم في الحديث إلا قوله: "من كنت مولاه فعليّ مولاه" انظر: رسالة في الرّد على الرّافضة. محمد بن عبد الوهاب (ص: ١٣). والحديث أخرجه ابن ماجه: ١/ ٤٣. وأخرجه الترمذي بسنده عن النبي ﷺ قال: "من كنت مولاه فعلي مولاه". قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب: ٥/ ٦٣٣ (ح٣٧١٣)، وابن ماجه بسنده عن البراء بن عازب قال: "أقبلنا مع رسول الله في حجته التي حج، فنزل في بعض الطرق فأمر الصلاة جامعة". فأخذ بيد علي فقال: "ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟" قالوا: بلى. قال: "ألست أولى بكل مؤمن من نفسه؟". قالوا: بلى. قال: "فهذا ولي من أنا مولاه، اللهم وال من والاه، اللهم عاد من عاداه". ابن ماجه: ١/ ٤٣، المقدمة (ح١١٦). لكن قال في الزوائد: إسناده ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان (أحد رجال سند ابن ماجه)، (الزوائد: ص٦٩). وأخرجه الإمام أحمد ١/ ٨٤، قال الشيخ أحمد شاكر: الحديث متنه صحيح، ورد عن طرق كثيرة، وطرقه أو أكثرها في مجمع الزوائد (انظر: المسند: ٢/ ٥٦؛ تحقيق شاكر، ومجمع=

ويقول أحد الختمية: كان الرسول ﷺ يتحاشى كثيراً عن الإخبار بخصائص أمير المؤمنين رضي الله عنه خوفاً من بسط المنافقين ألسنتهم في رسول الله ﷺ بأنه يميز قرابته على غيرهم، وكان لابد من الإخبار بأمير المؤمنين وأهل البيت لأن ذلك من أصول الدين لا من فروعه حتى لم يبق للرسول ﷺ في الدنيا إلا أيام قلائل وضاق الأمر ونزل على الرسول ﷺ ما يشبه التهديد في "غدير خم" وهو قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] فما كان من الرسول ﷺ إلا أن رد من سبقه إلى المدينة وانتظر من تخلف حتى لحق به في خماء بعد أن نزل ﷺ تحت شجرات قممن وظللن له بثوب على شجرة سمرة حتى اجتمع عليه من سبقه ومن تخلف عنه فقام فيهم خطيباً فصدع في ذلك الملأ الكريم بما أمره الله بتبليغه.. وكانت الفرائض مفروضة، والسنن مسنونة، والحدود قائمة، والحلال بين والحرام بين. إذاً ما الذي كان ينقص الدين حتى نزلت

=الزوائد: ٩/ ١٠٣-١٠٩).]، بينما يرى بعض أهل العلم أن الحديث لا يصح منه شيء البتة. قال ابن حزم: "وأما من كنت مولاه فعلي مولاه فلا يصح من طريق الثقات أصلاً» [ابن حزم/ الفصل: ٤/ ٢٢٤، وانظر: ابن تيمية/ منهاج السنة: ٤/ ٨٦، والذهبي/ المنتقى (مختصر منهاج السنة) ص٤٦٧.]. ونقل عن البخاري وإبراهيم الحربي وطائفة من أهل العلم بالحديث أنهم طعنوا فيه وضعفوه [منهاج السنة: ٤/ ٨٦.].

قال شيخ الإسلام: "وأما قوله: "من كنت مولاه فعلي مولاه" فليس هو في الصّحاح، لكن هو ممّا رواه أهل العلم وتنازع النّاس في صحّته [منهاج السنة: ٤/ ٨٦.]. وأمّا قوله: "اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله" فهو كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث" [منهاج السنة: ٤/ ١٦.]. ثم بين شيخ الإسلام أن الكذب يعرف من مجرد النظر في متنها، لأن قوله: "اللهم انصر من نصره.." خلاف الواقع التاريخي الثابت: فإنه قاتل معه أقوام يوم "صفين" فما انتصروا، وأقوام لم يقاتلوا فما خذلوا: «كسعد» الذي فتح العراق لم يقاتل معه، وكذلك أصحاب معاوية وبني أمية الذين قاتلوه فتحوا كثيراً من بلاد الكفار ونصرهم الله. (مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٤/ ٤١٨).] فلا تصح عن رسول الله ﷺ، وأما قوله: "اللهم وال من والاه وعاد من عاداه" فهو مخالف لأصل الإسلام، فإنّ القرآن قد بيّن أنّ المؤمنين إخوة مع قتالهم وبغي بعضهم على بعض [مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٤/ ٤١٨].

هذه الآية؟ ما كان ينقص الدين إلا إعلان ولاية أمير المؤمنين وخلافته في ذلك الجمع، حتى يتواتر الخبر عنه ﷺ[1].

ج- مفهوم الولاية:

الولاية لغةً: يقول ابن دريد: "الولاية: الإمرة، والولي: خلاف العدو"[2].

ويقول ابن فارس: "والوَلْي: القرب. والولاية: النصرة والسلطان"[3].

ويقول الجوهري: "الوَلْي: القرب والدنو. والوَليُّ: ضد العدو، والوِلاية والوَلاية: السلطان"[4].

ويقول الفيروزآبادي: "الوَلْي: القرب والدنو. والوَليُّ: الاسم منه، والمحب والصديق والنصير. والوِلاية: الإمارة والسلطان"[5].

فالولاية في اللغة: ضد العداوة، وتتضمن المحبة والمتابعة، والتقرب، والصداقة، والنصرة، والإمارة. وهذه المعاني هي المرادة في المعنى الاصطلاحي والشرعي.

وقد أدخل الصوفية اسم الولاية في مذهبهم، وعدوا مبحث الولاية من أهم مباحث التصوف، بدعوى أن التصوف هو العلم الذي يوصل السالكين إلى مقام الولاية، حيث يقول الهجويري: "اعلم أن قاعدة وأساس طريقة التصوف والمعرفة جملة يقوم على الولاية وإثباتها، غير أن كلاً منهم بين هذا بعبارة مختلفة"[6].

---

(١) انظر: تاج الأولياء والأولياء (ص: ١٢٦-١٢٩)، والختمية لأحمد جلي (١٥٢-١٥٣).
(٢) جمهرة اللغة (١/ ١٨٨).
(٣) مجمل اللغة (٤/ ٩٣٦-٩٧٣).
(٤) الصحاح (٦/ ٢٥٢٨-٢٥٣٠).
(٥) القاموس المحيط (ص: ١٧٣٢).
(٦) كشف المحجوب (٢/ ٤٤٢-٤٤٣).

وعرف الجيلي الولاية بقوله: "الولاية عبارة عن تولي الحق سبحانه عبده بظهور أسمائه وصفاته عليه علماً وعيناً وحالاً، وأثر لذة وتصرفاً"(١).

والولاية لفظ مشترك عند الصوفية والإمامية يقول الخميني في تعريف الولي ما نصه: "فإن الولاية هي القرب أو المحبوبية أو التصرف أو الربوبية أو النيابة..."(٢).

وفي حين تعد النبوة أصلاً من أصول الإيمان الاعتقادية الخمسة عند الإمامية - كما سبق - فإنها تلتقي هي والصوفية في هذا الأصل في مسائل، هي: القول بالحقيقة المحمدية، ومفهوم عصمة الأنبياء، والقول برجعة الأنبياء، وبالأخص نبينا محمد ﷺ، والتلقي عنه يقظة ومشافهة. وسأعرض لهذه المسائل بشيء من التفصيل، على النحو التالي:

أولاً: الحقيقة المحمدية:

يؤمن بعض الصوفية والإمامية بما يعرف بالحقيقة المحمدية، أو الصورة المحمدية، أو الروح المحمدي، أو النور المحمدي، وهذه الأسماء لمسمى واحد.

المراد بالحقيقة المحمدية عند الصوفية: هو القول بأن النبي ﷺ أول الموجودات، وإن هذا الوجود كان قبل وجوده الزماني في صورة النبي المرسل. ويعرف الكاشاني الحقيقة المحمدية أنها: "الذات مع التعين الأول"(٣). وعرفت كذلك بأنها: الذات مع التعين الأول، ولها الأسماء الحسنى، وهو اسم الله الأعظم"(٤).

وهذه العقيدة لها ارتباط وثيق بمذهب وحدة الوجود، ومن خلالها يدعون أن الله تعالى كان وجوداً مطلقاً، لا يتصف بصفة، ولا يتسمى باسم، ثم أراد الله تعالى أن

(١) الإنسان الكامل (٢/ ١٣٢)، وانظر: جمهرة الأولياء (١/ ٩٨).
(٢) مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية (ص: ٥٧).
(٣) معجم اصطلاحات الصوفية: للكاشاني (ص: ٨٢)، والتعريفات: للجرجاني (ص: ٧٤).
(٤) انظر: التعريفات، للجرجاني (ص٧٤)، ومعجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني (ص: ٧٣).

يعرف نفسه بتفصيل أسمائه وصفاته، وأن يرى نفسه في مرآة هذا الوجود، فتعين أولاً في صورة الحقيقة المحمدية.

والحقيقة المحمدية عند الصوفية هي مصدر الخلق كله، واعتقاد وجوده ﷺ قبل وجود الخلق، وعبروا عنه أيضاً بالنور المحمدي الذي يزعمون أنه ينتقل في الزمان من جيل إلى جيل. يقول الجيلي: "ولهذا كان العقل الأول هو عبارة عن حقيقة الروح المحمدية أصلاً؛ لوجود العالم كله: عالم الأمر؛ وعالم الخلق، فهو على الحقيقة عند المحققين علة العلل، والله منزه أن يكون علة الوجود شيء" (١).

ويقول الحلاج: "أنوار النبوة من نوره برزت، وأنوارهم من نوره ظهرت، وليس في الأنوار نور أنور ولا أظهر وأقدم من القدم سوى نور صاحب الحرم، سبقت الهمم ووجوده سبق العدم، واسمه سبق القلم"(٢).

وادعى القوم أن الدنيا خلقت من أجل نبينا محمد ﷺ، يقول الشلي في تعليل ذلك: "لأن الله تعالى لما خلق الدنيا بأسرها من أجل النبي ﷺ جعل دوامها بدوامه ودوام أهل بيته، فإذا انقضوا طوى بساطها"(٣).

واستدلوا لإثبات أولية خلق النبي ﷺ على سائر المخلوقات بحديث: "كنت نبياً وآدم بين الماء والطين"(٤).

وحديث: "أنا أول الأنبياء خلقاً، وآخرهم بعثاً"(٥).

---

(١) كتاب دعوى وحدة الأديان عند الصوفية والفلاسفة عرض ونقد، لسعيد بن معلوي (٢/ ٦٠٧).
(٢) الطواسين، طاسين السراج (ص٤٣-٤٤).
(٣) المشرع الروي (١/ ٢١).
(٤) موضوع. انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، للشيخ الألباني (١/ ٤٧٣) برقم (٣٠٢).
(٥) موضوع. انظر: الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، لملا علي القاري، تحقيق: محمد الصباغ (ص٢٧٢-٢٧٣). وسلسلة الأحاديث الضعيفة للشيخ الألباني (١/ ٣١٦) برقم (٣٠٣).

وصح أيضاً: "أني عبد الله لخاتم النبيين، وأن آدم لمنجدل في طينته"[1] أي طريح ملقى قبل نفخ الروح فيه.

وصح أيضاً: يا رسول الله متى كنت نبياً؟ قال: "وآدم بين الروح والجسد"[2][3].

والحقيقة المحمدية والصورة المحمدية: هي تلك الحقيقة التي كانت تتجلى في أجسام مختلفة، وتنادي بذلك الاسم، فاختلفت أسماؤها حسب الزمان والأجساد، مع أنها كانت واحدة، كما يقول الجيلي: (اعلم حفظك الله أن الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره، وهو واحد منذ كان الوجود إلى أبد الآبدين، ثم له تنوع في ملابس ويظهر في كنائس، فيسمى به باعتبار لباس، ولا يسمى به باعتبار لباس آخر، فاسمه الأصلي الذي هو له محمد، وكنيته أبو القاسم، ووصفه عبد الله، ولقبه شمس الدين، ثم له باعتبار ملابس أخرى أسام، وله في كل زمان اسم ما يليق بلباسه في ذلك الزمان، فقد اجتمعت به ﷺ وهو في صورة شيخي الشيخ شرف الدين إسماعيل الجبرتي، ولست أعلم أنه النبي ﷺ، وكنت أعلم أنه الشيخ، وهذا من جملة مشاهد شاهدته فيها بزبيد سنة ست وتسعين وسبعمائة، وسر هذا الأمر تمكنه ﷺ من التصور بكل صورة، فالأديب إذا رآه في

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٢٧). والبيهقي في الدلائل (٢/ ١٣٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤١٨)، وابن حبان في صحيحه: الإحسان (١٤/ ٣١٢) برقم (٦٤٠٤). وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في ظلال الجنة (١/ ١٧٩) برقم (٤٠٩).

(٢) رواه أحمد في المسند (٥/ ٩٥) عن ميسرة الفجر، وأخرجه من طريق آخر عبد الله بن شقيق عن رجل في موضعين: (٤/ ٦٦)، (٥/ ٣٧٩) باللفظ والإسناد نفسيهما، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٢٩)؛ وابن سعد في طبقاته (٧/ ٦٠)؛ وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٢٣): رجال أحمد رجال الصحيح، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٠٨-٦٠٩) وصحح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذا الحديث، وقال: والمقصود هنا أن الله سبحانه وتعالى كتبه نبياً بعد خلق آدم وقبل نفخ الروح فيه. انظر: مجموع الفتاوى (١٨/ ٣٧٩)، والرد على البكري (ص: ٨).

(٣) انظر: تاريخ النور السافر في أخبار القرن العاشر. عبد القادر شيخ العيدروس (ص٦، ٨).

الصور المحمدية التي كان عليها في حياته فإنه يسميه باسمه، وإذا رآه في صورة ما من الصور وعلم أنه محمد، فلا يسميه إلا باسم تلك الصورة، ثم لا يوقع ذلك الاسم إلا على الحقيقة المحمدية، ألا تراه ﷺ لما ظهر في صورة الشبلي رضي الله عنه قال الشبلي لتلميذه: اشهد أني رسول الله، وكان التلميذ صاحب كشف فعرفه، فقال: أشهد أنك رسول الله، وهذا أمر غير منكور، وهو كما يرى النائم فلاناً في صورة فلان. . .)[1].

وقال أبو العلاء العفيفي معلقاً على الفصّ السابع والعشرين (فصّ حكمة فردية في كلمة محمدية) من فصوص ابن عربي:

(شاع من أوائل عهد الإسلام القول بأزلية محمد عليه السلام، أو بعبارة أدق بأزلية «النور المحمدي». وهو قول ظهر بين الشيعة أولاً، ولم يلبث أهل السنة أن أخذوا به، واستند الكل في دعواهم إلى أحاديث يظهر أن أكثرها موضوع. من ذلك أن النبي ﷺ قال: «أنا أول الناس في الخلق» ومنها: «أول ما خلق الله نوري»، ومنها: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» وغير ذلك من الأحاديث التي استنتجوا منها أنه كان لمحمد عليه السلام وجود قبل وجود الخلق، وقبل وجوده الزماني في صورة النبي المرسل، وأن هذا الوجود قديم غير حادث، وعبروا عنه بالنور المحمدي. وقد أفاضت الشيعة في وصف هذا النور المحمدي، فقالوا إنه ينتقل في الزمان من جيل إلى جيل، وأنه هو الذي ظهر بصورة آدم ونوح وإبراهيم وموسى وغيرهم من الأنبياء، ثم ظهر أخيراً بصورة خاتم النبيين محمد عليه السلام. وبهذا أرجعوا جميع الأنبياء من آدم إلى محمد، وكذلك ورثة محمد إلى أصل واحد.

نجد لكل هذا الكلام نظيراً في كتب ابن عربي فيما يسميه الكلمة المحمدية أو

(١) الإنسان الكامل للجيلي عبد الكريم (٢/ ٧٤، ٧٥).

الحقيقة المحمدية أو النور المحمدي. فهو لا يقصد بالكلمة المحمدية في هذا الفص محمداً الرسول، وإنما يقصد الحقيقة المحمدية التي يعتبرها أكمل مجلى خلقي ظهر فيه الحق، بل يعتبره الإنسان الكامل والخليفة الكامل بأخص معانيه...

ولهذه الحقيقة المحمدية التي هي أول التعينات - وإن شئت فقل أول المخلوقات - وظائف أخرى ينسبها إليها ابن عربي. فهي من ناحية صلتها بالعالم مبدأ خلق العالم، إذ هي النور الذي خلقه الله قبل كل شيء وخلق منه كل شيء. أو هي العقل الإلهي الذي تجلى الحق فيه لنفسه في حالة الأحدية المطلقة، فكان هذا التجلي بمثابة أول مرحلة من مراحل التنزل الإلهي في صور الوجود. فلما انكشفت له حقيقة ذاته وكمالاتها، وما فيها من أعيان الممكنات التي لا تحصى، أحب إظهار كمالاته في صور تكون له بمثابة المرايا التي يرى فيها نفسه، فكانت أعيان الممكنات الخارجية تلك المرايا)[1].

ورووا عن أحد المتصوفة أنه كان يقول: (أنا موسى الكليم في مناجاته، أنا عليّ في حملاته، أنا كل وليّ في الأرض خلقته بيدي، ألبس منهم من شئت، أنا في السماء شاهدت ربي، وعلى الكرسي خاطبته، أنا بيدي أبواب النار إن أغلقتها أغلقها بيدي، وبيدي جنة الفردوس إن فتحتها أفتحها، ومن زارني أدخلته جنة الفردوس)[2].

وذهبت الإمامية إلى القول بالحقيقة المحمدية، حيث يقول الفرغاني (ت: ٧٤٣هـ): (وكل نبي من آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ مظهر من مظاهر نبوة الروح الأعظم. فنبوته ذاتية دائمة، ونبوة المظاهر عرضية منصرمة، إلا نبوة محمد ﷺ، فإنها دائمة غير منصرمة، إذ حقيقته حقيقة الروح الأعظم، وصورته صورة الحقيقة التي ظهر فيها بجميع أسمائها وصفاتها. وسائر الأنبياء مظاهرها ببعض

(١) فصوص الحكم لابن عربي - قسم التعليقات الثاني (ص: ٣١٩ - ٣٢١).
(٢) طبقات الشعراني (١/ ١٨٠).

الأسماء والصفات. تجلت في المظهر المحمدي بذاتها وجميع صفاتها، وختم به النبوة، فكان الرسول ﷺ سابقاً على جميع الأنبياء من حيث الحقيقة، متأخراً عنهم من حيث الصورة، كما قال: نحن الآخرون السابقون، وقال: كنت نبياً وآدم بين الماء والطين: وفي رواية أخرى: بين الروح والجسد: أي لا روحاً ولا جسداً)[1].

ويؤكد الخميني معنى الحقيقة المحمدية فيقول في وصف علي رضي الله عنه: "وهو بحسب مقام الروحانية، يتحد مع النبي ﷺ، لقول النبي ﷺ: "أنا وعلي من شجرة واحدة". وقال أيضاً: "أنا وعلي من نور واحد"[2]. وقال أيضاً: "فإن الرسول الأعظم والأئمة كانوا قبل هذا العالم أنواراً فجعلهم الله بعرشه محدقين، وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه إلا الله"[3].

ويقول الخميني بعبارة أكثر صراحة: "فالولاية الأحمدية الأحدية الجمعية مظهر الاسم الأحدي الجمعي وسائر الأولياء مظاهر ولايته ومحال تجلياته، كما أن النبوات كلها مظاهر نبوته. وكل دعوة هي دعوة إليه بل دعوته. فكما أنه لا تجلٍ أزلاً وأبداً إلا التجلي بالاسم الأعظم وهو المحيط المطلق الأزلي الأبدي، كذلك لا نبوة ولا ولاية ولا إمامة إلاّ نبوته وولايته وإمامته. وسائر الأسماء رشحات الاسم الأعظم وتجلياته الجمالية والجلالية، وسائر الأعيان رشحات العين الأحمدي وتجليات نوره الجمالي والجلالي واللطفي والقهري. فالله تعالى هو الهو المطلق وهو صلى الله عليه وآله الولي المطلق. ونحن بحمد الله وحسن توفيقه أفردنا رسالة عزيزة في هذا المقصد الأسنى والمقصود الأعلى (مصباح الهداية)"[4].

---

(١) المقدمات للفرغاني مخطوط ورقة ١١ إلى ١٤ نقلاً عن كتاب ختم الأولياء (ص: ٤٨٦).
(٢) شرح دعاء السحر (ص: ٨٧-٨٨).
(٣) الحكومة الإسلامية (ص: ٥٢).
(٤) مقدمات العرفان. عباس نور الدين (ص: ١٤٦).

ثانياً: مفهوم عصمة الأنبياء:

ذهبت الإمامية إلى وجوب عصمة الأنبياء من القبائح جميعاً صغيرها وكبيرها قبل النبوة وبعدها على طريق العمد والنسيان وعلى كل حال، بل جنب الله تعالى الأنبياء الفظاظة والخلق المشينة، والأمراض المنفرة لما كانت هذه الأشياء منفرة في العادة، وأن الآيات التي يفيد ظاهرها فعل المعصية ونحوها كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه: ١٢١] فهذه الآيات يجب تأويلها لأن الظواهر يجب أن تنبني على أدلة العقول لا العكس[١].

ويشترط نصير الدين الطوسي في الأنبياء كمال العقل والذكاء والفطنة وقوة الرأي وعدم السهو، وكل ما ينفر من دناءة الآباء، وعهر الأمهات... والأكل على الطريق وشبهه[٢]. ويضيفون أيضاً تنزيه الأنبياء من كفر الآباء والأمهات[٣].

وأما الصوفية فإن عصمة الأنبياء عندهم ذاتية لا تزول، وإن الله تعالى قد خلق الأنبياء من طينة لم يطأها إبليس بقدميه فبقيت زكية نقية[٤].

ثالثاً: مذهب الرجعة:

المفهوم العام لمبدأ الرجعة عند الإثني عشرية:

إنها رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة، وعودتهم إلى الحياة بعد الموت[٥].

---

(١) انظر: الاقتصاد للطوسي (ص: ٢٦٠-٢٦٢)، ورسالة في علم الكلام للمرتضى (ص: ٦٨).
(٢) انظر: تجريد الاعتقاد (ص: ٢٧٤).
(٣) انظر: تفسير القمي (٢/ ١٤٣)، وتفسير الصافي (٤/ ٩٤-٩٥).
(٤) انظر: عوارف المعارف (ص: ٤٧)، والإبريز (٢/ ٩١-٩٢).
(٥) انظر: أوائل المقالات (ص: ٥١).

والراجعون إلى الدنيا هم: النبي الخاتم، وسائر الأنبياء، والأئمة المعصومون، وممن مُحض في الإسلام، ومن محض في الكفر[1].

والغرض من الرجعة هو انتقام الأئمة وأتباعهم من أعدائهم.

وفي الرجعة يتحول صفوة الخلق، وهم أنبياء الله ورسله إلى جند لعلي رضي الله عنه؛ حيث قالوا: "لم يبعث الله نبياً ولا رسولاً إلا رد جميعهم إلى الدنيا حتى يقاتلوا بين يدي علي بن أبي طالب أمير المؤمنين"[2].

وقالوا في منزلة الرجعة عندهم: "تضافرت الأخبار ليس منا من لم يؤمن برجعتنا" وقالوا: "إن ثبوت الرجعة مما اجتمعت عليه الشيعة الحقة والفرقة المحقة، بل هي من ضروريات مذهبهم". "ومنكرها خارج من رتبة المؤمنين، فإنها من ضرورات مذهب الأئمة الطاهرين"[3].

أما عقيدة الرجعة فيبدو أن الصوفية وافقوا الإمامية عليها تماماً بتمام، بل زادوا عليهم في ذلك؛ لأن الإمامية جعلوا الرجعة خاصة بأشخاص معينين معروفين عندهم بأعيانهم وأسمائهم وأما الصوفية فقد اعتقدوا رجعة كثير ممن يعتقد الشيعة رجعتهم ثم فتحوا الباب للجميع، فكل من ظهر لهم أنه ولي وصار له أتباع فإن الموت لا يقطع الصلة بينه وبين أتباعه ولا يحول بينه وبين الإيحاء إلى أصحابه متى أراد، ويستنكف الكثير منهم عن إطلاق لفظ "الموت" على الشيوخ نظراً لتأصيل هذا المعتقد في قلوبهم، فيطلقون ألفاظاً تناسبه، كقولهم "اختفى الشيخ سنة كذا" أو "حج السنة الفلانية" ونحوهما.

---

(١) دائرة المعارف العلوية (١/ ٢٥٣).

(٢) بحار الأنوار (٥٣/ ٤٣).

(٣) انظر: عقائد الإثني عشرية. إبراهيم الزنجاني (ص: ٢٣٩-٢٤١)، وحق اليقين. عبد الله شبر (٢/ ٣).

ومما يلفت النظر في هذا الصدد أن عقيدتهم في رجعة علي بن أبي طالب لا تختلف عن عقيدة الإمامية في شيء: فإذا كانت الشيعة تعتقد أن عليًا رضي الله عنهم لم يمت وأنه سيرجع فإننا نجد في نصوص الفكر الصوفي نظير هذا الاعتقاد.

يقول الشيخ علي بن محمد وفا: "علي بن أبي طالب رضي الله عنه رفع كما رفع عيسى عليه السلام وسينزل كما ينزل عيسى عليه السلام" نقله الشعراني وعلق عليه بقوله: "وبذلك قال سيدي علي الخواص..."[1].

وفي عقيدة الرجعة عند الصوفية فإن الصيادي ذكر أن إبراهيم المتبولي كان يرى النبي ﷺ ويتلقى أوامره المحمدية، وأن أبا العباس المرسي كان يراه ﷺ ويرى الانحجاب عن رؤيته نقصاً في مقام ولايته، وأن الشاذلي لم يكن طيلة حياته يفارق النبي ﷺ، حيث يقسم على ذلك قائلاً: «والله لو غاب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين»[2].

وذكر الصيادي أن أحد أعيان الطريقة (الشيخ جلال الدين) كان يجتمع بالنبي عليه السلام يقظة لا في المنام، قيل له: كم مرة رأيته يقظة؟ قال بضعاً وسبعين مرة[3].

ويقول عبد الله الميرغني في وجوب الاستغاثة بالأنبياء والأولياء: "هم أحياء عند ربهم، وحضور لدى ملِّهم، فيتصرفون بحول من له الحول، وله القوة والطول، وكم شوهد مما لا يحصى، ولا يعد فيستقصى، حتى لقد خرج البعض من قبره جهاراً، وقضى لقاصده ومناديه أوطاراً"[4].

---

(١) الطبقات الكبرى (٢/ ٣٩).

(٢) طبقات الشعراني (٢/ ١٤)، وقلادة الجواهر (ص: ١٠٦، ٢٩٢).

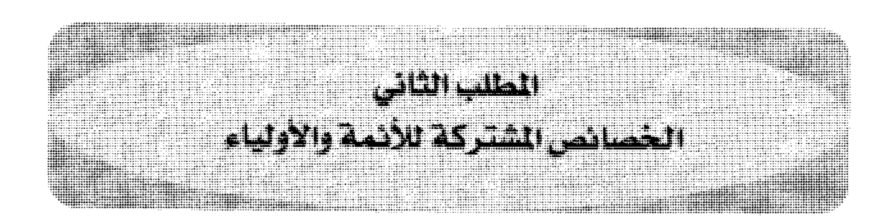
(٣) قلادة الجواهر (ص: ٤٢٢ - ٤٢٣).

(٤) رسالة تحريض الأغبياء على الاستغاثة بالأنبياء والأولياء ضمن الرسائل الميرغنية. عبد الله المحجوب الميرغني (ص: ٩).

وهذه الرجعة عند الصوفية تشمل حتى الأولياء فهذا عبدالحليم محمود حين أراد تأليف كتاب عن السيد البدوي عكف على قبره بمدينة «طنطا» يستأذنه السماح له بكتابته فزعم أنه أذن له مع أنه ميت منذ مئات السنين[1].

ثم لا بد في هذا المبحث أن أتناول الخصائص المشتركة بين الإمام والولي عند الإمامية والصوفية ليتسنى لنا معرفة أوجه التلاقي بين الفرقتين في هذه المسألة.

(١) انظر: الطريقة الرفاعية (ص: ٤٦).



١- الأئمة والأولياء لهم الدنيا والآخرة، ويتصرفون في الكون كيف شاؤوا:

لقد عقد الكليني في الكافي باباً بعنوان: (باب أن الأرض كلها للإمام) ومما جاء فيه: "عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أما علمت أن الدنيا والآخرة للإمام، يضعها حيث يشاء، ويدفعها إلى من يشاء، جائز له ذلك من الله.. "[١].

وجاء في روايات الإمامية: "عن سماعة بن مهران قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فأرعدت السماء وأبرقت، فقال أبو عبد الله - عليه السلام -: أما إنه ما كان من هذا الرعد، ومن هذا البرق، فإنه من أمر صاحبكم، قلت: من صاحبنا؟ قال: أمير المؤمنين - عليه السلام - "[٢].

---

(١) أصول الكافي (١/ ٤٠٧، ٤١٠).
(٢) الاختصاص للمفيد (ص: ٣٢٧).

وتطلق الإمامية والصوفية على هذا النوع من التصرف بالولاية التكوينية، يقول الشيرازي: "أما المراد من الولاية التكوينية، فهي قدرة الإنسان على التصرف بصالح الكون بأمر الله وإذنه بأفعال خلافاً للمعتاد والمسيرة الطبيعية لعالم الأسباب. فمثلاً يبرئ المريض الذي لا علاج له بإذن الله، وذلك من خلال الهيمنة والنفوذ الذي وهبه الله تعالى له، ويحيي الموتى، وأعمال أخرى من هذا القبيل، وكل أشكال التصرف المعنوي غير الاعتيادي في أرواح وأجسام البشر، وهذا النوع يشمل الطبيعة أيضاً"(١).

ويقول التيجاني: "اعلم أن حقيقة القطبانية هي الخلافة العظمى عن الحق مطلقاً في جميع الوجود جملةً وتفصيلاً، حيثما كان الرب إلهاً كان هو خليفةً في تصريف الحكم وتنفيذه في كل مَن عليه ألوهية الله تعالى، ثم قيامه بالبرزخية العظمى بين الحق والخلق؛ فلا يصل إلى الخلق شيء كائناً ما كان من الحق إلا بحكم القطب، وتولي النيابة عن الحق في ذلك، وتوصيله كل قسمةٍ إلى محلها، ثم قيامه في الوجود بروحانيته في كل ذرةٍ من ذرات الوجود جملةً وتفصيلاً؛ فترى الكون كله أشباحاً لا حركة لها؛ وإنما هو الروح القائم فيها جملةً وتفصيلاً"(٢).

وذكر الرفاعية أن الشيخ أحمد الرفاعي قال: جاء في بعض الكتب الإلهية أن الله تعالى قال: «يا بني آدم أطيعوني أطعكم، وراقبوني أراقبكم، وأجعلكم تقولون للشيء: كن فيكون»(٣).

ويحكون عن الشيخ منصور أنه كان على قدر عظيم من التصريف فقد وصفوه بأن الله: "أظهره للوجود، ووهبه المراتب المنيعة، وصرفه في الأكوان، وحكمه في

---

(١) الولاية التكوينية. هاشم العاملي (ص: ٢٣).
(٢) جواهر المعاني (٢/ ٧٩).
(٣) جامع كرامات الأولياء للنبهاني (٢/ ١٥٨).

الذرات، وألان له الصعاب، وأذل له الأسود، وجمع عليه القلوب، ونصبه قبلة للعارفين وكعبة للسالكين "[1].

ونقل عن عبدالعزيز الدباغ قوله: (إن تصرفي يصل حتى إلى الجنان، وإن الحور ما يفعلن شيئاً إلا بأمر مني)، وكان يقول لمريده: (إن كنت تعتقد أن الْبِسَّ في جميع أقطار الأرض يأكل الفأر بغير إذن مني فما أحسنت الأدب معي)[2].

٢- الأئمة والأولياء حل بهم جزء من النور الإلهي:

وقد جاء في روايات الإمامية: "قال أبو عبد الله ثم مسحنا (أي الله) بيمينه، فأفضى نوره فينا"[3]، ويقولون: ". . ولكن الله خلطنا بنفسه. . "[4].

ونسبوا إلى رسول الله ﷺ قوله: "يا علي، خلقني الله، وأنت من نور الله. . . فمن جحد وصيتك جحد نبوتي، ومن جحد نبوتي أكبه الله على منخريه في النار"[5].

وقال الخميني: "إن الرسول والأئمة كانوا أنواراً"[6].

ويعتقد الرفاعية أن النبي ﷺ نور محض، وأنه لو بدا من نوره مثقال ذرة لاحترق ما بين العرش إلى الثرى[7]، وأن أهل بيته أنوار الوجود اللامعة[8].

---

(١) إرشاد المسلمين (ص: ١٣ - ١٤).
(٢) كنوز السعادة الأبدية. علي محمد الحبشي (ص: ١٧٩).
(٣) أصول الكافي (١/ ٤٤٠، ٤٤٢).
(٤) السابق (١/ ٤٣٥)، وكتاب من لا يحضره الفقيه (٤/ ٤١٤)
(٥) أمالي الطوسي (١/ ٣٠١).
(٦) الحكومة الإسلامية (ص: ٥٢).
(٧) انظر: حالة أهل الحقيقة (ص: ٢٤).
(٨) انظر: المعارف المحمدية (ص: ٢٧).

وقد تطورت عقيدة حلول جزء من النور الإلهي بالأئمة عند بعض شيوخ الإمامية والصوفية، واتسع نطاقها إلى القول: "بوحدة الوجود" وعدوا ذلك أعلى مقامات التوحيد؛ فهو الغاية في التوحيد عند النراقي (ت: ١٢٠٩هـ)، كما أن الكاشاني كان يقول بعقيدة وحدة الوجود، وله رسالة في ذلك جرى منها مجرى ابن عربي، وعبر عنه ببعض العارفين.

٣- الإحياء والإماتة:

حيث نسبت الإمامية ذلك إلى علي رضي الله عنه أنه أحيا الشاب الذي من أخواله من بني مخزوم!! حيث ركض قبره برجله، فخرج الشاب من قبره[١]، وأحيا رضي الله عنه موتى مقبرة الجبانة بأجمعهم، وضرب رضي الله عنه الحجر فخرجت منه مائة ناقة!![٢].

وكذلك الحسين بن علي رضي الله عنهما عندما دخل عليه شاب يبكي، ويقول إن والدته توفيت ولم توص، فقام الحسين إلى بيتها، ودعا الله ليحييها حتى توصي فأحياها الله فأوصت، ثم صارت ميتة كما كانت[٣].

كما أن إحياء الموتى عند الصوفية من علامات التمكن في الولاية، فإنه مما ذكروه عن الشيخ الرفاعي أنه قال: «الولي المتمكن يحيي الموتى بإذن الله»[٤].

ونسب الصيادي إلى عزاز بن مستودع البطائحي قوله: "وحكي أن الفقراء - أي الصوفية - كانوا يتواجدون فداسوا طفلاً كان نائماً فمات وترضرض حتى لم يعد

---

(١) أصول الكافي (١/ ٤٥٧).

(٢) بحار الأنوار (٤١/ ١٩٤-١٩٨).

(٣) انظر: بحار الأنوار (٤٤/ ١٨٠)، والثاقب في المناقب. عماد الدين ابن حمزة (ص: ٣٤٤)، ومعاجز أهل البيت (ص: ١٣٥).

(٤) انظر: قلادة الجواهر (ص: ٧٣، ١٤٥)، وإرشاد المسلمين (ص: ٨٥ - ٨٦).

يعرف ظهره من بطنه، فأحياه الشيخ بعد موته"[1].

وحكي أيضاً أن أمير مصر صنع لأحد الرفاعيين ضيافة عظيمة وجعل أمامه طبقاً فيه دجاجة فنظر إلى الطبق وقال: سمعت سيدي الشيخ أحمد الرفاعي يقول: الولي المتمكن يحيي الموتى بإذن الله. ثم نظر إلى الدجاجة وقال لها: قومي بإذن الله. فقامت الدجاجة وشقت المجلس وخرجت[2].

٤- علمهم الغيب:

وأما اطلاعهم على الغيب، وإحاطتهم بعلم ما كان وما يكون، وإخبارهم بكل ما ظهر وما بطن فكتب القوم مليئة بهذه الدعاوى، ومنها: أن الكليني عقد في (الكافي) باباً بعنوان: "أن الأئمة يعلمون علم ما كان وعلم ما يكون، وأنه لا يخفى عليهم الشيء"[3]، وضمنه طائفة من رواياتهم، وعقد باباً آخر بعنوان "أن الأئمة إذا شاؤوا أن يعلموا علموا"[4]، وضمنه مجموعة من رواياتهم، ومن ذلك: قال أبو عبد الله - كما يزعمون -: "إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض، وأعلم ما في الجنة، وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما يكون.."[5][6].

ولقد ورد في كتب الإمامية عن جعفر الصادق أنه قال: (كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه كثيراً ما يقول: . . . ولقد أعطيت خصالاً ما سبقني إليها أحد قبلي علمت المنايا والبلايا، والأنساب وفصل الخطاب، فلم يفتني ما سبقني، ولم يعزب ما غاب عني)[7].

---

(١) انظر: إرشاد المسلمين (ص: ٨٢)، وجامع كرامات الأولياء (١/ ٢٩٦).
(٢) انظر: إرشاد المسلمين (ص: ١٢٤ - ١٢٥).
(٣) انظر: أصول الكافي (١/ ٢٦٠، ٢٦٢).
(٤) انظر: السابق (١/ ٢٥٨).
(٥) انظر: السابق (١/ ٢٦١).
(٦) انظر: السابق (١/ ٢٦٠، ٢٦١).
(٧) الأصول من الكافي (١/ ١٩٦، ١٩٧).

ويقول الخميني: "اعلم أن ليلة القدر حيث إنها ليلة مكاشفة رسول الله وأئمة الهدى، فلهذا تنكشف لهم جميع الأمور الملكية من غيب الملكوت... وهذه المكاشفة مكاشفة ملكوتية محيطة بجميع ذرات عالم الطبيعة، ولا يخفى لولي الأمر شيء من أمور الرعية... وقد ورد أن الأعمال تعرض على ولي الأمر، رسول الله وأئمة الهدى"[1].

وكذلك ما نقله الصوفية عن الرفاعي أنه قال: (إن العبد ما يزال يرتقي من سماء إلى سماء حتى يصل إلى محل الغوث، ثم ترتفع صفته إلى أن تصير صفة من صفات الحق، فيطلعه على غيبه حتى لا تنبت شجرة، ولا تخضر ورقة إلا بنظره، ويتكلم هناك عن الله بكلام لا تسعه عقول الخلائق... وكان يقول: إن القلب إذا انجلى من حبّ الدنيا وشهوتها صار كالبلّور، وأخبر صاحبه بما مضى وبما هو آت من أحوال الناس)[2]. ونقل ذلك الشعراني أيضاً عنه في طبقاته[3].

وأود أن أشير هنا إلى وجود روايات تنص على أن اتصال الصوفية القدماء بالإمامية نتجت عنها نصوص يتداولها الصوفية نقلاً عن الشيعة وهي تتضمن نسبة علم الغيب إلى أئمة الشيعة، ومن ثم كان سهلاً على الصوفية أن يؤسسوا فكرهم على تلك النقول، ومن تلك النصوص ما نقله صاحب "منهاج الكرامة"، عن ابن الجوزي، عن شقيق البلخي، قال: "خرجت حاجّاً سنة تسع وأربعين ومائة فنزلت القادسية فإذا شاب حسن الوجه شديد السمرة، عليه ثوب صوف مشتمل بشملة، في رجليه نعلان، وقد جلس منفرداً عن الناس فقلت في نفسي: هذا الفتى من الصوفية يريد أن يكون كلاً على الناس، والله لأمضين إليه أوبخه، فدنوت منه فلما رآني مقبلاً

---

(١) انظر: الآداب المعنوية للصلاة (ص: ٥١٢).
(٢) قلادة الجواهر في ذكر الرفاعي وأتباعه الأكابر (ص: ١٤٨).
(٣) انظر: الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ١٤٢).

قال: يا شقيق ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢] فقلت في نفسي: هذا عبد صالح قد نطق على ما في خاطري... أمضي إليه وأعتذر، وكان يصلي فأوجز في صلاته ثم قال: يا شقيق: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢] فقلت: هذا من الأبدال قد تكلم على ما في سري مرتين" وفي آخرها: "ودار به الناس يسلمون عليه ويتبركون به، فقلت لهم: من هذا؟ قالوا: موسى بن جعفر"(١).

وفي بيان تزاوج المدرستين وكون الفكر الإمامي أصلاً للفكر الصوفي خاصة في موضع الغيب ينقل ابن تيمية عن بعض الصوفية ادعاءه: "أنه يعلم كل ما يعلمه الله، ويقدر على كل ما يقدر عليه الله، وأن هذا كان للنبي ﷺ حتى انتهى ذلك إلى أبي الحسن الشاذلي ثم إلى ابنه"(٢).

٥- نزول الوحي عليهم:

ترى الإمامية والصوفية أن النبوة لم تختم بمحمد صلوات الله وسلامه عليه، حيث لم يكن وحده في زمانه الذي كان ينزل عليه الوحي، ويأتي إليه الملك، ويكلمه الله من وراء حجاب، بل كان هناك شخص آخر في زمانه وبعده، كان له تلك الأوصاف كلها، بل أكثر منها.

---

(١) منهاج السنة النبوية (٤/ ١٣-١٥)، والصلة بين التصوف والتشيع (ص: ٢١٧-٢١٨). وقال شيخ الإسلام معلقاً على هذه الرواية: " وأما الحكاية المذكورة عن شقيق البلخي فكذب، فإن هذه الحكاية تخالف المعروف من حال موسى بن جعفر، وموسى كان مقيماً بالمدينة بعد موت أبيه جعفر، وجعفر مات سنة ثمان وأربعين، ولم يكن قد جاء إذ ذاك إلى العراق حتى يكون بالقادسية، ولم يكن أيضاً ممن يترك منفرداً على هذه الحال لشهرته، وكثرة غاشيته وإجلال الناس له، وهو معروف ومتهم أيضاً بالملك، ولذلك أخذه المهدي ثم الرشيد إلى بغداد" منهاج السنة النبوية (٤/ ٥٧).

(٢) "مجموع الفتاوى" (١٤/ ٣٦٥).

حيث إن رسول الله محمد صلوات الله وسلامه عليه لم يكن يكلمه الله إلا وحياً، أو من وراء حجاب، أو بإرسال رسول، فيوحي بإذنه ما يشاء.

وأما الإمام فكان ينزل عليه الوحي، ويرسل إليه رسول، ويكلمه الله ويناجيه بلا حجاب، وقد أعطى خصالاً لم يسبقه إليها أحد، ثم توارث هذه الأوصاف من خلفه بعده إلى خاتم الأئمة.

وقالت الصوفية بنزول الوحي على أوليائهم، فهذا ابن عربي في كتابه (الجواب المستقيم عما سأل عنه الترمذي الحكيم)، يقول زيادة على نزول الملك على الوليّ:

(وليس الأمر كذلك، فقد رآه الأولياء في حال حديثه لهم، فكل قال ما شاهد... ومشهده صحيح، وهذا كله إذا كان الحديث من الملك والروح)[1].

يعني أن الوليّ ينزل عليه الملك ويحدثه ويشاهده الوليّ ويراه وقت نزوله عليه، وكلامه به.

وبمثل ذلك قال الدباغ، وبعبارة أكثر وضوحاً: (وأما ما ذكروه في الفرق بين النبي والوليّ من نزول الملك وعدمه فليس بصحيح؛ لأن المفتوح عليه سواء كان ولياً أو نبياً لا بد له أن يشاهد الملائكة بذواتهم على ما هم عليه، ويخاطبهم ويخاطبونه، وكل من قال: إن الوليّ لا يشاهد الملك ولا يكلمه فذاك دليل على أنه غير مفتوح عليه)[2].

وليس عامة الملائكة فحسب، بل جبريل أيضاً كما ينص على ذلك الشعراني ناقلاً عن الشيخ عبد الغفار القوصي أنه قال في كتابه المسمَّى بالوحيد: (إنّ الشيخ تاج

---

(١) الجواب المستقيم لابن عربي مخطوط ورقة ب ٢٤٦ المندرج في كتاب ختم الأولياء للحكيم الترمذي. بتحقيق عثمان إسماعيل يحيى (ص: ٢٢١).

(٢) الإبريز (ص: ١٥١).

الدين بن شعبان كان إذا سأله إنسان في حاجة يقول له: اصبر حتى يجيء جبريل)[1].

٦- مناجاتهم الله عز وجل دون واسطة:

فقد نقل محمد بن حسن الصفار عن حمران بن أعين أنه قال: (قلت لأبي عبد الله (جعفر) عليه السلام: جعلت فداك، بلغني أن الله تعالى قد ناجى علياً عليه السلام؟ قال: أجل، قد كان بينهما مناجاة بالطائف نزل بينهما جبريل)[2].

وأما المتصوفة فإن الجيلي يقول تحت عنوان (تجلّي الصفات): (ومن المكلمين من يذهب به الحق من عالم الأجسام إلى عالم الأرواح وهؤلاء أعلى مراتب. فمنهم من يخاطب في قلبه، ومنهم من يصعد بروحه إلى سماء الدنيا، ومنهم إلى الثانية والثالثة كل على حسب ما قسم له، ومنهم من يصعد به إلى سدرة المنتهى فيكلمه الله هناك، وكل من المكلمين على قدر دخوله في الحقائق تكون مخاطبات الحق له ولأنه سبحانه وتعالى لا يضع الأشياء إلا في مواضعها. ومنهم من يضرب له عند تكليمه إياه نور له سرادق من الأنوار. ومنهم من ينصب له منبراً من نور. ومنهم من يرى نوراً في باطنه فيسمع الخطاب من تلك الجهة النورية، وقد يرى النور كثيراً وأكثر مستديراً ومتطاولاً. ومنهم من يرى صورة روحانية تناجيه، كلّ ذلك لا يسمى خطاباً، إلا إنْ أعلمه الله أنه هو المتكلم، وهذا لا يحتاج فيه إلى دليل، بل هو على سبيل الوهلة فإن خاصية كلام الله لا تخفى)[3].

والرفاعية نقلوا عن الرفاعي أنه كان كثيراً ما يقع بينه وبين الربّ مناجاة ومخاطبات، ومنها: (نقل عن السيد إبراهيم الأعزب أنه قال: كنت جالساً في

(١) الأخلاق المتبولية للشعراني بتحقيق الدكتور منيع عبد الحليم محمود (١/ ٤٥٤).
(٢) بصائر الدرجات للصفار (ص: ٤٣٠).
(٣) الإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلي (ص: ٦٥، ٦٦).

الغرفة مع السيد أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنهما، ورأسه على ركبتيه، فرفع رأسه وضحك بأعلى صوته فضحكت أنا أيضاً ثم ألححت عليه ليخبرني عن سبب ضحكه، فقال: أي إبراهيم، ناداني العزيز سبحانه: أني أريد أن أخسف الأرض، وأرمي السماء على الأرض. فلما سمعت هذا النداء تعجبت، وقلت: إلهي، من ذا الذي يعارضك في ملكك وإرادتك؟ قال سيدي إبراهيم: فأخذته الرعدة ووقع على الأرض وبقي في ذلك الحال زماناً طويلاً)[1].

ويذكر عبد الحليم محمود نقلاً عن أبي الحسن الشاذلي كيفية نزوله من جبل زغوان، ومغادرته خلوته، فيقول: (قيل لي: يا علي: اهبط إلى الناس ينتفعوا بك. فقلت: يا ربّ أقلني من الناس فلا طاقة لي بمخالطتهم. فقيل لي: انزل فقد أصحبناك السلامة، ودفعنا عنك الملامة. فقلت: تكلني إلى الناس آكل من دريهماتهم. فقيل لي: أنفق يا علي، وأنا الملي، إن شئت من الجيب، وإن شئت من الغيب. ونزل الشاذلي رضي الله عنه من على الجبل ليغادر شاذلة، ويستقبل مرحلة جديدة، فقد انتهت المرحلة الأولى التي رسمها له شيخه.

وقبل أن نغادر معه شاذلة إلى رحلته الجديدة نذكر ما حكاه رضي الله عنه فيما يتعلق بنسبته إلى شاذلة، قال:

قلت: يا ربّ لم سميتني بالشاذلي؟ ولست بشاذلي؟ فقيل لي: يا علي، ما سميتك بالشاذلي وإنما أنت الشّاذّ لي. بتشديد الذال المعجمة يعني: المنفرد لخدمتي ومحبتي)[2].

---

(١) انظر: قلادة الجواهر (ص: ١٨٠).

(٢) انظر: المدرسة الحديثة الشاذلية وإمامها أبو الحسن الشاذلي. عبد الحليم محمود (ص: ٣٤ - ٣٥).

٧- الإمامة والولاية هما أصل النجاة وأساس قبول الأعمال:

جاءت روايات الإمامية لتجعل المغفرة والرضوان والجنات، لمن اعتقد الإمامة، ولو جاء بقراب الأرض خطايا، والطرد والإبعاد والنار، لمن لقي الله لا يدين بإمامة الإثني عشر، حيث قالوا: "إن الله عز وجل نصب علياً علماً بينه وبين خلقه، فمن عرفه كان مؤمناً، ومن أنكره كان كافراً، ومن جهله كان ضالاً، ومن نصب معه شيئاً كان مشركاً، ومن جاء بولايته دخل الجنة"[١].

وقالوا في رواياتهم: (فإنَّ مَن أقرَّ بولايتنا ثمَّ مات عليها قُبلت منه صلاته، وصومه، وزكاته، وحجُّه، وإنْ لَم يُقر بولايتنا بين يدي الله جلَّ جلاله لَم يقبل الله عزَّ وجلَّ شيئاً من أعماله)[٢].

وهكذا الحال في أرباب التصوف الذين جعلوا اتباعهم سبباً في دخول الجنة، وعداوتهم أو مخالفتهم طريقاً موصلاً إلى النار كما سبقت الإشارة إليه عند الميرغني والشاذلي.

٨- اعتقاد الإمامة والولاية، هو سبب عفو الله ومغفرته، وإنكارها هو سبب سخط الله وعقابه:

وجاءت عندهم بهذا المعنى روايات كثيرة، ومن ذلك ما رووه عن علي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ عن جبرائيل، عن الله عز وجل قال: وعزتي وجلالي، لأعذبن كل رعية في الإسلام، دانت بولاية إمام جائر، ليس من الله عز وجل وإن كانت الرعية في أعمالها برّة تقية، ولأعفون عن كل رعية دانت بولاية إمام عادل من الله تعالى، وإن كانت الرعية في أعمالها طالحة سيئة "[٣].

---

(١) أصول الكافي (١ / ٤٣٧). وأمالي الصدوق لابن بابويه القمي (ص: ١٥٤، ١٥٥). وأمالي الطوسي (١ / ٣١٤).

(٢) أمالي الصدوق (ص: ١٥٤-١٥٥).

(٣) الغيبة للنعماني (ص: ٨٣).

ويروي المفيد بإسناده إلى موسى بن جعفر أنه قال: "من كانت له إلى الله حاجة، وأراد أن يرانا، وأن يعرف موضعه من الله، فليغتسل ثلاث ليال، يناجي بنا، فإنه يرانا، ويغفر له بنا... نحن أبناء نبي الله... وأحباب رب العالمين، نحن مفتاح الكتاب... نحن حجر البيت في السماء والأرض، بنا غفر لآدم، وبنا ابتلى أيوب، وبنا افتقد يعقوب، وبنا حبس يوسف، وبنا دفع البلاء، وبنا أضاءت الشمس..."[١].

وروى الرفاعية أن أبا بكر الدينوري سمع الصوفية يروون عن النبي ﷺ حديث: (من أكل مع مغفور له غفر الله له)، فلم يصدق به فسأل النبي ﷺ في المنام عن درجة هذا الحديث فقال له: أنا قلت هذا الحديث، وغداً تأكل مع مغفور له ويغفر الله لك.

وفي اليوم التالي أخذ نجم الدين لقمة وقال له: «كل يا أخي أبا بكر، صدق سيدي الرسول عليه السلام: من أكل مع مغفور له غفر الله له، وأنت مغفور لك»[٢].

٩- لا هداية للناس إلا بالأئمة والأولياء:

حيث تقول الإمامية: قال أبو عبد الله: "بلية الناس عظيمة، وإن دعوناهم لم يجيبونا، وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا"[٣]. وهذا إقرار بأن هداية الناس لا تتحقق إلا بالأئمة، وأن الناس في بلاء وضلال دائم، لأنهم يرفضون إجابة دعوة الأئمة.

ويقول عين القضاة الهمذاني: "وقد أجمع أرباب الحقيقة من أهل التصوف على أن من لاشيخ له فلا دين له"[٤].

---

(١) الاختصاص للمفيد (ص: ٩٠ - ٩١).
(٢) روضة الناظرين للوتري الرفاعي (ص: ٩٢)، وإرشاد المسلمين(ص: ١٠٠).
(٣) أمالي الصدوق لابن بابويه القمي (ص: ٣٦٣).
(٤) رسالة شكوى الغريب (ص: ١٠).

١٠- الحج إلى المشاهد المقدسة والأضرحة - عندهم - أعظم من الحج إلى بيت الله الحرام:

ومن ذلك ما جاء في (الكافي) وغيره حيث تزعم رواياتهم أن " من أتى قبر الحسين، عارفاً بحقه، في غير يوم عيد، كتب الله له عشرين حجة، وعشرين عمرة، مبرورات مقبولات.. ومن أتاه في يوم عيد، كتب الله له مئة حجة ومئة عمرة.. ومن أتاه يوم عرفة عارفاً بحقه، كتب الله له ألف حجة، وألف عمرة مقبولات مبرورات، وألف غزوة مع نبي مرسل، أو إمام عادل"[١]، والروايات في ذلك كثيرة[٢]. ويزعم الإمامية أن الله يبدأ بالنظر إلى زوار قبر الحسين بن علي، عشية عرفة، قبل نظره إلى أهل الموقف، قال الراوي: وكيف ذلك؟ قال أبو عبد الله: لأن في أولئك أولاد زنى، وليس في هؤلاء أولاد زنى[٣]. وأولاد الزنى عند الشيعة، هم غير الشيعة من المسلمين.

ويقول محمد حسين آل كاشف الغطاء شعراً:

ومن حديث كربلاء والكعبة

لكربلاء بان علو الرتبة

ويرى أن هذا من ضرورات المذهب فيقول بأن كربلاء "أشرف بقاع الأرض بالضرورة"[٤] لأنه قد شهدت بذلك آثارهم وأخبارهم.

ويقول ميرزا حسين الحائري: كربلاء تلك التربة الطيبة الطاهرة، والأرض المقدسة التي قال في حقها رب السموات والأرضين مخاطباً للكعبة حينما افتخرت

(١) فروع الكافي للكليني (١/ ٣٢٤)، ومن لا يحضره الفقيه (١/ ١٨٢)، وتهذيب الأحكام للطوسي (٢/ ١٦).
(٢) تهذيب الأحكام للطوسي (٢/ ١٤٠).
(٣) الوافي للفيض الكاشاني (٨/ ٢٢٢).
(٤) الأرض والتربة الحسينية. محمد حسين آل كاشف الغطاء (ص: ٥٥-٥٦).

على سائر البقاع: قري واستقري لولا أرض كربلاء وما ضمته لما خلقتك، ثم يقول: وكذلك أصبحت هذه البقعة المباركة بعدما صارت مدفناً للإمام رضي الله عنه مزاراً للمسلمين، وكعبة للموحدين، ومطافاً للملوك والسلاطين ومسجداً للمصلين[1].

وقد علق محيي الدين المامقاني. على وصية والده له بكثرة زيارة قبر الحسين رضي الله عنه بقوله: "قد ورد أن من زاره - عارفاً بحقه - كتب الله له ثواب ألف حجة وألف عمرة".

إلى أن قال: "وكأنما زار الله(!!). وحق على الله ألا يعذبه بالنار، ألا وإن الإجابة تحت قبته والشفاء في تربته.." ومن زار قبر الحسين عليه السلام ليلة النصف من شعبان وليلة الفطر، وليله عرفة في سنة واحدة كتب الله له ألف حجة مبرورة، وألف عمرة متقبلة، وقضيت له ألف حاجة من حوائج الدنيا والآخرة "ومن أتاه يوم عرفة عارفاً بحقه كتب الله له ألف حجة، وألف عمرة متقبلات، وألف غزوة مع نبي مرسل أو إمام عادل"[2].

وعند الصوفية أضحت قرية «أم عبيدة» (مسقط رأس الشيخ أحمد الرفاعي) عند الرفاعية البقعة المقدسة والبلد الحرام الذي يتقرب الخلائق بزيارته إلى الله تعالى، ويتوجه إليه أصحاب الحوائج والكربات لدفع حوائجهم وكرباتهم، وذكروا أن أمر قدسيتها قد تم بمقتضى وعد إلهي.

وتعد قرية «أم عبيدة» عند الرفاعية بمنزلة البلد الحرام فزعموا أن الأمر الإلهي قد صدر إلى الرفاعي بأن ينادي بالناس من كل حدب وصوب ليحجوا إليها ففعل مثلما فعل إبراهيم عليه السلام حين نادى بالناس بالحج. وزعموا أنه قال: «قيل لي: قم

(١) انظر: أحكام الشيعة. الحائري (١/ ٣٢)
(٢) انظر: مرآة الرشاد. عبد الله المامقاني (ص: ١١٠-١١٣) (الحاشية).

فناد أهل المشرق والمغرب والسهل والجبل إلى زيارة هذه البقعة السعيدة، فقام الرفاعي وصار يشير بيديه وهو واقف ويقول: «تعالوا إلى (أم عبيدة) تعالوا إلى هذه البقعة المباركة: كل شهر قوم، وكل سنة قوم، وكل وقت قوم ثم أردف يقول: (نعم، نعم) فلما سئل عن ذلك قال: لما ناديت أجابوني بقدرة الله خلق كثير لا تحملهم هذه البقعة فلما رأيت ذلك قلت رويداً رويداً كل شهر قوم، كل سنة قوم»[١].

وقد جعلوا لقرية " أم عبيدة " فضائل عديدة ذكروا منها: أن زائرها يروح ويأتي تحت ظلال أجنحة الملائكة[٢]، وأن زائرها لا تأكله النار ولا تضره وهذا من وعد الله للشيخ الرفاعي كما يقولون[٣] وهذا ما لا يضمن في العادة لزائر مكة ولا المدينة.

وزعموا أن الرفاعي كان يقول: «إذا كان لكم حاجة ولم تقدروا أن تصلوا إلى (قرية) أم عبيدة فتوجهوا نحوها لله تعالى ثلاث خطوات واسألوا حاجتكم»[٤].

ويقول محمد مهدي الرواسي الرفاعي يصف قرية أم عبيدة: "هي دار البرهان والعرفان، ومحل نفحات الرحمن، ومضمار علوم انبجست من قلب سيد الأكوان..... "[٥].

ويصفها أيضاً بأنها: "محضر التدلي، نائبة أم القرى"[٦].

ثم يصف دخوله فيها فيقول: "وتقدمت على رؤوس الأصابع، أتخطى إلى أم عبيدة، البقعة المقدسة، طور سيناء، قلوب العارفين، كعبة همم المحققين، حرم

---

(١) قلادة الجواهر (ص: ٤٣).
(٢) بوارق الحقائق (ص: ٢٢٤).
(٣) إرشاد المسلمين (ص: ٨٧)، وبوارق الحقائق (ص: ٢٢٩).
(٤) قلادة الجواهر (ص: ١٢٩، ١٦٥، ١٦٦).
(٥) بوارق الحقائق (ص: ٢١٩).
(٦) السابق (ص: ٢٢٠).

الأمان للطالبين، مدينة أفئدة المتمكنين، البيت المقدس الأمين، إشارة التين والزيتون، سرارة تدليات الإفاضة من شوارق أمر كن فيكون، مهبط الرحمات، منبع الفتوحات، عنوان المنشور النبوي، نمط الجفر العلوي "[1].

وقال أيضاً: "وقال العارف بالله محمد بن عبد البصري شيخ العارف الشهاب السهروردي: "الزائر إلى أم عبيدة يروح ويأتي تحت ظلال أجنحة الملائكة". وقال أيضاً: الزائر لأم عبيدة يمشي على أجنحة الملائكة، وله بكل نفس ألف ألف حسنة"[2].

ونقل عن الرفاعي قوله: ".... وعدني العزيز سبحانه أن النار لا تحرق من دخل هذه البقعة، أو من لمسته يده "[3].

وإن كل هذه الصفات التي تتصف بها قرية أم عبيدة تجعلها أفضل من المساجد الثلاثة، وأولها في ذلك مكة. وكيف لا تكون أفضل من مكة وقد زعموا أن الكعبة رؤيت وهي قادمة تشد رحالها إلى قرية أم عبيدة مع الرسول ﷺ[4].

١١- الإمام أو الولي يحرم ما يشاء، ويحل ما يشاء:

لقد سبقت الإشارة إلى هذه الخاصية للأئمة والأولياء بتفصيل أكثر في مكانة أقوال الشيوخ والأئمة عند أتباع الفرقتين، وجعلها من مصادر التلقي.

ومن ذلك أنهم يقولون: عن أبي جعفر قال: "من أحللنا له شيئاً أصابه من أعمال المظلومين (خلفاء الدولة الإسلامية) فهو حلال؛ لأن الأئمة منا مفوض إليهم، فما

---

(١) السابق (ص: ٢٢١ - ٢٢٢). وهذا تصريح آخر من قبلهم بالجفر المكذوب المنسوب إلى الإمام علي رضي الله عنه وهو ما يؤكد ميول هذه الطريقة إلى التشيع. وقد سبق الكلام عنه.

(٢) السابق (ص: ٢٢٤ - ٢٢٥).

(٣) السابق (ص: ٢٢٧).

(٤) إرشاد المسلمين لطريقة شيخ المتقين (ص: ٨٤)، روضة الناظرين (ص: ٥٩).

أحلوا فهو حلال، وما حرموا فهو حرام"[1]. ويقولون: "إن الله خلق محمداً وعلياً وفاطمة، فمكثوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها، وأجرى طاعتهم عليها، وفوض أمورهم إليها، فهم يحلون ما يشاؤون ويحرمون ما يشاؤون"[2].

يقول سعد القمي: "إن علي بن أبي طالب إمام مفروض الطاعة من الله ورسوله، بعد رسول الله ﷺ بوجوب، على الناس القبول منه والأخذ منه لا يجوز لهم غيره، من أطاعه أطاع الله، ومن عصاه عصى الله، لما أقامه رسول الله علماً لهم وأوجب إمامته وموالاته..."[3].

وقال الخميني: (إنَّ تعاليم الأئمة كتعاليم القرآن لا تخص جيلاً خاصاً وإنما هي تعاليم للجميع في كل عصر ومصر وإلى يوم القيامة، يجبُ تنفيذها واتباعها)[4].

ويقول محمد جواد مغنية: (قول المعصوم وأمره تماماً كالتنْزيل من الله العليم: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝٣ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٣ - ٤])[5].

ويقول ابن عجيبة في ذكره آداب المريدين بأنهم: "مطالبون بالتصديق للأشياخ في كل ما نطقوا، إذ هم ورثة الأنبياء، وهم على قدمهم، فللأنبياء وحي الأحكام، وللأولياء وحي الإلهام.."[6].

وذكر عبد الحليم محمود آداب الصوفي مع شيخه: "وعدم الاعتراض عليه في أي شيء فعله، ولو كان ظاهره الحرام"[7].

(١) الاختصاص للمفيد (ص: ٣٣٠).
(٢) أصول الكافي (١/ ٤٤١).
(٣) المقالات والفرق (ص: ١٧)، وتطور الفكر السياسي الشيعي (ص: ١٦١).
(٤) الحكومة الإسلامية (ص: ١١٣).
(٥) الخميني والدولة الإسلامية (ص: ٥٩).
(٦) إيقاظ الهمم (ص: ٢٧).
(٧) سيدي أحمد الدردير. عبد الحليم محمود (ص: ١١٩).

١٢- الناس عبيد للأئمة والأولياء:

حيث يقولون: "قال الرضا: الناس عبيد لنا في الطاعة، موال لنا في الدين، فليبلغ الشاهد الغائب"(١).

ومن ذلك حصر بعضهم أسماءهم بالعبودية للأئمة كـ: عبد الحسين، وعبد الرضا، وعبد الزهرة، وعبد الإمام، ونحو ذلك.

أما الصوفية فإن الوليّ عند بعضهم فوق الرسول والنبي، ودون الله قليلاً، وأحياناً يحذفون هذا الفرق أيضاً بينه وبين الله، ويجعلونه ذات الله وعينه، وعلى ذلك قالوا: (لو كشف عن حقيقة وليّ لعبد من دون الله؛ لأن أوصافه من أوصافه، ونعوته من نعوته)(٢).

وهذا مؤسس الطريقة الختمية محمد عثمان الميرغني يمدح شيخه أحمد بن إدريس في قصيدة جاء فيها(٣):

أنــا عــبــد لإمــام قــد وفــى
لــمــقــامــات بــحــق جــا الخــبــر

١٣- الأئمة والأولياء لهم الخيار في أن يبينوا للناس أمر الدين، أو أن يكتموا:

ومن ذلك ما جاء في الكافي وغيره، عن معلى بن محمد، عن الوشاء، قال: سألت الرضا رضي الله عنه فقلت له: جُعلت فداك ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] فقال: نحن أهل الذكر، ونحن المسؤولون، قلت: فأنتم

---

(١) الأمالي للمفيد (ص: ٤٨).

(٢) انظر: لطائف المنن. لابن عطاء الله (ص: ٦٠)، والطبقات الكبرى للشعراني (٢/ ١٣)، وغيث المواهب العلية للنفري الرندي. بتحقيق: عبد الحليم محمود (١/ ٢٣٥).

(٣) انظر: ديوان مجمع الغرائب. للميرغني (ص: ٣١).

المسؤولون ونحن السائلون؟ قال: نعم، قلت: حقاً علينا أن نسألكم؟ قال: نعم، قلت: حقاً عليكم أن تجيبونا؟ قال: لا ذاك إلينا، إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل"[1]، وورد في هذا المعنى روايات كثيرة عند الإمامية[2].

ويزعم الإمامية أن لأئمتهم الحق في إجابة الناس بالأجوبة المختلفة المتناقضة في المسألة الواحدة، لأنه قد فُوض إليهم ذلك، حيث يقولون: "عن موسى بن أشيم، قال: دخلت على أبي عبد الله، فسألته عن مسألة، فأجابني فيها بجواب، فأنا جالس، إذ دخل رجل، فسأله عنها بعينها، فأجابه بخلاف ما أجابني، فدخل رجل آخر، فسأله عنها، فأجابه بخلاف ما أجابني، وخلاف ما أجاب به صاحبي، ففزعت من ذلك، وعظم عليّ، فلما خرج القوم، نظر إليّ، وقال: يا ابن أشيم، إن الله فوض إلى داوود أمر ملكه، فقال: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٩] وفوض إلى محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - أمر دينه فقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]، وإن الله فوض إلى الأئمة منا وإلينا، ما فوض إلى محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - فلا تجزع"[3].

وعن جعفر بن الباقر أنه قال: (إن عندنا والله سراً من سرّ الله، وعلماً من علم الله، أمرنا الله بتبليغه، فبلّغنا من الله عز وجل ما أمرنا بتبليغه، فلم نجد له موضعاً ولا أهلاً ولا حمالة يحتملونه)[4].

وروى الإمامية عن محمد الباقر كما ذكر الكليني عن زرارة بن أعين أنه قال: (سألت أبا جعفر عن مسألة فأجابني، ثم جاءه رجل فسأله عنها فأجابه بخلاف ما

---

(١) انظر: أصول الكافي (١/ ٢١٠، ٢١٢).
(٢) انظر: السابق (١/ ٢١٢)، وتفسير القمي (٢/ ٦٧)، وتفسير العياشي (٢/ ٢٦١).
(٣) الاختصاص للمفيد (ص: ٣٢٩، ٣٣٠).
(٤) الأصول من الكافي (١/ ٤٠٢)، وبصائر الدرجات الكبرى للصفار (ص: ٤٠).

أجابني. ثم جاء رجل آخر فأجابه بخلاف ما أجابني وأجاب صاحبي، فلما خرج الرجلان قلت: يا ابن رسول الله، رجلان من أهل العراق من شيعتكم قدما يسألان فأجبت كل واحد منهما بغير ما أجبت به صاحبه؟ فقال: يا زرارة، إن هذا خير لنا وأبقى لنا ولكم، ولو اجتمعتم على أمر واحد لصدّقكم الناس علينا، ولكان أقل لبقائنا وبقائكم. قال: ثم قلت لأبي عبد الله عليه السلام: شيعتكم لو حملتموهم على الأسنة أو على النار لمضوا وهم يخرجون من عندكم مختلفين، قال: فأجابني بمثل جواب أبيه)[١].

ويقول محمد آل كاشف الغطاء: (إنَّ حكمة التدريج اقتضت بيان جملة من الأحكام وكتمان جملة، ولكنه (ع) أودعها عند أوصيائه (ع) كل وصي يعهد بها إلى الآخر، لينشرها في الوقت المناسب لها حسب الحكمة من عام مخصص، أو مطلق أو مقيد. . . فقد يذكر النبي (ص) عاماً ويذكر مُخصِّصه بعد برهة من حياته، وقد لا يذكره أصلاً، بل يُودعه عند وصيِّه إلى وقته)[٢].

أما الصوفية فيقول السراج الطوسي: (إن حقائق رسالة محمد ﷺ وما خصّه الله تعالى به من العلم، لو وضعت على الجبال لذابت إلا أنه كان يظهرها لهم على مقاديرهم)[٣].

وبمثل ذلك نقل الشعراني عن محمد الحنفي أنه قال: (وههنا كلام لو أبديناه لكم لخرجتم مجانين لكن نطويه عمن ليس من أهله)[٤].

(١) الأصول من الكافي (١/ ٦٥).
(٢) أصل الشيعة (ص: ٧٧).
(٣) كتاب اللمع للطوسي (ص: ١٥٩).
(٤) طبقات الشعراني (٢/ ٩٨).

كما نسبوا لـ " عليّ بن الحسين زين العابدين" أنه قال:

(يا ربّ جوهر علم لو أبوح به
لقيل لي: أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي
يرون أقبح ما يأتونه حسنا
إني لأكتم من علمي جواهره
كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا)[1].

وكان كبار المتصوفة يعملون بهذا المبدأ، ولم يكونوا يظهرون للناس علومهم وأفكارهم كما روى الكلاباذي عن الجنيد أنه قال للشبلي: (نحن حبّرنا هذا العلم تحبيراً، ثم خبأناه في السراديب، فجئت أنت، فأظهرته على رؤوس الملأ)[2].

ونقل الشعراني كذلك عن الشاذلي أنه كان يقول: (امتنعت عني الرؤيا لرسول الله ﷺ، ثم رأيته، فقلت: يا رسول الله، ما ذنبي؟ فقال: إنك لست بأهل لرؤيتنا لأنك تطلع الناس على أسرارنا)[3].

وهناك نص مهم جداً ذكره الشعراني يقطع في هذا الموضوع فيقول: وكان بعض العارفين يقول: (نحن قوم يحرم النظر في كتبنا على من لم يكن من أهل طريقتنا، وكذلك لا يجوز لأحد أن ينقل كلامنا إلا لمن يؤمن به، فمن نقله إلى من لا يؤمن به دخل هو والمنقول إليه جهنم الإنكار، وقد صرح بذلك أهل الله تعالى على رؤوس الأشهاد، وقالوا: من باح بالسرّ استحق القتل)[4].

(١) إيقاظ الهمم (ص: ١٤٥).
(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي (ص: ١٧٢).
(٣) انظر: الطبقات للشعراني (٢/ ٧٥).
(٤) اليواقيت والجواهر للشعراني (ص: ١٧).

وقد ذكر الدباغ حكايات كثيرة عن الذين لم يكتموا السرّ فابتلاهم الله ببلايا عديدة، من القتل والصلب والحرق والعمى وغير ذلك[1].

وكان منهم الحلاج، لأنه لم يقتل إلا لإفشاء سرّه[2].

وكما يروون أن الخضر عبر على الحلاج وهو مصلوب، فقال له الحلاج: (هذا جزاء أولياء الله؟ فقال له الخضر: نحن كتمنا فسلمنا، وأنت بحت فمتّ)[3].

وكما رووا عن أبي بكر الشبلي أنه قال: (كنت أنا والحسين بن منصور شيئاً واحداً إلا أنه أظهر وكتمت)[4].

وأخيراً فإن أحمد بن زروق، وابن عجيبة ذكرا عن الجنيد أنه كان يجيب عن المسألة الواحدة بجوابين مختلفين، فكان يجيب هذا بخلاف ما يجيب ذاك[5].

١٤-الأئمة والأولياء هم أسماء الله وصفاته:

ومما جاء في ذلك ما رواه الكليني في (الكافي) عن أبي عبد الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، قال: نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا"[6]. والروايات في ذلك كثيرة[7]. وجاء في (رجال الكشي) قال علي - كما يزعمون -: "أنا وجه الله، أنا

(١) انظر: الإبريز (ص: ١٢).

(٢) انظر: تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار (ص: ٢٥٢).

(٣) شرح حال الأولياء لعز الدين المقدسي مخطوط ورقة ٢٥١.

(٤) أربعة نصوص. بتحقيق ماسينيون (ص: ١٩).

(٥) انظر: قواعد التصوف لابن زروق (ص: ١١). وإيقاظ الهمم لابن عجيبة (ص: ١٤٤).

(٦) أصول الكافي (١/ ١٤٣، ١٤٤)، وتفسير العياشي (٢/ ٤٢)، والاختصاص للمفيد (ص: ٢٥٢).

(٧) أصول الكافي (١/ ١٤٣، ١٤٥)، والتوحيد لابن بابويه (ص: ١٥١، ١٥٢، ١٦٤، ١٦٧).

جنب الله، وأنا الأول، وأنا الآخر، وأنا الظاهر، وأنا الباطن. . ."[١]، وروايات أخرى كثيرة بهذا المعنى[٢].

ولم يكتف الإمامية بذلك، بل أضفوا على الأئمة أيضاً بعض صفات الله - تعالى - كعلم الغيب، حيث عقد الكليني في (الكافي) باباً بعنوان: "أن الأئمة يعلمون علم ما كان وعلم ما يكون، وأنه لا يخفى عليهم الشيء"[٣]، وضمنه طائفة من رواياتهم، وعقد باباً آخر بعنوان "أن الأئمة إذا شاؤوا أن يعلموا علموا"[٤]، وضمنه مجموعة من رواياتهم، ومن ذلك: قال أبو عبد الله - كما يزعمون -: "إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض، وأعلم ما في الجنة، وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما يكون. ."[٥]، والروايات في ذلك كثيرة[٦].

وذكر فريد الدين العطار عن أبي يزيد البسطامي أنه سئل عن العرش والكرسي فقال: (أنا العرش والكرسي، وقال: أنا إبراهيم، وأنا موسى، وأنا محمد)[٧].

وهذا عين ما رواه الإمامية أنفسهم عن عليّ رضي الله عنه أنه قال: (أنا اللوح، وأنا القلم، وأنا العرش، وأنا الكرسي، وأنا السماوات السبع، وأنا الأسماء الحسنى، والكلمات العليا)[٨].

---

(١) رجال الكشي (ص: ٢١١).
(٢) انظر: التوحيد لابن بابويه القمي (ص: ١٤٩، ١٥٣)، وتفسير القمي (٢/ ١٤٧، ٣٤٥).
(٣) انظر: أصول الكافي (١ / ٢٦٠، ٢٦٢)
(٤) انظر: السابق (١/ ٢٥٨).
(٥) انظر: السابق (١/ ٢٦١).
(٦) انظر: السابق (١/ ٢٦٠، ٢٦١).
(٧) انظر: تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار (ص: ٩٩).
(٨) مشارق أنوار اليقين. لحافظ رجب البرسي (ص: ١٥٩).

ويروي الشعراني ومحمد الرفاعي وغيرهما عن علي رضي الله عنه أنه كان يقول في خطبته على رؤوس الأشهاد: (أنا نقطة بسم الله، أنا جنب الله، الذي فرطتم فيه، أنا القلم وأنا اللوح المحفوظ، وأنا العرش وأنا الكرسي، وأنا السماوات السبع والأرضون)[1].

ويقول السهروردي أن: "الأسماء التسعة والتسعين تصير أوصافاً للعبد السالك"[2].

١٥- اختصاص الأئمة والأولياء بعلم الباطن:

روى ابن بابويه القمي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في حديث طويل أنه قال:

(إن رسول الله صلى الله عليه وآله علمني ألف باب من العلم يفتح كل باب ألف باب، ولم يعلم ذلك أحد غيري)[3].

ثم أخذ المتصوفة بدورهم هذا المعتقد، فقال قائلهم: (إن جبريل عليه السلام نزل على رسول الله ﷺ أولاً بالشريعة، فلما تقررت ظواهر الشريعة واستقرت نزل إليه بالحقيقة المقصودة، والحكمة المرجوة من أعمال الشريعة، هي: الإيمان والإحسان، فخص رسول الله ﷺ بباطن الشريعة بعض أصحابه دون البعض. وكان أول من أظهر علم القوم وتكلم فيه سيدنا علي كرم الله وجهه عن رسول الله ﷺ. . . ثم انتشر هذا الطريق انتشاراً لا ينقطع حتى ينقطع عمر الدنيا)[4].

---

(١) الجواهر والدرر للشعراني (٢/ ٣١١).

(٢) عوارف المعارف (ص: ٢٣٦).

(٣) كتاب الخصال لابن بابويه القمي (ص: ٥٧٢) وما بعدها.

(٤) جمهرة الأولياء لأبي الفيض المنوفي الحسيني (١/ ١٥٩).

وأوردوا في كتبهم عن علي رضي الله عنه أنه قال: (علمني رسول الله ﷺ سبعين باباً من العلم لم يعلم ذلك أحد غيري)[1].

وتستدل الصوفية أيضاً بحديث: (أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب)[2].

وقال ابن الفارض في تائيته:

وأوضح بالتأويل ما كان مشكلاً
عليّ بعلم ما ناله بالوصية[3]

وقالوا: (أهل الظاهر هم: أهل الخبر واللسان، وعلماء الباطن هم: أرباب القلوب والعيان... وعلم الظاهر حكم، وعلم الباطن حاكم، والحكم موقوف حتى يأتي الحاكم بحكم فيه)[4].

وقالوا أيضاً: (أهل الظاهر هم أهل الشريعة، وأهل الباطن هم أهل الحقيقة)[5].

١٦- العصمة أو الحفظ للأئمة والأولياء:

روى الزنجاني عن الصدوق أنه قال: "اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة أنهم معصومون مطهرون من كل دنس وأنهم لا يذنبون لا صغيراً ولا كبيراً، لا يعصون

(١) انظر: درر الغواص على فتاوى سيدي علي الخواص (ص: ٧٣).
(٢) هذا الحديث مشتهر عند الإمامية والصوفية وهو موضوع، قال ابن حجر في لسان الميزان (١/ ١٩٧): حديث منكر، وقال ابن الجوزي في الضعفاء والمتروكين (٢/ ٢٠٥): فيه عمر بن إسماعيل بن مجالد: متروك ليس بثقة، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (٦/ ٥١٨): موضوع. وقال أبو زرعة في تهذيب الكمال (٢١/ ٢٧٧): كم من خلق افتضحوا بهذا الحديث.
(٣) ديوان ابن الفارض (ص: ٨١).
(٤) قوت القلوب لأبي طالب المكي (١/ ١٥٨).
(٥) انظر: جامع الأصول في الأولياء للكمشخانوي (ص: ٢٥٨).

الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ومن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم، ومن جهلهم فقد كفر"[1].

يقول المفيد في بيان عقائد الإمامية: "إن الأئمة القائمين مقام الأنبياء في تنفيذ الأحكام وإقامة الحدود وحفظ الشرائع وتأديب الأنام معصومون كعصمة الأنبياء"[2]، ويقول في موضع آخر: "والأنبياء والأئمة من بعدهم معصومون في حال نبوتهم وإمامتهم من الكبائر كلها والصغائر..."[3].

ويقول عبد الله شُبّر: "يجب أن يكون الواسطة بين الله تعالى وبين خلقه نبياً كان أو إماماً معصوماً. وهذا ما تفردت به الإمامية... ويجب في الحجة أن يكون معصوماً من الكبائر والصغائر منزّهاً عن المعاصي قبل النبوة وبعدها على سبيل العمد والنسيان"[4].

وأما الصوفية فقد سلكوا في مسألة عصمة الأولياء مسالك ثلاثة، هي[5]:

١ - التصريح بعصمة الأولياء.

٢ - التكني بعصمة الأولياء وتسميتها حفظاً.

٣ - القول بعصمة الأولياء على نحو غير مباشر، يقوم على ركيزتين هما: وجوب طاعة الشيوخ والإيمان بكل ما جاؤوا به، وإيجابهم تأويل معاصي الأولياء على فرض وقوعها.

---

(١) عقائد الإثني عشرية. للزنجاني (٢/ ١٥٧).
(٢) أوائل المقالات (ص: ٧١-٧٢).
(٣) انظر: تصحيح الاعتقاد (ص: ١٠٦).
(٤) انظر: حق اليقين (١/ ١٩١).
(٥) انظر: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي. محمد أحمد لوح (١/ ٢٢١-٢٢٨).

ولقد استعمل ابن عربي للصوفية العصمة للأنبياء والأولياء، وسوّى بينهما، ولم ير الفرق في كونهما مصطفين مختارين من قبل الله عز وجل، ومنزلتهما ومكانتهما لا تدركان بالعقل، ومنصبهما لا يكتسب.

وقال في مقام آخر: (إن من شرط الإمام الباطن «يعني الولي» أن يكون معصوماً، وليس الظاهر إن كان غيره مقام العصمة)[1].

وبمثل ذلك قال أبو الحسن الشاذلي: (إن من خواص القطب إمداد الله له بالرحمة والعصمة والخلافة والنيابة)[2].

ونجد السهروردي يجعل الأولياء مخلوقين من الطينة التي خلق منها الأنبياء فلم يطأها إبليس بقدميه فبقيت زكية نقية[3].

وروى أبو عبد الرحمن السلمي في (طبقات الصوفية) عن أبي بكر محمد الدينوري أنه سئل عن علامة الصوفي ما هي؟ فقال: (أن يكون مشغولاً بكل ما هو أولى به من غيره، ويكون معصوماً عن المذمومات)[4].

ونقل الدكتور عبد الحليم محمود عن أبي بكر الواسطي المتوفى ٣٢٠هـ أنه قسّم المتصوفة على ثلاثة أقسام، فقال: (الناس على ثلاث طبقات، الطبقة الأولى: منّ الله عليهم بأنوار الهداية، فهم معصومون من الكفر والشرك والنفاق.

والطبقة الثانية: منّ الله عليهم بأنوار العناية فهم معصومون من الصغائر والكبائر.

---

(١) الفتوحات المكية لابن عربي (٣/ ١٨٣).
(٢) كتاب القصد للشاذلي نقلاً من كتاب: الصلة بين التصوف والتشيع (ص: ٤١٧).
(٣) انظر: عوارف المعارف (ص: ٤٧).
(٤) طبقات الصوفية للسلمي (ص: ١٠٩).

والطبقة الثالثة: منّ الله عليهم بالكفاية فهم معصومون عن الخواطر الفاسدة وحركات أهل الفضيلة)[1].

ويقول السهروردي: (الشيخ للمريدين أمين الإلهام، كما أن جبريل أمين الوحي، فكما لا يخون جبريل في الوحي، لا يخون الشيخ في الإلهام، وكما أن رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى فالشيخ مقتد برسول الله ﷺ ظاهراً وباطناً، لا يتكلم بهوى النفس)[2].

ولربما استعملوا الحفظ على أوليائهم ومتصوفيهم، بدل العصمة الشيعية لأئمتهم، لكن في المعنى والمقصود نفسيهما، فقالوا: (ومن شرط الوليّ أن يكون محفوظاً، كما أن من شرط النبي أن يكون معصوماً)[3].

ويقول النبهاني في تعريف الولي: "من توالت طاعاته من غير تخلل معصية"، ويقول أيضاً: "هو الذي يتولى الحق سبحانه حفظه وحراسته على التوالي عن كل أنواع المعاصي، ويديم توفيقه على الطاعات"[4].

وظاهر أن من يكون هذا شأنه لا يكون إلا معصوماً محضاً، لذلك أن الصوفية حينما يستعملون الحفظ، لا يريدون من وراء ذلك إلا العصمة، ولذلك ذكر الهجويري كلتا اللفظتين في معنى واحد، بصورة الألفاظ المترادفة[5].

---

(١) انظر: غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية (١/ ١٦٠) حاشية رقم ٢ لعبد الحليم محمود.
(٢) عوارف المعارف (ص: ٤٠٤).
(٣) الرسالة القشيرية (٢/ ٥٢١)، وروضة التعريف (ص: ٥٢١)، ومواقع النجوم لابن عربي (ص: ٨٠)، وجمهرة الأولياء (١ / ٩٧)، وفوائح الجمال لنجم الدين الكبري (ص: ٨٢).
(٤) انظر: جامع كرامات الأولياء (١/ ١٤).
(٥) كشف المحجوب للهجويري (ص: ٣٤٢).

١٧- عدم خلو الأرض منهم:

فلقد أورد الكليني روايات عديدة تحت عنوان: لو لم يبق في الأرض إلا رجلان لكان أحدهما الحجة: ومنها ما رواها عن جعفر بن محمد الباقر أنه قال: (لو لم يكن في الأرض إلا اثنان لكان الإمام أحدهما)[١].

وروى ابن بابويه القمي عن علي بن موسى الرضا أنه سئل: (أتخلو الأرض من حجة؟ فقال: لو خلت الأرض طرفة عين من حجة لساخت بأهلها)[٢].

وكذلك بوّب القمي باباً مستقلاً في كتابه (كمال الدين وتمام النعمة) العلة التي من أجلها يحتاج إلى إمام: وأورد فيه أكثر من عشرين رواية: منها ما رواها عن الباقر بن علي زين العابدين: (لو أن الإمام رفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله)[٣].

وأورد الملا باقر المجلسي في بحاره أكثر من مائة حديث عن أئمته في هذا المعنى، منها ما رواها عن علي بن الحسين أنه قال: (ولم تخل الأرض منذ خلق الله آدم عليه السلام من حجة فيها، ظاهر مشهور أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة لله فيها، ولولا ذلك لم يعبد الله)[٤].

وإن الصوفية أخذوها منهم بكاملها بدون أيّ تغيير وتبديل، غير أنهم جعلوا الحجة وليّاً من أوليائهم، أو صوفياً من جماعتهم بدل الإمام لدى الإمامية، فيقول أبو طالب المكي نقلاً عن علي رضي الله عنه أنه قال: (لا تخلو الأرض من قائم لله

---

(١) الأصول من الكافي (١/ ١٨٠).

(٢) عيون أخبار الرضا لابن بابويه القمي (١/ ٢٧٢).

(٣) كمال الدين وتمام النعمة لابن بابويه القمي (١/ ٢٠٢).

(٤) بحار الأنوار ج ٢٣ في مواضع شتى.

تعالى بحجة، إمّا ظاهر مكشوف، وإمّا خائف مقهور لئلا تبطل حجج الله تعالى وبيّناته)[1].

ومثل ذلك أورد السراج الطوسي عنه: (لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة لئلا تبطل آياته، وتدحض حججه)[2].

وبمثل ذلك قال الحكيم الترمذي، وأحمد بن زرّوق: (لا تخلو الدنيا في هذه الأمة من قائم بالحجة)[3].

وقال السلمي في مقدمة طبقاته: (وأتبع «الله» الأنبياء عليهم السلام بالأولياء، يخلفونهم في سننهم، ويحملون أمتهم على طريقتهم وسمتهم، فلم يخل وقتاً من الأوقات من داع إليه بحق أو دال عليه ببيان وبرهان. وجعلهم طبقات في كل زمان، فالوليّ يخلف الوليّ . . . فعلم ﷺ أن آخر أمته لا يخلو من أولياء وبدلاء، يبيّنون لأمته ظواهر شرائعه وبواطن حقائقه)[4].

وقال ابن عربي: (لا يخلو زمان عن كامل)[5].

وقال أبو الفيض المنوفي: (وأولياء الله وأحبابه لا يخلو قط منهم زمان، ولا تغيب عنهم بلدان، لأنهم حاملو نور النبوة، الموروث لهم بالنبوة من الله عز وجل، فالناس بهم يرحمون ويرزقون)[6].

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب (١/ ١٣٤).
(٢) كتاب اللمع للطوسي أبي نصر السراج (ص: ٤٥٨).
(٣) كتاب ختم الأولياء للترمذي الحكيم (ص: ٣٦٠)، وقواعد التصوف. لابن زروق (ص: ٤٨).
(٤) كتاب طبقات الصوفية، المقدمة للسلمي (ص: ٧).
(٥) عقلة المستوفز. لابن عربي (ص: ٩٧).
(٦) جمهرة الأولياء (١/ ١٢٠).

وقال الشعراني نقلاً عن عليّ الخواص أنه قال: (من نعم الله تعالى على عباده كونه تعالى لا يخلي الأرض من قائم له بحجة في دينه، رضيه لولايته، واختاره لمعاملته، يبين به دلالاته، يوضح به طرقاته، فطوبى لمن كان كذلك في هذا الزمان)[1].

وهذا ما أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية في فتاواه بعد ذكر كلام الصوفية في هذا الخصوص: (وهذا من جنس دعوى الرافضة أنه لابدّ في كل زمان من إمام معصوم يكون حجة الله على المكلفين، لا يتم الإيمان إلا به)[2].

١٨- وجوب معرفتهم:

ومما ذهبت إليه الإمامية أنه يجب على الناس معرفة ذلك الإمام الذي لا تخلو الأرض منه، ومن مات ولم يعرف الإمام فقد مات ميتة جاهلية، أو ميتة كفر وضلال كما قال المرتضى: (إن المعرفة بهم «يعني بالأئمة» كالمعرفة به تعالى، فإنها إيمان وإسلام، وأن الجهل والشك فيهم كالجهل والشك فيه فإنه كفر، وخروج من الإيمان، وهذه المنزلة ليست لأحد من البشر إلا لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة من بعده، علي وأولاده الطاهرين... والذي يدل على أن معرفة إمامة من ذكرناه من الأئمة عليهم السلام من جملة الإيمان، وأن الإخلال بها كفر ورجوع عن الإيمان بإجماع الإمامية)[3].

وقال الطوسي: (دفع الإمامة كفر، كما أن دفع النبوة كفر؛ لأن الجهل بهما على حدّ واحد، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: من مات وهو لا يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، وميتة الجاهلية لا تكون إلا على كفر)[4].

---

(١) الأخلاق المتبولية للشعراني (٢/ ١١٦، ١١٧).
(٢) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/ ٤٣٩).
(٣) الرسالة الباهرة في العترة الطاهرة، نقلاً عن مقدمة البرهان (ص: ٢٠).
(٤) تلخيص الشافي للطوسي (٤/ ١٣١، ١٣٢).

ولقد أورد محدثو الشيعة روايات كثيرة في هذا المعنى في أبواب مستقلة بوبوها في مصنفاتهم، مثل الكليني في كافيّه، وابن بابويه القمي في كتبه، والطوسي في شافيه، والبرقي في محاسنه، والنعماني في غيبته، والحر العاملي في فصوله، والمجلسي في بحاره، والبحراني في برهانه، وغيرهم، حتى قال العاملي: (الآيات والروايات من طريق العامة والخاصة، والأدلة في ذلك أكثر من أن تحصى)[1].

كما يعتقد بهذا المعتقد مشائخ الصوفية، فقالوا: من لم يكن له شيخ فإمامه الشيطان كما ذكر ذلك المتصوفة عن أبي يزيد أنه قال: (من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان)[2].

وقال ابن عربي: (اعلم أن مقام الدعوة إلى الله، وهو مقام النبوة والوراثة الكاملة، والحاصل فيه يقال له النبي في زمان النبوة، ويقال له الشيخ الوارث والأستاذ في حق العلماء بالله من غير أن يكونوا أنبياء وهو الذي قالت فيه السادة من أهل طريق الله، من لم يكن له أستاذ فإن الشيطان أستاذه)[3].

وقال الشعراني: (اعلم يا أخي أن أحداً من السالكين لم يصل إلى حالة شريفة في الطريق أبداً إلا بملاقاة الأشياخ ومعانقة الأدب معهم، والإكثار من خدمتهم، ومن ادعى الطريق بلا شيخ كان شيخه إبليس. . . وقد كان الإمام أبو القاسم الجنيد رحمه الله يقول: من سلك بغير شيخ ضلّ وأضلّ)[4].

وكتب في كتابه (الأخلاق المتبولية) نقلاً عن علي المرصفي أنه قال: (لو أن

---

(١) انظر: الفصول المهمة في معرفة الأئمة للحر العاملي (ص: ١٤١).

(٢) انظر: الرسالة القشيرية (٢ / ٧٣٥)، وعوارف المعارف للسهروردي (ص: ٩٦)، وجامع الأصول في الأولياء للكمشخانوي (ص: ١٢٠)، والفتوحات الإلهية لابن عجيبة (ص: ٨٨)، وقلادة الجواهر (ص: ١٤٣).

(٣) الأمر المحكم المربوط فيما يلزم أهل طريق الله من الشروط. لابن عربي (ص: ٢٦٥، ٢٦٦).

(٤) الأنوار القدسية للشعراني (ص: ١٧٣، ١٧٤).

مريداً عبد الله تعالى كما بين السماء والأرض بغير شيخه فعبادته كالهباء المنثور . . . وسمعت سيدي علي الخواص رحمة الله يقول: (لو أن العبد قرأ ألف كتاب في العلم ولا شيخ له فهو كمن حفظ كتب الطبّ مع جهله بالداء والدواء . . . وأن كل من لم يسلك الطريق على يد شيخ حكمه حكم من يعبد الله على حرف)[1].

وهذا مثل ما قاله الإمامية فيما رووه عن أبي جعفر محمد الباقر أنه قال:

(إنما يعرف الله عز وجل ويعبده من عرف الله وعرف إمامه منّا أهل البيت، ومن لا يعرف الله عز وجل ولا يعرف الإمام منّا أهل البيت فإنما يعرف ويعبد غير الله هكذا والله ضلالاً)[2].

١٩- الأئمة والأولياء ولاة أمر الله، وخزنة علم الله، وعيبة وحي الله:

ويروي أبو جعفر محمد بن الحسن الصفار عن محمد الباقر بن علي زين العابدين أنه يقول: (نحن جنب الله ونحن صفوته ونحن خيرته ونحن مستودع مواريث الأنبياء ونحن أمناء الله ونحن حجّة الله، ونحن أركان الإيمان، ونحن دعائم الإسلام، ونحن من رحمة الله على خلقه، ونحن الذين بنا يفتح الله وبنا يختم. . . ونحن المنهاج ونحن معدن النبوة، ونحن موضع الرسالة، ونحن الذين إلينا مختلف الملائكة، ونحن السراج لمن استضاء بنا، ونحن السبيل لمن اقتدى بنا، ونحن الهداة إلى الجنة، ونحن عز الإسلام، ونحن السنام الأعظم، ونحن الذين بنا نزل الرحمة! وبنا تسقون الغيث، ونحن الذين بنا يصرف عنكم العذاب، فمن عرفنا ونصرنا وعرف حقنا وأخذ بأمرنا فهو منا وإلينا)[3].

---

(١) الأخلاق المتبولية للشعراني (١ / ١٢٩، ١٣٠).

(٢) الكافي للكليني (١/ ١٨١).

(٣) بصائر الدرجات الكبرى (٢/ ٨٣).

وروى الكليني عنه أيضاً أنه قال: (نحن خزان علم الله، ونحن تراجمة وحي الله، ونحن الحجة البالغة على من دون السماء ومن فوق الأرض)[1].

ويصف السراج الطوسي أولياء الصوفية فيقول: (إن هذه العصابة أعني الصوفية هم أمناء الله عز وجل في أرضه، وخزنة أسراره وعلمه وصفوته من خلقه)[2].

٢٠- الأئمة والأولياء يعرفون جميع الألسن واللغات، وحتى لغات الطيور والوحوش:

يذكر الصفار في بصائره العناوين الأربعة لبيان علوم الأئمة فيقول: (باب في الأئمة عليهم السلام أنهم يعرفون الألسن كلها).

(باب في الأئمة أنهم يتكلمون الألسن كلها).

(باب في الأئمة أنهم يعرفون منطق الطير).

(باب في الأئمة عليهم السلام أنهم يعرفون منطق البهائم، ويعرفونهم، ويجيبونهم إذا دعوهم)[3].

ثم يورد تحتها روايات كثيرة تنبئ وتدل على كل ما ذكره في العناوين. فمثلاً يروي عن جعفر بن الباقر أنه قال: (قال الحسن بن علي عليه السلام: إن لله مدينتين، إحداهما بالمشرق، والأخرى بالمغرب، عليهما سوران من حديد، وعلى كل مدينة ألف ألف مصراع من ذهب، وفيها سبعون ألف ألف لغة يتكلم كل لغة بخلاف لغة صاحبه، وأنا أعرف جميع اللغات وما فيهما وما بينهما وما عليهما حجة غيري والحسين أخي)[4].

---

(١) الكافي (١ / ١٩٢).
(٢) كتاب اللمع للطوسي (ص: ١٩).
(٣) انظر: بصائر الدرجات الكبرى (٩/ ٣٥٧)، والفصول المهمة في أصول الأئمة (ص: ١٥٥).
(٤) انظر: بصائر الدرجات (٩/ ٣٥٩).

ويروي عن محمد الباقر أنه قال: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦][١].

ونسبوا إلى الباقر أيضاً قصة ذئب شكا إليه عسر ولادة زوجته في الجبل، وطلب منه أن يدعو الله عز وجل أن يخلصها، وأن لا يسلط نسله على شيء من شيعة أهل البيت، فقال له الباقر: قد فعلت[٢].

ومثل ذلك ذكره المتصوفة في كتبهم عن أوليائهم ومشائخهم، فيقول الشعراني في طبقاته عن إبراهيم الدسوقي: (وكان رضي الله عنه يتكلم بالعجمي والسرياني والعبراني والزنجي، وسائر لغات الطيور والوحوش)[٣].

وقال عماد الدين الأموي: (العارفون يفهمون كلام المخلوقين من الحيوانات والجمادات)[٤].

وكان أبو العباس المرسي يقول: (إذا كمل الرجل نطق بجميع اللغات وعرف جميع الألسن إلهاماً من الله عز وجل)[٥].

ويقول الشعراني روايةً عن شيخه علي المرصفي عن شروط المريد الذي يدخل الخلوة أن تحصل له كشوف كثيرة ومنها (أن يعطيه الله تعالى معرفة سائر الألسن الخاصة بالإنس والجن فلا يخفى عليه فهم كلام أحد منهم ولو تشكل في غير صورته الأصلية)[٦].

---

(١) السابق (٩/ ٣٦٢).
(٢) انظر: الاختصاص (ص: ٣٠٠)، ومعاجز أهل البيت (ص: ١٧٠).
(٣) طبقات الشعراني (١/ ١٦٦).
(٤) انظر: حياة القلوب لعماد الدين الأموي بهامش قوت القلوب لأبي طالب المكي (٢/ ٢٧٥).
(٥) الطبقات الكبرى للشعراني (ص: ٤٦٠)
(٦) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية (ص: ٢١٥-٢٣٣).

وذكر القوم حكايات كثيرة عن متصوفيهم تشتمل على تكلمهم مع السباع والطيور وغيرها. ومنها ما ذكروه عن الشيخ الرفاعي أنه رأى أسداً يفترس شاباً وقد «خلع» كتفه من يده ومكث يأكله. فزجره الشيخ الرفاعي زجراً شديداً وقال له: يا خلق الله أما نهيتكم عن أذية الخلق الذين يمرون ببلادنا، فنطق السبع وأتى إلى حضرة الشيخ مسلماً عليه بلسان عربي فصيح قائلاً له: «يا سيد السادات وصاحب الجود والكرامات: لي سبعة أيام ما أكلت شيئاً، وهذا الشاب أرسله الله لي رزقاً مقسوماً.

فالتفت إليه الشيخ الرفاعي بنظر الغضب والجلال، فوقع السبع ميتاً في الحال، فأخذ الشيخ ذراع الشاب ووضعها في مكانها وقال: بسم الله الرحمن الرحيم. ومسح عليه بيده المباركة فعاد كما كان أولاً بل أشد وأقوى»[1].

٢١- وجوب التوسل والاستغاثة بهم[2]:

ولهم في ذلك عبارات صريحة، ومؤلفات، ورسائل، بل إن الإمامية جعلت

---

(١) قلادة الجواهر (ص: ٩١)، وانظر: روضة الناظرين للوتري (ص: ٥٨ - ٥٩).

(٢) الصوفية والإمامية يخلطون بين التوسل والاستغاثة، ولكن هناك فروق عدة بين التوسل غير المشروع وبين الاستغاثة بغير الله تعالى. ومن الفروق بينهما:

التوسل هو سؤال الله تعالى بالنبي ﷺ أو الولي، أما الاستغاثة فهي طلب الغوث من المستغاث به لا من غيره، كما قال تعالى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص: ١٥].

وأيضاً فإن مادة التوسل لا تتعدى إلا بالحرف كقولك: توسلت بفلان إلى فلان، ومثله تشفعت به وتوجهت به، وتصير الباء على هذا بمعنى السببية.

وأما مادة الاستغاثة فإنها تتعدى بنفسها وبالحرف وكلاهما واحد فنقول: استغاثه واستغاث به، وكلا المعنيين طلب الغوث من المستغاث به.

ولم يقل أحد قط أستغيث برسولك عندك، ولا هذا عند أحد، لا العرب ولا غيرهم، وهو ظن أن الباب في التوسل كالباب في الاستغاثة وليس كذلك، فإنه يقال: استغاثه واستغاث به، كما يقال: استعانه واستعان به فالمستغاث هو المسؤول، وأما المتوسل به فهو الذي يتسبب إلى المسؤول.

وأخيراً يحكم على التوسل البدعي أنه بدعة، ويحكم على الاستغاثة بغير الله أنها شرك. انظر: كتاب الاستغاثة في الرد على البكري، تحقيق: عبد الله السهلي (ص٢٥٦)، والكشف المبدي لتمويه أبي الحسن السبكي، لمحمد فقيه (ص٢٦٠).

التوسل بالأئمة والتوجه إليهم هو الشرط الثاني من شروط قبول الإيمان والعبادة أو صحتهما[1].

وجمع الإمامي حسن العالي محاضرات محمد السند في مؤلف أسماه: "التوسل ركن الإيمان والعبادة". وذكر فيه وجوب التوسل بالأئمة عقلاً وشرعاً.

ومن أوراد الإمامية التي ينسبونها لزين العابدين رضي الله عنه قولهم: "أسألك بحق نبيك محمد صلى الله عليه وآله، وأتوسل إليك بالأئمة عليهم السلام الذين اخترتهم لسرك، وأطلعتهم على خفيك، واخترتهم بعلمك، وطهرتهم وأخلصتهم واصطفيتهم وأصفيتهم وجعلتهم هداة مهديين، وائتمنتهم على وحيك، وعصمتهم عن معاصيك، ورضيتهم لخلقك، وخصصتهم بعلمك، واجتبيتهم وحبوتهم وجعلتهم حججاً على خلقك، وأمرت بطاعتهم على من برأت، وأتوسل إليك في موقفي اليوم أن تجعلني من خيار وفدك"[2].

وهناك دعاء الفرج لصاحب الأمر وقد جاء في هذا الدعاء: ".... اللهم صل على محمد وآل محمد، أولي الأمر الذين فرضت علينا طاعتهم.... ففرج عنا بحقهم، فرجاً عاجلاً قريباً، كلمح البصر، أو هو أقرب. يا محمد يا علي يا علي يا محمد اكفياني، فإنكما كافيان، وانصراني فإنكما ناصران، يا مولاي يا صاحب الزمان، الغوث الغوث الغوث، أدركني أدركني أدركني، الساعة الساعة الساعة، العجل العجل العجل، يا أرحم الراحمين، بحق محمد وآله الطاهرين"[3].

---

(١) انظر: التوسل ركن الإيمان والعبادة. حسن العالي (ص: ١٠٥). والشرط الأول هو: الولاية للأئمة.

(٢) الصحيفة السجادية (ص: ٣٤٤). وهذا الورد مشتمل على العديد من خصائص الأئمة التي سبق ذكرها.

(٣) دعاء الفرج، نشر وتوزيع مكتبة الماحوذي في دولة البحرين. وانظر أصله في: وسائل الشيعة (٨/ ١٨٤)، وبحار الأنوار (٥١/ ٣٠٤).

ويقول عبد الله المقاني في وصيته لابنه: "وعليك بني بالتوسل بالنبي وآله صلى الله عليهم أجمعين، فإني قد استقصيت الأخبار فوجدت أنه ما تاب الله على نبي من أنبيائه من الزلة إلا بالتوسل بهم"[1].

وأما الصوفية فاشتهرت عنهم عبارات التوسل، ومنها: "مدد يا رسول الله مدد" و "يا علي أغثني" و "مدد يا جيلاني" ونحوها.

ومن التوسلات الصوفية - ذات الصبغة الإمامية - ما جاء في حزب الفرج المنسوب للرفاعي قوله: (اللهم بجاه الحسين وأخيه، وجده وأبيه، وأمه وبنيه، فرج عني وعن المسلمين ما نحن فيه)[2].

وصنف عبد الله المحجوب الميرغني رسالة في لزوم التوسل بالأنبياء والأولياء، ووجوب الاستغاثة بالأتقياء والأصفياء، أسماها: "تحريض الأغبياء على الاستغاثة بالأنبياء والأولياء". ومما جاء فيها قوله: "واعلم أن قوة التعلق بالوسائل والأسباب، وشدة ربط القلوب بالأسباب والأبواب من قوة الإسلام والإيمان، وصلابة الدين والإيقان"[3].

كما نظم محمد سر الختم نجل محمد سر الختم بن محمد عثمان الميرغني قصيدتين يتوسل فيهما بالنبي ﷺ، جاء في مطلع إحداهما، قوله[4]:

---

(١) مرآة الرشاد (ص: ١٠٤). ولاحظ اعترافه بزلات الأنبياء مع أن الإمامية يدعون العصمة المطلقة في الأئمة.

(٢) حزب الفرج (ص: ٣٠). وهذا الحزب مطبوع في كتيب صغير تم توزيعه في بعض مساجد محافظة الأحساء.

(٣) تحريض الأغبياء على الاستغاثة بالأنبياء والأولياء (ص: ١٤).

(٤) ديوان مجمع الغرائب المفرقات (ص: ١٥١).

أغثنا وأدركنا بمظهرك الأنسي
وأفرغ على الأكوان من فيضك القدسي
فنحن ضعاف نرتجي منك رحمة
تجود بألطاف تذود أسى النفس

ونسب محمد أبو الهدى الصيادي إلى الرفاعي أنه قال[1]:

من لاذ فينا اكتفى عن غيرنا أبداً
وجاء في ركبنا بالأمن من ندم
فالجأ بأعتاب عزي والتمس مددي
وطف ببابي وقف مستمطراً نعمي
ولازم الذل في بطحاء منزلنا
تنجو بهمتنا من حالة العدم

وقد وصف الرفاعية تاج الدين الرفاعي أنه «غياث الملهوفين»[2]، والشيخ عبد الرحيم بن علي الرفاعي أنه «غوث الثقلين»[3]، يعني أن الجن والإنس تستغيث به عند الشدائد والكربات.

وقال صاحب "تاج الأعراس" في ترجمة صالح بن عبد الله العطاس: (وممن أثنى على صاحب المناقب واعترف له بمقام الغوثية شيخ مشايخ تلك العصور، وعالمها وإمامها المشهور، شيخ الإسلام ببلد الله الحرام السيد أحمد بن زيني دحلان قال: (إنه حصل عليَّ حال بمكة وكربتُ لذلك كرباً شديداً فاستغثت بالحبيب صالح بن عبد

---

(١) قلادة الجواهر (ص: ٢٣٣ - ٢٣٤).
(٢) روضة الناظرين (ص: ٦٤).
(٣) السابق (ص: ٩٥).

الله العطاس صاحب عمد وهو إذ ذاك بحضرموت ودعوته بثلاثة أصوات، فإذا هو حاضر عندي في الحرم المكي، راكباً على جواد أخضر اللون ومعه أربعون جندياً كلهم مسلحون، فحين رأيته ذهب عني ذلك الكرب وانشرحت انشراحاً كاملاً ببركته)[1].

٢٢- الإمام والولي أفضل من الرسول والنبي:

من خلال ما سبق تبين لنا موقف الإمامية والصوفية من أئمتهم وأوليائهم، وأنهم شاركوا الأنبياء في بعض خصائصهم كالعصمة، ونزول الوحي عليهم، وغيرها، وفاقوهم في دعواهم التصرف في الكون، وعلمهم الغيب، ونحو ذلك.

وعليه يرى الإمامية أن الأئمة أفضل من الأنبياء حتى أصبح ذلك من أصول الإثني عشرية. وصرح الكليني أن الإمامة فوق النبوة والرسالة والخلة حيث نقل رواية عن جعفر بن محمد الباقر أنه قال: (إن الله اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبياً، وإن الله اتخذه نبياً قبل أن يتخذه رسولاً، وإن الله اتخذه رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً، وإن الله اتخذه خليلاً قبل أن يتخذه إماماً)[2].

وروى أيضاً عن يوسف التمار أنه سمع جعفر بن الباقر أنه قال: (ورب الكعبة، ورب البنية -ثلاث مرات- لو كنت بين موسى والخضر عليهما السلام لأخبرتهما أني أعلم منهما، ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما لأن موسى والخضر عليهما السلام أعطيا علم ما كان، ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة)[3].

وعنه أنه قال: (إني لأعلم ما في السموات وما في الأرض، وأعلم ما في الجنة وما في النار، وأعلم ما كان وما يكون)[4].

---

(١) تاج الأعراس (١/ ١٠٤).
(٢) أصول الكافي (١/ ١٧٥).
(٣) السابق (١/ ٢٦١).
(٤) السابق (١/ ٢٦١).

وقد بوب الحر العاملي باباً مستقلاً بعنوان (الأئمة الإثنا عشر أفضل من سائر المخلوقات من الأنبياء والأوصياء السابقين والملائكة وغيرهم، وأن الأنبياء أفضل من الملائكة). وذكر أن الروايات عندهم في ذلك أكثر من أن تحصى، ومنها ما رواها عن جعفر أنه قال: (إن الله خلق أولي العزم من الرسل، وفضلهم بالعلم، وأورثنا علمهم، وفضلنا عليهم في علمهم، وعلم رسول الله ﷺ ما لم يعلمهم، وعلمنا علم الرسول وعلمهم)[1].

وذكر الخوانساري في ترجمة هاشم بن سليمان البحراني أن من مصنفاته كتاب: "تفضيل الأئمة على الأنبياء"[2]. وله أيضاً كتاب أسماه: "تفضيل علي عليه السلام على أولي العزم من الرسل"[3]. وكتب الإمامي المعاصر علي الحسيني الميلاني مؤلفه المسمى: "تفضيل الأئمة عليهم السلام على الأنبياء عليهم السلام".

وقال المجلسي: "ولا نعرف جهة لعدم اتصافهم بالنبوة إلا رعاية خاتم الأنبياء، ولا يصل إلى عقولنا فرق بين النبوة والإمامة"[4].

وعلى ذلك قال الخميني ما نصّه: (إن من ضروريات مذهبنا أنه لا ينال أحد المقامات المعنوية الروحية للأئمة حتى ملك مقرب ولا نبي مرسل، كما روي عندنا بأن الأئمة كانوا أنواراً تحت ظل العرش قبل تكوين هذا العالم.... وأنهم قالوا: إن لنا مع الله أحوالاً لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل، وهذه المعتقدات من الأسس والأصول التي قام عليها مذهبنا)[5].

(١) الفصول المهمة في أصول الأئمة (ص: ١٥٢).
(٢) روضات الجنات (٨/ ١٨١-١٨٢).
(٣) انظر: الذريعة (١/ ١١١).
(٤) بحار الأنوار (٢٦/ ٢٨).
(٥) ولايت فقيه در خصوص حكومت إسلامي لنائب الإمام الخميني تحت باب ولايت تكويني من الأصل الفارسي (ص: ٥٨)، نقلاً عن التصوف المنشأ والمصادر. إحسان إلهي ظهير (ص: ١٠٠).

وقالوا: (بأنَّ الإمامة استمرار للنبوة)[1].

وقال الخميني: (ونقولُ: بأنَّ الأنبياء لَم يُوفَّقوا في تنفيذ مقاصدهم، وأنَّ الله سيبعثُ في آخر الزمان شخصاً يقوم بتنفيذ مسائل الأنبياء...)[2].

ويقول عبد الله شبر: "يجب الإيمان بأن نبينا وآله المعصومين، أفضل من الأنبياء والمرسلين، ومن الملائكة المقربين، لتضافر الأخبار بذلك وتواترها..."[3].

وأورد جعفر مرتضى العاملي - إمامي معاصر يلقب بالمحقق- روايات عدة بين فيها فضل فاطمة الزهراء رضي الله عنها على الأنبياء كافة إلا أبيها ﷺ، ومنها: حديث: "لولا علي لم يكن لفاطمة كفؤ، آدم فمن دونه"[4].

وهناك نصوص أخرى في هذا الباب عند الإمامية ذكرتها سلفاً في بيان موقفهم من ركن الإيمان بالأنبياء.

وأما تسوية الصوفية بين الولاية والنبوة، بل تفضيلهم الولاية على النبوة والرسالة، والأولياء على أنبياء الله ورسله، مثل الإمامية؛ فتدل عليه عبارات القوم وتصريحاتهم.

ومن ذلك قولهم: (إن الأولياء لهم أربعة مقامات: الأول مقام خلافة النبوة، والثاني مقام خلافة الرسالة، والثالث مقام خلافة أولي العزم، والرابع خلافة مقام أولي الاصطفاء.

---

(١) عقائد الإمامية للمظفر (ص: ٦٦).

(٢) مسألة المهدي مع مسألة أخرى (ص: ٢٢).

(٣) حق اليقين في معرفة أصول الدين (١/ ٢٠٩).

(٤) انظر: مختصر مفيد أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة. جعفر مرتضى العاملي (٩/ ٨٨-٩٣).

فمقام خلافة النبوة للعلماء. ومقام خلافة الرسالة للأبدال. ومقام خلافة أولي العزم للأوتاد. ومقام خلافة الاصطفاء للأقطاب. فمن الأولياء من يقوم في عالم مقام الأنبياء، ومنهم من يقوم في عالم مقام الرسل، ومنهم من يقوم في عالم مقام أولي العزم، ومنهم من يقوم في عالم مقام أولي الاصطفاء)[١].

وآخر قال بوضوح أكثر:

(ما قيل في النبي يقال في الوليّ)[٢].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فلهذا جعلوا الولاية فوق النبوة، وهؤلاء من جنس القرامطة الباطنية الملاحدة، لكن هؤلاء ظهروا في قالب التصوف والتنسك، ودعوى التحقيق والتأله، وأولئك ظهروا في قالب التشيع والموالاة، فأولئك يعظمون شيوخهم حتى يجعلوهم أفضل من الأنبياء، وقد يعظمون الولاية حتى يجعلوها أفضل من النبوة، وهؤلاء يعظمون أمر الإمامة حتى يجعلوا الأئمة أعظم من الأنبياء، والإمام أعظم من النبي..."[٣].

هذه أبرز الخصائص المشتركة الثابتة بالأدلة والشواهد بين الأئمة والأولياء عند الفرقتين، والتي تعطي دلالة واضحة على صور العلاقة بينهما، وقد أعرضت عن خصائص أخرى خشية الوقوع في التكلف، وما ذكر فيه كفاية.

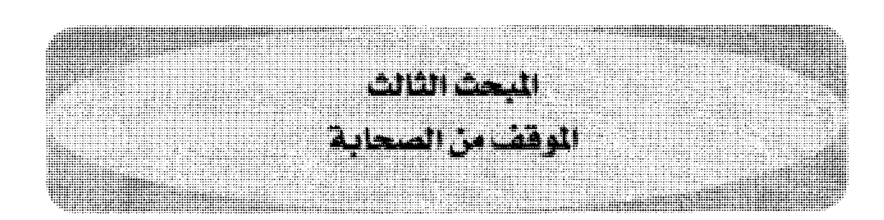
وليلحظ أني بدأت في عرض الخصائص بذكر موقف الإمامية أولاً إذ إنهم الأصل في هذا الغلو، ويؤكده ما قرره الموسوي بقوله: "وتشارك الفرق الإسلامية الأخرى الشيعة في غلوهم بالنسبة للأئمة والأولياء. نستثني منهم (السلفية) الذين استطاعوا

---

(١) جامع الأصول في الأولياء للكمشخاوي (ص: ٥).
(٢) الفتوحات الإلهية لابن عجيبة الحسني (ص: ٢٦٤).
(٣) منهاج السنة (٨/ ٢٣).

أن يحطموا القيود التي قيدت عقول الناس وقلوبهم على السواء غير أن الشيعة سبقت الفرق الإسلامية الأخرى في هذا المضمار كثيراً، ويعود هذا الإسراف في الغلو إلى كتب الروايات التي لم تهذب، وموقف الفقهاء من تلك الروايات"[1].

(١) الشيعة والتصحيح (ص: ٩٩-١٠٠).



المطلب الأول
موقف الإمامية من الصحابة

يعد الموقف من الصحابة عند الإمامية من أبرز المسائل التي تفارق بها الإمامية غيرها من الفرق ولاسيما الصوفية، وذلك باعتبار ارتباط الصحابة بأصل الإمامة التي في نظر الإمامية أن الصحابة رضي الله عنهم هم من تآمروا في سلب الإمامة حقها، وصرفوها عن الأولى بها كما يزعمون.

١- تعريف الصحابة لغة:

صحبه يصحبه صُحبة بالضم، وصَحابة بالفتح، وصاحَبَهُ: عاشره. والصَّحْبُ جمع الصاحب، مثل: راكب ورَكب، والأصحاب جماعة الصحب. واصطحب القوم: صحب بعضهم بعضاً. واستصحب الرجل: دعاه إلى الصحبة، وكل ما لازم شيئاً فقد استصحبه[1].

(١) انظر: العين، للفراهيدي، (٣/ ١٢٤)، ولسان العرب، لابن منظور، (١/ ٥١٩).

٢- تعريف الصحابة في اصطلاح الإمامية:

" المصاحبة " عند الإمامية مقيدة بأن تكون في زمان تصدق فيه المعاشرة، كما أنه لفظ مطلق من حيث الإيمان وعدمه، إذ يصدق على كل من لازم شخصاً أنه صاحبه، وإن لم يكن مثله، أو تابعاً له في الفكر والعقيدة، وكذا من حيث التعلم منه والأخذ عنه، وعدمه، ولكن بطول الملازمة، وكثرة المعاشرة مع النبي ﷺ يقتضيان الإيمان به واقعاً، والأخذ عنه والتعلم منه، إلا أن تكون المعاشرة، والملازمة لأغراض أخرى. . . "[١].

وهناك معنى آخر للصحابي عند الإمامية، وهو اختصاصه بأهل البيت حيث ورد في «معاني الأخبار» لابن بابويه القمي عن جعفر بن محمد عن آبائه (ع) قال: قال رسول الله ﷺ: (ما وجدتم في كتاب الله تعالى فالعمل لكم به، لا عذر لكم في تركه، وما لم يكن في كتاب الله تعالى وكانت فيه سنة مني فلا عذر لكم في ترك سنتي، وما لم يكن فيه سنة مني فما قال أصحابي فقولوا به، فإنما مثل أصحابي فيكم كمثل النجوم بأيها أخذ اهتدى، وبأي أقاويل أصحابي أخذتم اهتديتم فقيل: يا رسول الله، ومن أصحابك؟ قال: أهل بيتي)[٢].

٣- مذهب الإمامية في الصحابة:

الإمامية يشككون في إيمان أغلب الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، كما يشككون في نواياهم في نصرة الإسلام.

وقد خصوا بلفظ الصحابة أشخاصاً بعينهم؛ لأن الصحابة في نظرهم قد ارتدوا

---

(١) انظر: معالم المدرستين، لمرتضى العسكري، (١/ ٨٨)، الصحابة في القرآن والسنة والتاريخ، إعداد مركز الرسالة (ص: ٢٠).

(٢) معاني الأخبار لابن بابويه (ص: ١٥٦- ١٥٧)، وبحار الأنوار (٢٢/ ٣٠٧).

بسبب توليتهم لأبي بكر إلا ثلاثة، وتزيد بعض رواياتهم ثلاثة، أو أربعة رجعوا إلى إمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليصبح المجموع سبعة؛ مستندين إلى روايات ذكرت في مصادرهم عن آل البيت، ومنها:

ما رووه عن بريد بن معاوية، عن أبي جعفر أنه قال: (ارتد الناس بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة نفر: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، ثم إنَّ الناس عرفوا ولحقوا بعد)[1].

وعن حمران بن أعين قال: قلت لأبي جعفر رحمه الله: جعلت فداك! ما أقلنا لو اجتمعنا على شاة ما أفنيناها؟ فقال: (ألا أحدثك بأعجب من ذلك، المهاجرون، والأنصار ذهبوا إلا - وأشار بيده - ثلاثة...)[2].

وعن عبد الملك بن أعين أنه سأل أبا عبد الله مرة عن حال الناس بعد وفاة النبي ﷺ فقال له: هلك الناس إذاً؟ فقال: (إي والله يا ابن أعين هلك الناس أجمعون) فقال: أهل الشرق والغرب؟ قال: (إنها فتحت على الضلال، إي والله هلكوا إلا ثلاثة نفر: سلمان الفارسي، وأبو ذر، والمقداد، ولحقهم عمار، وأبو ساسان الأنصاري، وحذيفة، وأبو عمرة فصاروا سبعة)[3].

وكان أبو عبد الله - حسب زعمهم - يُقسِمُ ويقول: (فوالله ما وَفى بها إلا سبعة نفر: سلمان، وأبو ذر، وعمار، والمقداد بن الأسود الكندي، وجابر بن عبد الله الأنصاري، ومولى لرسول الله ﷺ يقال له الثبيت، وزيد بن أرقم)[4].

---

(١) الاختصاص. للمفيد (ص: ٦).

(٢) أصول الكافي (٢/ ٢٤٤)، كتاب الإيمان والكفر، باب قلة عدد المؤمنين. قال المجلسي: (حديث ضعيف)، مرآة العقول، (٩/ ٢٩٠).

(٣) الاختصاص (ص: ٦).

(٤) قرب الإسناد، لأبي العباس عبد الله الحميري (ص: ٧٩)، وبحار الأنوار (٢٢/ ٣٢٢).

يقول أحد معاصريهم: "فمن لا يصدق بأن الصحابة لا يبقى منهم مع النبي في الجنة إلا مثل همل النعم، فليسأل أُحداً وحنيناً، ففيهما الخبر اليقين"[1]. يقصد أن بعضهم فر في حنين، وخالف الرماة أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في أحد. ولهذا فإذا ترضوا عن الصحابة فإنهم يعنون بهم هؤلاء النفر اليسير، ومنهم من يقيد فيقول: وعن صحابته المنتجبين.

وهم يخصون الخلفاء الثلاثة أبا بكر، وعمر، وعثمان، ومعاوية، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالنصيب الأوفى من التكفير واللعن والطعن، فقد عقد المجلسي باباً في ذلك وسماه "باب كفر الثلاثة، ونفاقهم، وفضائح أعمالهم، وقبائح آثارهم، وفضل التبري منهم، ولعْنَهم"[2].

وروى فيه عن الثمالي، عن علي بن الحسين، قال: قلت له: أسألك عن فلان وفلان؟ قال: (فعليهما لعنة الله بلعناته كلها، ماتا والله كافرين مشركين بالله العظيم)[3].

وعنه أيضاً قال: قلت لعلي بن الحسين -عليهما السلام-: أخبرني عن هذين الرجلين؟ قال: (هما أول من ظلمنا حقنا، وأخَذا ميراثنا، وجلسا مجلسنا، كنا أحق به منهما، لا غفر الله لهما، ولا رحمهما، كافران، كافر من تولاهما)[4].

ويقول حسن الحلي[5] فيهما: (ومما يدل من أنهما كانا منافقين غير مؤمنين ما

---

(١) وركبت السفينة. مروان خليفات (ص: ٢٥٨).
(٢) انظر: بحار الأنوار (٣٠/ ١٤٥ - ٤٠٤).
(٣) بحار الأنوار (٣٠/ ١٤٥).
(٤) السابق (٣٠/ ٣٨١).
(٥) هو حسن بن سليمان بن محمد بن خالد الحلي العاملي، تتلمذ على يد محمد بن مكي العاملي المعروف عندهم بـ" الشهيد الأول"، وأجازه سنة ٧٥٧ هـ، توفي بعد ٨٠٢ هـ من مصنفاته المحتضر، المعراج، الرجعة، ومختصر بصائر الدرجات. انظر: الذريعة للطهراني (١٠/ ١٦٢)، (٢١/ ٢٢٥).

سُمِعَ من قنوت مولانا أمير المؤمنين رضي الله عنه وهو هذا: «اللهم العن صنمي قريش، وجبتيهما، وطاغوتيهما، وافكيهما، وابنتيهما [يقصد عائشة وحفصة] اللذين خالفا أمرك، وأنكرا وحيك، وجحدا أنعامك، وعصيا رسولك، وقلبا دينك، وحرما كتابك، وعطلا أحكامك، وأبطلا فرائضك، وألحدا في آياتك، وعاديا أولياءك، ووواليا أعداءك، وخربا بلادك، وأفسدا عبادك، اللهم العنهما، وأتباعهما، وأشياعهما، ومحبيهما . . .».

وكان رضي الله عنه يقنت به ثم يقول أربع مرات: «اللهم عذبهم عذاباً يستغيث منه أهل النار في النار آمين رب العالمين» . . .»[1].

ويقول حسين الخراساني: "تجويز الشيعة لعن الشيخين أبي بكر وعمر وأتباعهما، فإنما فعلوا ذلك أسوة لرسول الله ﷺ واقتفاء لأثره"[2].

وهذا محمد الخالصي- من كبار مراجع الشيعة في العراق وممن يتزعم الدعوة إلى الوحدة الإسلامية: بين السنة والشيعة- يقول: (وإن قالوا: إن أبا بكر وعمر من أهل بيعة الرضوان الذين نص على الرضا عنهم القرآن في قوله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] قلنا: لو أنه قال: لقد رضي عن الذين يبايعونك تحت الشجرة أو عن الذين بايعوك لكان في الآية دلالة على الرضا عن كل من بايع، ولكن لما قال: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ﴾ فلا دلالة فيها إلا على الرضا عمن محض الإيمان)[3].

---

(١) المحتضر. لحسن بن سليمان الحلي (ص: ٦١ - ٦٢)، ورواه المجلسي في بحار الأنوار، (٨٢/ ٢٦٠ - ٢٦١)، وانظر: تحفة العوام مقبول. منصور حسين (ص: ٤٢٣-٤٢٤)، وكتاب تحفة العوام مقبول وضع باللغة الأردية، ونجد نص الدعاء فيه باللغة العربية، وقد وثق دعاء صنمي قريش في الكتاب ستة من مراجعهم العليا وعلى رأسهم: الحكيم والخوئي والخميني.

(٢) الإسلام على ضوء التشيع. حسين الخراساني (ص: ٨٨)

(٣) إحياء الشريعة في مذهب الشيعة. محمد بن محمد مهدي الكاظمي الخالصي (١/ ٦٣ - ٦٤).

وهذا شهاب الدين النجفي يقول عن الخلفاء الثلاثة ومن بعدهم من خلفاء المسلمين: (فما صدر عن الخلفاء من الظلم والفواحش تجاوز عن حد الإحصاء، فما بقي حق إلا وقد أضاعوه ولا موبقة إلا وفعلوها)[1].

بالإضافة إلى أن الإمامية قد وضعوا أوراداً ترسخ عقائدهم، وتحوي لعن الصحابة، وإثارة الحقد والطعن فيهم[2]. ويعد لعن الصحابة في وقتنا الحاضر من الأمور المشتهرة على وسائل إعلامهم سواء كان من قبل المراجع الدينية أو السياسية.

وأكثر مؤلفي الإمامية قرر اللعن والبراءة من الصحابة وأشاعها في كتبه، وعلى رأسهم العياشي[3]، والقمي[4]، والكاشاني[5]، وأبو الحسن العاملي[6]، والحويزي[7]، ومحمد تقي الملقب بـ" حجة الإسلام" [8]... ومن ذلك أيضاً كتب تخصصت في سب الصحابة وتجريحهم وتكفيرهم، ككتاب «الغدير» الذي بلغ أحد عشر مجلداً لـ: عبد الحسين الأميني النجفي، وقد ملأه بالدس والكذب والطعن فيمن رضي الله عنهم ورضوا عنه، وكتاب «أبو هريرة» لـ: عبد الحسين شرف الدين الموسوي، والذي اتهم فيه أبا هريرة بالوضع للأحاديث والنفاق، وكتاب «السقيفة»

---

(١) إحقاق الحق. للتستري. تعليقات: شهاب الدين النجفي (٢/ ٢٩١).

(٢) انظر على سبيل المثال: مفتاح الجنان لعباس القمي، وزيارة عاشوراء وفيه يكررون اللعن مائة مرة، ويوصون باللعن أحياناً أثناء الصلاة، وأحياناً أثناء التخلية (أي: قضاء الحاجة). يقول أحدهم: "اعلم أن أشرف الأمكنة والأوقات والحالات وأنسبها للعن عليهم - عليهم اللعنة- إذا كنت في المبال فقل عند كل واحد من التخلية والاستبراء والتطهير..." . لآلئ الأخبار (٤/ ٩٣).

(٣) انظر: تفسير العياشي، (١/ ١١٩، ١٢١، ٢٠١، ٢٠٢، ٣٥٤).

(٤) انظر: تفسير القمي (١/ ١١٥، ١٤٩، ٢٣٤).

(٥) انظر: التفسير الصافي (١/ ٩).

(٦) انظر: مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار (ص: ٦٧ - ٧٣).

(٧) انظر: تفسير نور الثقلين. للحوزيري (١/ ١٥١، ٢٠٦، ٢٨٤).

(٨) انظر: صحيفة الأبرار (٢/ ٤٠٩ - ٤١٠).

لـ: محمد رضا المظفر الذي صور فيه الصحابة عصابة لا هدف لها إلا التآمر على الإسلام!! وكتاب «النص والاجتهاد» لشيخهم عبد الحسين شرف الدين الموسوي الذي أراد فيه إثبات أن الصحابة يدينون بمبدأ "فصل الدين عن الدولة"، وكتاب «الإمام الصادق والمذاهب الأربعة» لشيخهم أسد حيدر والذي يطعن في السنّة، وفي دواوين الحديث عند الأمة، ويتطاول على صحابة رسول الله، ويحاول أن يشوه تاريخ المسلمين بكل ما يستطيع.. وغيرهم كثير[1].

وما كتبه إمامية الدولة الصفوية في تكفير الشيخين - رضي الله عنهما - كان صريحاً ومكشوفاً، أمَّا ما كتبه أوائل الشيعة في عصر الكليني والقمي... فأكثره كان بلغة الرمز والإشارة، وقد كشف لنا هذه الرموز شيوخ الإمامية المتأخرون أمثال المجلسي، والكاشاني حينما اشتد أمرهم، وقويت شوكتهم.

ومن مصطلحاتهم الخاصة: تسمية الخلفاء الثلاثة رضوان الله عليهم: بالفصيل، ورمع، ونعثل، فقد رووا أن أبا حمزة الثمالي سأل أبا جعفر بقوله: ومن أعداء الله أصلحك الله؟ فقال له: (الأوثان الأربعة) قال: قلت: من هم؟ قال: (أبو الفصيل، ورمع، ونعثل، ومعاوية ومن دان دينهم، فمن عادى هؤلاء فقد عادى أعداء الله)[2].

---

(١) ظهرت لبعض المعاصرين من الشيعة ممن يدعون للتقارب كتابات تبرئ معتقد التشيع، وموجهة لبلاد السنة وقد تضمنت القول بأن الشيعة لا تسب فضلاً عن أن تكفر الخلفاء الثلاثة وأنها تقدر أصحاب رسول الله ﷺ وترضى عنهم. كالخنيزي في كتابه الدعوة الإسلامية، وأحمد مغنية في كتابه الإمام جعفر الصادق، وأحمد الرفاعي في تقدير الإمامية للصحابة، ومحمد جواد مغنية في تفسير الكاشف، وحسين يوسف مكي العاملي في عقيدة الشيعة في الإمام الصادق، ولكنهم لا يردون على الغلو الموجود في كتبهم المعتمدة. وسيتبين فيما سيأتي بمشيئة الله تناقض بعضهم.

(٢) بحار الأنوار، للمجلسي، (٧٢/ ٥٨)؛ ويقول المجلسي: (وأبو الفصيل أبو بكر؛ لأن الفصيل، والبكر متقاربان في المعنى، ورمع مقلوب عمر، ونعثل هو عثمان كما صرح به في كتب اللغة). انظر: مستدرك سفينة البحار، لعلي النمازي (١/ ٢٥١).

وتسميتهم أيضاً لأبي بكر وعمر - رضي الله عنهما -: زريق، وحبتر، أو العكس. ففي قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤]، رووا عن أبي بصير عن أبي جعفر أنه قال: (يؤتى بجهنم لها سبعة أبواب: بابها الأول للظالم وهو: زريق، وبابها الثاني: لحبتر، والباب الثالث: للثالث، والرابع: لمعاوية، والباب الخامس: لعبد الملك، والباب السادس: لعسكر بن هوسر، والباب السابع: لأبي سلامة، فهم أبواب لمن اتبعهم...)[١]. وكذا تسميتهم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه مرة بـ" زفر "[٢] ومرة بـ" دلام "[٣].

وكما طعنوا في الخلفاء الثلاثة طعنوا في آخرين من فضلاء الصحابة، وعظمائهم كعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعمرو بن العاص[٤]، وأبي عبيدة

---

(١) تفسير العياشي (٢/ ٢٦٣)؛ تفسير نور الثقلين (٣/ ١٧ - ١٨). يقول المجلسي: (الزريق كناية عن أبي بكر؛ لأن العرب تتشاءم بزرقة العين. والحبتر هو عمر، والحبتر هو الثعلب؛ ولعله إنما كني عنه لحيلته ومكره، وفي غيره من الأخبار وقع بالعكس، وهو أظهر إذ الحبتر بالأول أنسب، ويمكن أن يكون هنا أيضاً المراد ذلك، وإنما قدم الثاني؛ لأنه أشقى وأفظ وأغلظ، وعسكر بن هوسر كناية عن بعض خلفاء بني أمية، أو بني العباس، وكذا أبي سلامة، ولا يبعد أن يكون أبو سلامة كناية عن أبي جعفر الدوانيقي، ويحتمل أن يكون عسكر كناية عن عائشة وسائر أهل الجمل إذ كان اسم جمل عائشة عسكراً، وروي أنه كان شيطاناً)، بحار الأنوار (٤/ ٣٧٨)، (٨/ ٣٠١ - ٣٠٢).

(٢) انظر: كتاب سليم بن قيس الهلالي. تحقيق الأنصاري (ص: ١٦٥)، وقرب الإسناد، للحميري القمي (ص: ٥٧).

(٣) انظر: الصراط المستقيم، لعلي بن يونس العاملي، (٣/ ٤٠)، وبحار الأنوار، للمجلسي، (٢٤/ ٧٢ - ٧٣)، مستدرك سفينة البحار، لعلي النمازي (٨/ ١٣٢).

(٤) أطلق الشيعة الإثنا عشرية - لاسيما المعاصرون منهم -مجموعة من الألقاب على عمرو ابن العاص، ومن الأقوال التي أطلقوها عليه، على سبيل الاتهام له: (العاصي بن العاصي)، (ابن العاهرة)، (الماكر)، (الخبيث)، (المنافق)، (ممن اشتهر نفاقهم، وظهر شكهم في الدين وارتيابهم)، (المجرم)، (من شر الأولين والآخرين)، (يرفض الآخرة ويطلب الدنيا)، (من الذين عادوا النبي وآذوه وكادوا له وكذبوه). هذه التهم تولى كبرها: محمد جواد مغنية في كتابه: الشيعة والحاكمون (ص: ٣٩، ٥٣)، ومحمد علي الحسني في كتابه: ظلال التشيع (ص: ١٨٨، ٢١٢).

عامر بن الجراح، وسالم مولى أبي حذيفة، وخالد بن الوليد[1] رضوان الله عليهم.

فقد رووا عن الصادق أنه قال: (لما أقام رسول الله ﷺ علياً يوم غدير خم، كان بحذائه سبعة نفر من المنافقين، وهم: أبو بكر، وعمر، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة، وسالم مولى أبي حذيفة، والمغيرة بن شعبة، قال عمر: ألا ترون عينيه كأنهما عينا مجنون يعني: النبي ﷺ، الساعة يقوم ويقول: قال لي ربي، فلما قام قال: (يا أيها الناس من أولى بكم من أنفسكم؟)، قالوا: الله ورسوله، قال: (اللهم فاشهد، ثم قال ألا من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، وسلموا عليه بإمرة المؤمنين) فنزل جبرائيل وأعلم رسول الله ﷺ بمقالة القوم فدعاهم وسألهم فأنكروا وحلفوا، فأنزل الله: (يحلفون بالله ما قالوا)...)[2].

ووضع الخميني في كتابه كشف الأسرار السؤال التالي عنواناً جانبياً!

(لماذا لم يذكر القرآن صراحة اسم الإمام؟).

قال: (لو كانت الإمامة أصلاً من أصول الإسلام الهامة في ضوء العقل والقرآن، فنحن نتساءل هنا لماذا لم يذكر الله اسم الإمام في القرآن؟ ولو ذكر اسم الإمام في القرآن صراحة لما ظهر في الأمة ما ظهر من خلاف ولما سال من الدماء ما سال).

(فإذا افترضنا جدلاً أن اسم الإمام قد ذكر في القرآن فهل يمنع هذا وقوع الخلاف بين المسلمين.. أولئك الناس الذين يطمعون لسنوات في الحكم والرياسة ممن ارتبطوا بدين النبي أي الإسلام، وممن تحزبوا وتآمروا لتحقيق هذا الهدف؟)!

ثم يقول: (إذا ذكر اسم الإمام صراحة في القرآن الكريم قام أولئك الناس الذين

---

(١) الإمامية يلقبون خالد بن الوليد رضي الله عنه بـ: سيف الشيطان المشلول. انظر: مؤتمر علماء بغداد لمقاتل بن عطية (ص: ٦٠)، ومنهاج الكرامة للحلي (ص: ١١٥).
(٢) التفسير الصافي، للكاشاني (٢/ ٣٥٩)، وبحار الأنوار، (١٣/ ٦٣٥).

ارتبطوا بالإسلام والقرآن من أجل الدنيا والحكومة فقط، واتخذوا من القرآن وسيلة لتحقيق أغراضهم الفاسدة بإخراج تلك الآيات القرآنية.

ثم يقول في حق الشيخين:

(يفهم من الأمثلة التي قدمناها عن مخالفة الشيخين «أبو بكر وعمر» أنهما خالفا الأحكام القرآنية الصريحة علانية في وجود المسلمين وهذه المخالفة لم تكن بالنسبة لهما أمراً هاماً أو غير عادي، وفي ذلك الوقت كان أمام المسلمين «أي الصحابة» خياران: إما أن ينضموا إلى حزبيهما ويشتركوا معهما في تحقيق هدفهما من أجل الحصول على الحكم والسلطة، ويتعاونوا معهما لتحقيق ذلك، وإما أن يخرجوا عن حزبيهما ولا يكونوا معهما..... إلاّ أنهم لم يجرؤوا على الحديث ضد هذين المنافقين المتسلطين الظالمين اللذين ظلما فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ[1] إلخ.....

قال الخميني: (نحن نعبد إلهاً نؤمن به. أقام كل شيء على العقل والحكمة، وليس الإله هو الذي يقيم عمارة عبادته وعدالته ودينه، ثم يحاول بعد ذلك أن يهدمهما، فيرسل هؤلاء الظلمة يزيد ومعاوية وعثمان، ليتولوا الإمارة والحكم)[2].

١- قال الخميني: (ولم يؤمن الشيخ أبو بكر وعمر إيماناً نابعاً من القلب، بل قبلا الإسلام في الظاهر فقط طمعاً في الحكم والسلطة. وقد التصقا بالرسول ﷺ).

٢- بعد وفاة الرسول ﷺ دبرا خطة للحصول على الحكم، فدبرا مؤامرة وكونا حزباً قوياً من أولئك المتعاطفين معهم والمنسجمين معهم فكرياً، وكان الهدف من وراء ذلك: هو الاستيلاء على الحكم بعد رسول الله ﷺ ولم يكن يهمهم لا الإسلام ولا

---

(١) كشف الأسرار (ص: ١١٧).

(٢) السابق (ص: ١٠٧). وورد في جريدة المسلمون العدد ١٤١ بتاريخ ٢٩ صفر سنة ١٤٠٨هـ، عن الخميني أنه قال: (أنا لا أوافق الله على توليته الخلافة لعثمان).

القرآن ولا علاقة لهما من قريب أو بعيد بالإسلام أو القرآن[1].

وها هو مجتبى الشيرازي يحكم بكفر أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة في كلمة له أمام جمع من الحاضرين، وهو يصرِّح بما يلي:

"إن التقية ذهبت من الكرة الأرضية، فلم يعد هناك من خوف. خلُّونا نجهر بالحقيقة. خلَّوهم يبيِّنون بكل صراحة أن أبا بكر وعمر لم يؤمنا بالله - تعالى- طرفة عين خلوّهم يبيِّنون بكل صراحة أن عائشة خارجية والخارجية كافرة. خلوهم يبينون أن عائشة وحفصة نفذتا بتخطيط من أبي بكر وعمر قتل رسول الله. وخلّوهم يبيِّنون أن عثمان لعنة الله عليه من بني أمية وهم الشجرة الملعونة في القرآن. لماذا نعيش في خوف وهمي فلا نتحرَّك... القول بالحق واجب"[2].

والإمامية خصوا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما بنصيب وافر من الطعن والسب والبراءة.

ولقد ادعت الإمامية كفر عائشة رضي الله عنها، وعدم إيمانها، وزعموا أنها من أهل النار، حيث أسند العياشي إلى جعفر الصادق القول في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾ [النحل: ٩٢]...، قال - مستخدماً التأويل الباطني-: "التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً: عائشة، هي نكثت إيمانها"[3].

(١) انظر: الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام ص٦٩، ٧٠ بتصرف. وذهب جعفر العاملي إلى مثل هذا الاتجاه بل أكثر جرأة وتجريحاً. انظر: مختصر مفيد (٩/ ٢٥١-٢٥٢).

(٢) الشر الذي اقترب، سيد العفاني (ص: ١٠٩). ومجتبى الشيرازي ولد بكربلاء سنة ١٩٤٣م ودرس في الحوزات العلمية بالعراق وإيران، ثم انتقل إلى لندن واستقر فيها. انظر: موقع صادق الشيرازي الإلكتروني على الرابط: www.s-alshirazi.com

(٣) تفسير العياشي (٢ / ٢٦٩)، وانظر: البرهان للبحراني(٢/ ٣٨٣)، وبحار الأنوار (٧/ ٤٥٤).

كما لقبوا عائشة رضي الله عنها في كتبهم بـ (أم الشرور)، وبـ (الشيطانة). وزعموا أنها كانت تكذب على رسول الله ﷺ، وأن لقبها (حميراء) من الألقاب التي يبغضها الله تعالى[1]. فعن سالم بن مكرم عن أبيه قال: سمعت أبا جعفر يقول في قوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ﴾ [العنكبوت: ٤١] قال: «هي الحميراء»[2] وعلق المجلسي: «إنما كنى عنها بالعنكبوت لأنه حيوان ضعيف اتخذت بيتاً ضعيفاً أوهن البيوت، وكذلك الحميراء، حيوان ضعيف لقلة حظها وعقلها ودينها، اتخذت من رأيها الضعيف، وعقلها السخيف، في مخالفتها وعداوتها لمولاها؛ بيتاً مثل بيت العنكبوت في الوهن والضعف»[3].

وهم ينسبون الصديقة بنت الصديق المبرأة من فوق سبع سموات إلى الفاحشة، وقد فسر بعضهم الخيانة بارتكاب الفاحشة في قوله تعالى: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم: ١٠] قال القمي في تفسيرها: والله ما عنى بقوله فخانتاهما إلا الفاحشة، وليقيمن الحد على(عائشة) فيما أتت في طريق (البصرة)[4].

ويقول محسن الشيرازي في تسجيل صوتي على الإنترنت: (من جملة أفعال عائشة جريمة جنسية... ويقول: شي آخر - هكذا - عائشة صحيح كافرة صحيح ناصبية صحيح مجرمة، ما تقول في حقها فهو صحيح)[5].

ومن عقائد الإمامية في أم المؤمنين عائشة التبرؤ منها ومن حفصة ولعنهما، حيث ذكر الكركي والمجلسي أن جعفر الصادق (كان يلعن في دبر كل مكتوبة أربعة

---

(١) انظر: الصراط المستقيم للبياضي (٣/ ١٦١، ١٥٣)، والخصال للصدوق (١/ ١٩٠)، والأصول من الكافي للكليني (١/ ٢٤٧).

(٢) بحار الأنوار (٣٢/ ٢٨٦)، وتأويل الآيات. شرف الدين الحسيني (١ / ٤٣٠).

(٣) بحار الأنوار (٣٢/ ٢٨٦).

(٤) انظر: تفسير القمي (٢/ ٣٧٧)، والبرهان للبحراني (٤/ ٣٥٧-٣٥٨).

(٥) نقلاً عن موقع البرهان على الرابط: http://alburhan.com/articles.aspx

من الرجال وأربعة من النساء: التيمي والعدوي - أبا بكر وعمر - وعثمان ومعاوية يسميهم، وعائشة وحفصة وهنداً وأم الحكم أخت معاوية)[1].

كما ادعت الإمامية أن عائشة وحفصة رضي الله عنهما سقتا السم لرسول الله ﷺ. قال المجلسي: (إن العياشي روى بسند معتبر عن الصادق «ع» أن عائشة وحفصة لعنة الله عليهما وعلى أبويهما قتلتا رسول الله بالسم، دبرتاه)[2].

وقد نقل هذه الحادثة المكذوبة عدد كبير من مصنفي الشيعة[3].

يقول أحد معاصريهم: «لقد دخل بعض الصحابة في الإسلام رغبة في المال والسلطة، وكان كفار قريش يعرفون هذا البعض، ولأنهم أعلنوا الشهادة فقد أصبحوا من المنافقين». وذكر قصصاً مفادها أن قريشاً كانت تعلم بأن أبا بكر وعمر كانا ينتحلان الإسلام لهدم الإسلام، إلى أن قال: «وفعلاً كان عمر بن الخطاب وابنته حفصة وأبو بكر وابنته عائشة عند حسن ظن كفار قريش، إذ أقدموا على اغتيال رسول الله صلى الله عليه وآله وابنته فاطمة عليها السلام، وقبضوا على سلطة المسلمين»[4].

وأوجبت الإمامية بغض معاوية ولعنه والتبرؤ منه. وقال المجلسي: (من ضروريات دين الإمامية: البراءة من معاوية)[5]. وكتب الأدعية عندهم من الشواهد على ذلك.

---

(١) انظر: عين الحياة للمجلسي (ص: ٥٩٩).
(٢) حياة القلوب للمجلسي (٢/ ٧٠٠).
(٣) انظر: تفسير القمي (ص: ٣٤٠)، الصراط المستقيم للبياضي (٣/ ١٦٨-١٦٩)، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٢/ ٤٥٧)، وإحقاق الحق للتستري (ص: ٣٠٨)، وتفسير الصافي للكاشاني (٢/ ٧١٦-٧١٧)، والبرهان للبحراني(١/ ٣٢٠)، (٤/ ٣٥٢-٣٥٣)، والأنوار النعمانية للجزائري (٤/ ٣٣٦).
(٤) اغتيال النبي «ص». الشيخ نجاح الطائي (ص: ١٢٥ - ١٢٨).
(٥) الاعتقادات للمجلسي (ص: ١٧).

ويقول الخميني: ". . . معاوية ترأس قومه أربعين عاماً، ولكنه لم يكسب لنفسه سوى لعنة الدنيا وعذاب الآخرة"[١].

كما ذهبت الإمامية إلى نفاق أكثر الصحابة رضي الله عنهم في حياة النبي ﷺ، وقد أكد حسن الشيرازي نفاق أكثر الصحابة بقوله: "غير أنهم تكاثروا مع الأيام -أي المنافقين- وعلى إثر كثرتهم استطاع رؤوس النفاق أن يتسللوا إلى المراكز القيادية فخبطوا في الإسلام خبطاً ذريعاً كاد أن يفارق واقعه، لولا أن تداركه بطله العظيم علي بن أبي طالب عليه السلام. . ."[٢].

وقال المامقاني: "إن من المعلوم بالضرورة بنص الآيات الكريمة وجود الفساق والمنافقين في الصحابة، بل كثرتهم فيهم، وعروض الفسق بل الارتداد لجمع منهم في حياته، ولآخرين بعد وفاته"[٣].

ويقول الخوئي: (إنَّ بعض الصحابة لم يؤمنوا بالله طرفة عين، وإنما كانوا يظهرون الشهادتين باللسان، وهو ﷺ مع علمه بحالهم لم يحكم بنجاستهم، ولا بكفرهم. . .)[٤].

قال التستري: (إنهم لَم يُسلموا، بل استسلم الكثير رغبة في جاه رسول الله. . إنهم داموا مجبولين على توشُّح النفاق، وترشُّح الشقاق)[٥].

وقال الكاشاني: (أكثرهم كانوا يُبطنون النفاق، ويجترئون على الله، ويفترون

---

(١) جهاد النفس أو الجهاد الأكبر للخميني (ص:١٨)، وانظر: البرهان للبحراني (٤/ ٤٧٧-٤٧٨)

(٢) الشعائر الحسينية. حسن الشيرازي (ص:٩). ومراده برؤوس النفاق: أبوبكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم.

(٣) تنقيح المقال (١/ ٢١٣).

(٤) كتاب الطهارة (٢/ ٦٩).

(٥) إحقاق الحق (ص: ٣).

على رسول الله في عزة وشقاق)[1].

وقال إمامهم الخميني: (الصحابة الذين يُسمُّونهم المنافقين)[2].

ويؤكد الخميني في أكثر من موضع دعوى مؤامرة الصحابة رضي الله عنهم على الإسلام والقرآن، فيقول: "أولئك - أي الصحابة - الذين لم يكن يهمهم إلا الدنيا والحصول على الحكم دون الإسلام والقرآن والذين اتخذوا القرآن مجرد ذريعة لتحقيق نواياهم الفاسدة، قد سهل عليهم إخراج تلك الآيات من كتاب الله - أي الدالة على خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام - وكذلك تحريف الكتاب السماوي، وإقصاء القرآن عن أنظار الدنيا على وجه دائم، بحيث يبقى هذا العار في حق القرآن والمسلمين إلى يوم القيامة، إن تهمة التحريف التي يوجهونها إلى اليهود والنصارى إنما هي ثابتة عليهم"[3].

وقال في موضع آخر: "... ذاك أن الذين كانوا قد ألصقوا نفوسهم بدين الرسول عليه السلام إلى سنوات طويلة، طمعاً في الحكومة والولاية، وكانوا يتآمرون في سبيل ذلك ويتحزبون من مدة، ما كان يمكنهم أن يتنازلوا عن أغراضهم نزولاً إلى امتثال أوامر القرآن، وما كانوا يضنون بأي حيلة لتحقيق غايتهم، بل ربما أصبح ذلك سبباً للخلاف فيما بين المسلمين، الذي أدى إلى هدم أساس الإسلام، فقد كان من الممكن للذين كانوا يترقبون الفرص لتأسيس حكومة لهم، وتحقيق غرضهم أن يتحزبوا ضد الإسلام، ويعارضوه بكل صراحة وجهر، إذ كانوا قد يئسوا أن غرضهم هذا لا يكاد يتحقق باسم الإسلام"[4].

---

(١) تفسير الصافي (١/ ٤).
(٢) الحكومة الإسلامية (ص: ٦٩)، وانظر: علي ومناوئوه. نوري جعفر (ص: ١٢).
(٣) كشف الأسرار (ص: ١١٤)
(٤) السابق (ص: ١١٣-١١٤).

وبناءً على ما سبق فإن الإمامية لا يقولون بعدالة الصحابة رضي الله عنهم، قال المجلسي: "وذهبت الإمامية إلى أنهم -أي الصحابة- كسائر الناس، من أن فيهم العادل، وفيهم المنافق والفاسق الضال، بل كان أكثرهم كذلك"[1].

ويقول صدر الدين علي خان الشيرازي[2]: (حكم الصحابة عندنا في العدالة حكم غيرهم، ولا يتحتم الحكم بالإيمان والعدالة بمجرد الصحبة، ولا يحصل بها النجاة من عقاب النار وغضب الجبار إلا أن يكون مع يقين الإيمان، وخلوص الجنان، فمن علمنا عدالته، وإيمانه، وحفظه وصية رسول الله في أهل بيته، وأنه مات على ذلك كسلمان، وأبي ذر، وعمار واليناه، وتقربنا إلى الله تعالى بحبه، ومن علمنا أنه انقلب على عقبه، وأظهر العداوة لأهل البيت - عليهم السلام - عاديناه لله تعالى، وتبرأنا إلى الله منه، ونسكت عن المجهولة حاله)[3].

ويقول هاشم معروف الحسيني في الصحابة رضوان الله عليهم: (إنَّ الكثير منهم قد أسرفوا في ارتكاب المعاصي والمنكرات، وخالفوا الضرورات من دين الإسلام. . . وثبوت العدالة والقداسة لكل من رآه أو سمع حديثه، أو أدرك عصره ولو طفلاً صغيراً مهما صنع بعد ذلك من المنكرات، واقترف من الذنوب والآثام كما جرى ذلك لكثير منهم، فهو نوع من التهويش والتضليل الذي لا يقره المنطق، بل ولا العقل، ولا تؤيده تلك النصوص، ولو من بعيد؛ ذلك لأن من وصفهم الله بتلك الآيات بالشدة على الكفار، والركوع والسجود، والهجرة والجهاد، وغير ذلك من الأوصاف لا ينكر أحد فضلهم، ولا يتردد في عدالتهم، ومن المعلوم أنَّ الذين عاصروا الرسول، ورووا

(١) بحار الأنوار (٨/ ٨).

(٢) هو علي خان الشيرازي المدني الحسني، ويعرف بابن المعصوم، له من الكتب: سلافة العصر، والدرجات الرفيعة، وأنوار الربيع، وشرح للصحيفة السجادية، توفي سنة ١١٢٠هـ. انظر: (الفوائد الرجالية: ٣/ ٤٥)، لمحمد بحر العلوم.

(٣) الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة (ص: ١١).

حديثه، بل وحتى الذين ناصروا دعوته لم تتوفر في أكثرهم تلك الصفات التي اشتملت عليها الآيات الكريمة، بل من بينهم المنافق، والفاسق، والمتخاذل، والمتستر بالإسلام خوفاً أو طمعاً، ومن ينتظر الفرص، ويراقب الظروف، ويهيىء المناسبات ليقف بدوره في وجه تلك الدعوة المباركة، ولو بالفتك بالرسول إذا اقتضى الأمر...)[(١)].

وقال في موضع آخر: (... نريد أن نقول لمن يشترطون عدالة الراوي، وتزكيته بشاهدين عدلين: إنَّ جلال السنة، ومكانتها من التشريع، وأثرها في حفظ الثروة الإسلامية، كل ذلك يفرض علينا أن نتأكد من صحة الحديث أيّاً كان الراوي له، ولا يكفينا أن نتثبت من أحوال الرواة، حتى إذا انتهينا إلى الصحابي الراوي للحديث، نقف أمامه خاشعين، وكأنه قرآن منزل من غير أن تتأكد صحبته، ومن غير أن ننظر إلى متن الرواية نظرة فاحصة واعية، ونعرضها على العقل، والقرآن، وأصول الإسلام...)[(٢)].

وقد نقل المامقاني، ومحمد جواد مغنية إجماع الشيعة الإمامية على إنكار عدالة الصحابة، فقال المامقاني: "قد اتفق أصحابنا الإمامية على أن صحبة النبي بنفسها، وبمجردها لا تستلزم عدالة المتصف بها، ولا حسن حاله، وأن حال الصحابي حال من لم يدرك الصحبة في توقف قبول خبره على ثبوت عدالته، أو وثاقته أو حسن حاله، ومدحه المعتد به مع إيمانه"[(٣)].

وقال محمد مغنية: "قال الإمامية: إن الصحابة كغيرهم فيهم الطيب والخبيث، والعادل والفاسق"[(٤)].

---

(١) انظر: دراسات في الحديث والمحدثين (ص: ٧٠ - ٧٦).

(٢) انظر: دراسات في الحديث والمحدثين (ص: ١٠٤). ومن غريب الأمر أن هذه النظرة من الحذر والحيطة تجاه عدالة الصحابة لا يتعامل بها مع آل البيت، والمراجع والآيات الإمامية.

(٣) تنقيح المقال (١/ ٢١٣).

(٤) الشيعة في الميزان (ص: ٨٢).

ويترتب على موقفهم من الصحابة رضوان الله عليهم ومن عدالتهم مدى قبولهم لروايات الصحابة رضوان الله عليهم واعتبارها سنة يعمل بها، أو رفضها بتاتاً، يقول محمد حسين آل كاشف الغطاء في الإمامية: (إنهم لا يعتبرون من السنة - أعني الأحاديث النبوية - إلا ما صح لهم من طرق أهل البيت - عليهم السلام - عن جدهم ﷺ، يعني: ما رواه الصادق، عن أبيه الباقر، عن أبيه زين العابدين، عن الحسين السبط، عن أبيه أمير المؤمنين، عن رسول الله - سلام الله عليهم جميعاً - أمَّا ما يرويه مثلُ: أبي هريرة، وسمرة بن جندب، ومروان بن الحكم، وعمران بن حطان الخارجي، وعمرو بن العاص، ونظائرهم، فليس لهم عند الإمامية من الاعتبار مقدار بعوضة، وأمرهم أشهر من أن يذكر . . .)[1].

ويقول عبد الهادي الفضلي: (إنَّ تعميم الحكم وهو اعتبار قول الصحابي سنة كسنة النبي ﷺ إلى جميع أفراد الصحابة مما لا يجوز نسبته إلى رسول الله ﷺ، ولا يصح القول به، وذلك أن الواقع الذي أبان عنه القرآن الكريم ينفي صحة نسبة العدالة لجميع أفراد الصحابة. . . إلى أن قال: ما هو موقفنا - نحن الإمامية - من مرويات أقوال الصحابة التي هي نتائج اجتهاد ورأي؟ إن الموقف يتمثل في عدم جواز الأخذ بها؛ للسببين التاليين:

الأول: وفرة الأحاديث المروية عن طريق أهل البيت التي تغطي كل مسائل الفقه، وحيث تتوفر النصوص الشرعية لا يلتجأ إلى اجتهاد الرأي. . .

الثاني: منع أئمة أهل البيت - عليهم السلام - من الأخذ باجتهاد الرأي، وشجبه بكل قوة. . .)[2].

---

(١) أصل الشيعة وأصولها (ص: ٢٣٦).

(٢) دروس في أصول فقه الإمامية (ص: ١٧٦ - ١٧٨).

وترتب على ذلك كما سبق ردهم للسنة النبوية، وقول بعضهم بتحريف القرآن، وطروء الزيادة والنقصان على النص القرآني لأن نقلته وهم الصحابة رضي الله عنهم في زعمهم ليسوا بعدول.

المطلب الثاني
موقف الصوفية من الصحابة

عرَّف بعض الصوفية الصحابي بقولهم: إنه من رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم مسلماً[1].

ولقد نسب بعض متأخري الصوفية لأصحاب رسول الله ﷺ أموراً لم تثبت عنهم ولا تليق بمكانتهم وتوقيرهم، ومن ذلك:

١ - نسبة الحجل إليهم.

٢ - الغلو في محبة الصحابة من آل البيت ولاسيما أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.

٣ - دعوى أخذ العلم من أرواح الصحابة.

٤ - دعوى حصول الكشف الصوفي للصحابة رضي الله عنهم.

٥ - وصف الصحابة رضي الله عنهم بألقاب الصوفية كالقطب والغوث ونحوهما.

(١) انظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان. محمد اليافعي (ص: ٨١)، والسيرة الحلبية. نور الدين الحلبي (ص: ١٢٦).

٦ - اتهام بعض الصوفية الصحابة وانتقاصهم والنيل منهم.

وبالنسبة للحجل فهو يعني رفع رجل والمشي على الأخرى وهو من نتائج التواجد[1]. قال بعض الصوفية روى الإمام أحمد عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، أن سادتنا علياً وجعفراً وزيداً قدموا على مولانا رسول الله (ﷺ). فقال عليه الصلاة والسلام لزيد: «أنت مولاي» فحجل. وقال لجعفر: «أنت أشبهت خلقي وخُلقي» فحجل وراء زيد. وقال لي: «أنت مني، وأنا منك» فحجلت وراء جعفر. انتهى الحديث[2].

(١) انظر: تنوير القلوب للكردي (ص: ٥٤٨).

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٠٨) (ح٨٥٧) قال: حدثنا أسود- يعني ابن عامر- أنبأنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن هانئ بن هانئ، عن علي رضي الله عنه قال: أتيت النبي (ﷺ) وجعفر، وزيد، قال: فقال لزيد: «أنت مولاي». فحجل، قال: وقال لجعفر: «أنت أشبهت خلقي وخلقي». قال: فحجل وراء زيد، قال: وقال لي: «أنت مني وأنا منك»، فحجلت وراء جعفر. اهـ. وهذه القصة عند التحقيق ليست صحيحة، وسندها الذي جاءت به واهٍ بعلتين: الأولى: جهالة هانئ بن هانئ. أورده الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (١٩/ ٢٢٢/ ٧١٢٤) قال: هانئ بن هانئ الهمداني الكوفي: روى عن: علي بن أبي طالب، روى عنه: أبو إسحاق السبيعي، ولم يرو عنه غيره. قال الحافظ ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (١١/ ٢٢): «ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من أهل الكوفة، قال: وكان يتشيع، وقال ابن المديني مجهول، وقال حرملة عن الشافعي: هانئ بن هانئ: لا يعرف». وذكره الذهبي في «الميزان» (٤/ ٢٩١/ ٩١٩٩)، ونقل قول ابن المديني: مجهول وأقره. الثانية: تدليس أبي إسحاق السبيعي. فقد أورده الحافظ ابن حجر في «طبقات المدلسين» في المرتبة الثالثة برقم (٢٥) قال: «عمرو بن عبد الله السبيعي الكوفي مشهور بالتدليس». وهذه المرتبة الثالثة بين حكمها الحافظ في مقدمة «طبقات المدلسين»، حيث قال: «الثالثة: من أكثر من التدليس فلم يحتج الأئمة من أحاديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع..». قلت: وبتطبيق هذه القاعدة على الحديث الذي جاءت به هذه القصة نجد أن أبا إسحاق السبيعي لم يصرح بالسماع، فبطل الاحتجاج بهذا الحديث. وفي «تهذيب التهذيب» (٨/ ٥٩) قال الحافظ ابن حجر في ترجمة أبي إسحاق السبيعي: «ذكره في المدلسين: حسين الكرابيسي، وأبو جعفر الطبري». وبهذا تصبح قصة حجل الصحابة قصة واهية بالجهالة والتدليس، وعند علماء الفن يصبح السند مردوداً ينطبق عليه السببان الرئيسيان للرد معاً وهما: أ- سقط من الإسناد. ب- طعن في الراوي. =

قالوا: «والحجل أن يمشي على رجل واحدة، فهؤلاء الكرام تواجدوا وحجلوا بين يديه ﷺ بلا إرادة من النشوة التي حصلت لهم»[1].

قال الغزالي: "وقد روي عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم حجلوا لما ورد عليهم سرور أوجب ذلك في قصة ابنة حمزة لما اختصم فيها علي بن أبي طالب وأخوه جعفر وزيد بن حارثة رضي الله عنهم... ثم ذكر القصة. وقال في التعليق: "والحجل هو الرقص""[2].

=والبديل الصحيح للقصة من غير ذكر الحجل - الذي ورد في رواية واحدة من إحدى عشرة رواية لم يذكر فيها الحجل - ومنها: ما أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» (٧/ ٥٧٠- الفتح) (حديث رقم: ٤٢٥١) من حديث البراء رضي الله عنه قال: لما اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب كتبوا: هذا ما قضى عليه محمد رسول الله، قالوا: لا نقر لك بهذا، لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئاً، ولكن أنت محمد بن عبد الله. فقال: «أنا رسول الله، وأنا محمد بن عبد الله». ثم قال لعلي: «امح رسول الله». قال علي: «لا والله لا أمحوك أبداً». فقال رسول الله ﷺ: «أرني مكانها»، فأراه مكانها، فمحاها. فكتب: هذا ما قاضى محمد بن عبد الله لا يدخل مكة السلاح إلا السيف في القِراب، وأن لا يخرج من أهلها بأحدٍ إن أراد أن يتبعه، وأن لا يمنع من أصحابه أحداً إن أراد أن يقيم بها، فلما دخلها ومضى الأجل أتوا علياً فقالوا: قل لصاحبك: اخرج عنا فقد مضى الأجل، فخرج النبي ﷺ فتبعته ابنة حمزة تنادي: يا عمّ، يا عمّ، فتناولها عليٌّ فأخذ بيدها وقال لفاطمة عليها السلام: دونك ابنة عمك فحملتها، فاختصم فيها علي، وزيد، وجعفر، فقال علي: أنا أخذتها وهي بنت عمي، وقال جعفر: ابنة عمي وخالتها تحتي، وقال زيد: ابنة أخي، فقضى بها النبي ﷺ لخالتها، وقال: «الخالة بمنزلة الأم». وقال لعلي: «أنت مني وأنا منك». وقال لجعفر: «أشبهت خَلقي وخُلقي». وقال لزيد: «أنت أخونا ومولانا». وقال عليّ: «ألا تتزوَّج بنت حمزة؟» قال: إنها ابنة أخي من الرضاعة. هذه هي القصة الصحيحة، وهذه ألفاظها التي تبين مناقب الصحابة الثلاثة: علي، وجعفر، وزيد رضي الله عنهم، وبراءتهم من الحجل الذي فيه رفع رِجْل وقفز على الأخرى، هذا الوضع الذي لا يليق بإنسان عنده رزانة، فضلاً عن أنهم صحابة خاصة بين يدي رسول الله ﷺ.

(١) انظر: منهاج الصوفية. حسن كامل الملطاوي (ص: ٩٥)، والدلائل العالية (ص: ٩٦-٩٧).

(٢) الإحياء (٢/ ٣٣١)، وانظر: صفة أهل التصوف لابن طاهر بواسطة كشف القناع (ص: ١٥٧). والرماح (١/ ١٦٨) وعزاه إلى السيوطي.

ويقول صوفي معاصر: "فالصحابة كانت لهم هذه المواجيد، وكانت لهم مشاهدات غيبية وحسية عديدة. . ."(١).

ومما نسبه بعض الصوفية للصحابة وهم منه براء أن سلاسل التصوف كلها ما عدا النادر القليل منها تنتهي إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفي طرق إسنادها إلى علي أسماء الأئمة المعصومين- حسب زعمهم- من أولاد علي رضي الله عنه دون غيرهم وعلى رأسهم الحسن والحسين رضي الله عنهما، وتبع ذلك الغلو في شخص علي رضي الله عنه وذريته من بعده.

ونقل الهجويري عن الجنيد أنه قال: (شيخنا في الأصول والبلاء علي المرتضى، أي أن علي بن أبي طالب هو إمام هذه الطريقة في العلم والمعاملة، فأهل الطريقة يطلقون على علم الطريقة اسم الأصول، ويسمون تحمل البلاء فيها بالمعاملات)(٢).

ونقل الطوسي عن الوجيهي أنه قال: سمعت أبا علي الروذباري يقول: سمعت جنيداً رحمه الله يقول: (رضوان الله على أمير المؤمنين علي، رضي الله عنه، لولا أنه اشتغل بالحروب لأفادنا من علمنا هذا معاني كثيرة، ذاك امرؤ أعطي علم اللّدني، والعلم اللّدني هو العلم الذي خصّ به الخضر عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥])(٣).

وقال محمد معصوم شيرازي الملقب بمعصوم علي شاه: (ولابد لكل سلسلة من سلاسل التصوف من الأزل إلى الأبد، ومن آدم إلى انقراض الدنيا أن تكون متصلة بسيد العالمين وأمير المؤمنين)(٤). وذلك لأنه (أزهد الصحابة عند المتصوفة)(٥).

(١) الدلائل العالية (ص: ٩٧).
(٢) كشف المحجوب للهجويري (ص: ٢٧٤).
(٣) كتاب اللمع للطوسي (ص: ١٧٩).
(٤) انظر: طرائق الحقائق لمعصوم علي شاه (١/ ٢٥١).
(٥) انظر: قوت القلوب لأبي طالب المكي (١/ ٢٦٧).

وكان له مقام ومنزلة عند الصوفية بل غلوا فيه رضي الله عنه غلواً عندما يقارن بالغلو الإمامي فيه، فليس بأقلّ منه في صورة من الصور.

إلى أن نقل الشعراني عن أحد المتصوفين أنه قال: (إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه رفع كما رفع عيسى عليه السلام، وسينزل كما ينزل عيسى عليه السلام - ثم يقول الشعراني - قلت: وبذلك قال سيدي علي الخواص رضي الله عنه فسمعته يقول: إن نوحاً عليه السلام أبقى من السفينة لوحاً على اسم علي بن أبي طالب رضي الله عنه يرفع عليه إلى السماء فلم يزل محفوظاً في صيانة القدرة حتى رفع علي بن أبي طالب رضي الله عنه)[1].

فهذا هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومكانته، ومنزلته، وشأنه، وقد نقل باحث شيعي عن جلال الدين الرومي الصوفي المشهور أنه قال في أبياته ما يدلّ على رؤيتهم إلى علي وعقيدتهم فيه، فيقول:

منذ كانت صورة تركيب العالم، كان عليّ

منذ نقشت الأرض وكان الزمان، كان عليّ

ذلك الفاتح الذي انتزع باب خيبر بحملة واحدة، كان عليّ

كلما تأملت في الآفاق ونظرت

أيقنت بأنه في الموجودات، كان عليّ

إن من كان هو الوجود ولولاه

لسرى العدم في العالم الموجود (إياه)، كان عليّ

إن سر العالمين الظاهر والباطن

---

(١) طبقات الشعراني (٢/ ٤٤).

الذي بدا في شمستبريز، كان عليّ[1].

كما نظم بعض الصوفية شعراً فقال:

لي خمسة أطفي بهم حر اللظى الحاطمة
المصطفى والمرتضى وابناهما وفاطمة

وأول وليّ عند المتصوفة هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومنه انتقلت الولاية إلى غيره من الأولياء كما أنه أول إمام عند الشيعة، وتسلسلت منه فورثها غيره، وكذلك الفتوة والقطبية، وهو الذي ألبس خرقته الحسن البصري، وهذه الخرقة التي يلبسها المتصوفة خلفاءهم وورثتهم[2].

ويلفت ابن خلدون في مقدمته النظر إلى هذا التوارد بين الصوفية والشيعة حيث يقول عند ذكر الصوفية: (إنهم لما أسندوا لباس خرقة التصوف ليجعلوه أصلاً لطريقتهم وتخيّلهم رفعوه إلى عليّ رضي الله عنه وهو من هذا المعنى أيضاً، وإلا فعليّ رضي الله عنه لم يختصّ من بين الصحابة بتخلية ولا طريقة في اللباس ولا الحال، بل كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أزهد الناس بعد رسول الله ﷺ وأكثرهم عبادة، ولم يختصّ أحد منهم في الدين بشيء يؤثر عنه في الخصوص، بل كان الصحابة كلهم أسوة في الدين والزهد والمجاهدة، يشهد لذلك من كلام هؤلاء المتصوفة في أمر الفاطمي وما شحنوا كتبهم في ذلك مما ليس لسلف المتصوفة فيه كلام بنفي أو إثبات، وإنما هو مأخوذ من كلام الشيعة والرافضة ومذاهبهم في كتبهم والله يهدي إلى الحق)[3].

وعلى كل فإن الصوفية ينهون سند لبس الخرقة إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه،

---

(١) غزليات شمس تبريزي نقلاً من كتاب الصلة بين التصوف والتشيع (ص: ٨٤، ٨٥).
(٢) انظر: عوارف المعارف للسهروردي (ص: ٩٨)، والرسالة القشيرية (٢/ ٧٤٧)، وفوائح الجمال لنجم الدين الكبرى (ص: ٢٨٢)، والأنوار القدسية للشعراني (ص: ٤٩).
(٣) مقدمة ابن خلدون (ص: ٤٧٣).

كما ينهون إليه سلاسلهم[1]. ولا يقتصرون على عليّ بن أبي طالب وحده، بل يقولون مثل ما يقوله الشيعة: (ثامن الفتيان بعد النبوة والرسالة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حيث أسلم صبياً، وجاهد في سبيل الله مراهقاً، وبوأه الله قطبانية الأولياء رجلاً وكهلاً.

وعنه أخذ الفتوة ابناه الحسن والحسين وهي أعلى مقامات الولاية عند القطبانية التي هي منها والصديقية التي هي كمالها.

ومن دلائل فتوة الحسن رضي الله عنه أن آثر الخلافة الباطنة على الخلافة الظاهرة، وتنازل عن الظاهرة حقناً لدماء المسلمين.

ومن دلائل فتوة الحسين أنه الشهيد الأعظم في سبيل الله وفي سبيل الأمانة.

ومن الخصائص التي خصّ الله تعالى بها علياً كرم الله وجهه أنه إذا كان الرسول مدينة العلم فعليّ بابها، وإن كان للفروسية أو الولاية فتيان فهو فتاهما الأول.

فعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه أول فتيان هذه الأمة وفتى أوليائها، وحسبه في ذلك أن أراد افتداء الرسول بنفسه)[2].

وكان الصوفي المشهور أبو العباس المرسي تلميذ الشاذلي يقول: (طريقنا هذه لا تنسب للمشارقة ولا للمغاربة، بل واحد عن واحد إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو أول الأقطاب)[3].

---

(١) الخرقة عند الصوفية لها أسانيد عدة حسب الطرق، ومن أسانيدها: - عن أبي الحسن القوري رفيق الجنيد عن السري السقطي عن معروف الكرخي عن داود الطائي عن حبيب العجمي عن الحسن البصري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. - ومعروف أخذ أيضاً عن علي بن موسى عن موسى الكاظم عن جعفر الصادق عن محمد الباقر عن علي زين العابدين عن الحسن عن علي عن النبي ﷺ.
انظر: منهاج السنة (٨/ ٤٣-٤٧)، (٤/ ٦١-٦٢)، والبرهان الجلي. أحمد الغماري (٣٥-٣٦).

(٢) جمهرة الأولياء لأبي الفيض المنوفي (١/ ٨٩).

(٣) طبقات الشعراني (٢/ ١٤).

وقالوا: (وكان من أوائل أهل طريق الله بعد الصحابة علي بن الحسين زين العابدين، وابنه محمد بن علي الباقر، وابنه جعفر بن محمد الصادق، وذلك بعد علي والحسن والحسين رضي الله عنهم جميعاً)[1].

ويقول الكلاباذي: (ممن نطق بعلومهم، وعبر عن مواجيدهم، ونشر مقاماتهم، ووصف أحوالهم قولاً وفعلاً بعد الصحابة رضوان الله عليهم: علي بن الحسين زين العابدين. وابنه محمد الباقر. وابنه جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهم)[2].

ويذكر الرفاعية عن الرفاعي أحمد الكبير - في سند لبس الخرقة- أنه (أخذ العهد والطريق من يد خاله شيخ الشيوخ صاحب الفتح الصمداني سيدنا منصور البطائحي الرباني وهو لبسها من خاله سيدنا الشيخ أبي المنصور الطيب وهو لبسها من ابن عمه الشيخ أبي سعيد يحيى البخاري الأنصاري وهو لبسها من الشيخ أبي الترمذي وهو لبسها من الشيخ أبي القاسم السندوسي الكبير وهو لبسها من الشيخ أبي محمد دويم البغدادي وهو لبسها من خاله الشيخ سري السقطي وهو لبسها من الشيخ معروف الكرخي وهو لبسها من إمام الزمان وحجة أهل العرفان الإمام ابن الإمام علي الرضي وهو لبسها من أبيه نور حدقة العناية والإمامة ونور حديقة الولاية والكرامة ملجأ الأولياء الأعاظم أبي الحسن موسى الكاظم وهو لبسها من أبيه صاحب القدم السابق الإمام جعفر الصادق وهو لبسها من أبيه صاحب السر الطاهر الإمام محمد الباقر وهو لبسها من أبيه كهف المحتاجين وإمام الأفراد أبي محمد الإمام زين العابدين علي السجاد وهو لبسها من أبيه أحد سبطي رسول الله شهيد كربلاء الإمام الحسين أبي عبد الله وهو لبسها من أبيه إمام الأئمة ومجن هذه الأمة صاحب القدر العظيم والشرف

---

(١) جمهرة الأولياء (١/ ١٦٣).

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي (ص: ٣٦).

الجلي أمير المؤمنين الإمام أبي الحسن علي رضي الله عنه وعنهم أجمعين)[١].

ومما ثبت في بعض مصادر الصوفية مما يبين موقف الصوفية من الصحابة هو: دعواهم أخذ العلم من أرواح الصحابة: قال أبو الحسن الشاذلي عن نفسه عندما سئل عن شيوخه الذين أخذ عنهم العلم فقال: (أما فيما مضى فكان سيدي عبدالسلام بن مشيش. وأما الآن فأستقي من عشرة أبحر خمسة سماوية وخمسة أرضية، أما السماوية فجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل والروح، وأما الأرضية فأبو بكر وعمر وعثمان وعلي والنبي ﷺ)[٢].

ويزعم أحمد السرهندي الفاروقي أن روحانية سيدنا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - جاءته وقالت له: (إني بعثت إليك لأعلمك علم السماوات. فجمعه بروحانية أبي حنيفة والشافعي وبجميع أساتذتهم فأفاضوا عليه من بركاتهم حتى استغرق في أنوارهم)[٣].

وأما دعوى ما حدث للصحابة من الكشف فيقول محمد العربي التيجاني: (يدل على ذلك أحاديث منها:

١- «كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي أحداً منهم فعمر بن الخطاب».
ومن ذلك أيضاً قضية سارية إذ قال له سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يخطب بالمدينة على المنبر: يا سارية الجبل، من ترك الحزم ذل، وسمع سارية ذلك وهو بنهاوند.

٢- ومن ذلك إخبار سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه بما في بطن زوجته وقوله أراها جارية فكان الأمر كما قال.

---

(١) قلادة الجواهر في ذكر الرفاعي وأتباعه الأكابر. لمحمد أبي الهدى الرفاعي (ص: ٣٧٥).
(٢) أبو الحسن الشاذلي لعبد الحليم محمود (ص: ٢١٠)، وجامع كرامات الأولياء (٢/ ٣٦٣).
(٣) الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية نقلاً عن: نقض الصوفية (ص: ٢٧).

٣- وكذلك ما روى عن سدينا عبد الله بن سلام رضي الله عنه أنه دخل على سيدنا عثمان رضي الله عنه في اليوم الذي قتل فيه فقال له سيدنا عثمان: أترى هذه الطائفة فإن رسول الله ﷺ تراءى لي منها، فقال: أحصروك يا عثمان؟ قلت: نعم بأبي أنت وأمي، فقال ﷺ: إن شئت نصرت عليهم وإن شئت أفطرت عندنا، فقلت: بل أفطر عندكم، فقتل قبل غروب الشمس من ذلك اليوم. ومن ذلك الفتح لمولانا علي رضي الله عنه في العلوم وغير ذلك)[1].

والصوفية أيضاً تقول إن أبا بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن والحسين رضي الله عنهم كان كل منهم قطباً غوثاً في زمانه.

وعن القطب الغوث يقولون: (... لا يكون منهم في الزمان إلا واحد وهو الغوث أيضاً وهو من المقربين وهو سيد الجماعة في زمانه.

ومنهم من يكون ظاهر الحكم ولا يحوز الخلافة الظاهرة كما حاز الخلافة الباطنة من جهة المقام كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن..... ومنهم من له الخلافة الباطنة...)[2].

(وكذلك الإمامان لكل واحد منهما اسم يخصه ينادي به كل إمام في وقته هناك، فالإمام الأيسر عبدالملك والإمام الأيمن عبدربه وهما للقطب الوزيران فكان أبو بكر رضي الله عنه عبدالملك وكان عمر رضي الله عنه عبد ربه في زمان رسول الله ﷺ إلى أن مات ﷺ فسمى أبو بكر عبد الله وسمى عمر عبدالملك وسمى الإمام الذي ورث مقام عمر عبد ربه)[3].

---

(١) بغية المستفيد لشرح منية المريد. لمحمد العربي التجاني (ص: ٢٠٦).
(٢) الفتوحات المكية (٢/ ٩-١١)، وجامع كرامات الأولياء (٢/ ١٤٣).
(٣) الفتوحات المكية (٢/ ٥٦١-٥٦٤).

ويقولون بأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان القطب الغوث في زمانه والوزير الأول للقطب الغوث الذي سبقه وهو أبو بكر رضي الله عنه والوزير الثاني للرسول ﷺ.

كما انساق الختمية من الصوفية مع الإمامية في اتهام الصحابة رضي الله عنهم بأنهم كتموا بعض الأحاديث التي تدل على ولاية علي رضي الله عنه، وتبرز فضله على من عداه، حيث يقول علي زين العابدين: "ولو دون المحدثون كل ما ورد في حق أمير المؤمنين لعبده الناس من دون الله، وكلهم قالوا: إنهم حذفوا أحاديث صحيحة تربو على الألوف من صحاحهم، ولا أظن أنهم حذفوا شيئاً غير خصائص أمير المؤمنين وعترته الطاهرة، لأن إثباتها يبعدهم عن دواوين الملوك وعطاياهم ويجعلهم محل غضبهم، ولكن أبى الله إلا أن يتم نوره فانبرى لذلك قوم لم يبالوا بالملوك، ولا من سطوتهم، ولم يخشوا إلا الله فدونوا في صحاحهم ما وجدوا من مناقبهم بصحيح الرواية والسند"(١).

بل إن ختمياً آخر يورد هذا الأمر صراحة فيقول: "حاولت بعض الجهات طمس ولاية أهل البيت والتهرب منها خلال قرون عديدة، وساعد على ذلك الملوك من بني أمية وبني العباس، الذين كان ولاية أهل البيت يزلزل عروشهم، فحاولوا إخفاء العديد من الأحاديث والآثار التي تدل على ولاية سيدنا علي بن أبي طالب... ولو نقلت كل هذه الآثار والأخبار عن أمير المؤمنين لعبدته الأمة المحمدية. فإذا ثبت أن جماعة من القرن الأول الفاضل قد عبدوا سيدنا علياً فكيف يكون الحال إذا وصلت كل تلك الأخبار والآثار إلى القرون اللاحقة مع ضعف إيمانها وبعدها عن الحق"(٢).

ودأب البكتاشيون على ترك الترضي عن سائر الصحابة عدا آل البيت بل على عدم ذكرهم بإحسان كما تشهد بذلك أدعيتهم وأورادهم.

---

(١) تاج الأولياء والأولياء. علي زين العابدين (ص: ١٤١).

(٢) انظر: الختمية، العقيدة والتاريخ والمنهج (ص: ١٣).

واشتهر عن بعض أفراد الصوفية المتأخرين الطعن والسب المباشر لأم المؤمنين عائشة، ومعاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنهما، ومنهم: أحمد حسون - مفتي سورية وأحد كبار شيوخ النقشبندية في بلاد الشام- وشارك حسون الإمامية في تفضيل علي على سائر الصحابة بما فيهم الشيخان رضي الله عنهم أجمعين، وزعم الحسون أن الصحابة قد خانوا الله ورسوله فسلبوا حق علي في الخلافة يوم السقيفة[1].

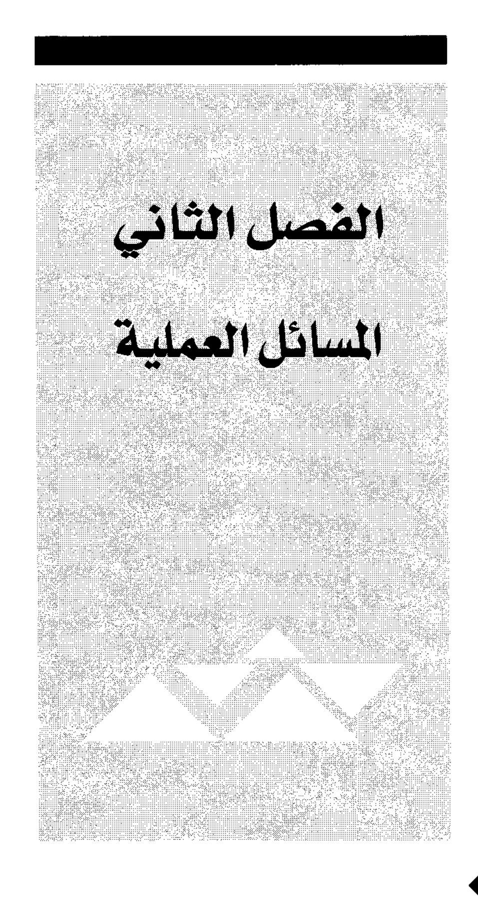
الخلاصة:

مما سبق تبين أن الإمامية ومن خلال عقيدتهم في الإمامة سلكوا طريق الجفاء فنالوا من عموم الصحابة بتكفيرهم وتفسيقهم وتهمتهم بالنفاق، ونكران القول بعدالتهم، وفي المقابل غلوا غلواً شديداً في تعظيم آل البيت منهم.

وأما الصوفية فقد لزموا مسلك الغلو في آل البيت من الصحابة، وبعض الصحابة، ونسبة ما لا يليق بهم من التواجد، والمشاهد الغيبية، ووصفهم بألقاب القطبية والغوثية، كما شاركوا الإمامية في الطعن في بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم، فكلا الفريقين من الصوفية والإمامية لم يقدروا الصحابة حق قدرهم، ولم ينزلوهم منزلتهم الشرعية من المحبة والتوقير، بل وقعوا بين الجفاء والغلو وكلاهما ذميم.

---

(١) انظر: تلخيص عقائد الشيعة ومقارنتها بعقائد الصوفية. عبد الله المشيرفي (ص: ٢٠-٢٥)، والمقابلة التي أجرتها معه مجلة المنبر الكويتية. العدد (١٤) بتاريخ: ٢٤/ ربيع الآخر/ ١٤٢٤هـ.

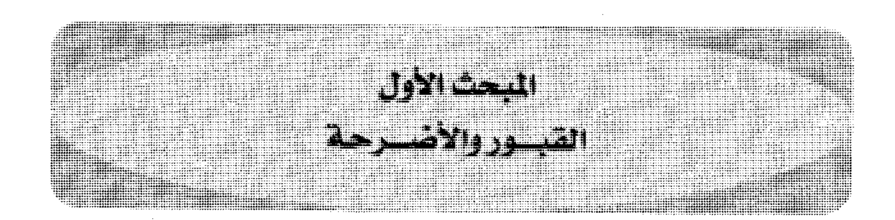


وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: القبور والأضرحة.

المبحث الثاني: مراحل الترقي في المذهب.

المبحث الثالث: المصنفات والشروح لعلماء الطائفتين على كتب الطائفة الأخرى.



المبحث الأول
القبـور والأضـرحة

المطلب الأول
عقيدة الإمامية والصوفية في القبور والأضرحة

١ - الأصل في تعظيم القبور والأضرحة عند الفرقتين:

ارتبطت مسألة القبور والأضرحة عند الإمامية والصوفية بمفاهيم الشرك عند كل فرقة، وقد تمت الإشارة في الباب السابق إلى مفهوم الشرك عند الإمامية، وما ترتب عليه من انحرافات شركية عديدة كطلب الحاجة من النبي والإمام، أو طلب الشفاء من التراب، ومنها البناء على القباب والمقامات، وتعظيم أصحابها ودعائهم.

يقول جعفر السبحاني: «دعاء الأولياء يقع على وجهين: الأول: دعاء الولي ونداؤه بما أنه عبد صالح تستجاب دعوته عند الله إذا طلب منه تعالى شيئاً... كما أنه ليس دخيلاً في مفهوم التوحيد والشرك، ما دام الداعي يؤمن بالله الواحد ويعتبره

الرب الخالق والمدبر المستقل دون سواه»(١).

ثم قال: «الثاني: لا شك أن دعاء النبي أو الصالح ونداءهما والتوسل بهما باعتقاد أنه إله أو رب أو خالق أو مستقل في التأثير أو مالك للشفاعة والمغفرة، شرك وكفر، ولكنه لا يقوم به أي مسلم في أقطار الأرض»(٢).

وعلى هذا فصورة الشرك والإيمان عندهم واحدة، لكن الفرق في النية والقصد، فهذا مشرك ضال، وهذا مؤمن مهتد، وإن كان كلاهما يدعوان غير الله.

يقول الخميني: "إن الشرك هو طلب الشيء من غير رب العالمين، على أساس كونه إلهاً. وأما ما دون ذلك، ليس بالشرك"(٣).

ويقول نتيجة لهذا التعريف: إن طلب الحاجة من الرسول، والإمام، وأي شخص ليس بشرك، وأنه يستوي في ذلك الحي والميت، بل حتى الحجر والصخر، وإن كان باطلاً لعدم منح الله تعالى إياها القدرة على قضاء الحوائج، بخلاف من " نطلب منهم المدد من الأرواح المقدسة للأنبياء والأئمة ممن قد منحهم الله القدرة "(٤).

وأما الصوفية فإن تعريفهم للعبادة يوقعهم فيما سبقت الإشارة إليه عند الإمامية إذ يحصرون الشرك في أضيق الحدود، ويسوغون التطبيقات الشركية التي وقعت فيها الإمامية.

ومفهوم العبادة عند الصوفية يعرفونه بقولهم: هي الإتيان بأقصى غاية الخضوع مع اعتقاد ربوبية المخضوع له أو شيء من خصائصها، كاستقلال النفع والضر، وأما مع انتفاء هذا الاعتقاد فلا يكون المأتي به عبادة أصلاً ولو كان ذلك سجوداً فضلاً عمن دونه"(٥).

---

(١) الإيمان والكفر. جعفر السبحاني (ص: ١٠٩ - ١١٠).

(٢) السابق (ص: ١١١).

(٣) كشف الأسرار للخميني (ص: ٤٩).

(٤) السابق (ص: ٤٦ - ٤٩).

(٥) انظر: الأجوبة الغالية في عقيدة الفرقة الناجية. زين العابدين العلوي (ص: ٤٢-٤٣). وليلحظ أن هذا التعريف للعبادة هو الثابت عند الإمامية.

ويقول محمد زكي إبراهيم - رائد العشيرة المحمدية الشاذلية - مبيناً معنى قولهم "مدد يا سيدي"، والقائل: "مدد يا سيدي فلان": "إما إنه يطلب المدد من الحي، أو من الميت. فطلب المدد من الحي معناه: طلب دعائه، وإرشاده، وروحانيته، وتوجيهه، وتربيته، وبركة صلاحه وتقواه، وسره مع الله، وما هو من هذا السبيل. وطلب المدد من الميت معناه: التوسل به إلى الله، والاستشفاع به إليه تعالى في قضاء الحوائج، ودفع الجوائح، والتماس بركة مقامه عند الله، والاستمداد من مدد الله وسره، وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً".[1]

ثم جاء بفلسفة صوفية شيعية تحدد الشرك وعبادة غير الله تعالى. فيقول: "إن الدعاء لا يكون عبادة إلا حين يعتقد الداعي ربوبية المدعو.... فإن تخلف اعتقاد الربوبية من الداعي استحال أن يكون الدعاء عبادة لا عقلاً ولا شرعاً. فاعتقاد الألوهية في المدعو.... هو العبادة ولو لم يقترن ذلك بقول ولا عمل، وإلا فلا، هذا هو القانون والأصل الأول"[2].

إنه والصوفية عامة لا يعتبرون طلب المدد من فلان أو فلان من مشايخهم الأموات من أمور الشرك، فالشرك عندهم أمر آخر، ويبين هذا الشاذلي، فيقول: "إن الدعاء لا يكون عبادة إلا حين يعتقد الداعي ربوبية المدعو... فإن تخلف اعتقاد الربوبية من الداعي، استحال أن يكون الدعاء عبادة"[3].

٢ - نشأة عبادة القبور في العالم الإسلامي:

بدأ بناء القباب والقبور في العالم الإسلامي مع قيام الدولة العبيدية في مصر، حيث بسطت سيطرتها على أقاليم واسعة منه، وقامت بالبناء على المزارات والقبور،

(١) الإفهام والإفحام - أو قضايا الوسيلة والقبور (ص: ٣٩).
(٢) السابق (ص: ١٤٩ - ١٥٠).
(٣) السابق (ص: ١٥٠).

كقبر الحسين بن علي - حسب زعمهم- والسيدة زينب[1]. ولم يعرف هذا الأمر في عصور الإسلام الأولى، والقرون الثلاثة المفضلة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية وهو يتكلَّم عن مشهد رأس الحسين رضي الله عنه: (... دَعْ خلافة بني العباس في أوائلها وفي حال استقامتها فإنهم حينئذ لم يكونوا يعظمون المشاهد سواء منها ما كان صدقاً أو كذباً كما حدث فيما بعد؛ لأن الإسلام كان حينئذ في قوته وعنفوانه ولم يكن على عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم من ذلك شيء في بلاد الإسلام لا في الحجاز ولا اليمن ولا الشام ولا العراق ولا مصر ولا خراسان ولا المغرب ولم يكن قد أحْدِث مشهد لا على قبر نبي ولا صاحب ولا من أهل البيت ولا صالح أصلاً، بل عامة هذه المشاهد محدثة بعد ذلك، وكان ظهورها وانتشارها حين ضعفت خلافة بني العباس وتفرقت الأمة وكثر فيهم الزنادقة والملبسون على المسلمين، وفشت فيهم كلمة أهل البدع وذلك من دولة المقتدر في أواخر المائة الثالثة، فإنه إذ ذاك ظهرت القرامطة العبيدية القداحية بأرض المغرب ثم جاؤوا بعد ذلك إلى أرض مصر وقريباً من ذلك ظهر بنو بويه وكان في كثير منهم زندقة وبدع قوية، وفي دولتهم قويَ بنو القداح بأرض مصر، وفي دولتهم أظهر المشهد المنسوب إلى علي رضي الله عنه بناحية النجف، وإلاّ فقبل ذلك لم يكن أحد يقول إن قبر علي هناك وإنما دفن علي رضي الله عنه بقصر الإمارة بالكوفة. وإنما ذكروا أن بعضهم حكى عن الرشيد أنه جاء إلى بقعة هناك وجعل يعتذر إلى المدفون فيها، فقالوا إنه علي، وإنه اعتذر إليه مما فعل بولده، فقالوا هذا قبر علي، وقد قال قوم إنه قبر المغيرة بن شعبة)[2].

---

(١) انظر: إعصار التوحيد يحطم وثن الصوفية (ص: ١٢-١٥)، والصوفية في تهامة اليمن دراسة ميدانية (ص: ٢٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٦٥- ٤٦٧).

ويؤيد ماقرره شيخ الإسلام ما قاله الإمامان الذهبي وابن كثير، يقول الذهبي في آخر ترجمة عضد الدولة البويهي الذي قال عنه قبل ذلك: (وكان شيعياً جلداً أظهر بالنجف قبراً زعم أنه قبر الإمام علي وبنى عليه المشهد وأقام شعار الرفض ومأتم عاشوراء والاعتزال). ثم قال: وبه ختم ترجمة عضد الدولة: (قلت: فنحمد الله على العافية فلقد جرى على الإسلام في المائة الرابعة بلاء شديد بالدولة العبيدية بالمغرب، وبالدولة البويهية بالمشرق وبالأعراب القرامطة فالأمر لله تعالى)[1].

كما ذكر ابن كثير في البداية والنهاية أن الخليفة العباسي المتوكل أمر في سنة ٢٣٦هـ بهدم القبر المنسوب إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما وما حوله من المنازل والدور ونودي في الناس أن من وجد هنا بعد ثلاثة أيام ذهب به إلى المطبق، فلم يبق هناك بشر، واتخذ ذلك الموضع مزرعة تحرث وتستغل[2]. وكان هذا القبر مزاراً لفرقة الإسماعيلية من الشيعة الذين كانوا يزورون هذا القبر[3].

وقال ابن كثير في حوادث سنة (٣٤٧ هـ): (وقد امتلأت البلاد رفضاً وسباً للصحابة من بني بويه وبني حمدان والفاطميين، وكل ملوك البلاد مصراً، وشاماً، وعراقاً، وخراسان، وغير ذلك من البلاد كانوا رفضاً وكذلك الحجاز وغيره، وغالب بلاد المغرب، وكثر السب والتكفير منهم للصحابة)[4].

ويؤيده كذلك ما ذكره السمهودي -رحمه الله- في كتابه (وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى) وهو يتحدث عن قبر فاطمة رضي الله عنها قال: (وإنما أوجب عدم العلم بعين قبر فاطمة رضي الله عنها وغيرها من السلف ما كانوا عليه من عدم البناء على القبور وتجصيصها)[5].

(١) السير (١٦/ ٢٥٠-٢٥٢).
(٢) انظر: البداية والنهاية (١٠/ ٣١٥).
(٣) انظر: العبر (٣/ ٣٦١).
(٤) البداية والنهاية (١١/ ٢٣٣).
(٥) وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى. لنور الدين محمد السمهودي (٣/ ٩٠٦).

ثم قال تحت عنوان: "بيان المشاهد المعروفة اليوم بالبقيع وغيره من المدينة المشرفة": (اعلم أن أكثر الصحابة رضوان الله عليهم -كما قال المطري ممن توفي في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته- مدفونون بالبقيع وكذلك سادات أهل بيت النبي ﷺ وسادات التابعين رضوان الله عليهم.

وفي مدارك عياض عن مالك أنه مات بالمدينة من الصحابة نحو عشرة آلاف وباقيهم تفرقوا في البلدان.

وقال المجد: "لاشك أن مقبرة البقيع محشوة بالجماء الغفير من سادات الأمة غير أن اجتناب السلف الصالح المبالغة في تعظيم القبور وتجصيصها أفضى إلى انطماس آثار أكثرهم فلذلك لا يعرف قبر معين منهم إلاّ أفراداً معدودة ")[1].

ويؤيده أيضاً ما ذكره الشافعي- رحمه الله تعالى - في كتابه الأم قال: (ولم أر قبور المهاجرين والأنصار مجصصة)، قال الراوي عن طاووس: إن رسول الله ﷺ نهى أن تبنى القبور أو تجصص - قال الشافعي -: (وقد رأيت من الولاة من يهدم بمكة ما يبنى فيها فلم أرَ الفقهاء يعيبون ذلك)[2].

ويقول الموسوي: "وتشارك الفرق الإسلامية الأخرى الشيعة في غلوهم بالنسبة للأئمة والأولياء. نستثني منهم (السلفية) الذين استطاعوا أن يحطموا القيود التي قيدت عقول الناس وقلوبهم على السواء غير أن الشيعة سبقت الفرق الإسلامية الأخرى في هذا المضمار كثيراً، ويعود هذا الإسراف في الغلو إلى كتب الروايات التي لم تهذب، وموقف الفقهاء من تلك الروايات"[3].

---

(١) المصدر السابق (٣/ ٩١٦).

(٢) الأم للإمام محمد بن إدريس الشافعي. تحقيق: رفعت فوزي (١١/ ٢٧٧).

(٣) الشيعة والتصحيح (ص: ٩٩-١٠٠).

وقد زعم بعض الإمامية أن أول بناء أقيم على قبر الحسين رضي الله عنه كان بعد دفنه مباشرة. وأن أول من تعرض لهدم ما على القبر من بناء هو أبو جعفر المنصور[1].

والحاصل أن مسألة تعظيم القبور وعبادتها لم تعرف في القرون الفاضلة وإنما كانت شيعية في مبدأ نشأتها من الناحيتين التأصيلية النظرية، والتطبيقية العملية، وعنهم انتقلت إلى الصوفية، والفرق الأخرى.

٣ - مكانة القبور والأضرحة عند الإمامية والصوفية:

يزعم الإمامية بأن زيارة الأضرحة فريضة من فرائض مذهبهم[2] ويكفر تاركها[3]. وورد في كتابهم (من لا يحضره الفقيه) لابن بابويه القمي؛ أبواب عدة حول المشاهد وتعظيمها، مثل: باب تربة الحسين وحريم قبره، وأبواب زيارة الأئمة وفضلها[4].

وورد في تهذيب الأحكام للطوسي مجموعة كبيرة من الأبواب تتضمن تعظيم المشاهد والقبور، ومناجاة الأئمة بأدعية تتضمن تأليههم[5].

هذا بالإضافة إلى ما اشتملت عليه كتبهم الأخرى، التي هي في منزلة المصادر الثمانية، ككتاب (ثواب الأعمال) لابن بابويه القمي، وغيره، وكلها تتحدث عن الفضائل المزعومة لمن شد الرحال لزيارة أضرحة الأئمة، وطاف بها، ودعا في رحابها، واستغاث بمن فيها، وتذكر الأدعية التي فيها من الغلو في الأئمة، ما يصل بهم إلى مقام الخالق جل جلاله وفيها من الشرك بالله ما يُخرج من الإسلام رأساً.

---

(١) انظر: تاريخ كربلاء عبد الجواد الكليدار (ص: ١٨٤، ١٥١).
(٢) انظر تهذيب الأحكام للطوسي (٢/ ١٤).
(٣) انظر روايات ذلك في: تهذيب الأحكام (٢/ ١٤)، وكامل الزيارات (ص: ١٩٤)، ووسائل الشيعة (١٠/ ٢٣٣-٣٣٧).
(٤) انظر: من لا يحضره الفقيه (٢/ ٣٣٨).
(٥) انظر: تهذيب الأحكام (٦/ ٣) وما بعدها.

وتحفل العديد من الروايات عندهم بفضل زيارات الأئمة كل على حدة، كما أفرد المفيد كتاباً خاصاً أسماه "كتاب المزار ومناسك المزار"، أوضح فيه فضل زيارة الأئمة والصالحين من الشيعة، وأن الزيارة تحقق للزائر العديد من الفضائل مثل: زيادة العمر، وتفريج الكرب، وكشف الهموم، وتمحيص الذنوب، واستحقاق الشفاعة، وتعظيم الأجر والثواب، ووجوب الجنة لمن أخلص الزيارة.

ويروي المفيد بإسناده إلى موسى بن جعفر أنه قال: "من كانت له إلى الله حاجة، وأراد أن يرانا، وأن يعرف موضعه من الله، فليغتسل ثلاث ليال، يناجي بنا، فإنه يرانا، ويغفر له بنا... نحن أبناء نبي الله... وأحباب رب العالمين، نحن مفتاح الكتاب... نحن حجر البيت في السماء والأرض، بنا غفر لآدم، وبنا ابتلى أيوب، وبنا افتقد يعقوب، وبنا حبس يوسف، وبنا دفع البلاء، وبنا أضاءت الشمس..."[1].

وذكر المظفر في عقائد الإمامية وصايا الأئمة وحثهم شيعتهم على الزيارة، وترغيبهم فيما لها من الثواب الجزيل عند الله تعالى.. وباعتبار أن هاتيك القبور - كما يزعم - من خير المواقع لاستجابة الدعاء، والانقطاع إلى الله تعالى[2].

وقد أورد الحر العاملي ما نسبه إلى علي بن موسى الرضا أنه قال: "من زار قبور الأئمة رغبة، وتصديقاً، كانوا شفعاءه يوم القيامة"[3].

وروى الكليني بإسناده مرفوعاً فيما نسبه إلى رسول الله ﷺ أنه قال: "يا علي من زارني في حياتي أو بعد موتي، أو زارك في حياتك أو بعد موتك، أو زار ابنيك في حياتهما، أو بعد موتهما، ضمنت له يوم القيامة أن أخلصه من أهوالها، وشدائدها، حتى أصيره معي في درجتي"[4].

(١) الاختصاص للمفيد النعمان (ص: ٩٠ - ٩١).
(٢) عقائد الإمامية للمظفر (ص: ١٣٣)، وانظر: كامل الزيارة. جعفر القمي (ص: ١٢٢).
(٣) وسائل الشيعة (٥/ ٢٥٣).
(٤) فروع الكافي. كتاب الحج. أبواب الزيارات، باب فضل الزيارات وثوابها (٤/ ٥٧٩).

وروى الكليني بإسناده إلى الصادق أنه قال: "إن من أتى قبر الحسين، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر "(١).

وروى عن موسى الكاظم - سابعهم - أنه قال: "من زار قبر ولدي علي - وهو الرضا، ثامنهم، المدفون في إيران - كان له عند الله كسبعين حجة مبرورة. . . ، وسبعين ألف حجة. . . . ومن زاره وبات عنده ليلة، كان كمن زار الله في عرشه. . . "(٢).

وروى أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي بإسناده إلى الباقر والصادق يقولان: "إن الله عوض الحسين من قتله، أن جعل الإمامة في ذريته، والشفاء في تربته، وإجابة الدعاء عند قبره، ولا تعد أيام زائريه، جائياً وراجعاً، من عمره "(٣).

وذكر الجزائري رواية عن الريان بن شبيب في دخوله على إمامه الرضا، فذكر له حديثاً طويلاً عن مقتل الحسين، وفيه: ". . . . ولقد بكت السموات السبع والأرضون لقتله، لقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصره، فوجدوه قد قتل، فهم عند قبره، شعث غبر، إلى أن يقوم القائم، فيكونون من أنصاره وشيعته، وشعارهم (يا لثارات الحسين). . . يا ابن شبيب! إن سرك أن تلقى الله عز وجل، ولا ذنب عليك، فزر الحسين، . . . . "(٤).

ورووا أنَّ رجلاً جاء إلى أبي عبد الله فقال له: (إنِّي قد حججتُ تسعَ عشرةَ حَجةً، فادعُ الله أن يرزقني تمام العشرين حجة، قال: هل زرتَ قبر الحسين «ع» قال: لا، قال: لزيارته خيرٌ من عشرين حجة)(٥)، وفي رواية: (والله لو أني حدثتكم بفضل

(١) المصدر السابق (٤/ ٥٨٢).
(٢) فروع الكافي (٤/ ٥٨٥).
(٣) أمالي الطوسي (١/ ٣٢٥).
(٤) الأنوار النعمانية (٣/ ٢٣٩ - ٢٤٠).
(٥) الوافي (٨/ ٢١٩)، والكافي (٤/ ٥٨١)، ووسائل الشيعة (١٤/ ٤٤٧)، وثواب الأعمال للصدوق (ص: ٩٤).

زيارته وبفضل قبره لتركتم الحجَّ رأساً، وما حجَّ منكم أحد)[1] ويا ليته حدَّثهم!!!.

وأما عن اعتقادهم في فضل الحجِّ في يوم عرفة لقبر الحسين رضي الله عنه فقد زعموا أن الإمام الصادق قال: (إنَّ الله تبارك وتعالى يبدأُ بالنظر إلى زوَّار قبر الحسين بن علي رضي الله عنه عشيَّة عرفة قبل نظره إلى أهل الموقف، قيل له: قبل نظره إلى أهل الموقف! وكيف ذلك؟ قال: لأنَّ في أولئك أولاد زنى، وليس في هؤلاء أولاد زنى)[2].

وعن زيد الشحام قال: قلتُ لأبي عبد الله: ما لِمن زار قبر الحسين - رضي الله عنه -؟ قال: (كان كمن زار الله في عرشه)[3].

ورووا أنَّ أبا عبد الله قال: (ألا تزورُ من يزوره الله مع الملائكة، ويزوره الأنبياء، ويزوره المؤمنون..)[4].

وَسَأَلَ هارون ابن خارجة الإمام أبو عبد الله: (عمَّن ترك زيارة قبر الحسين «ع» من غير علَّة، فقال: هذا رجلٌ من أهل النار)[5].

وأما عن اعتقادهم في فضل الصلاة عند قبر الحسين فقد نسبوا إلى أبي عبد الله أنه قال عن الصلاة في حرم الحسين: (لكَ بكلِّ ركعة تركعها عنده كثواب من حجَّ ألف حجة، واعتمرَ ألف عمرة، وأعتق ألف رقبة، وكأنما وقف في سبيل الله ألف ألف مرَّة مع نبيٍّ مرسل)[6].

---

(١) بحار الأنوار (٩٨/ ٣٣)، (١٠١/ ٣٣)، وكامل الزيارات (ص: ٢٦٦).
(٢) تهذيب الأحكام (٦/ ٥٠)، ومستدرك الوسائل (١٠/ ٢٨٢).
(٣) كامل الزيارات (ص: ١٤٧و١٧٤)، وبحار الأنوار (٩٨/ ٧٦)، ومستدرك الوسائل (٢/ ١٩٠).
(٤) الكافي (٤/ ٥٧٩)، وبحار الأنوار (٢٥/ ٣٦١) (٩٧/ ٢٥٧).
(٥) كامل الزيارات (ص: ١٩٣)، ووسائل الشيعة (١٠/ ٣٣٦-٣٣٧).
(٦) الوافي للكاشاني (٨/ ٢٣٤)، وتهذيب الأحكام للطوسي (٦/ ٧٣)، ووسائل الشيعة للعاملي (١٤/ ٥٦٨).

ويذكر بعض الإمامية من الآثار الحسنة لزيارة قبور الأئمة ما ذكره عبد الله شبر بعد إيراده بعض النصوص في فضل زيارة الأئمة ما نصه: "ومن الطبيعي أن الإنسان إذا زار عظيماً من أمثال المعصومين عليهم السلام أن يتأثر بروحهم، ويتغير من سيِّئ إلى حسن، ومن حسن إلى أحسن. وهذا ما نجده في غالب أولئك الذين يوفقون لزيارة النبي وأهل بيته الكرام. وكم رأينا عصاه آثمين تغير مسيرهم بزيارة أهل البيت، وانقلبوا نفسياً وفكرياً من الشذوذ إلى الصراط المستقيم"[1].

ويقول عبد الله شبر: "وإن شعائر الحج إلى الضرائح القدسية المنورة بتلك الأجساد الطيبة، والهياكل الملكوتية، ومناسك الزيارة للمشاهد المشرفة بمضاجع أمناء الله على وحيه، وودائع سره، لمن أفضل ما ندب إليه الأئمة الأطهار. . . . . فإن فيه تتجه ألباب شيعتهم، وتتصرف قلوب مواليهم إلى ما يلم شعثهم، ويؤلف شتاتهم، ويجمع كلمتهم، ويشد عرى جماعتهم. . . ."[2].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وقد صنف شيخهم ابن النعمان - المعروف عندهم بالمفيد -، وهو شيخ الموسوي والطوسي - كتاباً سماه (مناسك المشاهد)، جعل قبور المخلوقين تحج كما تحج الكعبة البيت الحرام"[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأول من وضع هذه الأحاديث في السفر لزيارة المشاهد التي على القبور أهل البدع من الروافض ونحوهم الذين يعطلون المساجد ويعظمون المشاهد التي يشرك فيها ويكذب فيها ويبتدع فيها دين لم ينزل الله به سلطاناً، فإن الكتاب والسنة إنما فيهما ذكر المساجد دون المشاهد"[4].

---

(١) الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة (ص: ١٠).
(٢) السابق (ص: ١٧).
(٣) منهاج السنة النبوية (١/ ٤٧٦).
(٤) انظر: الرد على الأخنائي (ص: ٤٧).

ولقد تتبع محمد البنداري الروايات الشيعية في زيارة القبور وتعظيمها، ودرسها، وقارن بينها، وكشف ما فيها من التناقض والغلو، ويقول: "بلغ عدد الأحاديث المروية في هذا المجال ما يقارب (٤٥٨) حديثاً، منها (٣٣٨) في زيارة قبر الحسين، والبقية في زيارة قبور الأئمة عامة"(١).

ويقول محمد مهدي الحائري: "وينبغي لكل من يتقرب إلى الله تعالى.... أن لا يترك زيارتهم وحضور مشاهدهم الشريفة والتوسل بهم والاستشفاع بهم، .... وتعظيمهم إذ هو تعظيم لشعائر الله وتعمير قبورهم...".

ثم يتذكر ما فعله أهل التوحيد بامتثالهم أوامر الله تعالى ورسوله فيقول: "آه آه آه، الأسف كل الأسف على قبور أئمتنا وسادتنا في البقيع وغير البقيع، مضى عليها سنون وهي مهدومة.... فاسمع هذه الثلمة التي ثلمت في الإسلام في هذا العصر المشؤوم من هذه الطائفة الوهابية وانظر ما صدر منهم في الطائف ومكة المشرفة والمدينة المعظمة....".

ثم ذكر هدمهم للقباب المتبركة بزعمه فذكر حتى قبة أبي طالب وعبد المطلب... ثم يقول: "ثم منعوا الناس قول: يا رسول الله، ويضربونهم، وجعلوا ينادون غيرهم بلفظ يا مشرك ويا كافر، ويرمون من قال: يا محمد، يا رسول الله، بالكفر والشرك... ومنعوا عن مسح قبر النبي للتبرك والالتصاق به والتوجه إليه حال الدعاء..."(٢).

كما تعرض الخميني لأهل الحق الذين ينكرون هذه الأعمال الشركية ناصحين لله تعالى ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، فيلقبهم بالمشاغبين، ويصفهم بأنهم من

(١) التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي (ص: ٢٥٥).
(٢) شجرة طوبى (١/ ١٥٣ - ١٥٥).

شتات الوهابيين، ويزعمون أن أهل الحق لم يهاجموا الشيعة وحدهم، بل هاجموا (جميع المسلمين من الشيعة وأهل السنة، بل وجميع الفرق الدينية، مشركين وكفاراً) محتجاً على صحة ما ذهب إليه الإمامية والقبورية بأن جميع هؤلاء قد اتفقوا على مشروعية إقامة القبب والأضرحة الضخمة، وأنهم قد شيدوا الكثير منها على قبور الأنبياء والأئمة والأولياء والصالحين بزعمه، ثم وصف من سماهم بالمشاغبين بأنهم (يحصرون التوحيد بحفنة من رعاة الإبل المحرومين من الحضارة، وزمرة من شذاذ الآفاق من السائرين خلف هؤلاء). وقال أيضاً: "في كل عام يتوجه مئات الآلاف من الإيرانيين إلى العراق والحجاز، ويجدون أن قبر الرسول يقام في وسط بلد سيِّئ المذهب"[(1)].

ثم ذكر الخميني حديثاً مكذوباً في فضل زيارة قبور الأئمة والبناء عليها فقال: "ينقل الشيخ الطوسي عن أبي عامر - واعظ أهل الحجاز - قوله: إنني ذهبت إلى الصادق، وسألته ما هو أجر من يزور أمير المؤمنين ويبني قبره؟ "فرد عليه فيما رفعه إلى رسول الله يقول لعلي بن أبي طالب، فقال: "إن الله جعل قبرك وقبور أولادك بقعة من بقاع الجنة، وصحناً من صحونها، وإن الله أدخل في قلوب المختارين من خلقه حبكم، وجعلهم يتحملون الأذى والذل، من أجلكم، ويقومون بإعادة قبوركم، ويأتون لزيارتكم تقرباً إلى الله وزلفى إلى رسول الله، وهؤلاء مشمولون بشفاعتي يا علي... إن من يبني قبوركم، ويأتي إلى زيارتها، يكون كمن شارك سليمان بن داود في بناء القدس، ومن يزور قبوركم يصيبه ثواب سبعين حجة، غير حجة الإسلام، وتمحى خطاياه، ويصبح كمن ولدته أمه تواً. إنني أبشرك بذلك، وبشر أنت محبيك بهذه النعمة التي لم ترها عين، ولم تسمعها أذن، ولم تطرأ على

---

(1) انظر: كشف الأسرار (ص: ٧٩-٨١).

بال أحد. إلا أن هناك توافه من الناس يلومون زائري قبوركم، كما يلومون المرأة الزانية، إن هؤلاء شرار أمتي، والله لا يشملهم بشفاعتي. . "[1].

وقد غلوا كثيراً في وصف ثواب الزائر لهذه المشاهد، وقاسوها بالحج، ففي كل زيارة يكتب لك عدد من الحجات، وأحياناً تحتسب لك مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم...

فمثلاً: «من زار الرضا عليه السلام أو واحداً من الأئمة عليهم السلام فصلى عنده صلاة، فإنه يكتب له بكل ركعة ثواب من حج ألف حجة، واعتمر ألف عمرة، وأعتق ألف رقبة، ووقف ألف وقفة في سبيل الله مع نبي مرسل، وله بكل خطوة ثواب مائة حجة، ومائة عمرة، وعتق مائة رقبة في سبيل الله، وكتب له مائة حسنة، وحط منه مائة سيئة»[2].

أما ما ينفقه من المال في زيارته، فإنه أكثر ثواباً مما ينفقه في حجه وعمرته: عن ابن سنان قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، إن أباك كان يقول في الحج يحسب له بكل درهم أنفقه ألف، فما لمن ينفق في المسير إلى أبيك الحسين عليه السلام؟ فقال: يا ابن سنان يحسب له بالدرهم ألف وألف حتى عد عشرة، ويرفع له من الدرجات مثلها، ورضا الله خير له، ودعاء محمد ودعاء أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام خير»[3].

إن بناء أضرحتهم، يكون عبارة عن بيت نحاسي مشبك حول القبر، على مساحة ما يقارب العشرين متراً مربعاً، بداخل المسجد، ويمكنك عبر الزجاج الداخلي للغرفة أن ترى القبر، وفي هذا الزجاج فتحة ممتدة بالعرض، يرمي فيها الزائر ما تيسر وما لم يتيسر من أموال، راغباً أو راهباً.

---

(١) كشف الأسرار (ص: ٨٣ - ٨٤).
(٢) بحار الأنوار (٩٧/ ١٣٧ - ١٣٨).
(٣) السابق (٩٨/ ٥٠).

ومن الروايات المزعومة التي تجعل الإمامي يبذل بسخاء إذ تعوضه عن الدرهم عشرة آلاف: «عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يا علي - هو راوي الخبر - بلغني أن قوماً من شيعتنا يمر بأحدهم السنة والسنتان لا يزورون الحسين عليه السلام، ... أما والله لحظهم أخطؤوا، وعن ثواب الله زاغوا، وعن جوار محمد صلى الله عليه وآله تباعدوا قلت: جعلت فداك في كم الزيارة؟ قال: يا علي إن قدرت أن تزوره في كل شهر فافعل، قلت: لا أصل إلى ذلك لأني أعمل بيدي وأمور الناس بيدي، ولا أقدر أن أغيب وجهي عن مكاني يوماً واحداً، قال: أنت في عذر ومن كان يعمل بيده، وإنما عنيت من لا يعمل بيده ممن إن خرج في كل جمعة هان ذلك عليه، أما إنه ما له عند الله من عذر ولا عند رسوله من عذر يوم القيامة، قلت: فإن أخرج عنه رجلاً فيجوز ذلك؟ قال: نعم وخروجه بنفسه أعظم أجراً وخيراً له عند ربه»[1] ويجوز أن يخرج رجلاً عنه؛ لأن هذا يفي بالغرض.

وأما الصوفية فليسوا ببعيدين عما وقعت فيه الإمامية من تعظيم القبور وعبادتها، وإجراء الأجور الوفيرة على زيارتها، بل فاقت الصوفية غيرها بالكم الهائل من المزارات والأضرحة حتى بلغت في مصر - على سبيل المثال - أكثر من ألف ضريح للأولياء وغيرهم، والتي تثبت عندهم قدسيتها بمجرد الاعتقاد فيها، أو ثبات مكانتها برؤية منامية.

قال الدباغ: "إن قلوب أمة محمد لها شأن عظيم عند الله، ولو أنها اجتمعت على موضع لم يدفن فيه أحد، وظنت فيه ولياً، وجعلت ترغب إلى الله في ذلك الموضع، فإن الله يسرع لها بالإجابة. . . ."[2].

وما أقرب هذا القول من فتوى جعفر العاملي لسائل توجه له بوجود خلاف كبير حول ضريحي الإمام الحسين، والسيدة زينب، هل هما حقاً في مصر؟

---

(١) السابق (٩٨ / ١٢)، وكامل الزيارات (ص: ٢٩٥).

(٢) الإبريز (ص: ٤٢٧).

فقال العاملي بعد أن نهى عن إثارة جدل من هذا القبيل حول هذه الأماكن الشريفة: "إن مجرد انتساب المقام لأهل البيت عليهم السلام يكفي مبرراً لاتخاذه موطناً للدعاء والابتهال، وداعياً للارتباط به سبحانه بسببهم وعن طريقهم صلوات الله وسلامه عليهم"[1].

وأما الصوفي محمد مهدي الرواسي الرفاعي، فقد صنف كتاباً ضخماً سماه "بوارق الحقائق" يصف فيه ما لاقاه في رحلاته الطويلة في زيارات مشاهد وقبور من يعظمهم أو يعبدهم من المقبورين في مختلف البلاد الإسلامية. وكثيراً ما يزعم أن رسول الله ﷺ أو غيره يأمره بزيارة قبر فلان وفلان[2].

ويزعم أنه في تلك الزيارات استمد من أولئك الأموات إمدادات روحانية، وفيوضات عرفانية، وكشوفات نورانية، وعلوماً لدنية.

يقول مثلاً في زيارته لقبر موسى بن جعفر الكاظم ما نصه: "صباح يوم الجمعة، انكشف لي مع حضوري حجاب الإسدال عن عوالم الأرواح، فأحدقت بي من كل جانب، أرواح الأئمة الطاهرين، والآل المرضيين، والمشايخ العارفين، والمحبين، والمقربين، وعباد الله الصالحين، وأعظم روح قام.... هي روح سيدنا ومولانا، باب الحوائج إلى حضرة الصدق في مقام التوكل المحض بمشهد التسليم، الإمام موسى الكاظم، فحبى مظهر مطافي من حنان روحه الطاهرة الإمامية"[3].

وفي زيارته لقبر الحسين بن علي رضي الله عنهما يقول: "..... فدخلت المشهد الأنور الحسيني، فحفت بي شهداء الحضرة من كل جانب، ورأيت لامعة نور النبي تتجلى في ذلك المشهد، ورأيت الخضر عليه السلام يطوف بالمرقد، ورأيت

(١) انظر: مختصر مفيد (٩/ ١١٠).
(٢) بوارق الحقائق (ص: ٢١٤).
(٣) بوارق الحقائق (ص: ٢١٣).

القطب الغوث صاحب الوقت بيده مكنسة، ويكنس حائط القبة. . . . "[1].

وذكر الصيادي عن علي بن الحسين، زين العابدين فيما نسبه إليه قال: "من خرج من بيته لزيارة ولي لله تعالى، لم يزل يخوض في الرحمة حتى يرجع إلى مكانه، ويغفر له ذنوب ألف عام، ويكون غداً في جوار الرحمن"[2].

وذكر فيما نسبه إلى الباقر قوله: "لو علم الزائر لمن يزور، وما له من الأجر، لمشى، ولو على أجفان عينيه عوضاً عن قدميه"[3].

ثم زعم أن عارفاً يقال له البجلي، " رأى رسول الله ﷺ في المنام. فقال له: علمني شيئاً! فقال: وقوفك بين يدي ولي لله كحلب شاه، أو كشي بيضة، خير لك من أن تعبد الله حتى تتقطع إرباً إرباً. قال: حياً كان أو ميتاً؟ قال: حياً كان أو ميتاً"[4].

وينقل عبد الحليم محمود عمن وصفه بقاضي القضاة أنه قال عن قبر وضريح أبي العباس المرسي: "قبر سيدي أبو العباس عندنا ترياق مجرب. ما قصد الله عنده أحد في شيء إلا استجاب له، كما قال أهل بغداد في قبر سيدنا معروف الكرخي. . . "[5]

كما ذكر عبد الحليم محمود ضريح أبي مدين فقال: "وقبر الشيخ أبي مدين معهود مشهود، وحوض للزائرين. رأيت قبور الأنبياء كثيراً، فما رأيت أنور من قبره، ولا أشرق ولا أظهر من سره، وليس الخبر كالعيان، والدعاء عنده مستجاب، قاله الأعيان. وقد وقفت على ذلك غير ما مرة، وأخبرني به من جربه واختبرته"[6].

---

(١) السابق (ص: ٢١٦ – ٢١٧)، ولا يخفى ما في هذا النص من الإشارة إلى عقائد إمامية.
(٢) السابق (ص: ٢٢٣).
(٣) السابق (ص: ٢٢٣).
(٤) السابق (ص: ٢٢٣).
(٥) العارف بالله أبو العباس المرسي (ص: ١٧٢).
(٦) أبو مدين الغوث (ص: ١٤٩).

ويقول محمد زكي إبراهيم: "وقصد الأماكن، والمعالم المباركة التي يرجى فيها استجابة الدعاء، والتوسل كالمساجد، والأضرحة، شرع منصوص"[1].

وأما إنفاق المال عند قبور الصوفية فأذكر على ذلك مثالاً بالتكية البكتاشية التي هي في الغالب عبارة عن ضيعة كبيرة بها قصر فخم وقبور مزخرفة مبنية، ويقيم بها الدراويش أبداً منقطعين للخدمة، وقد تضم التكية آلاف المواشي والأنعام من البقر والغنم، وتأتيها الإتاوات والأرزاق من منتسبي التكية في القطر. إذ لا يجوز للزائر الدخول إليها إلا وهو يحمل شيئاً ما يقدمه قرباناً.

(١) الإفهام والإفحام، أو قضايا الوسيلة والقبور (ص: ٤٨).

المطلب الثاني
المزارات والطقوس القبورية المشتركة بين الإمامية والصوفية

أولاً: المزارات المشتركة بين الإمامية والصوفية:

المشاهد المنسوبة لأهل البيت وغيرهم مما تعظمها الإمامية والصوفية كثيرة جداً، ومنها حسب التسلسل التاريخي:

١- مرقد مالك الأشتر يقع في مصر بالقرب من المرج وهي ضاحية من ضواحي القاهرة ويسمى بقبر العجمي[١].

٢- مشهد رأس الحسين رضي الله عنه وقد اختلفت الروايات في المكان الذي دفن فيه الرأس فقيل دمشق وقيل القاهرة أو عسقلان وقيل في غيرها[٢]. ولكن المتفق عليه عند الإمامية أن رأس الحسين ملحق ببدنه بكربلاء[٣].

---

(١) انظر: مراقد المعارف. محمد حسين حرز الدين (٢/ ٢٢٤).
(٢) انظر: أهل البيت في مصر. عبد الحفيظ فرغلي(ص: ٤٤).
(٣) انظر: إعلام الورى بأعلام الهدى. الطبرسي (ص: ٢٥٠).

وقال محسن الأمين: ومشهد رأس الحسين عليه السلام معظم مزور وحالة المصريين فيه تشبه حالة العراقيين[1].

وقد قامت العشيرة المحمدية بجهود كبيرة لإنشاء واجهة عظيمة للمشهد الحسيني تتناسب ومنزلته في القلوب[2].

٣- المشهد الزينبي في مصر وهو على الصحيح لزينب بنت يحيى بن زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنه وليست زينب بنت علي أخت الحسين التي قبرها موجود في قرية راوية قرب دمشق الشام[3].

٤- مرقد السيدة نفيسة وهي نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي ومشهدها بالقاهرة وقد خصه الإمامية بورد زيارة السيدة نفيسة عليها السلام. في: (روضة الزائر في زيارات مشاهد أهل بيت الرسول بالقاهرة) لمحمد دانشيار.

هذا بالإضافة إلى عدد من الرؤوس الشريفة للكبار من أهل البيت وبعض ذرية الإمام جعفر الصادق ومراقد لآل أبي طالب بمصر تصل إلى العشرات[4].

ثانياً: أهم المظاهر والممارسات التي تقام في الزيارات:

يمكن تلخيص أهم المظاهر والممارسات المشهورة عند الفرقتين بما يلي:

١ - دعاء المقبور والاستغاثة به وسؤاله قضاء الحوائج وتفريج الكربات، بل والإلحاح في الدعاء والمسألة على المقبورين، وهذا الاعتقاد ناشئ عن إعطاء الإمامية والصوفية صفات الربوبية للأئمة والأولياء. بل يعتقد بعضهم في هؤلاء المقبورين من

(١) رحلات السيد محسن الأمين (ص: ٢٥).
(٢) انظر: مراقد أهل البيت في القاهرة. محمد زكي إبراهيم (ص: ٤٩).
(٣) انظر: مشاهد العترة الطاهرة. عبد الرزاق كمونة (ص: ٢٤٩)، ومراقد أهل البيت في القاهرة (ص: ٥٩).
(٤) انظر في تفصيل ذلك: الشيعة في مصر (ص: ١٧٨-٢١٥).

صفات الربوبية ما هو من خصائص الله عز وجل من علم الغيب، والتأثير في الكون، وجلب النفع، ودفع الضر.

٢ - تقديم القرابين والنذر والذبائح للضريح من القبوريين، وذلك بسوق هذه الأنعام من أغنام وأبقار وغيرها من النذر، كالسمن والعسل وتقديمها إلى الإمام أو الولي بزعمهم، بما في ذلك ذبح هذه الأنعام تقرباً إلى هذا المقبور.

٣ - التبرك بالقبر والتمرغ بترابه وتقبيله أو أخذ شيء من تراب القبر وأكله أو جعله في وعاء للاستشفاء به، واعتبار ذلك من أشرف الهدايا، وأفخر أنواع الطيب[1].

٤ - الطواف حول القبر أو السعي بين قبرين متقاربين سبعة أشواط طوافاً أو سعياً.

٥ - العكوف عند بعض الأضرحة والقبور أياماً محددة التماساً للشفاء، أو لقضاء حاجة، أو تفريج كربة، وإظهار الخشوع والسكينة والوجل والخشية والتأثر عند القبر والضريح.

٦ - امتهان القبور بالمشي عليها ووطئها بالأقدام والقعود فوقها واللعب بين جنباتها.

٧ - الغناء والرقص ودق الطبول والمزامير والاحتفال بهذه الزيارات وأيامها كالاحتفال بأيام الأعياد.

٨ - الاختلاط بالنساء والخلوة بهن وما يتبع ذلك من المنكرات والفواحش، ووقوع النساء في النهي عن زيارة القبور.

٩ - اتخاذ القبور أعياداً وذلك بالبناء عليها وتجصيصها وتشييد القباب والغرف فوقها وحواليها، وأن تكسى بأفخر الثياب، وترصع بالذهب[2].

---

(١) انظر: تاريخ النور السافر (ص: ٤٢٧).
(٢) انظر: الصوفية في تهامة اليمن. عبد الله المصلح (ص: ٦٧ - ٦٨)، والصوفية في حضرموت. أمين السعدي (ص: ٨٤٤).

١٠- حمل الأعلام السود، والضرب بالسلاسل الحديدية عند إظهار شعائر الحزن على أهل البيت[١].

ثالثاً: آداب زيارة الأضرحة عند أصحاب الفرقتين:

جاء في بعض مصادر الإمامية آداب زيارة القبور والأضرحة، ومن ذلك:

١ - الغسل قبل دخول المشهد.

٢ - تجنب التكلم باللغو والخصام والجدال في الطريق.

٣ - الوقوف والاستئذان بالمأثور -عندهم-[٢].

٤ - الإتيان بخضوع وخشوع.

٥ - أن يلبس ثياباً طاهرة نظيفة جديدة، ويحسن أن تكون بيضاء[٣].

٦ - أن يتطيب بشيء من الطيب فيما عدا زيارة الحسين رضي الله عنه.

٧ - صلاة ركعتين إلى القبر وجوباً[٤].

٨ - أن يشغل لسانه في الطريق بالتكبير والتحميد والتهليل والتسبيح، والصلاة على محمد وآله.

٩- الوقوف على الضريح وتقبيله: قال محمد الشيرازي: (نُقَبِّلُ أضرحتهم،

---

(١) مثل هذه المظاهر تصل من بعض الجهلة عند مشهد رأس الحسين ومشهد السيدة زينب. انظر: الشيعة في مصر (ص: ١١٠).

(٢) بحار الأنوار (٩٧/ ١٣٤) و(١٠١/ ٣٦٩). وانظر: مفاتيح الجنان. عباس القمي (ص: ٣٤٣).

(٣) بحار الأنوار (٩٧/ ١٣٤).

(٤) السابق (١٠٠/ ١٢٨-١٣٤)، وانظر: تحرير الوسيلة للخميني (١/ ١٥٢)، والاحتجاج للطبرسي (٢/ ٣١٢).

كما نُقبِّلُ الحجر الأسود، وكما نقبل جلد القرآن)[1]. وقالوا: (لا كراهة في تقبيل الضرايح، بل هو سُنةٌ عندنا)[2]. ووضع الخدِّ عليه[3].

١٠ - الطواف بالقبر (إلاَّ أن نطوفَ حول مشاهدكم)[4]. وما صدر من روايات - عندهم- تنهى عن ذلك ومنها: (ولا تطف بقبر)[5]. فقد ردَّ المجلسي بقوله: (يُحتملُ أن يكون المراد بالطواف المنفي هنا: التغوُّط)[6]!

وعن الإمام الصادق سأله أحد الأصحاب عن كيفية زيارة الحسين فقال: إذا أتيت أبا عبد الله عليه السلام فاغتسل على شاطئ الفرات ثم البس ثيابك الطاهرة... ثم امشي إليه حتى تأتيه من قبل وجهه واستقبل بوجهك القبلة وتجعل القبلة بين كتفيك[7].

١١ - الانكباب على القبر والدعاء بالمأثور: ومنه قولهم: (إذا أتيتَ الباب، فقف خارج القبة، وأوم بطرفك نحو القبر، وقل: يا مولاي يا أبا عبد الله يا ابن رسول الله: عبدك وابن عبدك وابن أمتك، الذليلُ بين يديك، المقصِّرُ في علوِّ قدرك، المعترف بحقك، جاءك مستجيراً بذمتك، قاصداً إلى حرمك، متوجِّهاً إلى مقامك..)، ثمَّ انكب على القبر وقل: (يا مولاي أتيتُكَ خائفاً فآمنِّي، وأتيتُكَ مُستجيراً فأجرني، وأتيتُكَ فقيراً فأغنني.. يا سيِّدي أنتَ وليي ومولاي..)[8].

---

(١) مقالة الشيعة. محمد الشيرازي (ص: ٨).
(٢) بحار الأنوار (١٠٠/ ١٣٦).
(٣) عمدة الزائر لحيدر الحسيني (ص: ٣١).
(٤) بحار الأنوار (١٠٠/ ١٢٦)، ومستدرك الوسائل (١٠/ ٣٦٦).
(٥) علل الشرائع للقمي (ص: ٢٨٣)، وبحار الأنوار (١٠٠/ ٢٢٦)، وانظر: الكافي (٦/ ٥٣٤).
(٦) بحار الأنوار (١٠٠/ ١٢٧).
(٧) انظر: كامل الزيارات (ص: ٢١٨-٢٢٣).
(٨) بحار الأنوار (١٠١/ ٢٥٧-٢٦١).

وجاء في بحار الأنوار في زيارة العباس بن علي: «ثم انكب على الضريح وقبل التربة -على هيئة السجود- وقل: السلام عليك يا أول مظلوم انتهك دمه وضيعت فيه حرمة الإسلام، فلعن الله أمة أسست أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت، أشهد أني سلم لمن سالمت، وحرب لمن حاربت، مبطل لما أبطلت، محقق لما حققت، فاشفع لي عند ربي وربك في خلاص رقبتي من النار، وقضاء حوائجي في الدنيا والآخرة»[1].

ويقول الكسروي: "من منكراتهم ما هو رائج فيهم من عبادة القبب فقد شادوا على كل قبر واحد من أئمتهم قبة من الذهب، أو الفضة، وبنوا مباني ونصبوا خدماً، فيقصدها الزائرون من كل فج عميق فيقومون أمام الباب متواضعين، ويستأذنون متضرعين، ثم يدخلون فيقبلون القبر، ويطوفون حوله ويبكون ويبتهلون ويسألون حاجاتهم لهم. . ."[2].

وأما الصوفية فقد جاءت جملة من آداب الزيارة عندهم في رسالة: "إتحاف الأذكياء بخلاصة آداب زيارة أضرحة السادة والأولياء"، وفيها عشرون أدباً من آداب زيارة أضرحة السادة الأولياء، ومنها - مما يتوافق مع آداب الزيارة عند الإمامية-:

١- الغسل والوضوء قبل الذهاب إلى المقام، والدخول على طهارة وبثياب نظيفة.

٢- الاستغفار مع حضور القلب قبل الدخول (١١ مرة) حتى يدخل بطهارة باطنية كما دخل بطهارة ظاهرية.

٣- الوقوف على باب الضريح والاستئذان بالدخول.

٤- خلع النعلين عند الدخول والدخول بالقدم اليمين في أدب وسكينة وهدوء.

---

(١) السابق (٩٨/ ٢٣٧)، ومصباح الزائر (ص: ١٢٠).

(٢) التشيع والشيعة (ص: ٨٩).

٥- ثم تقول: لا إله إلا الله (١١ مرة) وآخرها: محمد رسول الله حتى تحضر روحانية الولي عند الذكر إذا كانت غائبة في عوالم الملكوت.

٦- ثم تقول: يا سيدي فلان شيء لله المدد (١١ مرة).

٧- ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم (١١ مرة).

٨- ثم تدعو الله بما يفتح عليك عند المقام حيث تبسط يدك إلى السماء طالباً من الله حاجتك الدنيوية والأخروية مستقبلاً ضريح الولي فيُؤَمِّنُ الولي على دعائك.

٩- ثم تقول بخشوع ورقة وانكسار قلب: لن أبرح الباب حتى تصلحوا عوجي.

١٠- احترام السدنة وخدمة المقام والإحسان إليهم.

١١- الفاتحة لصاحب المقام وتطلب الإذن بالانصراف وتقول: حضرتكم يا سيدي لا يُمل منها لكني ذو حاجة وهمتي قصرت وضعفت ومرادي أن أنصرف من عند مقامكم.

١٢- عند الانصراف تخرج القهقرى دون أن تعطي ظهرك للولي مع إعطاء الصدقة للمحتاجين في تلك البقعة[1].

وجاء في منظومة "المرشدة اللطيفة لزائر الأضرحة الشريفة" من نظم شهاب الدين الزوي الفيتوري القادري:

يا قاصداً للسادة الأبرار

ابشر منحت نفحة الأسرار

(١) انظر: جامع كرامات الأولياء (٢/ ١٧٦)، وموقع منتدى الأصلين على الرابط:
http://www.aslein.net/showthread.php?t

وقبل أن تشرع في الذهاب
جدد وضوك واتبع خطابي
إن الوضوء دائماً محبب
لمن يزور الصالحين يندب
واخرج إلى الزيارة البهية
في صورة وهيئة نقية
فإن وصلت للولي فاخلعن
نعليك فوراً واخشعن
وادخل بيمناك إلى الضريح
في غاية التأدب الصحيح
وادع بما تشا إلى الرحمن
بالعلم والصلاح والأمان
وكل خير في الدنا والآخرة
بجاه كل طاهر وطاهرة
واختم دعاك قائلاً يا ربنا
فرج علينا واكفنا ما همنا
واغفر ذنوبي واسترن عيوبي
فرج كروبي واكشفن خطوبي
وفي ختام الدعوات الصالحة
قل يا إلهي استجب بالفاتحة

واجلس منحت الخير في المقام
بكامل الصمت والاحترام
واقرأ هديت قل هو الله أحد
عشراً وزدها واحداً كما ورد

ومن خلال هذا العرض الموجز للمزارات المشتركة، والمظاهر التي تحصل عند القبور، وآداب الزيارة؛ تتبين لنا صور التلاقي بين الفرقتين في الطقوس القبورية. يقول الموسوي: "إن الغلو العملي يتجسد في طلب الحاجات الدنيوية والأخروية من الأئمة والاستغاثة بصورة مباشرة، كما أن تقبيل الأضرحة هو أمر شائع في مراقد الأئمة والأولياء معاً... لقد زرت مقابر الأولياء في كثير من البلاد الإسلامية فرأيت الزائرين فيها على النمط الذي نراه في مشاهد أئمتنا.."(1).

ثم ذكر أن هذه الحال نفسها تحصل في كنائس النصارى من التبرك بتمثال المسيح، وبأقدام العذراء، وكذلك ما يحصل في معابد البوذيين والهنود والسيخ من تقديم القربان، وطلب الحاجات، وتقبيل التماثيل والركوع والخضوع والخشوع أمامها(2).

---

(1) الشيعة والتصحيح (ص: ١٠٤).
(2) انظر: السابق (ص: ١٠٥).

المبحث الثاني
مراحل الترقي في المذهب

المطلب الأول
التقارب في المناهج التربوية

في هذا المطلب أعرض بإيجاز ملامح السير في الطريق الصوفي، وأصل القاعدة التربوية عند الإمامية، مشيراً إلى أبرز جوانب الالتقاء بين الصوفية والإمامية في المناهج التربوية.

حيث إن الأساس الذي يمثل منهج السائر في الطريق الصوفي ينقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسة، أولها: مراحل السير والسلوك من أجل الوصول إلى الكمال، وهو يختص بقلب الإنسان المريد، وهذه المراحل هي: مرحلة التخلية، ومرحلة التحلية، ومرحلة التجلي.

والقسم الثاني: هو المقامات التي يمر بها الصوفي في طريق الوصول وهي: التوبة، والورع، والزهد، والفقر، والصبر، والتوكل، والرضا.

أما القسم الثالث فيتضمن "الأحوال" التي يجب أن يكون عليها الصوفي وهي: المراقبة، والقرب، والمحبة، والخوف، والرجاء، والشوق، والأنس، والاطمئنان، والمشاهدة، واليقين[1].

والإمامية تقوم في منهجها التربوي على مقولة الإمامة أي أن الذي يقوم بالدور التربوي الذي كان يملكه النبي ﷺ.... وكذلك يتصدى للحكومة وتدبير الأمور في الأمة الإسلامية، وتطبيقها ونشر الحق والعدالة في العالم، وهذا الشخص الذي يقوم بكل هذه المسؤوليات والوظائف عند الشيعة هو "الإمام" ولا يمكن فهم القرآن والسنة أو تطبيق الشريعة إلا عن طريق الإمام من قبل النبي ﷺ بوصفه واسمه، وهو امتداد للنبوة في الوظائف، لا في المنصب، "فإذا كان دور النبوة قد انتهى، فإن دور الولاية يبدأ بذلك الانتهاء، ودور الولاية هو دور الإمام الذي يعقب النبي.. فلابد للكتاب من قيِّم يناط به العلم علماً كاملاً، فنص القرآن وحده لا يكفي؛ لأنه فضلاً عن معناه المستور وراء ظاهره يشتمل على تناقضات ظاهرية، لا ترفع بالتأويل... وهو تأويل لا ينفع فيه اللجوء إلى الجدل الكلامي القائم على منطق العقل وقياسه، وإنما يحتاج الأمر إلى رجل ملهم ورث عن سلفه إرثاً روحياً يمكنه من الإلمام بالظاهر والباطن معاً في وحدة متصلة، وهذا هو من يوصف بأنه حجة الله، أو قيِّم الكتاب أو الإمام[2].

وفي حين أن المدرسة الصوفية تغلب المنهج الكشفي والذوقي في التربية – كما سبق–، وتبني المدرسة الإمامية منهاجها التربوي على مقولة الإمامة بوصفها عنصراً أساساً؛ إلا أن الصوفية والإمامية تلتقيان في بعض المرتكزات التربوية، والتي من أبرزها:

(١) انظر: الإحياء (٣/ ١٣٧٧).

(٢) تجديد الفكر العربي. زكي نجيب محمود (ص: ٢١٣-٢١٤).



١- الارتباط الظاهر والباطن بالشيخ والإمام:

يعتمد المنهج التربوي الصوفي بصورة أساسية على مقام "الإمام" وإن اختلف الشكل، حيث يقوم "الشيخ" أو "الصحبة" بدور الإمام، إذ لابد في النسق التربوي عند الصوفية من وجود "شيخ" أو "صحبة" للمتعلم، حتى يبين له الطريق، ويوضح له الحق من الباطل، وهذا جعل بعض الغلاة من الصوفية يقولون: "إن الدين طاعة رجل"، وقال أحد المشائخ: "فو الله ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح"[١].

وهذا الاتجاه التربوي الذي اشترك فيه الصوفية والإمامية مستند إلى القول بالظاهر والباطن في مسائل الدين وأن الباطن وهو الحقيقة لا يفهمه إلا الخواص وهم الشيوخ والأئمة.

هذا بالإضافة إلى مذهبهم في عصمة الأئمة، وحفظ الشيوخ. قال ابن عربي: "إن من شرط الإمام الباطن أن يكون معصوماً"[٢].

ولم يقف الأمر عند حد الطاعة والتعظيم للشيخ والإمام بل تعداه إلى دوام استحضاره في القلب، ومراقبته في السر والعلن، ورجاء إدخاله الجنة وتنجيته من النار، وتحريم كتمان الأسرار والأحوال عن الشيخ، والاعتقاد بأنه مطلع على الخواطر وعالم بما تكنه الضمائر، وأنه أعلم بأسرار المريد من نفسه.

ومن شواهد ذلك ما ذكره محمد عثمان بن محمد أبي بكر الميرغني في أدب المريد مع شيخه إذ يقول: "وإذا جلست بين يديه فاجلس جلوس الصلاة لديه، وإذا تعبت فاجلس قريباً منه، غاية النظر بالأدب فيها، ولا تلتفت لغيره، وما أمرك به فافعله تنل خيره، وكن بين يديه ومعه كالميت بين يدي مغسله، يقلبه كيف يشاء، ولا يخالفه

---

(١) انظر: أبجدية التصوف الإسلامي. محمد زكي إبراهيم (ص: ١٢٦).
(٢) التصوف المنشأ والمصادر. إحسان إلهي ظهير (ص: ٢٠٤).

فيما يشاء، قائماً معه بالخدمة، وغاية الحشمة، مفداً له بروحك ومالك، وجسمك وجميع أحوالك. تسعى فيما يرضيه، ولا تلتفت لمؤذيه. . . "[1].

وقال أيضاً: "ولتكن محضره في قلبك وخيالك، فإن غفلت عنه وقتاً فهذا من مقتك. . "، ثم قال: "وأما حقوق الشيخ فكثيرة جداً، ومن أجلها ألا تقدم عليه في ظاهرك وباطنك"[2].

ويقول الدباغ: "الولي يسمع كلام الباطن كما يسمع كلام الظاهر"[3].

وقد نقل أحمد بن مبارك محاورة جرت بينه وبين شيخه عبد العزيز الدباغ فيقول: "وقلت له ذات يوم إني أخاف من الله تعالى من أمور فعلتها، فقال لي: ما هي؟ فذكرت له ما حصل. فقال لي: لا تخف من هذه الأشياء، ولكن أكبر الكبائر في حقك أن تمر عليك ساعة ولا أكون في خاطرك، فهذه هي المعصية التي تضرك في دينك ودنياك". ويقول أيضاً: "وقلت له مرة: يا سيدي، إني بعيد من الخير. فقال: اطرح عنك هذا، وانظر إلى منزلتك عندي، فعليها تحمل. . . . "[4].

فالصوفي إن رضي عنه شيخه ففي الجنة مهما اقترف السيئات، وقصر في الواجبات، كالإمامي تماماً. حيث روى الكشي بإسناده إلى عبيد بن زرارة قال: دخلت على أبي عبد الله - يعني الصادق -. . . قال: قلت: رجل أحبكم أهو معكم؟ قال: نعم. قلت: وإن زنى، وإن سرق؟ . . . فأومأ برأسه نعم[5].

---

(١) رسالة الفتح المبروك ضمن الرسائل الميرغنية. محمد عثمان بن محمد أبي بكر (ص: ٣٩).
(٢) انظر: رسالة الهبات المقتبسة ضمن الرسائل الميرغنية. محمد عثمان بن محمد أبي بكر (ص: ٢٤-٢٥).
(٣) الإبريز (ص: ٣٨٩).
(٤) السابق (ص: ٤٢٣).
(٥) رجال الكشي (ص: ٣٣٦ - ٣٣٧).

وقال الشعراني: (كان أبو سهل الصعلوكي رحمه الله يقول: كان لبعض الأشياخ مجلس يفسر فيه القرآن العظيم فأبدله بمجلس قوال، فقال مريد بقلبه: كيف يبدل مجلس القرآن بمجلس قوال؟ فناداه الشيخ: يا فلان، من قال لشيخه: لِمَ؟ لَمْ يفلح. فقال المريد: التوبة...

وزار أبو تراب النخشبي وشقيق البلخي أبا يزيد البسطامي، فلما قدّم خادمه السفرة قالا له: كل معنا يا فتى، فقال: لا، إني صائم.

فقال له أبو تراب: كل، ولك أجر صوم شهر.

فقال: لا، فقال له شقيق: كل، ولك أجر صوم سنة، فقال: لا، فقال أبو يزيد: دعوا من سقط من عين رعاية الله عز وجل، فسرق ذلك الشاب بعد سنة، فقطعت يده عقوبة له على سوء أدبه مع الأشياخ، ثم نقل عن الشيخ برهان الدين أنه قال: من لم ير خطأ الشيخ أحسن من صوابه لم ينتفع به)[1].

وبمثل ذلك قال عبد الحليم محمود نقلاً عن أحمد الدردير أنه قال: (فالآداب التي تطلب من المريد في حق شيخه أوجبها تعظيمه وتوقيره ظاهراً وباطناً، وعدم الاعتراض عليه في أيّ شيء فعله، ولو كان ظاهره أنه الحرام، ويؤول ما انبهم عليه، وتقديمه على غيره، وعدم الالتجاء لغيره من الصالحين، فلا يزور ولياً من أهل العصر، ولا صالحاً إلا بإذنه، ولا يحضر مجلس غيره إلا بإذنه، ولا يسمع من سواه حتى يتمّ سقيه من ماء سرّ شيخه)[2].

وقال أيضاً: (ومن آداب المريد للشيخ: أن لا يكثر الكلام بحضرته ولو باسطه، ولا يجلس على سجادته، ولا يسبح بسبحته، ولا يجلس في المكان المعدّ له، ولا

(١) الأنوار القدسية للشعراني (١/ ١٧٥، ١٧٦).
(٢) انظر: كتاب سيدي أحمد الدردير. عبد الحليم محمود (ص: ١١٩).

يلح عليه في أمر، ولا يسافر، ولا يتزوج، ولا يفعل فعلاً من الأمور المهمة إلا بإذنه، ولا يمسك يده للسلام مثلاً ويده مشغولة بشيء كقلم أو أكل أو شرب، بل يسلم بلسانه، وينتظر بعد ذلك ما يأمر به، وأن لا يمشي أمامه ولا يساويه في مشي إلا بليل مظلم ليكون مشيه أمامه صوناً له من مصادفة ضرر... وأن يرى كل بركة حصلت له من بركات الدنيا والآخرة فببركته... وأن يصبر على جفوته وإعراضه عنه، ولا يقول: لم فعل بفلان كذا ولم يفعل بي كذا، وإلا لم يكن مسلماً له قياده: إذ من أعظم الشروط تسليم قياده له ظاهراً وباطناً... وأن يجعل كلامه على ظاهره فيمتثله إلا لقرينة صارفة عن إرادة الظاهر، فإذا قال له: اقرأ كذا، أو صلّ كذا، أو صم كذا وجب عليه المبادرة، وكذا إذا قال له وهو صائم: أفطر وجب عليه الفطر، أو قال: لا تصلّ كذا إلى غير ذلك... وأن لا يدخل عليه في خلوة إلا بإذنه، وأن لا يرفع الستارة التي فيها الشيخ إلا بإذنه وإلا هلك كما وقع لكثير)[1].

بل بلغ الأمر من التبعية للشيخ أن قال أحد كبار الصوفية المعاصرين: "بقرآني، وآياتي، لو أمرني الشيخ أن أسجد للات لسجدت"[2].

وأخيراً أسوق هذه القصة التي ذكرها الدباغ في إبريزه وهي تمثل صورة تطبيقية عملية لكل الدروس التي يلقنونها لتلاميذهم حتى لا يلتفتوا إلى أي شيء يخالف أوامر الشيوخ مهما كان الحق واضحاً ومهما كان الشيخ منحرفاً عن الحق وعن الهدى.

ذكر الدباغ أن أحد المشايخ قال لمريده: "أتحبني؟ قال: نعم يا سيدي... فقال: أفرأيت إن أمرتك أن تأتيني برأس أبيك أتطيعني؟ فقال: يا سيدي فكيف لا أطيعك ولكن الساعة ترى. فذهب من حينه وكان ذلك بعد أن رقد الناس فتسور جدار دارهم وعلا فوق السطح ثم دخل على أبيه وأمه في منزلهما فوجد أباه يقضي حاجته من أمه،

---

(١) السابق (ص: ١١٩ - ١٢١).

(٢) انظر: تربيتنا الروحية. سعيد حوى (ص: ٢٠٢) والكلام لغيره.

فلم يمهله حتى يفرغ من حاجته ولكن برك عليه وهو فوق أمه فقطع رأسه وأتى به للشيخ وطرحه بين يديه. فقال له: ويحك أتيتني برأس أبيك؟ فقال: يا سيدي نعم. فقال له: ويحك إنما كنت مازحاً، فقال له المريد: أما أنا فكل كلامك عندي لا هزل فيه"[1].

وأما الإمامية فالأمر عندهم أشد غلواً من ذلك، وقد تبينت جوانب كثيرة منه عند ذكر خصائص الأئمة، وموقفهم من التوحيد والشرك وأصول الإيمان الاعتقادية في ضوء مذهبهم في الإمامة.

٢- التربية الوجدانية:

وتهتم التربية الوجدانية بالمشاعر والأحاسيس والعواطف والانفعالات، ومن أبرز مظاهرها:

- مودة الأئمة والشيوخ وأهل البيت والتفاني في حبهم: فعن ابن عباس: قال النبي ﷺ، وقد أرسلني إلى حاجة: "فإن أردت حاجتك فأحب علياً وذريته، فإن حبهم فرض من الله عز وجل"[2].

ويقول الشعراني: "من شأن المريد أن يصدق في محبة الشيخ"[3].

وجعل الصوفية أول مراتب الحب عند المريدين: تفاني المريد في حب شيخه، حتى يلذ لحديثه، وكأنه في حالة جماع[4].

- بغض أعدائهم: عن أبي جعفر (ع) قال: "... لا يجتمع حبنا وحب عدونا، في جوف إنسان.... فإن شاركه في حبنا حب عدونا فليس منا، ولسنا منه..."[5].

---

(١) الإبريز (ص٢١٠).
(٢) موسوعة أهل البيت في الكتاب والسنة. محمد الري شهري (ص: ٣٦٥).
(٣) الأنوار القدسية (١/ ٥٢).
(٤) انظر: إمام التصوف في مصر الشعراني. توفيق الطويل (ص: ٧٥).
(٥) موسوعة أهل البيت في الكتاب والسنة (ص: ٤٢٣).

- الحزن على فقدهم: عن الإمام الحسين (ع) قال: "ما من عبد قطرت عيناه فينا قطرة، أو دمعت عيناه فينا دمعة، إلا بوأه الله تعالى بها في الجنة حقباً"[1].

- إنشاد القصائد والأوراد بحزين النبرات المصحوبة بالنحيب والبكاء، والمحاطة بالخرق السوداء حول الجدران[2].

ويرى مفكرو الشيعة في ظاهرة "البكاء" أبعاداً عقدية، أهمها: تحويل المفاهيم الذهنية إلى إيمان قلبي، "فالأفكار والمفاهيم والقيم الكمالية والرسالية والإنسانية، إذا ما بقيت على مستوى المفهوم والنظرية، وفي إطار عالم الذهن والعقل والإدراك، لا تستطيع تحريك الإنسان؛ ولهذا فإن فكرة يراد تحريك الإنسان بها نحو عمل، أو موقف أو سلوك، لابد من النزول بها من عالم الإدراك الذهني المجرد إلى عالم القلب والعاطفة والوجدان. . . لأن الذي يحرك الإنسان إنما هو القلب، لا العقل المجرد، والقلب هو الباعث والمحرك الأساس لكل شيء، وهو الشوق والحب والعاطفة، لا الفكرة المجردة، التي مهما كانت صحيحة وسليمة وقوية من الناحية النظرية المجردة، فلا تكفي سلامتها وصحتها النظرية إذا أريد من ورائها أن تكون فاعلة ومؤثرة ومغيرة لحياة المجتمع ونمط عيشه، بل لابد من أن تكون قابلة للهبوط إلى عالم الوجدان الفردي"[3].

ويضيف محمد مهدي شمس الدين قوله: فمن أجل أن يبقى الشيعة على صلة حية بالأفكار والمبادئ الأساسية في تاريخهم، ومن أجل أن يكون لديهم -باستمرار-

---

(١) الأمالي. للمفيد. تحقيق: حسين الأستاذ ولي وآخرين، سلسلة مؤلفات المفيد (١٣ / ٣٤١).

(٢) هذه الظاهرة مشهورة عند الإمامية في حسينياتهم وقنواتهم، ولكني شاهدتها بتمامها متوافقة في المظهر والأداء على قناة الصوفية الفضائية السورية ذات التوجه الرفاعي والتي دائماً ما تنشد قصائد الرواس الصيادي.

(٣) آية الله الهاشمي الشاهرودي: "الثورة الحسينية، دراسة في الأهداف والدوافع ٢"، المنهاج، بيروت، السنة الثامنة، العدد ٣٠، ٢٠٠٣، (ص: ٢٤).

مثل أعلى خارق السمو للتضحية والفداء في سبيل الحق والعدل. ومن أجل أن يضاف على القناعة الفكرية بالعقيدة رباط عاطفي يضفي على القناعة الفكرية حرارة وقوة ومضاء في مواجهة الاضطهاد والصبر على الشدائد، ويحافظ على التماسك، ولابد أن يحاط الموقف العقلي بوهج عاطفي يرتفع بالعقدية من الحالة العقلية إلى مرتبة الحالة الشعورية"[1].

ويقوى الجانب الوجداني عند الشيعة في مظهرين رئيسيين: الأول: ظاهرة البكاء على الإمام الحسين (ع) في ذكرى استشهاده، حيث يعد البعد العاطفي من أقوى مظاهر ذكرى عاشوراء، بل إن البعض يعتبر "أن القوة الحيوية للتشيع كامنة في حالته العاطفية"[2]، حيث تتبلور ظاهرة "البكاء"، "البكائين" وهي من أهم ملامح المآتم الحسينية، إذ على الخطيب أن يستثير دموع الحاضرين، فذلك أقرب للطاعة والصلاح والتقرب من الحسين (ع)، ويستند مُؤيِّدو هذه الظاهرة من الشيعة بروايات عدة عن الحسين (ع) تجيز البكاء عليه، بل حتى التباكي -وهو اصطناع البكاء-[3].

وينسبون له أيضاً: "ومن بكى أو أبكى واحداً له الجنة، ومن تباكى فله الجنة"[4].

ويذكر الجزائري رواية يزعم إسنادها إلى جعفر الصادق وفيها: "من أنشد في الحسين شعراً فأبكى خمسين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى ثلاثين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى عشرين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى عشرة فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى واحداً فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فتباكى فله الجنة"[5].

(١) ثورة الحسين (ع) في الوجدان الشعبي. محمد مهدي شمس الدين (ص: ٣٢٤).
(٢) الفكر السياسي الإسلامي المعاصر. حميد عنايت (ص: ٦٣).
(٣) انظر: الأمالي (١٣/ ٣٤١).
(٤) بحار الأنوار (٤٤ / ٢٨٨).
(٥) الأنوار النعمانية (٣/ ٢٤٢ - ٢٤٣).

والجانب الثاني للتربية الوجدانية عند الشيعة يتمثل في: الأدعية، ويؤكد الشيعة على تفردهم في امتلاكهم لتراث هائل من «الأدعية التي تهب الحياة، والتي تسمى بالقرآن الصاعد هي من أئمتنا المعصومين ونفخر أن منا مناجاة الأئمة الشعبانية، ودعاء عرفات للحسين بن علي عليهم السلام، والصحيفة السجادية زبور آل محمد والصحيفة الفاطمية للزهراء المرضية»(١).

أما محمد جواد مغنية فيرى أن هذه الأدعية كانت من أساليب التربية المقصودة التي استخدمها الأئمة لشيعتهم، فقد بذل الأئمة الهداة أقصى ما لديهم من جهد ليخلقوا شيعتهم بأخلاقهم، ويقصدوا بهم قصدهم، سلكوا لذلك كل سبيل، ولم يقتصروا على إلقاء الخطب والمواعظ والمحاضرات، وضرب الأمثال والحكم، وإيراد القصص والحكايات، بل أوجدوا لهم آثاراً أخرى من غير هذا النوع، وغير الأساليب المعروفة في فن التربية؛ لأنها أجدى وأبلغ في التأثير والتهذيب. وقد اصطلح الشيعة على تسمية تلك الآثار "بالأدعية والزيارات"، ولكنها في واقع الأمر إشراق إلهي يكمل ما في النفس البشرية من نقص ويطهر ما فيها من رجس، ويصلح ما فيها من فساد... أراد أئمة الشيعة بها أن يوجدوا من كل نفس رقيباً ملازماً لها في السر والعلانية، مسيطراً عليها سيطرة السيد على عبده، والقائد على جنده، يقربها من الطاعة ويبعدها عن المعصية، فسنُّوا لأتباعهم أدعية ومناجاة رتبوها على الأيام والأوقات"(٢).

كما يعتقد الإمامية أن الأدعية الواردة عن النبي ﷺ "تبعث في نفس المؤمن قوة الإيمان والعقيدة وروح التضحية في سبيل الحق... كما تتضمن من المعارف الإلهية،

(١) الخميني: الوصية السياسية الإلهية "النداء الأخير"، ط إلكترونية، (ص: ٥)، موقع نصر الله على الرابط: www.Nasrallah.net

(٢) الشيعة في الميزان. محمد جواد مغنية (ص: ١٦١).

والتوجيهات الدينية ما يجعلها تصلح معه أن تكون منهجاً رفيعاً للمسلم الصحيح . . . تعرِّفه سر العبادة، ولذة مناجاة الله تعالى والانقطاع إليه، وتلقِّنه ما يجب على الإنسان أن يعلمه لدينه، وما يقربه إلى الله تعالى زلفى، ويبعده عن المفاسد والأهواء والبدع الباطلة، إن هذه الأدعية قد أودعت فيها خلاصة المعارف الدينية من الناحية الخلقية والتهذيبية للنفوس، ومن ناحية العقيدة الإسلامية، بل هي من أهم مصادر الآراء الفلسفية، والمباحث العلمية في الإلهيات والأخلاقيات[1].

ويرى علي شريعتي أن من فوائد الدعاء أنه مدرسة لتجلي العشق الإلهي، وللتعرف إلى العالم الواسع، وحاجات الإنسان الكبرى[2].

وتعد "الصحيفة السجادية" المنسوبة للإمام علي، بن الحسين (ع) "زين العابدين"، أبرز صحف الأدعية عند الشيعة، حتى أنهم أطلقوا عليها "زَبور آل محمد" و"إنجيل آل محمد".

كما أن أدعية علي بن الحسين (ع) أصبحت فيما بعد ملاذاً وملجأً لكثير من العارفين والزهاد والصوفية، حيث التقوا عليها ونهلوا منها مقاماتهم وأوردتهم، ومعالم طرقهم[3].

كما أن الأوراد والأدعية عند الصوفية هي الوسيلة الأساسية والفعالة في كشف

---

(١) عقائد الإمامية للمظفر (ص: ٢٨).

(٢) انظر: الإمام السجاد. علي شريعتي (ص: ١١٥).

(٣) انظر: الصلة بين التصوف والتشيع (١ / ١٦١-١٧٦).

ومن المشاهدات الأخيرة للاستخدام الإعلامي والتكنولوجي، وجد على شبكة الإنترنت آلاف الأدعية والزيارات المسجلة التي تتاح لأي مستخدم سماعها ونقلها والاحتفاظ بها. انظر على سبيل المثال لا الحصر: مواقع الصوفية المشهورة، مثل: منتديات سفينة النجاة، ومنتديات رباط الفقراء، ومنديات الغريب، وعند الإمامية تجد المكتبة الصوتية في موقع الأربعة عشر معصوماً. هذا بالإضافة إلى القنوات الفضائية الصوفية والإمامية التي ترتل الأدعية، أو تنشدها إنشاداً.

الحجب والريون عن القلب والروح، واعتبروها الغذاء المعنوي الذي به حياة روح الإنسان كما يحيا جسمه بالغذاء الحسي. لذا أمروا بالإكثار من الأذكار والأدعية آناء الليل وأطراف النهار إطلاقاً وتقييداً وربطوها بالشرع أصولاً وفروعاً، وانعقد إجماعهم على أن كمال الإنسانية التي لا تتحقق إلا من خلال المعرفة الإلهية الحقيقية سلّمها الوحيد هو التداوي بطب الأرواح مما قد يعتري الإنسان المسلم من أمراض قلبية وروحية، ويتجلى هذا الطب النبوي الروحاني في قدر معين من الأذكار الشرعية يحدد المشايخ قدرها ووقتها.

وهذه الأدعية المنسوبة للأئمة والمشايخ تحتل حسب واقع حالهم مكانة كبرى في نفوس الصوفية والإمامية، بل إنها مقدمة عندهم على تلاوة القرآن، والأوراد الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ، وأنها تخرق الحجب - كما يزعمون- وهي لا تفارق الصوفي والإمامي بل يحفظها في أوراقه أو في صدره.

٣- كتمان أسرار الطريق:

وجاء في الأصول من الكافي قال أبو عبد الله عليه السلام لسليمان بن خالد: "يا سليمان إنكم على دين من كتمه أعزه الله، ومن أذاعه أذله الله "[١].

ويقول الكليني: "إن مشايخنا رووا عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، وكانت التقية شديدة فكتموا كتبهم ولم ترو عنهم، فلما ماتوا صارت الكتب إلينا، فقال أحد أئمتهم: حدثوا بها فإنها حق وتلحظ في بعض رواياتهم مثلاً الأمر بكتمان هذا النص وعدم إذاعته عند غير أهله"[٢].

حتى أمر الإمامة كان سراً، وكانت الإمامية تقول في عصر علي الرضا كما يظهر من إسناد النص إليه، تقول: "ولاية الله أسرها إلى جبرائيل، وأسرها جبرائيل إلى

(١) أصول الكافي (٢/ ٢٢٢).
(٢) السابق (١/ ٥٣).

محمد، وأسرها محمد إلى عليّ، وأسرها علي إلى من شاء الله، ثم أنتم تذيعون ذلك، من الذي أمسك حرفاً سمعه؟"، أي لم يوجد أحد أمسك كلاماً سمعه[1].

قال أبو جعفر رضي الله عنه: "في حكمة آل داود ينبغي للمسلم أن يكون مالكاً لنفسه مقبلاً على شأنه عارفاً بأهل زمانه، فاتقوا الله، ولا تذيعوا حديثنا". وقال عند حديث آخر يسندونه لجعفر ويقول: "المذيع حديثنا كالجاحد له"[2].

وأوصى الخميني في خاتمة كتابه مصباح الهداية بالسرية، فقال: "خاتمة ووصية: إياك أيها الصديق الروحاني ثم إياك والله معينك في أولاك وأخراك، أن تكشف هذه الأسرار لغير أهلها، أو لا تضنن على غير محلها، فإن علم باطن الشريعة من النواميس الإلهية والأسرار الربوبية، مطلوب ستره عن أيدي الأجانب، وأنظارهم، لكونه بعيد الغور عن جلى أفكارهم ودقيقها، وإياك وأن تنظر نظر الفهم في هذه الأوراق إلا بعد الفحص الكامل عن كلمات المتألهين من أهل الذوق، وتعلم المعارف عند أهلها من المشايخ العظام والعرفاء الكرام"[3].

ونقل الشعراني عن الجنيد أنه (كان يستر كلام أهل الطريق عمن ليس منهم، وكان يستتر بالفقه والإفتاء على مذهب أبي ثور، وكان إذا تكلم في علوم القوم أغلق باب داره، وجعل مفتاحه تحت وركه)[4].

وقال الشعراني: "إن هذا العلم مكنون فاكتموه إلا من أهله"[5].

(١) شرح جامع. المازندراني (٩/ ١٢٣).
(٢) أصول الكافي (٢/ ٢٢٤).
(٣) مصباح الهداية (ص: ١٥٤).
(٤) اليواقيت والجواهر للشعراني (٢/ ٩٣).
(٥) لطائف المنن للشعراني (ص: ٤٨٩).

وروي عن الشاذلي أنه كان يقول: (امتنعت عني الرؤيا لرسول الله ﷺ، ثم رأيته، فقلت: يا رسول الله، ما ذنبي؟ فقال: إنك لست بأهل لرؤيتنا لأنك تطلع الناس على أسرارنا)[1].

وكان بعض العارفين يقول: (نحن قوم يحرم النظر في كتبنا على من لم يكن من أهل طريقتنا، وكذلك لا يجوز لأحد أن ينقل كلامنا إلا لمن يؤمن به، فمن نقله إلى من لا يؤمن به دخل هو والمنقول إليه جهنم الإنكار، وقد صرح بذلك أهل الله تعالى على رؤوس الأشهاد وقالوا: من باح بالسرّ استحق القتل)[2].

وقد ذكر الدباغ حكايات كثيرة عن الذين لم يكتموا السرّ منهم فابتلاهم الله ببلايا عديدة، من القتل والصلب والحرق والعمى وغير ذلك[3].

وذكروا منهم الحلاج؛ لأنه لم يقتل إلا لإفشاء سرّه[4].

وكما رووا عن أبي بكر الشبلي أنه قال: (كنت أنا والحسين بن منصور شيئاً واحداً إلا أنه أظهر وكتمت)[5].

وقال أبو الفيض المنوفي: "للنفس الأمارة: الاستغفار، وللوامة: لا إله إلا الله، وللملهمة: الله. والراضية: هو، والمرضية: حي. والكاملة: قيوم، ثم: ودود. ثم: حكيم. ووراء ذلك كله اسم السر، وهذا لا يعطيه الشيخ إلا من سارره، وهو سر عنده يدخره لمن يرى فيه شأناً لله يقتضي أن يكون مرشداً أو عارفاً متصلاً"[6].

---

(١) انظر الطبقات للشعراني (٢/ ٧٥).
(٢) اليواقيت والجواهر للشعراني (ص: ١٧).
(٣) انظر: الإبريز (ص: ١٢).
(٤) انظر: تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار (ص: ٢٥٢).
(٥) أربعة نصوص. بتحقيق ماسينيون (ص: ١٩).
(٦) معالم الطريق (ص: ٣٥١).

ولم يقف الأمر عند كتمان الطريق فحسب بل قصروا الحق عليهم ونفوه عن غيرهم، يقول القشيري ما نصه: "فإذا كان أصول هذه الطائفة أصح الأصول، ومشايخهم أكبر الناس، وعلماؤهم أعلم الناس، فالمريد الذي له إيمان بهم إن كان من أهل السلوك والتدرج إلى مقاصدهم، فهو يساهمهم فيما خصوا به من مكاشفات الغيب، فلا يحتاج إلى التطفل على من هو خارج عن هذه الطائفة "[١].

وقال محمد عثمان الميرغني: "خاطبني الحق جل جلاله، وقال: أنت تذكرة لعبادي يا محمد عثمان، فمن أراد طريقاً يوصله إليّ فليتخذك سبيلاً، وما يفعلون ذلك إلا أن أريد، إن كل من أحبك وأخذ عنك، وتعلق بك هو الذي خلد في رحمتي، وكل من أبغضك وتباعد عنك فهو الظالم المعدود له العذاب الأليم"[٢].

وهذا أحد أتباع الطريقة الرفاعية بعد أن ذكر مقدرات شيخه الخارقة من قطع مسافة مائة عام بخطوة واحدة، وأنه يعرف ألسنة الطيور وغير ذلك يقول: "تعلق بأذياله وكن من أهل مجلسه، ولا تفارق محياه وتشفع به إلى الله تعالى، فإن الله لا يرد شفاعتك به؛ لأنه من أكرم أهل البيت. إلى أن قال: إن أكابر الرجال وفحول الأبطال... علموا أن طريقته طريق النجاح والأمان، وأن محبته من أعظم الأسباب المقربة إلى الرحمن، ولذلك ألزموا أنفسهم وأهليهم الأخذ بعهده والتمسك ببيعة طريقته"[٣].

وأشاع بعض الصوفية أن: "من لم يكن له أب في الطريق فهو ابن الزنى"[٤]. وهذا قريب من قول الإمامية كما جاء في الكافي عن أبي جعفر قال: "والله إن الناس

---

(١) الرسالة القشيرية (٢/ ٧٣٤ - ٧٣٥).

(٢) رسالة الهبات المقتبسة ضمن الرسائل الميرغنية. محمد عثمان ابن محمد أبي بكر (ص: ٣٦).

(٣) قلادة الجواهر (ص: ٤٤٠).

(٤) المنح القدوسية. المستغانمي (ص: ١٢٣).

كلهم أولاد بغايا ما خلا شيعتنا "[1].

تبين مما سبق مشاركة الفرقتين بعضهما بعضاً في مناهجهما التربوية التي لا تقوم على أصل الكتاب والسنة، أو سيرة سلف الأمة رحمهم الله تعالى، بل على العكس من ذلك تماماً فهي سبل إما توقع في الشرك كالطاعة المطلقة للأئمة والأولياء والارتباط بهم ظاهراً وباطناً، أو أن تلك الأمور توقع في ارتكاب المحرم والبدع كالنياحة، واختراع الأدعية والأوراد، أو كتمان العلم.

(١) الروضة من الكافي (ص: ٣٥).

المطلب الثاني
المراتب والألقاب الدينية عند أصحاب الفرقتين

أولاً: المراتب الدينية:

وضع الصوفية مراتب لبيان طبقات المتصوفة ومكانتهم، وقدرتهم واختيارهم على الخلق، وأعدادهم، وهم كما قال لسان الدين بن الخطيب: (خواصّ الله في أرضه، ورحمة الله في بلاده على عباده: الأبدال، والأقطاب، والأوتاد، والعرفاء، والنجباء، والنقباء، وسيدهم الغوث)[1].

ولدى الهجويري هم: (أهل الحل والعقد، وقادة حضرة الحق جل جلاله، فثلاثمائة يدعون الأخيار، وأربعون آخرون يسمون الأبدال، وسبعة آخرون يقال لهم: الأبرار، وأربعة يسمون الأوتاد، وثلاثة آخرون يقال لهم: النقباء، وواحد يسمى القطب والغوث.

---

(١) انظر: روضة التعريف (ص: ٤٣٢)، ودائرة المعارف الإسلامية (١/ ٢٣)، والنفحات الشاذلية (٢/ ٩٩).

وهؤلاء جميعاً يعرفون أحدهم الآخر، ويحتاجون في الأمور لإذن بعضهم البعض)[1].

وإليك مراتب الولاية عند الصوفية، وتعريفاتها عندهم:

النجباء: وهم ثمانية ومسكنهم مصر وعملهم أن يحملوا عن الخلق أثقالهم.

النقباء: وهم اثنا عشر نقيباً وهم الذين يستخرجون خبايا الأرض.

الأبدال: وهم سبعة، وكلما هلك واحد منهم أبدله الله بغيره لحفظ الكون!!

الأوتاد: وهم أربعة وكل منهم في ركن من أركان العالم يقوم به ويحفظه. إذا ماتوا فسدت الأرض.

الإمامان: وهما بمنزلة الوزيرين للقطب الغوث، أحدهما لعلم الملك والآخر لعلم الملكوت.

القطب الغوث: وهو أكبر الأولياء جميعاً وهو واحد في كل زمان.

وهناك مراتب أعلى من الغوث عندهم، وهذا حوار دار بين أحمد الرفاعي وأحد تلاميذه جاء فيه: (يا سيدي أنت القطب، فقال: نزه شيخك عن القطبية، فقال له: وأنت الغوث، فقال: نزه شيخك عن الغوثية، قلت (المتكلم هو الشعراني): وفي هذا دليل على أنه تعدى المقامات والأطوار لأن القطبية والغوثية مقام معلوم ومن كان مع الله وبالله فلا يعلم له مقام وإن كان له في كل مقام مقام والله أعلم)[2].

خاتم الأولياء: هو واحد في العالم يختم الله به الولاية المحمدية.

وذكر ذلك أيضاً محيي الدين بن عربي في كتابه الفتوحات المكية، حيث قال:

---

(١) كشف المحجوب للهجويري (١/ ٤٤٧، ٤٤٨).

(٢) الطبقات الكبرى. للشعراني (ص: ٣٢١).

(فمنهم رضي الله عنهم الأقطاب.... لا يكون منهم في الزمان إلا واحد.... ومنهم رضي الله عنهم الأئمة: لا يزيدون في كل زمان على اثنين لا ثالث لهما..... ومنهم رضي الله عنهم الأوتاد: وهم الأربعة في كل زمان..... ومنهم رضي الله عنهم الأبدال: وهم سبعة..... ومنهم رضي الله عنهم الختم: وهو واحد لا في كل زمان، بل هو واحد في العالم يختم الله به الولاية المحمدية....... ومنهم رضي الله عنهم ثلاثمائة نفس على قلب آدم عليهم السلام........ ومنهم رضي الله عنهم أربعون شخصاً على قلب نوح عليه السلام..... ومنهم رضي الله عنهم سبعة على قلب الخليل عليه السلام........ ومنهم رضي الله عنهم خمسة على قلب جبريل عليه السلام..... ومنهم رضي الله عنهم ثلاثة على قلب ميكائيل عليه السلام..... ومنهم رضي الله عنهم واحد على قلب إسرافيل عليه السلام.... ومنهم رضي الله عنهم..... ومنهم..... ومنهم.....)[1].

ثم قال: (والمجمع عليه من أهل الطريق أنهم على ست طبقات أمهات: أقطاب، وأئمة، وأوتاد، وأبدال، ونقباء، ونجباء)[2].

ويقول داود بن محمود القيصري: (ولهم مراتب. الأولى مرتبة القطبية، ولا يكون فيها أبداً إلا واحد بعد واحد، ويسمى غوثاً، لكونه مغيثاً للخلق في أحوالهم. ثم مرتبة الإمامين، وهما كالوزيرين للسلطان. أحدهما صاحب اليمين، وهو المتصرف بإذن القطب في عالم الملكوت والغيب، وثانيهما صاحب اليسار، وهو المتصرف في عالم الملك والشهادة... ثم مرتبة الأربعة، كالأربعة من الصحابة، رضي الله عنهم أجمعين! ثم مرتبة البدلاء السبعة، الحافظين للأقاليم السبعة. وكل منهم قطب للإقليم الخاص به. ثم مراتب الأولياء العشرة، كالعشرة المبشرة.

---

(١) الفتوحات المكية (٢ / ٥-١٣)، وانظر: التعريفات للجرجاني (ص: ١٥٤).

(٢) الفتوحات المكية (٢/ ٤٠)، وانظر: طبقات السلمي (ص: ٥٧).

ثم مراتب الاثني عشر، الحاكمين على البروج الاثني عشر، وما يتعلق بها ويلزمها من حوادث الأكوان. ثم العشرين والأربعين والتسعة والتسعين، مظاهر الأسماء الحسنى، إلى الثلاثمائة والستين.

وهؤلاء قايمون في العالم على سبيل البدل، في كل زمان، ولا يزيد عددهم ولا ينقص إلى يوم القيامة. وغيرهم من الأولياء يزيدون وينقصون، بحسب ظهور التجلي الإلهي وخفائه. وبعدهم: مرتبة الزهاد والعبّاد والعلماء من المؤمنين، الكائنين في كل زمان إلى يوم الدين. وجميع هؤلاء المذكورين داخلون في حكم القطب.

والأفراد الكمّل، الذين تعادل مرتبتهم مرتبة القطب إلا في الخلافة، هم الخارجون من حكمه. فإنهم يأخذون من الله، سبحانه، ما يأخذون من المعاني والأسرار الإلهية بخلاف الداخلين في حكمه، فإنهم لا يأخذون شيئاً إلا منه)[1].

فهذه المراتب والترتيب والأعداد كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية من جنس ما عند الشيعة، حيث يقول: (وأما الأسماء الدائرة على ألسنة كثير من النساك والعامة مثل الغوث الذي يكون بمكة، والأوتاد الأربعة، والأقطاب السبعة، والأبدال الأربعين، والنجباء الثلاثمائة، فهذه الأسماء ليست موجودة في كتاب الله، ولا هي أيضاً مأثورة عن النبي ﷺ بإسناد صحيح ولا ضعيف محتمل، إلا لفظ الأبدال فقد روي فيهم حديث شامي منقطع الإسناد عن علي بن أبي طالب مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قال: إن فيهم - يعني أهل الشام - الأبدال أربعين رجلاً، كلما مات رجل أبدله الله مكانه رجلاً: ولا توجد هذه الأسماء في كلام السلف كما هي على هذا الترتيب. . . . وهذا من جنس دعوى الرافضة أنه لا بد في كل زمان من إمام معصوم يكون حجة الله على المكلفين لا يتم الإيمان إلا به، ثم مع هذا يقولون: إنه كان صبياً

(١) شرح مقدمة التائية الكبرى للقيصري مخطوط ص ١٠٤ نقلاً عن كتاب ختم الأولياء للحكيم الترمذي (ص: ٤٩٥).

دخل السرداب من أكثر من أربعمائة وأربعين سنة، ولا يعرف له عين ولا أثر، ولا يدرك له حس ولا خبر.

وهؤلاء الذين يدعون هذه المراتب فيهم مضاهاة للرافضة من بعض الوجوه)[1].

هذا وقد أقر بذلك أحمد أمين، فكتب: (إن الصوفية اتصلت بالتشيع اتصالاً وثيقاً، وأخذت فيما أخذت عنه فكرة المهدي، وصاغتها صياغة جديدة وسمته قطباً، وكونت مملكة من الأرواح على نمط مملكة الأشباح، وعلى رأس هذه المملكة الروحية القطب، وهو نظير الإمام أو المهدي في التشيع)[2].

ثانياً: الألقاب الدينية:

ترتبط الألقاب الدينية عند الإمامية بنظام الدراسة في الحوزة العلمية. ويمكن القول: إن الحوزة بمعناها الاصطلاحي هي الإطار الذي يجمع مدارس علوم الدين عند الشيعة، وتتكون من ثلاث دعامات هي: "المجتهد الفقيه المرجع، الأساتذة العلماء، والطلاب"[3].

وتنقسم الدراسة في الحوزة إلى ثلاث مراحل، هي:

المرحلة الأولى: مرحلة دراسة المقدمات:

ويقصد بهذه المقدمات "العلوم التقليدية التي تعد مساعدة وممهدة للتخصص في فقه آل البيت، ويدرس فيها الطالب علوم العربية: الصرف والنحو والبلاغة، والعلوم العقلية: المنطق والكلام"[4].

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١١/ ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٩).

(٢) ضحى الإسلام. لأحمد أمين (ص: ٢٤٥).

(٣) "الحوزة العلمية في النجف معالمها وحركتها الإصلاحية" علي أحمد البهادلي، رسالة الثقلين، السنة الثالثة، العدد التاسع، (ص:٥٨).

(٤) "التبليغ الإسلامي" عبد الهادي الفضلي، المنهاج، السنة السادسة، العدد ٢٢، ٢٠٠١، (ص:٧٦).

المرحلة الثانية: مرحلة دراسة السطوح:

بعد أن يجتاز الطالب مرحلة المقدمات بنجاح ينتقل إلى مرحلة السطوح التي يدرس فيها الطالب مواد معينة في الفقه وأصوله تجعله قادراً على الدخول في مرحلة الدراسة العليا، ومن أهم الكتب التي تدرس في الفقه كتاب: الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية للشهيد زين الدين العاملي. وكتاب: "بداية الحكمة" في الفلسفة للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي.

المرحلة الثالثة: مرحلة البحث الخارج:

سُمِّيت هذه المرحلة بالخارج؛ لأن الدراسة هنا تكون خارج الكتب، أي لا يُلزم المعلم الطالب بكتاب مقرر، ولكنه يُلزمه بطريقة البحث العلمي في إعداد مادة الدرس من مختلف مصادرها[1].

أما فيما يتعلق بالألقاب فإن الحوزة الدينية تقدم للطالب ألقاباً تعرب عن المرحلة العلمية التي بلغها، وهذه الألقاب هي:

١- "ثقة الإسلام": عندما ينتهي الطالب من مرحلة "المقدمات".

٢- "حجة الإسلام": عندما يصل الطالب إلى منتصف مرحلة "السطوح".

٣- "حجة الإسلام والمسلمين": عندما ينتهي الطالب من مرحلة "السطوح".

٤- "آية الله": عندما ينتهي الطالب من مرحلة البحث الخارج، ويصل إلى مرحلة الاجتهاد.

---

(١) الحوزة الدينية في إيران. يحيى داود عباس، في: الملف الإيراني (٢٠٠٥)، القاهرة، مركز بحوث الشرق الأوسط، مارس ١٩٩٧، (ص: ٩١).

أما "مرجع التقليد"، فهو إحدى الآيات الذي أعلن فتاواه للناس، وكتب رسالته العلمية وقام بتقليده بعض الناس في أمور دينهم ودنياهم.

ويجب ملاحظة أنه لا توجد جهة في الحوزة تقوم بإعطاء الطالب هذه الألقاب، بل تُقدم من بعض أساتذة الحوزة المعروفين، حيث يقرون هذه الألقاب في مجالسهم وأحاديثهم ومخاطباتهم المختلفة، وجدير بالذكر أن مرشد الجمهورية الإسلامية في إيران يتم اختياره من بين مراجع التقليد في الحوزة(١).

ويقول حامد محمود: طريق المرجعية يبدأ بواعظ، ثم مجتهد، ثم حجة الإسلام، ثم حجة الإسلام والمسلمين، ثم آية الله، ثم آية الله العظمى(٢).

وهناك تقسيم آخر للألقاب ارتبط ظهوره بقيام الثورة الإيرانية، ويتكون من سبع مراتب ودرجات لعلماء الدين كالتالي(٣):

١ - الطلبة.

٢ - ثقة الإسلام.

٣ - حجة الإسلام.

٤ - حجة الإسلام والمسلمين.

٥ - آية الله.

٦ - آية الله العظمى.

٧ - نائب الإمام.

---

(١) انظر: الفكر التربوي الإمامي (٢/ ٥٩).

(٢) انظر: مقالة بعنوان "فكرة آية الله العظمى". حامد محمود. موقع إسلام أون لاين الإلكتروني.

(٣) انظر: مقالة لـ حسن أبو بكر الطنطاوي. منتديات القادسية على الرابط:

http://alqadisiyya3.com/vb/showthread.php?p=3889

ونائب الإمام هو اللقب الذي قد وصف به الخميني، أي نائب الإمام الغائب الثاني عشر، وبهذا هبطت منزلة آية الله العظمى إلى المرتبة الثانية[1]. وبعد وفاة الخميني صار علي خامنئي خلفاً للخميني، دون أن يحصل على لقب نائب الإمام، وبذلك يعود لقب آية الله العظمى مقدماً للألقاب الإمامية وعلى رأسها، والتي تتمتع برحابة وقبول نفسي وروحي عند الإمامية.

وإذا ما انتقلنا إلى الصوفية فإننا سنجد ظاهرة الألقاب بارزة في الصوفية البكتاشية، حيث قسم أرباب هذه الطريقة المنتسبين إلى طريقتهم على النحو التالي حسب درجاتهم - وبعدد الألقاب نفسه عند الإمامية، سبعة- وهي[2]:

١- **العاشق**: وهو الذي يحب الطريق ويعتنق مبادئها وتسيطر عليه الروح البكتاشية، وله رغبة في الانضمام إلى الطريقة، ويكثر من الحضور إلى التكية ويسمع ما يدور بها. ويرشحه الشيخ ليكون في المنزلة التالية وهي درجة الطالب.

٢- **الطالب**: وهو الذي يعلن رغبته في الانضمام ويرشحه الشيخ لذلك ليتقبل الإقرار، ويعطي العهد. وتقام له حفلة بذلك.

٣- **المحب**: وهو الطالب الذي انتسب إلى هذه الطريقة بعد حفلة الإقرار والبيعة.

٤- **الدرويش**: الذي يتبحر في آداب الطريقة وعلومها ويلم بأركانها ومبادئها. ويهب نفسه للخدمة العامة فيها.

٥- **البابا**: وهي درجة المشيخة ولا يصل إليها الدرويش إلا بعد مدة طويلة حيث يكون قد عرف الرموز الصوفية وأحاط بها.

٦- **الددة**: وهو الخليفة، ولا يمنح هذه المنزلة إلا شيخ المشايخ ويكون هذا رئيساً لفرع من فروع الطريقة في مصر.

(١) يلقب الخميني في وسائل الإعلام المختلفة - وخاصة الإيرانية - بالإمام.
(٢) انظر: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة (ص: ٤٣٩).

٧- **الددة بابا**: شيخ المشايخ وينتخب من بين الخلفاء وهو المدير العام لشؤون الطريقة في العالم وهو الذي يعين البابوات وله حق عزل المشايخ.

وعند عامة الطرق الصوفية فإن للتصوف مراتب ودرجات يتدرج فيها الصوفي، ويترتب على كل درجة وظائف وواجبات والتزامات يجب أن يؤديها صاحب الدرجة.

وهذه الدرجات والمراتب حسب الترتيب التصاعدي هي(١):

١ - المريد: أول الدرجات الصغرى.

٢ - النقيب: درجة أعلى ويقوم بالأعمال الخدمية بالطريقة كأن يقوم بعمل الشاي والقهوة أو عمل الطعام أو يقوم بحراسة الأحذية، وبعد ذلك للنقيب أن يرتقي إلى المنزلة التالية.

٣ - الخليفة: أن يجتمع حول الخليفة عشرة مريدين على الأقل ينتقل إلى المنزلة التالية.

٤ - خليفة الخلفاء: وإذا رأى شيخ الطريقة أنه صالح لهذه المنزلة يرقيه إلى المنزلة التالية.

٥ - النائب: ثم يرقى للمرتبة التالية.

٦ - نائب عام للطريقة.

٧ - وكيل للطريقة: ابن الشيخ، والذي يؤهل لأن يكون شيخ الطريقة بعد وفاة والده وهناك شرط أن يكون أكبر إخوته.

---

(١) انظر: نقض الصوفية. عامر حسن عامر (ص: ٢-٣).

وإذا لم يكن لدى شيخ الطريقة أولاد من الذكور يمكن أخذ الأخ الأكبر أو حتى الأصغر ولكنها لا تخرج الرئاسة خارج الأسرة لأن التصوف به صلة روحية وهي شبه متوارثة. وبعد موت الشيخ يتولى هو المشيخة[1].

٨ - شيخ الطريقة.

هذا وتختص كثير من الطرق الصوفية وعلى رأسها الرفاعية والختمية والبكتاشية بالمبايعة وأخذ العهد بعد أن يعلن المريد التوبة بين يدي الشيخ، وفيها يعاهد المريد شيخه على محبته، واتباع توجيهاته، وكتمان أسراره، والولاء للطريق الصوفي، والبراء من أعداء التصوف.

وبعد المبايعة وأخذ العهد من المريد - بمختلف صيغها - يأمر الشيخ المريد بنزع اللباس الذي عليه، ثم يقوم الشيخ بنزع ما عليه من اللباس، ويلبسه للمريد، وهذا ما يسمى "لبس الخرقة". ثم يلقن الشيخ المريد الذكر فإن قالها المريد بعد الشيخ قولاً صحيحاً - عندهم - موافقاً لطريقة شيخه، فقد تم التلقين، وانتهت مراسم إدخال المريد في التصوف[2].

وبعض الطرق الصوفية في الوقت الحاضر تمنح المريد البطاقة، أي بطاقة انتساب للطريقة[3].

---

(١) وهذه الطريقة تشبه طريقة توريث المرجعية لدى الشيخية من الإثني عشرية. انظر: مختصر مفيد لجعفر العاملي (٩/ ١٥١).

(٢) انظر: صيغة البيعة في الطريقة الرفاعية في: قلادة الجواهر (ص:٤٠٩)، وصيغة البيعة في الطريقة الختمية في: مجموع الأوراد الكبير. لمحمد عثمان الميرغني (ص: ٦٢)، وصيغة البيعة في الطريقة البكتاشية في: الرسالة الأحمدية (ص: ٧٢)، والفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة (ص: ٤٤٠-٤٤١).

(٣) انظر: حوار مع أستاذ الفلسفة المتخصص في الشأن الصوفي د. محمد السيد الجليند. موقع الصوفية الإلكتروني على الرابط: http: / /www. alsoufia. com /articles. aspx

وهكذا أصبح القول بوجوب أمور ثلاثة تؤكد الانضمام إلى رحاب التصوف، وهي: وجوب المبايعة على طريق من الطرق، ووجوب طاعة الشيخ طاعة عمياء، ووجوب الانفصال عن بقية المسلمين.

ولا يفوتني أن أشير إلى طريقة البيعة عند الإمامية، وهي التي تخص الإمام الثاني عشر، وتسمى العهد أيضاً حيث إن الإمامية لا ترى بيعة شرعية إلا للقائم المنتظر، ولذلك فإنهم يجددون البيعة له كل يوم، ففي دعاء لهم يسمونه "دعاء العهد" وفيه: "اللهم إني أجدد له في صبيحة يومي هذا، وما عشت من أيامي عهداً أو عقداً أو بيعة له في عنقي لا أحول عنها ولا أزول أبداً"، وفي دعاء يومي آخر للغائب المنتظر يتضمن الإقرار له بالبيعة فيقول: "اللهم هذه بيعة له في عنقي إلى يوم القيامة"[(١)].

وقال المجلسي: ". . ويصفق بيده اليمنى على اليسرى كتصفيق البيعة"[(٢)].

---

(١) مفتاح الجنان. عباس القمي (ص: ٥٣٨).

(٢) بحار الأنوار(١٠٢/ ١١١)، وانظر: مفتاح الجنان (ص: ٥٣٨-٥٣٩).

المبحث الثالث
المصنفات والشروح لعلماء الطائفتين على كتب الطائفة الأخرى

المطلب الأول
عناية الصوفية بكتب الإمامية

تمثلت عناية الصوفية بكتب الإمامية في جوانب عدة كان من أبرزها: كتابة التقديمات والتقريظات على بعض أمهات الكتب الإمامية، أو بتأليف الكتب التي تخدم الفكر الإمامي وتراثه. أو طباعة كتب الإمامية ونشرها، كما كانت لدار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة إسهامات في خدمة الكتاب الشيعي ونشره.

أ- تأليف الكتب وكتابة المقدمات:

من شواهد ذلك: كتابة أبو الوفا الغنيمي التفتازاني مقدمة لكتاب وسائل الشيعة ومستدركاتها للجزء الثالث منه.

ومن مؤلفات محمد زكي إبراهيم – رائد العشيرة المحمدية بمصر – : مزارات أهل البيت، وعصمة النبي .

ومن أبرز مؤلفات محمد النيل حمد الريح – من كبار الطريقة القادرية في الخرطوم- والتي خدمت المذهب الإمامي : أبوطالب مؤمن قريش[1]، والمهدي، والحجج الباهرة في العترة الطاهرة، والزهراء عليها السلام، وبنو هاشم وبنو أمية، والفرق بين الفرق[2] .

وبوصفه نموذجاً من مؤلفاته نجد أنه في الجزء الأول من كتابه الفرق بين الفرق عقد مقارنة بين مميزات الشيعة الإمامية من جهة، ومميزات أهل السنة من جهة أخرى، والفوارق بين الفريقين، ويقول في هذا الصدد : "لا نتكلف الأمر فنحن نعتمد أولاً على العقل السليم والفهم القويم الذي ميز به الإنسان دون غيره من المخلوقات . . . لا بد من إعمال العقل السليم وتمحيص الحق لنعرفه من بين ركام الباطل، ونزن الأمر بميزان العدل، فنرجح كفة المعقول . . . " .

وعلى ضوء هذه العبارة عقد محمد النيل فصلاً لمناقشة المتعة بين التحليل والتحريم، وخلص بعد نقاش طويل مسجلاً رأيه : بأن حكم المتعة باق وجار وأن الذين يحرمونه فهم على غير هدى . . . ولذا يجب الأخذ بما جاء في كتاب الله وسنة نبيه ونبذ ما سواهما[3] .

---

(١) هذا الكتاب شبيه لعنوان كتاب صنفه المفيد واسمه : إيمان أبي طالب .
(٢) انظر : الشيعة في شمال إفريقيا (ص : ٥١-٥٢) .
(٣) انظر هذه الإلماحة في : المتحولون حقائق ووثائق . هشام آل قطيط (ص : ١١٦) .

وفيما يلي أستعرض باختصار بعض الصوفية أو المحسوبين على المتصوفة في القديم والحديث ممن خدم كتب الإمامية[1]:

- أحمد حسن الباقوري سعى في نشر كتاب " مختصر النافع " في فقه الشيعة الإمامية، وله تقديم لكتاب " وسائل الشيعة ومستدركاتها".

- أبو الفضل إبراهيم حقق كتباً كثيرة منها: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، وأمالي المرتضى.

- محمد عبد الغني: من آثاره: كتاب الشريف الرضي، وله تقريظ لكتاب الغدير للأميني شعراً مطبوع في كتاب الغدير يقرظ فيه موضوع الكتاب نثراً وشعراً ويثمن قيمته العلمية والتاريخية.

- حسن جاد كتب مقدمة لكتاب "وسائل الشيعة ومستدركاتها"، وقال في ذلك:

"وسـائل الشـيعة" موسـوعة
في الـديـن لـن تجفى ولـن ترفضا
بالفقـه والأخـلاق ينبوعها
مـا جـف في يـوم ولا غيضا

- عز الدين أبو العزائم يرى أن كتب الشيعة الإمامية من أقوى الكتب، وأن البحث فيها مغن.

- محمد عبد المنعم خفاجي ينتصر في كتبه لفقه الشيعة الإمامية، ويقول إنه يمتاز بالأصالة لتدفقه من معين العترة الطاهرة.

---

(١) انظر: الشيعة في مصر (ص: ١٣٩-١٤٢).

- عبد الفتاح عبد المقصود كتب مقدمة لكتاب: "فلسفة الحكم عند الإمام" لنوري جعفر.

وله كتاب اسمه: "الإمام علي بن أبي طالب". وقد تم تكريمه في النجف وبغداد والكويت وإيران.

كما أن هناك كتباً نسبتها الإمامية إلى الصوفية تؤيد بعض اعتقادات الإمامية، مثل: كتاب سر العالمين المشحون بمطاعن في الصحابة رضي الله عنهم نسبوه إلى الغزالي، وذكروا في خطبته على لسان الغزالي: "وصيته بكتمان هذا السر وحفظ هذه الأمانة، وما ذكر

في هذا الكتاب فهو عقيدتي وما ذكر في غيره فهو للمداهنة"[1] [2].

ب - مراكز ودور النشر:

هناك بعض دور النشر والمكتبات بمصر لها عناية خاصة بكتب الإمامية، ومنها: مكتبة حراء، ومكتبة الزهراء، ومركز الفجر، ودار الهدف، ومكتبة النجاح، وهذه الأخيرة أصدرت أكثر من عشرين مصدراً ومرجعاً إمامياً، من أهمها:

١ - تفسير القرآن الكريم لعبد الله شبر.

٢ - وسائل الشيعة ومستدركاتها (١-٥).

٣ - عقائد الإمامية لمحمد رضا المظفر (الطبعة الثالثة).

---

(١) المراجعات. محسن الأمين (ص: ١٢٤).

(٢) من أكبر الأدلة على كذب نسبة الكتاب للغزالي أنه ورد في صفحة ٨٢، من كتاب سر العالمين أن الغزالي يقول: "أنشدني المعري لنفسه وأنا شاب في صحبته يوسف بن علي شيخ الإسلام"، فإن المعري توفي سنة ٤٤٨هـ، بينما ولد الغزالي سنة ٤٥٠هـ، فكيف يحصل ذلك اللقاء؟ انظر مؤلفات الغزالي. لعبد الرحمن بدوي (ص: ٢٢٥-٢٧١).

٤ – أصل الشيعة وأصولها (الطبعة العاشرة).

٥ – فدك لمحمد القزويني (الطبعة الثانية).

٦ – المراجعات لشرف الدين العاملي.

٧ – علي ومناوئوه (الطبعة الرابعة).

ومن إصدارات مركز الفجر في القاهرة:

١ ـ البخاري وصحيحه، للإمامي: حسين غيب غلامي.

٢ ـ حديث الثقلين لعلي الميلاني.

ومن إصدارات دار الهدف في القاهرة.

١ – عيد الغدير في الإسلام، عبد الحسين الأميني.

٢ – أعاجيب الأكاذيب في ردّ النصارى، لجواد البلاغي.

٣ – عقائد الشيعة الإمامية، لمحمد رضا المظفر.

٤ – المأتم الحسيني، لعبد الحسين شرف الدين.

٥ – الوهابية وأصول الاعتقاد، لجواد البلاغي.

ج- إسهامات دار التقريب بين المذاهب الإسلامية:

لقد أسهمت دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة في إخراج العديد من كتب الإمامية وطباعتها ونشرها، ومنها على سبيل المثال:

١ – المختصر النافع من فقه الإمامية لمؤلفه نجم الدين الحلي (ت: ٦٧٦هـ).

٢ – مجمع البيان لعلوم القرآن لمؤلفه أبو الفضل الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ).

٣ - حديث الثقلين لمؤلفه محمد قوام الدين القمي.

٤ - وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة لمؤلفه الحر العاملي (ت: ١١٠٤هـ).

٥ - تذكرة الفقهاء لابن المطهر الحلي (ت: ٧٢٦هـ).

تقديم لكتاب شرح اللمعة الدمشقية في فقه الإمامية للملقب بالشهيد الثاني (ت: ٩٦٥هـ)[١].

وكذلك نجد في جانب الاهتمام بالتراث الإمامي دعوة محمد شلتوت - أحد شيوخ الأزهر- لإبراز مذهب الشيعة في المقارنة بين المذاهب الفقهية ما يبطن الإحالة إلى كتب الإمامية والاعتماد عليها، ويقول شلتوت في هذا الشأن: "والباحث المستوعب المنصف سيجد كثيراً في مذهب الشيعة ما يقوي دليله، ويلتئم مع أهداف الشريعة من صالح الأسرة والمجتمع، ويدفعه إلى الأخذ به والإرشاد إليه"[٢].

ويتبع هذه الدعوة النداءات المستميته لمحمد بن محمد المدني - عميد كلية االشريعة بجامعة الأزهر آنذاك ورئيس تحرير مجلة الإسلام اليوم- في إدخال فقه الشيعة في كلية الشريعة لتدريسه ضمن الفقه المقارن بين المذاهب الإسلامية[٣].

---

(١) انظر: مجلة رسالة الإسلام. الأعداد (٥١-٥٤).

(٢) انظر: حديث مع الشيخ محمد شلتوت. جريدة الشعب بتاريخ: ٥/ ٢/ ١٩٥٩م. ومن المسائل التي خصها بالذكر: القدر المحرم من الرضاع، والطلاق الثلاث بلفظ واحد يقع واحداً رجعياً، والطلاق المعلق لا يقع به التطليق أبداً.

(٣) انظر: مجلة الإسلام اليوم. العدد الرابع. السنة الحادية عشرة. وهذه المجلة هي التي تصدر عن دار التقريب بين السنة والشيعة بمصر.

المطلب الثاني
عناية الإمامية بكتب الصوفية

تمثلت عناية الإمامية بكتب الصوفية في جوانب عدة كان من أبرزها: كتابة الشروح والتعليقات على كتب الصوفية، أو اختصارها وتهذيبها، أو كتابة مقدمات تمهيدية لدراستها، وفي الآونة الأخيرة ضمنت كتب التصوف والعرفان الموسوعات والمكتبات الإلكترونية المتخصصة عند الإمامية والتي يشرف عليها أكبر مراجعهم الدينية.

حتى قال أحد مفكري الإمامية في أحد المنتديات على الشبكة العالمية: "قرأت كثيراً في كتب أهل الله، أهل التصوف، وأجدها تقترب كثيراً من كتبنا نحن الشيعة في العرفان وهي كتب رائعة بحق. وبالمناسبة فإن كثيراً من علماء العرفان الشيعة يمجدون وبشكل كبير علماء التصوف. فعلى سبيل المثال عندما سئل الإمام الخميني عن ابن العربي قدس سره الشريف أجاب بأنه لم يأت في تاريخ التصوف والعرفان مثل ابن العربي، وفي مناسبة أخرى أجاب حين سئل عن ابن العربي هل هو سني أم شيعي؟ أجاب: بأن ابن العربي فوق التسنن وفوق التشيع، ابن العربي فوق الكون.

أتمنى من إخوتي في أهل التصوف أن يقرؤوا في كتب أهل العرفان الشيعة من أمثال الإمام الخميني العظيم ففيها من الحكمة الشيء الكثير. وبالمناسبة، فإن المناجاة المذكورة في نهاية كتاب الحكم العطائية منقولة في كتب الأدعية الشيعية عن الإمام الحسين عليه السلام في دعاء يوم عرفة وهو دعاء يقرؤه الشيعة في كل عام في يوم عرفة، المقطع الأخير من الدعاء. أسأل الله لكم ولنا التوفيق والفلاح وللأمة الإسلامية النصر والوحدة والسداد"[(١)].

أ- تأليف الكتب والشروح:

من أكثر الإمامية الذين خدموا كتب الصوفية، ما يلي:

- ذكر محسن الأمين من مصنفات الطوسي كتاب: أوصاف الأشراف، ورسالة في العلم الاكتسابي واللدني[(٢)].

- حيدر بن علي العبيدي الآملي الذي كان تلميذاً مخلصاً لابن عربي، ومعجباً به وبشروحه[(٣)].

وقد شرح كتاب فصوص الحكم لابن عربي، وسمى الشرح "نص النصوص في شرح الفصوص".

ومن مؤلفاته الصوفية: تلخيص كتاب الاصطلاحات الصوفية لعبد الرزاق الكاشاني تلميذ ابن عربي[(٤)].

- عبد الرزاق بن أحمد القاشاني، ويعرف أيضاً بالكاشاني، والكاشي،

(١) انظر موقع الوراق على الرابط: www.alwaraq.net

(٢) أعيان الشيعة (٩/ ٤١٤-٤١٩).

(٣) انظر: الاتجاه الإشراقي عند صدر الدين الشيرازي. سمية محمد محمود. رسالة ماجستير في كلية الآداب. جامعة عين شمس، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م (ص: ٨٦).

(٤) انظر: أعيان الشيعة (٦/ ٢٧١-٢٧٣).

ذكر الخوانساري من مصنفاته: شرح فصوص ابن عربي، وشرح منازل السائرين للأنصاري، ورسالة في اصطلاحات الصوفية.

وذكر الزركلي من مؤلفاته التي لها علاقة بالتصوف: كشف الوجوه الغر في شرح تائية ابن الفارض، ولطائف الإعلام في إشارات أهل الأفهام، ورشح الزلال في الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال[1].

- محمد بن المرتضى المشهور بالفيض الكاشاني ألف رسالتين إضافة إلى تفسيره الصافي، والأصفى المشهورين بالاتجاه العرفاني هما "الكلمات المكنونة في علوم أهل المعرفة"، و" ضياء القلب" التي تحوي ميولاً صوفية واضحة، وتهاجم المجتهدين، إضافة إلى مصنف آخر واسمه "المحجة البيضاء في إحياء الإحياء" وهو تهذيب للإحياء[2].

- محمد بن الحسين البهائي - الملقب بشيخ الإسلام - كتب رسالة صوفية صريحة باسم " وحدة الوجود "، كما تتمثل في كتابه " الكشكول " روحه الصوفية، واتجاهاته العرفانية، مستعملاً فيهما عبارات الصوفية، وقصصهم، وأشعارهم وما إلى ذلك فيما يتعلق بهذا الموضوع[3].

- غياث الدين الشيرازي كتب في التصوف والعرفان: مثالات العارفين، ورياض الرضوان[4].

- محمد بن إبراهيم الشيرازي المشهور بصدر المتألهين، وصدر الدين. من مؤلفاته

---

(١) روضات الجنات (٤/ ١٩٧-١٩٨)، والكنى والألقاب للقمي (٣/ ٣٠)، وأعيان الشيعة (٧/ ٤٧٠)، والأعلام للزركلي (٣/ ٣٥٠).

(٢) انظر: أمل الآمل (٢/ ٣٠٥)، وفلاسفة الشيعة (ص: ٦٠٣).

(٣) انظر: فلاسفة الشيعة (ص: ٤٦٤).

(٤) انظر: روضات الجنات (٣/ ١٣٠).

التي خدمت الفكر الصوفي: شرح حكمة الإشراق، والواردات القلبية، والمسائل القدسية والقواعد الملكوتية، وإكسير العارفين في معرفة طريق الحق واليقين، وطرح الكونين في وحدة الوجود[1].

- وللخميني كتابان في الحلول والاتحاد هما: "مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية" و "سر الصلاة".

ومن شواهد عناية الإمامية بكتب الصوفية كتابة العشرات من الشروح والتعليقات على كتاب فصوص الحكم لابن عربي.

ومن شراح فصوص الحكم - إضافة لما سبق- من الإمامية[2]:

- عبد الرزاق اللاهيجي (فارسي).

- مظفر الدين الشيرازي (ت: ٩٢٢هـ).

- علي بن شهاب الدين الهمداني (ت: ٧٨٦هـ). وسماه: "حل الفصوص".

- صائن الدين علي بن محمد تركة (ت: ٨٣٠هـ).

- صدر الدين القونوي (ت: ٦٧٣). وسماه: "الفكوك".

ووضع الخميني تعليقات على شرح فصوص الحكم للقيصري وهو مطبوع متداول. قال ناشره في مقدمته[3]: يمثل الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ أو الباحث كنزاً ثميناً، لاحتوائه على ثلاثة عناصر هامة جداً..

---

(١) روضات الجنات (٤/ ١٢٠-١٢٢)، راجع أعيان الشيعة (٩/ ٣٢١-٣٣٠).

(٢) انظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة (١٣/ ٣٨١-٣٨٢)، (١٦/ ٢٣٥).

(٣) نشرته دار المحجة البيضاء ببيروت، سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م. واسم شرح القيصري: "مطلع خصوص الكلم شرح فصوص الحكم".

العنصر الأول: كتاب فصوص الحكم لمحيي الدين بن العربي والذي يعتبر في نظر أهل العلم والعرفان من أدق المتون العرفانية وأعمقها.

العنصر الثاني: تعليقات الخميني على شرح فصوص الحكم لداود بن محمد الرومي القيصري.

العنصر الثالث: تعليقات الخميني على كتاب (مصباح الأنس بين المعقول والمشهود في شرح مفتاح غيب الجمع والوجود) وأصل الكتاب لصدر الدين محمد بن إسحاق القونوي، والشرح لمحمد بن حمزة بن محمد.

ومن علماء الإمامية الذين كتبوا تعليقاتهم على فصوص الحكم -غير الخميني-: محمد رضا قمشئي، وغلام علي شيرازي، وجلال الدين الآشتياني، والميرزا أبو الحسن جلوة.

وكتب عباس نور الدين: "مقدمات العرفان تحرير مقدمات فصوص الحكم للقيصري (ت: ٧٥١هـ)". وبين الكاتب أن القيصري استل هذه المقدمات واقتبسها من متن كتاب فصوص الحكم باعتبار أهميتها في فهم مطالبه، وتمهيد السير في مباحثه. وشكر للقيصري صنيعه وسأل الله أن يجعله ممن يقتفي آثاره، ويهتدي بهديه[١].

ب-المكتبات والموسوعات الإلكترونية:

حفلت مكتبة أهل البيت عليهم السلام الإلكترونية - الصادرة عن مركز المعجم الفقهي، ومركز المصطفى للدراسات الإسلامية[٢]- بمجموعة من كتب الصوفية، منها على سبيل المثال:

١ - العهود المحمدية للشعراني.

---

(١) انظر: مقدمات العرفان. عباس نور الدين (ص: ١٦).

(٢) صدرت هذه المكتبة عام: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، وعدد الكتب المتوفرة بها: (٤٧٠٩) مجلد.

٢ - رسالة في إثبات كرامات الأولياء للسجاعي.

٣ - كشف النور لعبد الغني النابلسي.

٤ - شرح فصوص الحكم لمحمد داود القيصري.

٥ - شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ليوسف بن إسماعيل النبهاني.

٦ - مشاهد ومزارات آل البيت في الشام لهاشم عثمان.

٧ - جملة من مؤلفات حسن بن علي السقاف، ومنها: الإغاثة، التنديد بمن عدد التوحيد، تنقيح الفهوم العالية، تهنئة الصديق المحبوب، فتح المعين، قاموس شتائم، صحيح شرح العقيدة الطحاوية، وكتب ردوده على الألباني.

وإذا ما انتقلنا إلى مركز البحوث الكمبيوترية للعلوم الإسلامية الذي تأسس عام ١٤١٠هـ الموافق ١٩٨٩م تحت رعاية قائد الثورة الإيرانية: علي الخامنئي، ويرأس المركز: حميد شهرياري، نجد أن هذا المركز خصص على موقعه - المجهز باللغات الفارسية والعربية والإنجليزية- أربعين مصنفاً في العرفان والتصوف، وهي كما يلي[١]:

١- إحياء علوم الدين، ١٨ مجلداً، الإمام محمد الغزالي.

٢- التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية، مجلد واحد، محيي الدين بن عربي.

٣- الفتوحات المكية، ٤ مجلدات، محيي الدين بن عربي.

٤- الفتوحات المكية، ١٤ مجلداً، محيي الدين بن عربي.

---

(١) انظر التعريف بالمركز وكتب العرفان على الرابط:

farsi.noorsoft.org/modules.php?name...pa...

٥ - الفكوك، مجلد واحد، صدر الدين القونوي.

٦- المقدمات من كتاب نص النصوص، مجلد واحد، السيد حيدر الآملي.

٧- النفحات الإلهية، مجلد واحد، صدر الدين القونوي.

٨- إنشاء الدوائر، مجلد واحد، محيي الدين بن عربي.

٩- ترجمة إحياء علوم الدين للغزالي، ٤ مجلدات، مؤيد الدين محمد الخوارزمي.

١٠- ترجمة كتاب الفكوك، مجلد واحد، محمد الخواجوي.

١١- ترجمة مصباح الشريعة، مجلد واحد، عبد الرزاق الجيلاني.

١٢- ترجمة النفحات الإلهية (مكاشفات إلهي)، مجلد واحد، السيد حيدر الآملي.

١٣- تمهيد القواعد، مجلد واحد، ابن تركة الأصفهاني.

١٤- جامع الأسرار ومنبع الأنوار، مجلد واحد، السيد حيدر الآملي.

١٥- ديوان ابن الفارض، مجلد واحد، ابن الفارض.

١٦- ترجمة المحجة البيضاء (راه روشن)، ٨ مجلدات، السيد محمد صادق العارف.

١٧- رسالة النصوص، مجلد واحد، صدر الدين القونوي.

١٨- شرح فصوص الحكم (ابن تركة)، مجلدان، ابن تركة الأصفهاني.

١٩- شرح فصوص الحكم (بالي زاده)، مجلد واحد، مصطفى بن سليمان بالي زاده.

٢٠- شرح فصوص الحكم (پارسا)، مجلد واحد، الخواجة محمد پارسا.

٢١- شرح فصوص الحكم (الجندي)، مجلد واحد، مؤيد الدين الجندي.

٢٢- شرح فصوص الحكم (الخوارزمي)، مجلدان، حسين بن حسن الخوارزمي.

٢٣- شرح فصوص الحكم (القيصري)، مجلد واحد، داود القيصري الرومي.

٢٤- شرح فصوص الحكم (الكاشاني)، مجلد واحد، عبد الرزاق الكاشاني.

٢٥- شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، مجلدان، سليمان بن على التلمساني.

٢٦- عقلة المستوفز، مجلد واحد، محيي الدين بن عربي.

٢٧- فصوص الحكم، مجلد واحد، محيي الدين بن عربي.

٢٨- قوت القلوب في معاملة المحبوب، مجلدان، أبو طالب مكي.

٢٩- مجموعة آثار الشيخ محمد رضا قمشئي (حكيم صهبا)، مجلد واحد، خليل بهرامي قصرچمني.

٣٠- المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء، ٨ مجلدات، المولى محسن الفيض الكاشاني.

٣١- مشارق الدراري شرح تائية ابن الفارض، مجلد واحد، سعيد الدين سعيد فرغاني.

٣٢- مصباح الأنس، مجلد واحد، ابن حمزة الفناري.

٣٣- مصباح الشريعة، مجلد واحد، منسوب إلى الإمام الصادق عليه السلام.

٣٤- مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية، مجلد واحد، الإمام الخميني.

٣٥- مفتاح الغيب، مجلد واحد، صدر الدين القونوي.

٣٦- ممد الهمم في شرح فصوص الحكم، مجلد واحد، آية الله حسن زاده آملي.

٣٧- منازل السائرين إلى الحق المبين، مجلد واحد، الخواجة عبد الله الأنصاري.

٣٨- نقد النصوص في شرح نقش الفصوص، مجلد واحد، المولى عبد الرحمن بن أحمد الجامي.

٣٩- نقد النقود في معرفة الوجود، مجلد واحد، المولى عبد الرحمن بن أحمد الجامي.

٤٠- نقش الفصوص، مجلد واحد، محيي الدين بن عربي.

هذا بالإضافة إلى عناية كثير من مواقع الإنترنت الفارسية الشيعية بكتب الصوفية، وشرحها وترجمتها، وعرضها المباشر بكاملها على مواقعهم، حتى يسهل الاطلاع عليها، وتداولها.

الباب الثالث

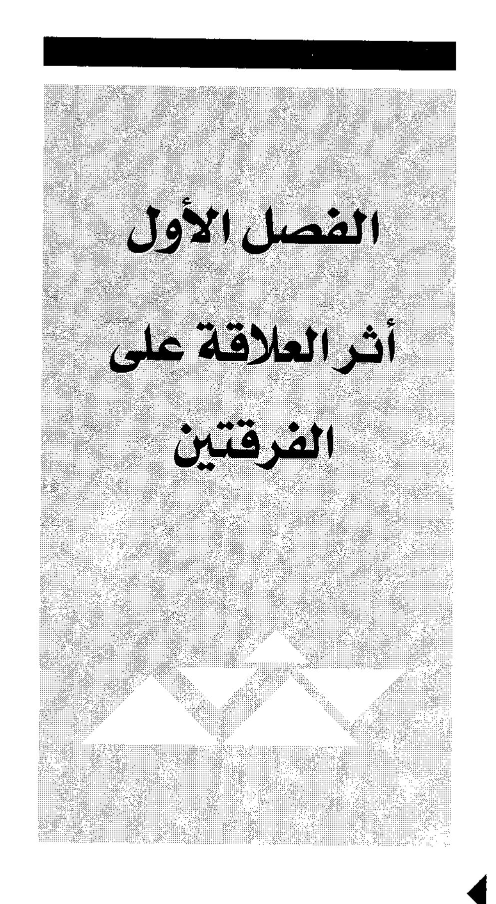
أثر علاقة الصوفية بالإمامية وموقف أهل السنة منها

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: أثر العلاقة على الفرقتين.

الفصل الثاني: الآثار المترتبة على العلاقة بين الصوفية والإمامية في حياة الأمة.

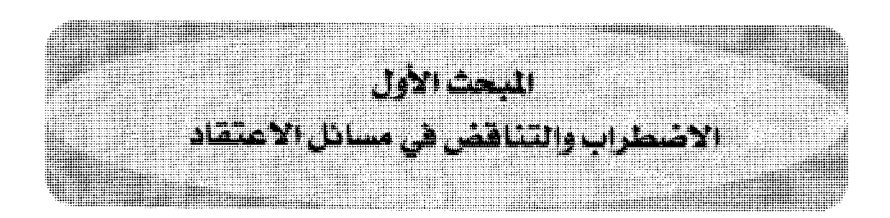
الفصل الثالث: موقف أهل السنة والجماعة من هذه العلاقة.



وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الاضطراب والتناقض في المسائل العقدية.

المبحث الثاني: شيوع الطقوس البدعية.



المبحث الأول
الاضطراب والتناقض في مسائل الاعتقاد

إن التناقض والاضطراب عند الإمامية والصوفية واقع في أصولهم العقدية دون النظر إلى العلاقة بينهما، ولكن في هذا المبحث أسلط الضوء على الأصول والدلائل المشتركة بين الفرقتين والتي أدت إلى الوقوع في التناقض والاضطراب، وأتبعه بنموذج تفصيلي يدل على ذلك.

المطلب الأول
الاضطراب والتناقض إجمالاً

اعترف علماء الإمامية بوجود التناقض والتنافي والتضاد وحتى الاشمئزاز في أحاديثهم حيث جاء في أساس الأصول لدلدار علي قوله: "إن الأحاديث المأثورة عن الأئمة مختلفة جداً لايكاد يوجد حديث إلا وفي مقابله ما ينافيه، ولا يتفق خبر إلا وبإزائه ما يضاده حتى صار ذلك سبباً لرجوع بعض الناقصين عن اعتقاد الحق"[1].

وقال الفيض الكاشاني عن اختلاف الإمامية: "تراهم يختلفون في المسألة الواحدة على عشرين قولاً، أو ثلاثين، أو أزيد.. "[2].

وقال الطوسي: "ذاكرني بعض الأصدقاء بأحاديث أصحابنا، وما وقع فيها من الاختلاف والتباين والمنافاة والتضاد حتى لا يكاد يتفق خبر إلا وبإزائه ما يضاده، ولا يسلم حديث إلا وفي مقابله ما ينافيه حتى جعل مخالفونا ذلك من أعظم الطعون على مذهبنا"[3].

(١) أساس الأصول لدلدار علي (ص: ٥١).
(٢) الوافي. المقدمة (ص: ٩).
(٣) مقدمة التهذيب للطوسي.

وقد ذكر المجلسي في هذا الاتجاه (١١٦) حديثاً في باب بعنوان "باب إن حديثهم - عليهم السلام - صعب مستصعب، وإن كلامهم ذو وجوه كثيرة، وفضيلة التدبر في أخبارهم - رضي الله عنهم - والتسليم لهم والنهي عن رد أخبارهم"[١].

ويقول عبد الحسين الرشتي: (وقد صح عن أئمتنا أن أحاديثنا صعب مستصعب)[٢].

وجاء أيضاً: "إن حديثنا تشمئز منه القلوب فمن عرف فزيدوهم، ومن أنكر فذروهم"[٣].

والتناقض والاضطراب الذي وقعت فيه الإمامية والصوفية يرجع إلى أصول مشتركة، ودلائل ظاهرة أعرض شيئاً منها بإيجاز.

أولاً: الأصول المؤدية للتناقض والاضطراب:

١ - القول بالظاهر والباطن في مسائل الدين، وأحقية علي وآل البيت رضي الله عنهم على وجه الخصوص بمعرفة باطن الدين وفهم القرآن:

رغم تبنيهم هذا الأصل إلا أن الواقع يشهد بأن الروايات الواردة في التفسير عن علي رضي الله عنه قليلة جداً، وما ينسبه الشيعة لأئمتهم من روايات في التفسير عامته كذب عليهم. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهذا ابن عباس نقل عنه من التفسير ما شاء الله بالأسانيد الثابتة ليس في شيء منها ذكر علي، وابن عباس يروي عن غير واحد من الصحابة؛ يروي عن عمر... وغير واحد، من المهاجرين والأنصار وروايته عن علي قليلة جداً ولم يخرج أصحاب الصحيح شيئاً من حديثه

(١) انظر: بحار الأنوار (٢/ ١٨٢-٢١٢).
(٢) كشف الاشتباه (ص: ١٣١).
(٣) بحار الأنوار (٢/ ١٩٢).

عن علي وخرجوا حديثه عن عمر وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم. . . وما يعرف بأيدي المسلمين تفسير ثابت من علي، وهذه كتب التفسير مملوءة بالآثار عن الصحابة والتابعين، والذي فيها عن علي قليل جداً، وما ينقل عن جعفر الصادق عامته كذب على جعفر»(١).

وقد لجؤوا إلى هذا الأصل ليتسنى لهم صناعة الروايات التي تتفق مع مبادئهم وأقولهم.

٢- القول بعصمة الأئمة والأولياء وتنزيههم من الأخطاء والهفوات، ورفع درجتهم إلى درجة الربوبية والألوهية، مع التنقيص من حق الأنبياء والرسل في المقابل:

ورصد هذا عند الإمامية والصوفية يفوق الحصر، وقد تعرضت لجوانب كثيرة منه أثناء البحث ولاسيما في الباب الثاني منه.

٣- قصر الحق على ما أملته عليهم شيوخهم ومراجعهم دون عرضها على نصوص الكتاب والسنة، ومن ثم طاعتهم طاعة مطلقة عمياء:

يقول شيخ الإسلام: «وأنهم لا يقبلون الحق إلا من الطائفة التي هم منتسبون إليها. . . وهذا يبتلى به كثير من المنتسبين إلى طائفة معينة في العلم أو الدين من المتفقهة أو المتصوفة أو غيرهم، أو إلى رئيس معظم عندهم في الدين غير النبي ﷺ، فإنهم لا يقبلون من الدين رأياً ورواية إلا ما جاءت به طائفتهم»(٢).

يقول ابن القيم يرحمه الله: «لما أعرض الناس عن تحكيم الكتاب والسنة والمحاكمة إليها اعتقدوا عدم الاكتفاء بها وعدلوا إلى الآراء والقياس والاستحسان وأقوال الشيوخ، عرض لهم من ذلك فساد في نظرهم وظلمة في قلوبهم، وكدر في

(١) منهاج السنة (٤/ ١٥٥).
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٧٤).

أفهامهم ومحق في عقولهم، وعمتهم هذه الأمور، حتى ربُي فيها الصغير، وهرم عليها الكبير، فلم يروها منكراً، فجاءتهم دولة أخرى، قامت فيها البدع مقام السنن، والنفس مقام العقل، والهوى مقام الرشد، والضلال مقام الهدى، والمنكر مقام المعروف، والجهل مقام العلم»[1].

٤- التأثر بالوافدات والثقافات والفلسفات المختلفة:

يقول الشيعة في العصر الحالي: «يجب أن نشير قبل أن نضع القلم بأن ما مر بنا من أفكار الشيعة مما كان خاصاً بفرقة بعينها لم يلبث أن دخل كله في التشيع... ودُعم بالحجج العقلية وبالنصوص، والتشيع الحالي إنما هو زبدة الحركات الشيعية كلها... وقام بعملية المزج متكلمو الشيعة ومصنفوها[2]». فهم يقرون بأنفسهم أن قواعدهم وأصولهم الحالية لم تكن مؤسسة ومقعدة، وإنما هي عبارة عن عملية مزج وخلط.

ثانياً: دلائل التناقض والاضطراب ونتائجهما:

١- تباين أقوالهم في المسألة الواحدة من مسائل الاعتقاد الكبرى ورد بعضهم على بعض:

ومن شواهده: أن الشعراني سأل شيخه الخواص: "ما ميزان الكشف في باب الاعتقادات في الله عز وجل؟ فقال: ليس لذلك ميزان مضبوط لأن الحق تعالى قد تعرف إلى كل مخلوق بوجه لا يشاركه فيه مخلوق آخر"[3].

وعند الإمامية نجد أن الخميني يقرر في كتابه تحرير الوسيلة أنه لا يجوز بسبب

---

(١) الفوائد. لابن القيم (ص: ٤٨).
(٢) الصلة بين التصوف والتشيع (ص: ٢٣٥).
(٣) الجواهر والدرر (ص: ٢٦٠).

غيبة المهدي البدء في الجهاد[1]، لكنه حينما أقام دولته قرر في دستورها التكفل بحمل رسالة عقائدية هي الجهاد في سبيل الله، والنضال من أجل توسيع حاكمية قانون الله في أرجاء العالم كافة[2].

كما أن الرفاعي - أحد الأقطاب الأربعة - حذر من القول بوحدة الوجود، وقال إنها عقيدة منقولة عن الفلاسفة، وأنها علم ضار، فيقول: "العلم الضار صموا أسماعكم عن علم الوحدة، علم الفلاسفة وما شاكلهما فإن هذه العلوم مزالق الأقدام إلى النار حمانا الله وإياكم"[3].

وقال الرفاعي: "ينقلون عن الحلاج أنه قال الحق أخطأ بوهمه، ولو كان على الحق ما قال أنا الحق، يذكرون له شعراً يوهم الوحدة، وكل ذلك ومثله باطل"[4]، وقال أيضاً: "لو كنت في زمن الحلاج لأفتيت مع من أفتوا بقتله"[5].

٢- **تعدد الآراء والاتجاهات في مسائل لا تقبل الخلاف**: كالموقف من سلامة النص القرآني، والموقف من السنة النبوية وما يتعلق بها من علوم الحديث رواية ودراية كما مر معنا في أثناء هذا البحث.

٣- تطور المذهب وانتقال مسائله من المنع والتحريم إلى القول بأنها من ضرورات المذهب:

مثل مسائل: الرجعة، والبراءة من الصحابة، وولاية الفقيه وانقسامهم فيها إلى فريقين محرم وموجب[6].

---

(١) انظر: تحرير الوسيلة (١/ ٤٨٢).
(٢) انظر: الدستور لجمهورية إيران الإسلامية. طبع وزارة الإرشاد الإيرانية (ص: ١٠).
(٣) البرهان المؤيد. أحمد الرفاعي (ص: ٤٤).
(٤) السابق (ص: ١٦).
(٥) حكم الرفاعي. الحكمة (ص: ٧٩).
(٦) انظر خلافهم في ولاية الفقيه: وجوب النهضة لحفظ البيضة. محمد الحسين البغدادي(ص: ٩٣)، والتحول العاصف في إيران. خالد محمد البسيوني (ص: ١٦٨)، وأصول مذهب الشيعة (٣/ ١٤٠٦).

وقالوا: "إن ثبوت الرجعة مما اجتمعت عليه الشيعة الحقة والفرقة المحقة، بل هي من ضروريات مذهبهم". "ومنكرها خارج من رتبة المؤمنين، فإنها من ضرورات مذهب الأئمة الطاهرين"[1].

وقد بطلت عقيدة الرجعة في بطون مراجعهم بأقوال الأئمة الإثني عشر عندهم، وأسوق من ذلك قول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في " نهج البلاغة": "فبادروا العمل، وخافوا بغتة الأجل، فإنه لا يرجى من رجعة العمر ما يرجى من رجعة الرزق"[2].

ويقول أبو الحسن الخنيزي: (فالحق الذي عليه المحققون هو أن لا رجعة، سوى ظهور الإمام الثاني عشر)[3].

وينكر الرجعة هاشم معروف الحسيني حيث يقول: (إن الرجعة ليست من معتقدات الإمامية ولا من الضروريات عندهم)[4]. وقد قرر محسن الأمين أن منكر ما هو ضروري في التشيع كافر عندهم[5]. وبهذا يكفر بعضهم بعضاً. ولهذا قال المظفر: "إن الاعتقاد بالرجعة من أكبر ما تنبز به الشيعة الإمامية ويشنع به عليهم"[6].

وقال المجلسي: "ومما عد من ضروريات دين الإمامية، استحلال المتعة، وحج التمتع، والبراءة من أبي بكر، وعمر وعثمان ومعاوية"[7].

---

(١) انظر: عقائد الإثني عشرية. إبراهيم الزنجاني (ص: ٢٣٩-٢٤١)، وحق اليقين. عبد الله شبر (٢/ ٣).

(٢) نهج البلاغة (١/ ٢٢٦).

(٣) الدعوة الإسلامية (٢/ ٩٤).

(٤) الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة. هاشم معروف الحسيني (ص: ٢٣٧).

(٥) كشف الارتياب. محسن الأمين. المقدمة الثانية، وهو أيضاً مقرر عندهم في: مهذب الأحكام (١/ ٣٨٨-٣٩٣).

(٦) عقائد الأمامية (ص: ١١٠).

(٧) الاعتقادات للمجلسي (ص: ٩٠-٩١).

في حين وردت روايات عند الإمامية تأمر بتولي أبي بكر وعمر بل اتباعهما رضي الله عنهما، ومنها: ما يروونه عن جعفر الصادق أنه قال لامرأة من الشيعة سألته عن أبي بكر وعمر، أتتولاهما وتحبهما؟ قال: توليهما. قالت: فأقول لربي إذا لقيته إنك أمرتني بولايتهما؟ قال: نعم[1].

وقال علي رضي الله عنه في شأن بقية الصحابة رضي الله عنهم: (لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ، فما أرى أحداً يُشبههم منكم، لقد كانوا يُصبحون شعثاً غبراً، وقد باتوا سجداً وقياماً، يروحون بين جباههم وخدودهم.. إذا ذُكر الله هملت أعينهم، حتَّى تبل جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف، خوفاً من العقاب، ورجاءً للثواب)[2].

وقال رضي الله عنه: (أُوصيكم في أصحاب رسول الله ﷺ لا تسبُّوهم، فإنهم أصحاب نبيكم، وهم أصحابه الذين لَم يبتدعوا في الدين شيئاً، ولَم يُوقِّروا صاحب بدعة، نعم: أوصاني في هؤلاء)[3].

وقال: (فازَ أهل السبق بسبقهم، وذهبَ المهاجرون الأولون بفضلهم)[4].

وقال رضي الله عنه عن الأنصار رضوان الله عليهم: (فلما آووا رسول الله ﷺ، ونصروا الله ودينه، رمتهم العرب عن قوس واحدة، وتحالفت عليهم اليهود، وغزتهم القبائل قبيلة بعد قبيلة، فتجرَّدوا للدين، وقطعوا ما بينهم وبين العرب من الحبائل.. وأقاموا قناة الدين، وتصبَّروا تحت أحلاس الجلاد، حتَّى دانت لرسول

(١) الروضة من الكافي للكليني (ص:١٠١). وانظر للاستزادة: مروج الذهب للمسعودي (٣/ ٢٢٠)، وروضات الجنات (١/ ٣٢٤).
(٢) نهج البلاغة. للشريف المرتضى. تحقيق صبحي الصالح (ص:١٤٣).
(٣) حياة القلوب للمجلسي (٢/ ٦٢١).
(٤) نهج البلاغة (ص:٣٨٣)، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (١٥/ ١١٧)، وبحار الأنوار (٣٣/ ١٠٤).

الله صلى الله عليه وآله العرب، ورأى فيهم قرَّة العين قبل أن يقبضه الله إليه . .)[١].

وكان زين العابدين رحمه الله يدعو لهم في صلاته فيقول: (اللهم وأصحابُ محمد خاصةً، الذين أحسنوا الصحابةَ، والذين أبلوا البلاءَ الحسنَ في نصرهِ. . . اللهم وأوصل إلى التابعين لهم بإحسان الذين يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان خير جزائك. . وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته. .)[٢].

وقال جعفر الصادق رحمه الله: (كان أصحاب رسول الله ﷺ اثني عشر ألفاً. . ولَم يُرَ فيهم قدري، ولا مرجئي، ولا حروري، ولا معتزلي، ولا صاحب رأي. .)[٣].

وسُئل الرضا عن قول الرسول ﷺ: (أصحابي كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهتديتم) وقوله: (دعوا لي أصحابي)؟ فقال: (هذا صحيح)[٤].

وقال الحسن العسكري رحمه الله: (إنَّ كليم الله موسى ﷺ سأل ربَّهُ: هل في أصحاب الأنبياء أكرم عندك من صحابتي؟ قال الله: يا موسى، أما علمت أنَّ فضل صحابة محمد ﷺ على جميع صحابة المرسلين، كفضل محمد ﷺ على جميع المرسلين والنبيين)[٥].

وقال رحمه الله: (إنَّ رجلاً يُبغض آل محمد ﷺ وأصحابه الخيرين، أو واحداً منهم، يُعذبه الله عذاباً، لو قُسِّمَ على مثل عدد خلق الله، لأهلكهم أجمعين)[٦].

---

(١) الغارات. لإبراهيم بن محمد الثقفي (٢/ ٣٣٠)، والأمالي للطوسي (ص: ١٧٣)، وشرح نهج البلاغة (٢/ ٨٨).

(٢) صحيفة كاملة لزين العابدين (ص: ١٣، ٤٢).

(٣) الخصال للصدوق (ص: ٦٤٠).

(٤) عيون أخبار الرضا لابن بابويه (٢/ ٨٧)، وبحار الأنوار (٢٨/ ١٨).

(٥) تفسير الحسن العسكري (ص: ٦٥)، وبحار الأنوار (١٣/ ٣٤٠)، وتفسير البرهان للبحراني (٣/ ٢٢٨) واللفظ له.

(٦) تفسير الحسن العسكري (ص: ١٩٦).

كما أن هناك دوراً بارزاً في تذبذب الآراء، واختلاف الأقوال بسبب عقيدة التقية عند الإمامية، وعدلها بتسعة أعشار الدين، ولا دين عندهم لمن لا تقية له[1]، ومن خلالها يظهرون الموافقة، ويسترون اعتقاداتهم وأعمالهم المختصة بهم.

٤- الوقوع في الندم والحيرة:

فهذا الخميني يطلق صرخة تحذير ينادي بها قومه فيقول: "أيتها الحوزات العلمية وجامعات أهل التحقيق قوموا وأنقذوا القرآن الكريم من شر الجاهلين المتنسكين، والعملاء المتهتكين الذين هاجموا ويهاجمون القرآن عمداً وعن علم فإنني أقول بشكل جدي وليس (للتعارف العادي). إني أتأسف على عمري الذي ذهب هباءً في طريق الضلال والجهالة، وأنتم يا أبناء الإسلام الشجعان أيقظوا الحوزات والجامعات للالتفات إلى شؤون القرآن وأبعاده المختلفة جداً واجعلوا تدريس القرآن في كل فروعه مد نظركم وهدفكم الأعلى لئلا لا قدر الله أن تندموا في آخر عمركم عندما يهاجمكم ضعف الشيخوخة على أعمالكم وتتأسفوا على أيام الشباب كالكاتب نفسه"[2].

ونسب بعض الصوفية ندم الجيلاني على فوات أمر من أمورهم خالفهم فيه. حيث قال الشعراني لشيخه الخواص: "الشيخ عبد القادر الجيلاني لم يقل: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله تعالى إلا بإذن. فقال الخواص: لو كان ذلك بأمر من الله ما وقع منه ندم حين وفاته، فقد بلغنا أنه وضع خده على الأرض وقال: هذا هو الحق الذي كنا عنه في غفلة، وندم واستغفر، ومعلوم أن الندم لا يكون عقب امتثال الأوامر الإلهية إنما يكون عقب ارتكاب أهوية النفوس"[3].

---

(١) انظر: الكافي (٢/ ٢١٧).

(٢) القرآن الثقل الأكبر. الخميني مصطفى (ص: ٣٢). وقد يكون هذا الكلام من باب التقية عند الخميني لأن الذين أعقبوه واتبعوه لم يعملوا بوصيته هذه.

(٣) الجواهر والدرر (ص: ١٤٠).

المطلب الثاني
الاضطراب والتناقض في المسائل التفصيلية
(الإمامة والولاية أنموذجاً)

قد يكون من الصعب أو من باب الإطالة والإملال تناول كل المسائل العقدية التي وقع فيها التناقض والاضطراب عند أتباع الفرقتين، ولكن أختار أبرز المسائل التي كثر إيرادها في ثنايا البحث، كما تعد الأشد تشابهاً وقرباً بين الصوفية والإمامية من الناحيتين النظرية والعملية لتصبح أنموذجاً تفصيلياً للتناقض عندهم وهي الإمامة والولاية.

فمن الجمع بين المتناقضات في هذه المسألة أن الإمامية تعتقد اعتقاداً جازماً بأن القرآن ليس بحجة إلا بقول الإمام، فالكليني يقول: «إن القرآن لا يكون حجة إلا بقيم، وإن علياً كان قيم القرآن، وكانت طاعته مفروضة، وكان الحجة على الناس بعد الرسول»[1]. فعندهم الحجة في قول الإمام لا بقول الرحمن ومع ذلك ورد عنهم وعن أئمتهم القول بنقيض ذلك، فقد قال الإمام على حد زعمهم: "فالقرآن أمر زاجر

(١) أصول الكافي (١/ ١٨٨).

صامت ناطق، حجة الله على خلقه"[١]. وقال الرضا عن القرآن الذي بين أيدينا: "هو حبل الله المتين وعروته الوثقى، جُعل دليل الحيران وحجة على كل إنسان، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد "[٢].

ومن الأمثلة: أن الإمامية تعتقد أن الأئمة يقومون بأعمال ومعجزات عديدة كإحياء الموتى، وإنزال المطر وشفاء المرضى، وإنبات الزرع، ويزعمون أن تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ [الرعد: ١٢]. كل ما يقع من الرعد والبرق فهو من أمر علي والأئمة، فهم قد جعلوا الأئمة شركاء في الربوبية ويروُون روايات عديدة توضح مدى معجزاتهم، فيقول المفيد: "أقول إن الأئمة من آل محمد ﷺ قد كانوا يعرفون ضمائر بعض العباد ويعرفون ما يكون قبل كونه، وليس ذلك بواجب في صفاتهم ولا شرطاً في إمامتهم، وإنما أكرمهم الله به وأعلمهم إياه، للطف في طاعتهم والتمسك بإمامتهم"[٣]. ومع ذلك يروون عن الأئمة الذين ينتسبون إليهم ما يخالف اعتقادهم فيقولون: إن جعفر بن محمد قال: "والله ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا، ما نقدر على ضر ولا نفع، وإن رحمنا فبرحمته، وإن عذبنا فبذنوبنا، والله ما لنا على الله من حجة، ولا معنا من الله براءة، وإنا لميتون ومقبورون ومنشورون ومبعوثون وموقوفون ومسؤولون. . . أشهدكم أني امرؤ ما معي براءة من الله، إن أطعته رحمني، وإن عصيته عذبني عذاباً شديداً "[٤][٥].

وقد جاءت روايات في كتب الإمامية المعتمدة، تنقض تأويل الإمامية لهذه الآيات هذا التأويل الباطني، ومن ذلك ما جاء في تفسيرهم: "عن حبيب بن معلى

(١) نهج البلاغة (ص: ٢٦٥).
(٢) بحار الأنوار (٩٢/ ١٧).
(٣) أوائل المقالات (١/ ٣٨).
(٤) أصول الكافي (١/ ٤٥٧)، وبحار الأنوار (٤١/ ١٩٢)، ورجال الكشي (ص: ٢٢٥، ٢٢٦).
(٥) يظهر هنا التناقض أيضاً حيث إن جعفر وهو من أفضل الأئمة عندهم يقرر نقض العصمة لهم.

الخثعمي، قال: ذكرت لأبي عبد الله رضي الله عنه ما يقول أبو الخطاب، فقال: أجل إلي ما يقول. قال في قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ [الزمر: ٤٥]، أنه أمير المؤمنين: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ [الزمر: ٤٥] فلان وفلان "يعني أبا بكر وعمر". قال أبو عبد الله: من قال ذلك فهو مشرك بالله عز وجل ثلاثاً، أنا إلى الله منهم بريء ثلاثاً، بل عنى الله بذلك نفسه[١]. فأبو عبد الله يحكم عل شيوخ الإمامية بالشرك[٢].

وجاء في كتب الإمامية المعتبرة ما يناقض دعوى علم الأئمة وامتلاكهم لأمور الآخرة، وأن علي رضي الله عنه قسيم الجنة والنار، بل في المقابل ورد عنهم في نفي ذلك اعترافهم بجهلهم وتقصيرهم وإشفاقهم في الموقف على الله تعالى، ومن ذلك قول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: "إلهي أفكر في عفوك، فتهون علي خطيئتي، ثم أذكر العظيم من أخذك، فتعظم عليّ بليتي، ثم قال: آه إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها، وأنت محصيها، فتقول: خذوه، فياله من مأخوذ لا تنجيه عشيرته، ولا تنفعه قبيلته "[٣]. وما من إمام إلا وقد رووا عنه الكثير من أمثال هذا الدعاء.

وورد في كتب الإمامية المعتمدة روايات كثيرة تعارض مزاعم الإمامية في مسألة بناء المشاهد والأضرحة على قبور الأئمة. ومنها ما رواه الكليني في الكافي عن أبي عبد الله قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام " بعثني رسول الله - صلى الله عليه وآله - إلى المدينة فقال: لا تدع صورةً إلا محوتها، ولا قبراً إلا سويته"، وقال: "بعثني رسول الله - صلى الله عليه وآله - في هدم القبور وكسر الصور "[٤]. وعن أبي عبد الله، قال: "نهى رسول الله - صلى الله عليه وآله - أن يُصلى على قبر

---

(١) البرهان في تفسير القرآن للبحراني (٤/ ٧٨).
(٢) أصول مذهب الشيعة. ناصر الغفاري (٢/ ٤٣٤).
(٣) أمالي الصدوق لابن بابويه القمي (ص: ٤٨).
(٤) فروع الكافي للكليني (٢/ ٢٢٦، ٢٢٧).

أو يُقعد عليه أو يُبنى عليه"[1]. وعن أبي عبد الله، قال: "لا تبنوا على القبور، فإن رسول الله ﷺ كره ذلك"[2]. وعن أبي عبد الله، عن آبائه، عن رسول الله ﷺ نهى أن يجصص المقابر[3]. وورد النهي عن اتخاذ القبور مسجداً وقبلة، ومن ذلك ما جاء عن علي بن الحسين، قال: قال النبي - صلى الله عليه وآله -: " لا تتخذوا قبري مسجداً فإن الله لعن اليهود، حيث اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"[4]، كما وردت روايات تبين بطلان الصلاة إلى غير القبلة[5]. وجاء في رواياتهم ما ينهى عن الطواف بالقبور، ومن ذلك: "ولا تطف بقبر، . . فإن من فعل ذلك فلا يلومن إلا نفسه، ومن فعل شيئاً من ذلك، لم يكن يفارقه إلا ما شاء الله"[6]. وصيغة العموم واضحة في هذه الروايات.

وقد جاء في كتب الإمامية المعتمدة روايات تناقض وتعارض روايات تعظيم الأئمة والغلو فيهم إلى مراتب النبوة بل الربوبية والألوهية، وتعيدهم إلى طبيعتهم البشرية، حيث جاء في (رجال الكشي) أن جعفر بن محمد، قال: (فوالله ما نحن إلا عبيد للذي خلقنا واصطفانا، ما نقدر على ضر ولا نفع، وإن رحمنا، فبرحمته، وإن عذبنا فبذنوبنا، والله ما لنا على الله من حجة، ولا معنا من الله براءة، وإنا لميتون، ومقبورون، ومنشورون، ومبعوثون، وموقوفون، ومسؤولون، ويلهم، ما لهم، لعنهم الله، فقد آذوا الله، وآذوا رسول الله ﷺ في قبره، وأمير المؤمنين، وفاطمة، والحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي - صلوات الله عليهم -. .

(١) تهذيب الأحكام للطوسي (١ / ١٣٠).
(٢) السابق (١ / ١٣٠)، والمحاسن للبرقي (ص: ٦١٢).
(٣) من لا يحضره الفقيه (٢/ ١٩٤)، وأمالي الصدوق لابن بابويه القمي (ص: ٢٥٣).
(٤) من لا يحضره الفقيه (١/ ٥٧).
(٥) انظر: فروع الكافي (١/ ٨٣)، ومن لا يحضره الفقيه (١/ ٧٩، ١٢٢)، وتهذيب الأحكام (١/ ١٤٦، ١٧٨، ١٩٢، ٢١٨).
(٦) علل الشرائع لابن بابويه القمي (ص: ٢٨٣).

أشهدكم أني امرؤ ولدني رسول الله ﷺ وما معي براءة من الله، إن أطعته رحمني، وإن عصيته عذبني عذاباً شديداً"[1].

وروت كتبهم أنه عندما قيل لأمير المؤمنين: أنت نبي، قال: "ويلك، إنما أنا عبد من عبيد محمد - صلى الله عليه وآله -"[2]، وقال ابن بابويه في شرح ذلك: يعني بذلك عبد طاعته لا غير ذلك[3]. وقد استنكر جعفر الصادق ما ينسبه له شيعة الكوفة من تلك المبالغات فقال - كما جاء في كتب الإمامية المعتمدة -: "و الله لو أقررت بما يقول في أهل الكوفة لأخذتني الأرض، وما أنا إلا عبد مملوك، لا أقدر على شيء بضر ولا بنفع"[4]، وقد نقلت كتب الإمامية أحاديث كثيرة، تبين أن الأئمة كانوا في حياتهم يلجؤون إلى الله سبحانه، وينفون عن أنفسهم الحول والقوة، فعلم أن هذه الدعاوى ما هي إلا محض اختلاق[5].

ومن ناحية أخرى فإنه رغم الغلو في دعوى محبة الأئمة إلا أنهم يقعون بالتناقض في إهانتهم بل إهانة رسول الله ﷺ، وذلك من خلال ما نسبوه إلى النبي قوله: "من تمتع مرة كانت درجته كدرجة الحسين، ومن تمتع مرتين كانت درجته كدرجة الحسن، ومن تمتع ثلاث مرات كانت درجته كدرجة علي بن أبي طالب، ومن تمتع أربع مرات فدرجته كدرجته"[6]. ومن هذا النص يتبين أن درجة الحسين وأخيه وأبيه وجده عندهم هينة إلى هذا الحد حيث يمكن بلوغها من خلال التمتع بفروج النساء.

(١) رجال الكشي (ص: ٢٢٥، ٢٢٦).
(٢) التوحيد لابن بابويه القمي (ص: ١٧٤، ١٧٥).
(٣) السابق (ص: ١٧٥).
(٤) تنقيح المقال للمامقاني (٣/ ٣٣٢).
(٥) انظر: أصول مذهب الشيعة (٢/ ٦٢٨).
(٦) حق اليقين. محمد المجنسي (ص: ٣٤٧) نقلاً عن بطلان عقائد الشيعة. محمد عبد الستار التونسوي (ص: ٤٢).

كما جاءت روايات في كتب الإمامية المعتمدة تُخالف وتُناقض الإمامية في قولهم بعصمة أئمتهم، وتُبين غلوهم فيهم. ومن ذلك قول إمامهم: تعالى الله - عز وجل - عما يصفون، سبحانه وبحمده، ليس نحن شركاء في علمه ولا في قدرته، بل لا يعلم الغيب غيره، كما قال في محكم كتابه تبارك وتعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]... قد آذانا جُهلاء الشيعة، ومن دينه جناح بعوضة أرجح منه، وأشهد الله الذي لا إله إلا هو، وكفى به شهيداً.. أني بريء إلى الله وإلى رسوله ممن يقول: إنا نعلم الغيب، أو نُشارك الله في ملكه، أو يحلنا محلاً سوى المحل الذي رضيه الله لنا"[١]. والروايات في هذا كثيرة[٢].

وإذا ما انتقلنا إلى تناقضات الصوفية في هذا الباب فسنجد مثلاً أن إلزام الصوفية الاستغاثة والتوسل بالأولياء ينقضه الرفاعي - أحد الأقطاب الأربعة عند الصوفية- بقوله: «إذا استعنتم بعباد الله وأوليائه فلا تشهدوا المعونة والإغاثة منهم فإن ذلك شرك»[٣]. فهذا النص يفيد بوضوح أن الاستغاثة بالأولياء يعدها الرفاعي من الشرك المنافي للتوحيد.

ويقول: «ما من عبد نزلت به بلية فاعتصم بمخلوق دوني إلا قطعت أسباب السماء من يديه ووكلته إلى نفسه، وما من عبد نزلت به بلية فاعتصم بي دون خلقي إلا أعطيته قبل أن يسألني»[٤].

وأن عيسى عليه السلام قال: «طوبى لعبد سأل الله ولم يسأل إلا الله»[٥].

(١) بحار الأنوار (٢٥/ ٣٢).
(٢) انظر: أصول الكافي (١/ ٢٥٧)، ورجال الكشي (ص: ٣٢٣، ٣٢٥، ٥١٨، ٥١٩).
(٣) البرهان المؤيد (ص: ٧٩).
(٤) حالة أهل الحقيقة مع الله. منسوب إلى الرفاعي (ص: ١٢٤).
(٥) السابق (ص: ٦٨).

وروى أن بعض الصالحين وقع في بئر، ومرت بجانب البئر قافلة فأراد أن يستغيث فهتف به هاتف: «أتستغيث بغيري وأنا غياث المستغيثين؟»[1].

وأن الله تعالى قال لعبد من عباده: «لا تسأل غيري فأمقتك»[2].

كما يرى الرفاعي أن العكوف على قبور المشايخ والتبرك بها من الوثنية، وسمى القبر في مثل هذه الحالة «صنماً». قال: «يا سادة: لا تجعلوا رواقي حرماً، ولا قبري بعد موتي صنماً، عليكم به سبحانه، لا يضر وينفع ويصل ويقطع ويفرق ويجمع ويعطي ويمنع إلا هو»[3].

هذا موقف الرفاعي من الاستغاثة بالمشايخ وملازمة قبورهم، وهذا هو موقف كبار أئمة الصوفية وعقلائها أمثال الشيخ عبد القادر الجيلاني - أحد الأقطاب الأربعة عند الصوفية- الذي كان يشنع على المستغيثين المستعينين بغير الله فيقول في كتابه الفتح الرباني: "يا من يشكو الخلق مصائبه، إيش ينفعك شكواك إلى الخلق، لا ينفعونك ولا يضرونك، وإذا اعتمدت عليهم وأشركت في باب الحق عز وجل يبعدونك، وفي سخطه يوقعونك. . . أنت يا جاهل تدعي العلم، تطلب الخلاص من الشدائد بشكواك الخلق. . ويلك، أما تستحيي أن تطلب من غير الله عز وجل وهو أقرب إليك من غيره "[4].

وقال لولده عند مرض موته: «لا تخف أحداً ولا ترجه، وأوكل الحوائج كلها إلى الله عز وجل واطلبها منه، ولا تثق بأحد سوى الله عز وجل، ولا تعتمد إلا عليه

(١) السابق (ص: ١٢١ - ١٢٢).
(٢) حالة أهل الحقيقة مع الله (ص: ١٣٤).
(٣) البرهان المؤيد (ص: ٥٢)، وحكم الرفاعي (ص: ١٢)، والكليات الأحمدية (ص: ١١٥) جمع الصيادي في هذا الكتاب أقوال الرفاعي كلها.
(٤) الفتح الرباني والفيض الرحماني (ص: ١١٧ -١١٨، ١٥٩).

سبحانه، التوحيد التوحيد، وجماع الكل التوحيد»[1]

وفي عصمة الشيوخ والأولياء يقول القشيري: "ولا ينبغي للمريد أن يعتقد في المشايخ العصمة بل الواجب أن يذرهم وأحوالهم "[2]. في حين كان يرى القول بالعصمة والحفظ للمشايخ في مواطن أخرى من رسالته كما مر معنا.

والحاصل أن كل ما أسبغوه على الأئمة والأولياء من خصائص لم ترد في الشرع يوجد ما ينقضها من كلام أعلام القوم أنفسهم، وقبل ذلك يثبت بطلانها واضطرابها بعرضها على نصوص الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة.

---

(١) السابق (ص: ٣٧٣).

(٢) الرسالة القشيرية (٢/ ٧٤٣).

المبحث الثاني
شيوع الطقوس البدعية

إن شيوع الطقوس البدعية بين أتباع الفرقتين كان امتداداً لما سبق ذكره من انتشار القبور والأضرحة والمزارات، فجاءت هذه الطقوس لإحياء المناسبات حولها، وتلاوة الأذكار الجماعية، والأوراد والأدعية عندها.

المطلب الأول
إحياء المناسبات الحولية

إن من آثار العلاقة بين الصوفية والإمامية أن شاعت الطقوس البدعية وما يتبعها من شعائر تعبدية تصل إلى حد كبير من التشابه في بعض صورها وأشكالها.

ويبلغ عدد المناسبات التي يحييها الإمامية حوالي مائة مناسبة دينية موزعة على اثني عشر شهراً هجرياً، متنوعة ما بين إحياء ذكرى استشهاد، وميلاد، وغزوة، وحادثة... إلخ، وتحتل مناسبات ذكرى استشهاد الأئمة المرتبة الأولى من حيث الاهتمام النوعي، ويعد شهر محرم من أهم الشهور التي تحفل بالمناسبات، ومن بينها أهم المناسبات على الإطلاق عند الشيعة، وهي استشهاد الحسين رضي الله عنه في اليوم العاشر منه، وهو ما يعرف عندهم بـ"يوم عاشوراء".

وتأتي المناسبات الدينية عند الإمامية تحت عنوان: "إحياء أمر أهل البيت"، وذلك بذكرهم وتعريف الناس بهم، وبمكانتهم، وفضائلهم، ويروون عن الإمام

الصادق أنه قال لفضيل: "تجلسون وتحدثون؟ قال: نعم جعلت فداك. قال: إن تلك المجالس أحبها، فأحيوا أمرنا يا فضيل، فرحم الله من أحيا أمرنا..."[1].

وعن الإمام الرضا: "رحم الله من أحيا أمرنا،...."[2].

ويغلب على الاحتفالات الحولية عند الإمامية طابع العزاء والنياحة والبكاء، وتلاوة الأوراد والملاحم المأساوية، والأدعية الخاصة التي شرعوها لشيعتهم، وملؤوها بالبدع، وأعمال الشرك من دعاء غير الله، والاستغاثة بالأموات، وطلب شفاعتهم، بأسلوب يثير في نفوس الشيعة والأتباع الأحزان، ويملأ قلوبهم بالأحقاد، ويشحن صدورهم بالكراهية للسنة وأهلها وخاصة رجالها الأوائل.

ويشارك بعض الصوفية مناسبات الإمامية ويشابهونهم في طريقة إحيائها ويفارقونهم بعض الشيء، فهم إن شاركوهم في قراءة تفاصيل المناسبة وعرضها، وتلاوة الأوراد والأدعية، وإطلاق التوسلات والاستغاثات بغير الله تعالى، فإنهم يفارقونهم في صبغ مناسباتهم بطابع الفرح والطرب والرقص والسماع بدلاً من النوح واللطم والجزع.

ومن أبرز المناسبات الحولية التي تحفل بها الصوفية والإمامية وفي الغالب يكون أصل منشئها شيعياً:

١ - مولد النبي ﷺ:

ظاهرة الاحتفال بالموالد معروفة من العصور السابقة على الإسلام؛ فكان الفراعنة واليونان يحتفلون بالآلهة، ويجعلون عيداً لظهورها، ثم انتقل ذلك إلى النصرانية فكانوا يحتفلون بالموالد؛ مثل: ميلاد المسيح عليه الصلاة والسلام[3].

---

(١) بحار الأنوار، (٤٤ / ٢٨٢).

(٢) السابق (٢ / ٣٠).

(٣) انظر: الموالد.. دراسة للعادات والتقاليد الشعبية في مصر. فاروق أحمد مصطفى (ص: ٤).

ومن خلال الرجوع إلى المصادر التاريخية والعلمية فإن مناسبة مولد النبي والأئمة من ابتداع الدولة العبيدية أي أنها شيعية المنشأ، وقد أكد ذلك أكثر من عالم ومؤرخ.

قال المقريزي في كتابه "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" تحت عنوان (ذكر الأيام التي كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعياداً ومواسم تتسع بها أحوال الرعية وتكثر معهم) قال: "كان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم رأس السنة، وموسم أول العام، ويوم عاشوراء، ومولد النبي ﷺ، ومولد علي بن أبي طالب، ومولد الحسن والحسين، ومولد فاطمة الزهراء، ومولد الخليفة الحاضر، وليلة أول رجب، وليلة نصفه، وموسم ليلة رمضان، وغرة رمضان، وسماط رمضان، وليلة الختم، وموسم عيد الفطر، وموسم عيد النحر، وعيد الغدير، . . ."[1].

وقال محمد بخيت المطيعي (ت: ١٣٥٤هـ) - مفتي الديار المصرية آنذاك-: "مما أحدث وكثر السؤال عنه: المولد، فنقول: عن أول من أحدثها بالقاهرة الخلفاء الفاطميون، وأولهم المعز لدين الله، توجه من المغرب إلى مصر في شوال ٣٦١هـ فوصل إلى ثغر الإسكندرية. . .ودخل القاهرة. . . فابتدعوا سنة المولد، مولد النبي، ومولد أمير المؤمنين"[2].

إلا أن مولد النبي ﷺ وفق الروايات الشيعية يوافق الثامن والعشرين من شهر صفر، وفي هذه الليلة يحيون مولد الرسول الأكرم كما يقولون.

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. المقريزي (١/ ٢٧٤)، وانظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشا. للقلشقندي (٣/ ٤٩٤-٤٩٨).

(٢) انظر: أحسن الكلام للمطيعي (ص: ٤٤). ومن القائلين بأن الفاطميين هم الذين أحدثوا بدعة المولد: علي محفوظ في كتابه: الإبداع في مضار الابتداع (ص: ١٢٦)، وسعد صادق في كتابه: صراع بين الحق والباطل (ص: ١٢٤)، وعلي فكري في كتابه: المحاضرات الفكرية (ص: ٨٤). وانظر بقية من قال به من أهل العلم لما نقله مشهور حسن سلمان في تعليقه أثناء تحقيقه لكتاب: الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة، (ص: ٩٦).

أما ما يحصل في الموالد من المفاسد فهي كثيرة، منها :

- الغلو في مدح النبي ﷺ وإعطاؤه صفات الرب. وكذلك الوقوع في العبارات التي لا تليق كالتغزل به ﷺ.

- التوسلات والاستغاثات الشركية في حال إقامة الموالد عند القبور.

- شد الرحال من أماكن بعيدة لحضور الموالد ابتغاء حصول الثواب والأجر وإدراك الفضائل المختلقة لحضورها.

- الانشغال عن ذكر الله تعالى بالألحان والأشجان وإنشاد القصائد وما يصاحبها أحياناً من استعمال آلات اللهو والطرب.

- زعمهم أن النبي ﷺ يحضر معهم احتفالياتهم بالروح، أو بالروح والجسد، فتجدهم يقومون في مجالسهم محيين، ومرحبين به ﷺ.

- اختلاط الرجال بالنساء، فضلاً عما تقوم به بعض الطرق الصوفية من اختبار لصدق اتِّباع أفرادها ويسمى (ضمَّة اللحاف) وتعني: الإتيان برجل وامرأة من الطريقة الصوفية نفسها أي: مريد ومريدة فيدخل الرجل والمرأة تحت لحاف واحد حتى الصباح، فإذا لم يحدث بينهما جماع؛ دلَّ ذلك على الإخلاص وصدق الاتِّباع[1].

- إنفاق الأموال على هذا الاحتفال المبتدع، فتقام السرادقات الكبيرة، وتوقد الأنوار الكثيرة، وتقدم أنواع من الحلوى والمأكولات والمشروبات على جموع الناس، ويتنافس الأغنياء في ذلك.

وذكر المؤرخ المصري الجبرتي أن المستعمرين الفرنسيين عندما احتلوا مصر بقيادة نابليون بونابرت انكمش الصوفية وأصحاب الموالد فقام نابليون وأمرهم بإحيائها ودعمها.

---

(١) انظر: مقالة: موالد مصر.. بين الجهل والاستغلال. عمر توفيق. مجلة البيان صفر ١٤٣١هـ.

قال الجبرتي في مظهر التقديس: "وفيها -أي سنة ١٢١٣هـ في ربيع الأول- سأل صاري العسكر عن المولد النبوي، ولماذا لم يعملوه كعادتهم؟! فاعتذر الشيخ البكري بتوقف الأحوال وتعطل الأمور وعدم المصروف، فلم يقبل وقال: (لابد من ذلك)، وأعطى الشيخ البكري ثلاثمائة ريال فرانسة يستعين بها، فعلقوا حبالاً وقناديل، واجتمع الفرنسيس يوم المولد ولعبوا ودقوا طبولهم، وأحرقوا حراقة في الليل وسواريخ تصعد في الهواء ونفوطاً"[1].

وقال الجبرتي أيضاً وهو المعاصر لهم: "ورخص الفرنساوية ذلك للناس لما رأوا فيه من الخروج عن الشرائع واجتماع النساء واتباع الشهوات، والتلاهي وفعل المحرمات"[2].

وتكرَّر الأمر في الجزائر، حيث ذكر المؤرخ الفرنسي «إميل دارمنغهم» أنه خلال الاحتلال الفرنسي كان يزور ضريح الولي سيدي عابد نحو ١٠٠ ألف زائر سنوياً ويجري الاحتفال تحت حراسة الأمن الفرنسي. كما كان يوفر الاحتلال الفرنسي الأمن والسلامة لزوار الأضرحة، ويمنحهم خصماً على تذاكر القطارات يصل إلى النصف. في الوقت ذاته قام الاحتلال بغَلْق مؤسسات جمعية علماء المسلمين ومدارسها والتضييق على علمائها ومطاردتهم بسبب رفضهم للاحتلال ومحاولة إيقاظ الأمة ونشر الوعي والثقافة الشرعية[3].

وفي الواقع العملي للاحتفال بالمولد النبوي عند الصوفية والإمامية فقد بثت وسائل الإعلام مراسم عيد المولد النبوي في سورية سنة ١٤٣١هـ بمشاركة رئيسها، ورئيس إيران، ومباركة أحمد حسون - مفتي سورية- ولفيف من علماء الصوفية والشيعة.

---

(١) انظر: عجائب الآثار للجبرتي (٢/ ٢٠١-٢٤٩)، ومظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس، للجبرتي (ص: ٤٧).
(٢) تاريخ عجائب الآثار(٢/ ٣٠٦).
(٣) قصة الصراع بين التدين الخرافي والإسلام النقي. زقاوة أحمد. مجلة الصوفية.

٢- مناسبة عاشوراء وذكرى استشهاد الحسين:

لقد شرع دعاة الإمامية لشيعتهم إقامة حفلات العزاء، والبكاء، والنياحة، وضرب الصدور، وشق الجيوب، وجعلوها من أعظم الطاعات والقربات في دينهم ومذهبهم، وحرصوا على عدم انقطاعها على مدار السنة في مناسبات مختلفة، لاسيما مع بداية كل عام في شهر محرم إحياءً لذكرى استشهاد الحسين بزعمهم، وروجوا لأعمال الجاهلية في تلك الأيام والمناسبات، بأنها من أعظم القرب إلى الله تعالى ومحصلات الثواب والأجور، ومن أعظم مكفرات الذنوب والخطايا، وحرموا الأعمال والمكاسب في يوم استشهاده. كل هذا حرصاً منهم على إحياء هذه المأساة، وإشعال نارها في النفوس.

وبلغت الحال إلى أن أصبح التعلق بهذه الحادثة وأمثالها من حوادث المعصومين عندهم أشد وأقوى من الصلة والتعلق بالله تعالى، حتى قال الإمامي رجب علي الخياط الطهراني (ت: ١٣٨١هـ): "إن للإمام الحسين زبائن كثيرين. وقد يكون هذا الحال مع الأئمة الآخرين، إلا أن الله لا زبائن له. إنني أتألم لله لأن زبائنه قليلون. إذ قلما تجد شخصاً يأتي من أجل الله، وفي سبيل معرفة الله"[(١)].

وأورد الجزائري رواية عن الريان بن شبيب في دخوله على إمامه الرضا، فذكر له حديثاً طويلاً عن مقتل الحسين، وفيه: ".... ولقد بكت السموات السبع والأرضون لقتله، لقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصره، فوجدوه قد قتل، فهم عند قبره، شعث غبر، إلى أن يقوم القائم، فيكونون من أنصاره وشيعته، وشعارهم "يا لثارات الحسين". يا ابن شبيب، لقد حدثني أبي عن أبيه عن جده أنه لما قتل جدي الحسين، أمطرت السموات دماً وتراباً أحمر، يا ابن شبيب! إن بكيت

---

(١) كيمياء المحبة. محمد الريشهري (ص: ١٦٨).

على الحسين حتى تصير دموعك على خديك، غفر الله كل ذنب أذنبته، صغيراً كان أو كبيراً، قليلاً كان أو كثيراً، يا ابن شبيب! إن سرك أن تلقى الله عز وجل، ولا ذنب عليك، فزر الحسين، . . . . يا ابن شبيب! إن سرك أن تكون معنا في الدرجات العلى، في الجنات، فاحزن لحزننا، وافرح لفرحنا. . . . "[1].

ويذكر الجزائري رواية يزعم إسنادها إلى جعفر الصادق وفيها: "من أنشد في الحسين شعراً فأبكى خمسين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى ثلاثين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى عشرين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى عشرة فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى واحداً فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فتباكى فله الجنة"[2].

شعائر عاشوراء:

تذكر الروايات الإمامية أنَّ إحياء ذكرى عاشوراء كان منذ عهد الأئمة في صورة مجالس للعزاء، إلا أن هذا الشكل تطور منذ عهد أسرة بني بويه الشيعية التي حكمت في القرن الرابع الهجري: "حيث صارت مراسم المحرم عامة ورسمية، وصارت حادثة كربلاء موضوع تمثيليات عزاء سنوية، شديدة الحماس، وفي القرن الثاني عشر الهجري، جعلت الأسرة الصفوية الإيرانية "التعزية مسرحيات تمثل ذكرى الشهادة، وقوَّت من السمة الشعبية للمراسم، وجعلتها مقترنة بقراءة الروضة (سيرة أهل البيت) والضرب بالسلاسل، وخروج جماعات اللطم على الصدور في الشوارع. . . "[3].

ويرى علي شريعتي أن أصل إقامة العزاء كان سنة معمولاً بها بين أوساط الشيعة، حتى منذ زمن الأئمة (ع) والإمام الصادق (ع) على وجه التحديد. إلا أنه مع قدوم

(١) الأنوار النعمانية (٣/ ٢٣٩ – ٢٤٠).
(٢) الأنوار النعمانية (٣/ ٢٤٢ – ٢٤٣).
(٣) الفكر السياسي الإسلامي المعاصر. حميد عنايت. ترجمة: إبراهيم الدسوقي شتا (ص: ٣٥٤، ٣٥٥).

الدولة الصفوية، بدأ الانحراف في مسار هذه المراسم. . . فخصصت وزيراً للشعائر الحسينية، وبعثته إلى أوربا حليفتها الحميمة وأجرى هناك تحقيقات ودراسات واسعة حول المراسيم الدينية والطقوس المذهبية والمحافل الاجتماعية المسيحية، وأساليب إحياء ذكرى شهداء المسيحية، والوسائل المتبعة في ذلك، حتى أنماط الديكورات التي كانت تزين بها الكنائس في تلك المناسبات. واقتبس تلك المراسيم والطقوس، وجاء بها إلى إيران، حيث استعان ببعض الملالي لإجراء بعض التعديلات عليها لكي تصبح صالحة، لاستخدامها في المناسبات الشيعية، وبما ينسجم مع الأعراف والتقاليد الوطنية والمذهبية في إيران، وهو ما أدَّى إلى ظهور موجة جديدة من الطقوس والمراسم المذهبية لم يعهد لها سابقة لدى الشعب الإيراني أو في الشعائر الدينية الإسلامية[١].

والصوفية بدورهم شاركوا الإمامية في مناسبة عاشوراء ولكنهم عبروا عن حزنهم بطرقهم الخاصة، مثل: صلاة عاشوراء، والخلوة المحرمية، وقراءة القرآن في ليلتها وإهداء ثواب القراءة لروح الحسين، ونحو ذلك.

وعندهم صلاة يوم عاشوراء، ورد فيها خبر طويل وفيه: "من صلى يوم عاشوراء ما بين الظهر والعصر أربعين ركعة، يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة، وآية الكرسي عشر مرات، وقل هو الله أحد إحدى عشرة مرة، والمعوذتين خمس مرات فإذا سلم استغفر سبعين مرة"[٢].

---

(١) انظر: التشيع العلوي والتشيع الصفوي. علي شريعتي. ترجمة: حيدر مجيد (ص:٢٠٨-٢١٨).

(٢) قال ابن الجوزي: " هذا الحديث موضوع وكلمات الرسول عليه السلام منزهة من مثل هذا التخليط" الموضوعات (٢/ ١٢٣) وبذلك قال السيوطي والشوكاني. انظر: اللآلئ المصنوعة (٢/ ٥٥)، والفوائد المجموعة (ص:٤٧). ثم هذه الصلاة غير ممكنة بحساب الوقت بين الظهرين لأن مقدار القراءة من القرآن فقط تقارب مقدار أربعة عشر جزءاً من القرآن الكريم.

ومن شعائر الطريقة الرفاعية الخاصة الخلوة المحرمية الأسبوعية في كل عام والتي تدوم سبعة أيام، وابتداء دخلوها في يوم عاشوراء، وقد جعلوها شرطاً لكل من انتسب إلى هذه الطريقة، وفيها يعتكفون، ويمتنعون عن النساء، ويكون طعامهم خالياً من كل ذي روح، وإنما يقتصرون على اللوز والسكر وأمثاله[1]. ويذكر المريد في اليوم الأول لا إله إلا الله بعدد معلوم، واليوم الثاني الله الله، والثالث وهاب وهاب، والرابع حي حي، والخامس مجيد مجيد.. والسادس معطي معطي.. والسابع قدوس قدوس، وكل ذلك بعدد معلوم، وكذلك أن يقول المريد بعد كل صلاة من صلوات هذا الأسبوع (اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي الطاهر الزكي وعلى آله وصحبه وسلم) يقول ذلك مائة مرة[2].

وقال يوسف الرفاعي - شيخ الرفاعية في الكويت - في مقابلة أجرتها معه مجلة المنبر الشيعية: "لا أرى ما يمنع من ذهاب المرء إلى المجالس الحسينية، وكنت أحتفل أنا وبعض الإخوان على طريقتنا الخاصة وهي قراءة ختمة القرآن الكريم ونهديها إلى روح الإمام وأهل بيته من شهداء كربلاء سلام الله عليهم أجمعين، أو قراءة سورة يس في حال ضيق الوقت"[3].

وأوصى أحمد حسون - مفتي سورية وأحد كبار شيوخ النقشبندية في بلاد الشام- بوجوب الحزن والنوح على الحسين رضي الله عنه في عاشوراء[4].

---

(١) انظر: تطبيق حكم الطريقة العلية على الأحكام الشرعية. للصيادي (ص:٣١٨)، والصلة بين التصوف والتشيع (ص:٤٤٨)، والطرق الصوفية لعامر النجار (ص: ١٠٤-١٠٥).

(٢) انظر الرابط:

http://almoslim.net/node/85941:

(٣) انظر المقابلة على الرابط:

http://www.14masom.com/menbar/07/05.htm

(٤) انظر: تلخيص عقائد الشيعة ومقارنتها بعقائد الصوفية. عبد الله المشيرفي (ص: ٢٠-٢٥)، والمقابلة التي أجرتها معه مجلة المنبر الكويتية. العدد (١٤) بتاريخ: ٢٤/ ربيع الآخر/ ١٤٢٤هـ.

وألف صوفية حضرموت في يوم عاشوراء الأذكار والعبادات المتنوعة، وداوموا على قراءة فضائل يوم عاشوراء ليلة التاسع من المحرم في مساجد تريم باليمن بعد المغرب وبعد العشاء[1].

٣ - موالد آل البيت:

يذهب الإمامية إلى الموالد التي تخص آل البيت مع الصوفية في مصر مثل موالد الحسين والسيدة نفيسة والسيدة زينب لإقامة بعض الطقوس[2].

والشعائر المتعلقة بالموالد ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالاعتقاد في أهمية الأولياء والأئمة والأدوار التي يقومون بها وتأثيرهم في الحياة اليومية. وإذا كانت الجماعات الدينية تعتقد اعتقاداً راسخاً بهؤلاء الأولياء، وترتبط بهم بوثاق القرابة الشعائرية، ويعدونهم آباءهم وأجدادهم الروحيين؛ فإن كثيراً من المريدين والبسطاء يُرجِعون أسباب نجاحهم في حياتهم اليومية من عمل أو دراسة أو تجارة أو إنجاب أطفال أو زواج البنات إلى قيامهم بتأدية هذه الشعائر، وإلى تأثير هؤلاء الأولياء عليهم، هذا بالإضافة إلى الاعتقاد في أنهم السبيل إلى التقرب والوصول إلى الله؛ فهم الذين يشفعون لهم عند الخالق، ويسألونه تحقيق دعائهم في الدنيا والآخرة؛ فليس بينهم وبين الله حجاب، بل قد يصل الاعتقاد بهم إلى درجة أكبر من ذلك؛ فيرى بعضهم أنهم هم الذين يحققون الأعمال، ويعينونهم على قضاء حاجاتهم ورفع الظلم عنهم.

ويكاد ينفرد مولد الحسين رضي الله عنه عند صوفية مصر الذي يقام في الثالث من شهر شعبان بما يتظاهرون له من تهيئة المواكب وشد الرحال إلى مشهد رأس الحسين بالقاهرة، ويستمر المولد أسابيع عدة، وآخر ليلة منه تسمى الليلة الكبيرة وفيها تزدحم

---

(١) انظر: شرح الصدور بمأثور يوم عاشور. عبد الرحمن العيدروس (ص: ١٥)، والروض الأغن. عبد الملك حميد الدين (٢/ ٢٩)، والدليل القويم (ص: ١١-١٢).

(٢) انظر: الشيعة في مصر (ص: ١١٦).

الأعداد الكبيرة جداً من الصوفية والعوام بما يشبه عند الإمامية زيارة الأربعين للحسين رضي الله عنه في كربلاء لولا أن هذه مناسبة حزن وتلك مناسبة فرح ومسرة، وفيها يقام احتفال رسمي كبير، ويردد الجميع المدائح والأناشيد في حق النبي وأهل البيت، ومنها:

" ياحسين بن البتول سبط مولانا الرسول. يا حسين بن النبي. يا حسين بن الوصي".

ومنها قولهم مع الدبكة: "بالزهراء وأبيها وبعلها وبنيها". "بالكرار أبي الأطهار بالكرار أبي الأطهار".

إلى غير ذلك من القصائد التي يأتون بها على ذكر أسماء الأئمة عند الإمامية من أمثال علي زين العابدين، والباقر، وجعفر الصادق[1].

كما تقام هناك ما تسمى (زفة المولد) التي تبدأ منذ الصباح بتجمُّع كل الطرق الصوفية عند مسجد «صالح الجعفري» بالقرب من الحسين، ثم تبدأ المسيرة بعد العصر باتجاه مسجد الحسين، حيث تغلق الشوارع ويتقدم مشايخ كل طريقة ومن ورائهم الأتباع حاملين الرايات والشعارات، مردِّدين الأناشيد والأوراد الخاصة بهم، وتنتهي المسيرة أمام المسجد قرب صلاة المغرب حيث يدخل الجميع إلى باحة المسجد، بينما يغلق ضريح الحسين بسبب الزحام الشديد، ثم تبدأ الاحتفالات الرسمية بعد صلاة المغرب والتي تنقلها الإذاعة والتلفاز ويتحدث فيها شيخ مشايخ الطرق الصوفية ومندوب عن الأزهر، ويحضرها مندوب عن الحكومة. وبعد صلاة العشاء تبدأ الاحتفالات الصوفية بجوار المسجد، حيث تقيم كل طريقة خيمة، تمارس داخلها طقوسها الخاصة[2].

---

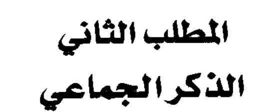
(١) انظر: الشيعة في مصر (ص: ٢١٧).

(٢) انظر: مقالة: موالد مصر.. بين الجهل والاستغلال. عمر توفيق. مجلة البيان صفر ١٤٣١هـ.

كما توجد في السودان مؤسسات صوفية تتبنى بعض معتقدات الإمامية، ومنها: جمعية آل البيت الخيرية، وجمعية الثقلين الخيرية، وفيهما تقام مجالس العزاء لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وابنه الحسين رضي الله عنهما، والاحتفال بمولد فاطمة الزهراء رضي الله عنها، وغير ذلك[1].

---

(١) انظر: الشيعة في شمال إفريقيا (ص: ٤٥-٥٠).



المطلب الثاني
الذكر الجماعي

قال محمد عثمان بن محمد أبي بكر الميرغني: "أما الاشتغال بالأذكار جماعة، فذلك أكبر النفاعة، إذ مثله الرسول برياض الجنة.."(١).

ونقل الشعراني أن أول من ابتدع إضافة الاجتماع للذكر على الهيئة المعروفة وأسس مجالس الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في جميع أقاليم العالم الإسلامي شخص يدعى الشيخ نور الدين الشوني (ت ٩٤٤هـ).

فقال: "وتفرعت عنه سائر مجالس الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي على وجه الأرض الآن في الحجاز والشام ومصر والصعيد والمحلة الكبرى، وإسكندرية وبلاد المغرب وبلاد التكرور. وذلك لم يعهد لأحد قبله، إنما كان الناس لهم أوراد في الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرادى في أنفسهم، وأما اجتماع الناس على هذه الهيئة فلم يبلغنا وقوعه من أحد"(٢).

(١) انظر: رسالة الهبات المقتبسة ضمن الرسائل الميرغنية. محمد عثمان بن محمد أبي بكر (ص: ٢٤-٢٥).
(٢) الطبقات الكبرى (٢/ ١٤٩).

وتؤكد المصادر على أن هذه الحلقات كانت قد ذاعت وشاعت في الأوساط الطرقية كافة، حيث يقول الشعراني: "أخذ علينا العهد أن نكون هينين في يد إخواننا المسلمين ما لم يدعونا إلى مذموم شرعاً. . . واعلم يا أخي أن من جملة اللين أنك إذا دخلت على جماعة يذكرون الله تعالى على طريقة المغاربة أو العجم أو الشناوية أو الرفاعية أو غيرهم أن تذكر كأحدهم في النغمة والصوت ولا تخالفهم فتشوش عليهم، ولا تسكت فيفوتك أجر الذكر".

وقد صرح بذلك الرباطابي حين تكلم عن أحكام الاجتماع للوظيفة فقال: "ومنها الجهر؛ لأنه لا معنى للاجتماع إذا ذكر كل واحد سراً وفائدة ذلك شهيرة عند أهل الطريق حتى كاد أن يكون عندهم من الأمر الضروري"[(١)].

هذا وقد شدد الشعراني في الدفاع عن هذه الأذكار بما فيها من البدع إلى أن قال: "فإن كل ما ابتدع على طريق القربة إلى الله تعالى فهو من الشريعة والسنة الظاهرة. . . فالمفتي بغير دليل شرعي بأن الاجتماع على ذكر الله تعالى على الهيئة المشهورة بدعة جاهل غبي مطرود ملعون"[(٢)].

وفي القرن " السابع " فشا وانتشر مع الذكر الجماعي ما يعرف بالسماع الصوفي، وهو إنشاد الأشعار في المساجد ومواطن العبادة بقصد التقرب إلى الله تعالى، واعتبار ذلك من ضمن الوسائل التي تقرب إليه وتزكّي النفس وتسمو بالروح، سواء حصل معها عزف بالمعازف المعروفة كالدفّ والشبَّابة ونحوها أو لم يحصل، وفي كثير من الأحيان يصحب ذلك رقص وتمايل وطرب زائد، وربما وصل إلى السكر والإغماء وفقدان الشعور، وكل ذلك تُعطى له المسوّغات، ويُؤصل له بما يظهره وكأنه من أعظم القرب وأفضل الشعائر في العرف الصوفي.

---

(١) الدرر السنية (ص: ١٨).
(٢) الأنوار القدسية (ص: ٢٠-٢١).

ويبدو أن السماع له وزنه واعتباره في الفكر الصوفي وفي سلوك الصوفية منذ وقت مبكر، ويدل عليه أن معظم المؤلفين المعتبرين في التصوف اهتموا به اهتماماً كبيراً فعقدوا له أبواباً وفصولاً خاصة في مصنفاتهم، مثل ما صنع السراج في "اللمع"[1]، والقشيري في رسالته[2]، والسهروردي في "عوارف المعارف" حيث عقد أربعة أبواب في السماع[3]، والغزالي في الإحياء[4].

هذا ونلاحظ أنه قد بلغ مجموع ما ألف في موضوع السماع نيفاً وخمسين كتاباً، ولا سيما أن القشيري نقل أن السماع فيه نصيب لكل عضو: فما يقع إلى العين تبكي، وما يقع إلى اللسان يصيح، وما يقع على اليد تمزق الثياب وتلطم، وما يقع إلى الرجل يرقص[5].

وهذا يشبه الحال التي تمارسها الإمامية في المآتم والحسينيات من إنشاد القصائد وما يتبعها من البكاء والصياح واللطم كما وصف القشيري أثر السماع على الأعضاء.

ويمكن تحديد معالم الذكر عند الصوفية والإمامية فيما يلي:

- إلزامهم المريد والشيعي بهذه الأذكار بحيث إن من تركها خرج من الطريقة بالكلية، وهذا هو التشريع بعينه.

- تحديد الأوراد في كمياتها وكيفياتها وأوقاتها، والمراد بكمياتها أعدادها.

- الاجتماع عليها ورفع الأصوات بها، وإحداث حركات منكرة كالتمايل والقفز والرقص والتصفيق، أو البكاء والصياح واللطم.

---

(١) انظر: اللمع (ص٣٣٨-٣٧٤).

(٢) انظر: الرسالة القشيرية (ص٦٣٧-٦٥٩).

(٣) انظر: عوارف المعارف الأبواب: (٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥)، (ص: ١٢٤-١٤٧).

(٤) انظر: الإحياء (٢ / ١٩٢-٢٣٢).

(٥) الرسالة (ص: ٦٥٧).

- مصاحبة الذكر للعزف والتصفيق وهو ما يسمى بالسماع أو المدائح والقصائد.

- وضع أجور معينة ومحددة على كل نوع من الذكر بأن يقال من قال كذا فله أجر كذا من غير أن يرد عن الشارع.

- مما يلاحظ على ذكر الصوفية أن العديد من الطرق اشترطوا على الذاكر أن يستحضر صورة شيخه أثناء الذكر، فعند الرفاعية يقولون: لابد أن يستحضر الشخص شيخه في قلبه أثناء الذكر، ويجعله بين عينيه قبل الذكر فإن شيخه هو باب الدخول على الله ومنه يستمد الهمة، ويكون الشيخ عنده كالقبلة، فبذلك يمد له نور من قبر الشيخ الرفاعي»[1].

(١) انظر: قلادة الجواهر (ص: ١٧٧).

المطلب الثالث
الأوراد والأدعية

شرعت الصوفية والإمامية لأتباعهم صيغاً مستقلة بأعداد معينة، وأجور مقدرة من قبل المشايخ والأئمة. وزعم الدباغ أنه اجتمع بالخضر، فأعطاه ورداً يدعو به كل يوم سبعة آلاف مرة، ولفظه: "اللهم يا رب بجاه سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم اجمع بيني وبين سيدنا محمد بن عبد الله في الدنيا قبل الآخرة"[1].

ومن المؤلم حقاً أن الصوفية حتى المنتسبين منهم إلى الدعوة ما زالوا يبيحون لأنفسهم المشاركة في تعيين الأعداد التي يلتزمها الذاكر في أوراده، فنجد أحدهم ينصح المريد بأن يشتغل بأوراد القوم وأن يكثر منها فيقول: "وليكن ذكره واستغفاره وصلاته على رسول الله ﷺ إلى غير ذلك من الأذكار المطلقة سبعين ألفاً لكل نوع على حدة"[2].

---

(١) الإبريز (ص: ٨).

(٢) تربيتنا الروحية (ص: ١٢١).

ومن أوراد الصوفية حزب يسمى "السيفي". وورد آخر يقال له "ياقوتة الحقائق"، وورد "السحر"، وحزب "الفرج".

ومن أهم أوراد الصوفية وأبرزها على الإطلاق ما يسمونه: "صلاة الفاتح"، وهي صلاة مشهورة عند أصحاب الطريقة التيجانية، ونصها: "اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم"(١).

أما من أين جاءت "صلاة الفاتح" فيقول صاحب "الجواهر": "صلاة الفاتح لما أغلق، لم تكن من تأليف البكري، ولكنه توجه إلى الله مدة طويلة أن يمنحه صلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها ثواب جميع الصلوات وسر جميع الصلوات... فأتاه الملك بهذه الصلاة مكتوبة في صحيفة من النور"(٢).

ووردة عندهم في فضلها وعظيم أجرها نصوص كثيرة، ومن ذلك قول التيجاني: "واعلم أن كل ما تذكره من الأذكار والصلوات على النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأدعية، لو توجهت بجميعها مائة ألف عام كل يوم تذكرها مائة ألف مرة، وجميع ثواب ذلك كله ما بلغ مرة واحدة من "صلاة الفاتح لما أغلق" فإن كنت تريد نفع نفسك للآخرة فاشتغل بها على قدر جهدك، فإنها كنز الله الأعظم"(٣).

وقال أيضاً: "فلو قدرت مائة ألف أمة في كل أمة مائة ألف قبيلة، في كل قبيلة مائة ألف رجل وعاش كل واحد منهم مائة ألف عام يذكر كل واحد منهم كل يوم ألف صلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم من غير صلاة الفاتح لما أغلق، وجميع

---

(١) أحزاب وأوراد القطب التيجاني (ص: ١١)، والدرر السنية (ص: ١١).
(٢) جواهر المعاني (١/ ١٣٧-١٣٨).
(٣) السابق (٢/ ١٨٣).

ثواب هذه الأمم كلها في مدة هذه السنين كلها في هذه الأذكار كلها ما لحقوا كلهم ثواب مرة واحدة من صلاة الفاتح"(١).

وعندهم ورد آخر يقال له "حزب الأسرار" جاء فيه: "اللهم إني أسألك بالباء المعطوف، وبياء البهاء، بتاء التأليف، بثاء الثناء، بجيم الجلالة، بحاء الحياء، بخاء الخوف، بدال الدلالة، بذال الذكر، براء الربوبية، بزاي الزلفى، بسين السناء، بشين الشكر، بصاد الصفاء، بضاد الضمير، بظاء الظلمة... إلخ"(٢).

هكذا يتوسل إلى الله بالحروف والألفاظ الغامضة كالدلالة والضمير، والألفاظ المنكرة كالظلمة وغيرها.

وبمثله في التوسلات ورد آخر لهم يطلقون عليه "الحزب الكبير" الذي يقولون فيه: "اللهم إني أسألك بالحقوق الأزلية والنعوت الإلهية، والأجسام السماوية والملائكة العرشية والأفلاك الدائرة النورانية..."(٣).

واعترض على هذه الأوراد جملة من المعترضين ومنهم عليّ الخواص كما حكى الشعراني نفسه عنه حيث يقول: "وسألته عما يفعله المشايخ من ترتيب الأوراد للمريدين هل هو مذهبكم؟ فقال: لا، ذلك مما أكرهه ولا أقول به؛ لأن الأوراد تصير حينئذ يفعلها العبد بحكم العادة، يمر الإنسان عليها بحكم الغفلة والطبع والقلب في محل آخر، وإذا لم يتقيد الإنسان بالأوراد وذكر الله تعالى متى وجد إلى ذلك سبيلاً في أي وقت كان بحضور وإقبال صادقة وهمة وعزم كان أقوى في الاستعداد"(٤).

---

(١) السابق (١/ ١٣٩).
(٢) قلادة الجواهر (ص: ٢٥٧-٢٥٨).
(٣) السابق (ص: ٢٥٦).
(٤) درر الغواص من فتاوى سيدي علي الخواص (ص: ٨٦-٨٧).

وتعرف الصوفية أيضاً بإقامة الحضرات[1] التي من أشهرها، حضرة باسودان المنسوبة إلى الشيخ عبد الله با سودان، وتقام في يوم الثلاثاء من كل أسبوع، وهيئتها: "فهذه حضرة عظيمة النفع والفائدة، مجربة الجلب والنفع، ودفع الكرب يكون الابتداء فيها بعد قراءة الفاتحة ويس وما تيسر من لا إله إلا الله. وبعدها يقول:

لا إله إلا الله (ثلاثاً) لا معبود إلا الله.

لا إله إلا الله (ثلاثاً) لا مقصود إلا الله.

لا إله إلا الله (ثلاثاً) لا موجود إلا الله.

لا إله إلا الله (ثلاثاً) لا مشهود إلا الله"[2].

وهذه الحضرة مملؤة بالاستغاثة والدعاء لغير الله تعالى، ووصف شيوخهم بالغوث والملاذ وحامي الحمى.

وأما الإمامية فقد اشتهرت بالزيارات والأدعية، مثل: زيارة عاشوراء، ودعاء علقمة، ودعاء العهد، ودعاء التوسل، ودعاء كميل، وزيارة السيدة زينب، وزيارة أم البنين، ومفاتيح الجنان، ومفاتيح الرزق، وأيام الأسبوع.

وخصوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بزيارة وارث (أي: وارث علم الأنبياء)، وزيارة أمين الله، وورد حلال المشاكل.

---

(١) الحضرة عند الصوفية هي نوع من الطقوس والشعائر يأتون فيها بأذكار مبتدعة وقراءة بعض القصص وشيء من السيرة ونحو ذلك، ويجعلون لها أوقاتاً محددة، ويعتبرون ما يقع فيها من الذكر والأدعية المختلفة بمنزلة السنة المؤكدة، بل مثل الواجب الذي لايجوز تركه، ويقومون فيها أحياناً بضرب الطبول. انظر: المعجم الصوفي. للحفني (ص: ٧٧).

(٢) حضرة باسودان (ص: ٥).

والورد الأخير يلتزمون قراءته كل ليلة جمعة، ونسجوا لأصل الورد قصة تظهر عليها علامات الوضع، ويزعمون فيها أنهم تلقوا دعاء هذا الورد عن الخضر. ونصه بيتين ركيكين من الشعر:

نــــاد عــلــيــاً مــظــهــر الــعــجــائــب
تجــده عـــونــاً لــك فــي الــنــوائــب
كـــل هـــم وغــــم ســيــنــجــلــي
بولايتك يـا علي يـا علي يـا عـلـي[1].

ويلحظ من خلال هذا الدعاء وغيره اتفاق الإمامية مع الصوفية في صيغ الدعاء والتضرع بالشعر، ولم يكن هذا النوع من هدي النبي ﷺ، حيث قال الله عز وجل: ﴿**وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي...**﴾ [يس: ٦٩].

ومن الأدعية المعتمدة عند الإمامية والتي يعول عليها بعض الصوفية أيضاً دعاء الصحيفة السجادية، ودعاء الجوشن الكبير.

وتعد الصحيفة السجادية من أهم كتب الدعاء عند الشيعة بل عند عدد كبير من المتصوفة ويلوذ إليها الشيعة عندما يريدون التوجه إلى الله بكلمات أهل البيت.

والصحيفة السجادية ـ التي تدعى بـ "زبور آل محمد" و"إنجيل أهل البيت" ـ هي أهم النصوص الإسلامية عند الشيعة. وأصلها مجموعة أدعية السجاد (علي زين العابدين) كتبت بيد ولده الباقر بحضور الصادق أيضاً كما يزعمون.

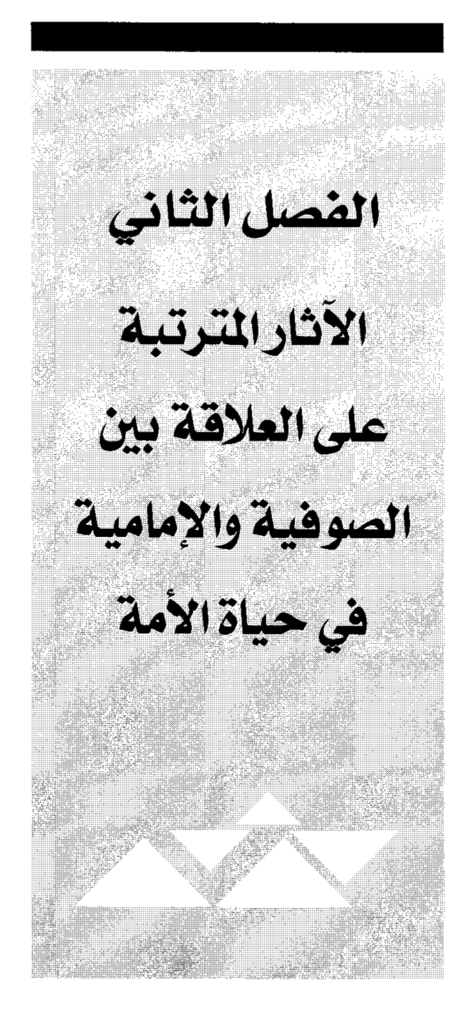
يقول راوي الكتاب في المقدمة إن هذه الأدعية كانت أولاً ٧٥ دعاءً فُقد منها ١١ دعاءً. وما يعرف اليوم بالصحيفة السجادية الكاملة يحتوي على مجرد ٥٤ دعاءً. ويذكر هنا أن هناك أدعية أخرى عن السجاد تذكرها كتب الأدعية والروايات.

---

(١) انظر: حلال المشاكل (ص: ٩).

ومن ذلك دُعاء الجَوشن الكبير فهو مذكور في كتابي البلد الامين والمِصباح للكفعمي ويروونه عَنِ السّجاد عن أبيه عَنْ جدّه عن النبيّ صلّى الله علَيهِ وعَليْهم أجمعين، وَقد هبط به جبرئيل على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهُو في بعْضِ غزواته وَعَلَيْهِ جَوشن (أي: درع) ثقيل ألمه، فقال: يا محمّد ربّك يقرئك السّلام ويقوُل لكَ: اخلع هذا الجوشَن واقرأ هذا الدّعاء فهو أمان لكَ ولأمّتك، ثمّ أطال في ذكر فَضله بما لا يسعه المقام ومِنْ جُملة فَضله أنّ مَنْ كتبه على كفنه استحى الله أن يُعذّبه بالنّار ومَنْ دعا به بنيّة خالِصة في أوّل شهر رَمضان رزقه الله تعالى ليلة القدر، وَخلق له سَبعين ألف ملك يسبّحون الله وَيُقدّسونه وَجَعَلَ ثوابهم له، وَمَن دعا به في شهر رمضان ثلاث مرّات حرّم الله تعالى جَسده على النّار وأوجب له الجَنّة ووكّل الله تعالى به مَلَكين يحفظانه مِن المعاصي وَكانَ في أمان الله طول حَياته، وفي آخر الخبر أنّه قال الحُسين (عليه السلام): أوصاني أبي عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) بحفظ هذا الدّعاء وتعظيمه وأن أكتبه على كفنه وأن أعلّمه أهلي وأحثّهم عليه، وهُو ألف اسْم وفيه الاسم الأعظم".

وهكذا تبين لنا من العرض السابق مدى شيوع الطقوس البدعية التي ازدادت مظاهرها بين أتباع الفرقتين نتيجة الصلة بينهما، حتى أصبح كل فريق يشارك الآخر في مناسباته، وأذكاره، وأوراده بمراسمه وألفاظه.



وفيه مبحثان:

المبحث الأول: محاربة منهج أهل السنة والجماعة والوقوف مع الأعداء ضد الأمة.

المبحث الثاني: تعميق نظرية التقريب بين السنة والشيعة.

المبحث الأول
محاربة منهج أهل السنة والجماعة والوقوف مع الأعداء ضد الأمة

قد يكون من غير المستغرب أن تحصل العداوة والمحاربة من قبل الصوفية والإمامية لأهل السنة والجماعة نتيجة مفارقتهم في مصادر التلقي ومنهج الاستدلال، كما أن أهل السنة لا يوافقونهم في مسائل الاعتقاد الكبار علمية كانت أو عملية لمخالفة هؤلاء العقيدة الصحيحة الثابتة بالقرآن والسنة، وقد بذل علماء السنة جهوداً في كشف حقيقة مذاهب الصوفية والإمامية، وشنعوا عليهم في عبادتهم للقبور والأضرحة وأنكروا صنيعهم وانحرافهم في هذا الباب.

ولاشك في أن بيان الحق في هذه المسائل يولد في نفوس المخالفين العداء والكراهية، فيبذلوا قصارى جهدهم في مواجهة الحق بكل ما يستطيعون، ويستعدون على ذلك الحكومات وأعداء الأمة لتحقيق مآربهم، ودرء الحق التي لا تقبله نفوسهم، فجاء هذا المبحث لبيان بعض جوانب ذلك.

المطلب الأول
محاربة منهج أهل السنة والجماعة

اتفق كثير من الصوفية والإمامية المعاصرين على محاربة منهج أهل السنة والجماعة، والنيل منه وتشويه صورته سواء كان ذلك عند المسلمين مفكريهم، وعوامهم، أو عند الغرب وأعداء الأمة حيث كانوا.

أولاً: الصوفية:

صرح عصام محيي الدين - أحد ممثلي الطريقة العزمية الصوفية في مصر ومدير موقع الإسلام وطن- بأن الصوفية تساند الشيعة في مواجهة السلفية الوهابية.

وقال: إن الطريقة العزمية تتعاطف مع قضايا المسلمين كافة بدون تمييز على أساس عرقي أو مذهبي باعتبار أن الإسلام وطن والمسلمين جميعاً أهله، وذلك في مواجهة الخطاب السلفي الوهابي "المتشدد" الذي يعتمد على التكفير والتشريك والتبديع، وإثارة الفتنة.

وأضاف: "وبما أن الشيعة مسلمون باعتراف جميع علماء الأمة الإسلامية بلا استثناء، فدعوة الطريقة العزمية" للتقارب معهم أمر طبيعي ومقبول وقائم على منهجية معلنة على الأصعدة كافة - على حد قوله-.

وقال محيي الدين: إن الدفاع عن الشيعة في هذا الإطار يعكس رد الإساءة عن "الإخوة" المسلمين في مواجهة محاولات النيل من إسلامهم، وهو واجب على كل مسلم تجاه أخيه من أجل الحفاظ على وحدة الأمة الإسلامية والارتفاع على المذهبية، وليس انتصاراً لمذهب على آخر، ولا لمسلم على آخر[1].

والطريقة العزمية أسسها الشيخ محمد ماضي أبو العزايم، ثم آلت لأولاده المشيخة من بعده تصرح في مجلتها "الإسلام وطن" وفي كتبها الصادرة تحت سلسلة "الفتوحات العزمية"، بموقفها العدائي من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومن افتراءاتهم على دعوة الشيخ قولهم: "إن فتنة الوهَّابية من المصائب التي أُصيب بها أهل الإسلام، فإنهم سفكوا كثيراً من الدماء وانتهبوا كثيراً من الأموال، وعمَّ ضررهم وتطاير شررهم والكثير من أحاديث النبي ﷺ فيها التصريح بهذه الفتنة بعضها في صحيح البخاري.. ولو أُسدل الستار على فكر ابن عبد الوهاب لكُنَّا معذورين في تجاهله والتجاوز عن أخطائه. أما وقد صار فكره عقيدة عند بعض الشباب المُضَلَّل، فإنَّ مَن يقرأ كتاب التوحيد (إنجيل الوهّابية) يراه مُتْخَماً بالثرثرة بالشرك وإخراج المسلمين من الدين والإسلام!!!

أما والحال هذه فإن السكوت والتجاهل ربما يُعَدُّ اعترافاً ضمنياً بأن هذا القول علم لا جهل، وعدل لا تحامل، وكيف نستسلم للكذَّاب ولا نُردُّ على فكره بقوة وعزم، ولدينا القوة التي نصد بها المهاجمين والمفترين".

---

(١) نقلاً عن موقع مفكرة الإسلام، وتاريخ التصريح: ٢٢/ ١١/ ١٤٣٠هـ. وانظر موقع صحيفة اليوم السابع على الرابط: www.youm7.com.

ويذهبون إلى أبعد من ذلك فيزعمون أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب نفسه كان عميلاً للمخابرات.

والصوفية عموماً من غير العزمية وصفوا أهل السنة والجماعة بالوهابية، وأنهم متشددون في الدين ويكفرون المسلمين، وأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي ضال كافر عميل جاسوس للإنجليز، وأن أتباع الدعوة الوهابية عملاء، ولديهم أغراض سياسية، ومن ثم نعتهم بأبشع الأوصاف وأقبحها ككراهية النبي ﷺ وأهل بيته، وتحريم الصلاة عليه، والمنع من ذكر الله وبغض الأولياء، وغير ذلك من الأوصاف القبيحة[1].

ومن شواهد ذلك بعض الكتب المنتشرة بأيدي الصوفية المعاصرين والتي نشطوا في توزيعها ونشرها كتاب: مذكرات مستر همفر أو ما يسمى بـ (سيطرة الإنكليز ودعمهم لمحمد بن عبد الوهاب)، ويزعمون فيه أنه مذكرات لرجل يقال له (همفر) وهو جاسوس بريطاني في البلاد الإسلامية، وأنه كان داعماً وبقوة للشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي، وأن هذه المذكرات نقلها إلى العربية ج. خ. و(بدون اسم الناشر ولا الطبعة التي طبع فيها).

ومن أمثال هذا النوع من الكتب: كتيب انتبه دينك في خطر، والتحذير من خطر التكفير[2].

يقول عبد الله المحجوب الميرغني في شأن منكري الاستغاثة بالأنبياء والأولياء - إشارة إلى منهج أهل السنة والجماعة المتبع للكتاب والسنة-: "وهكذا فافهم معاني النقول والمعقول، لا كما احتج به الأجلاف واستدل به الأطراف، فإنهم ما

(١) مجلة "الإسلام وطن". السنة (٢١) - العدد (٢٤٩) (ص: ٤٥).
(٢) انظر: الصوفية في تهامة اليمن (ص: ١٢٣-١٢٨).

حاموا حوله فما عرفوا، ولكن بعقولهم الفاسدة حرفوا وصرفوا، فنعوذ بالله منهم ونعوذ، ونلوذ إليه من أفعالهم ونلوذ، أما علموا أن نتائج أفعالهم تكفير أكثر العلماء بأفعالهم، فقبحهم الله تعالى وأخزاهم، أما فهموا أن أتباع أحد الملوك المجازية لا يجترئ أحد أن يقل أدبه معه في قضية، فكيف بخواصه السمية، فضلاً عن خواص الحضرة العلية، لكن شأن الحمير والبقر، أن تنفر وتنطح بلا نظر، بل هي لو تدبرها العاقل لأراها في غالب أحوالها تتبصر، وفي جل حركاتها وسكناتها تتمهر، فمن لا يساوي البقر والحمير، لا ينفعه خمير ولا فطير، ولا يفيده خطير ولا حقير"(١).

وقال أيضاً: "وإياك وما ذهب إليه جلف العلماء، وقلف القلوب أولو العمى، ولا تفتتن بتزويفاتهم وتنميقاتهم واستدلالهم بالعقل والنقل، وقولهم: إن هذا من الشرك. وما ذاك منهم إلا أنواع الكفر والإفك والحسد والشر والكبر والبطر، ويكفي أنه لا يوافق على ذلك إلا كل متكبر مجترئ خائب محروم مما هنالك فيكفر"(٢).

ويذكر رائد العشيرة المحمدية محمد زكي إبراهيم في مسألة التوسل والخلاف فيها، ثم يقول: " ولـم يَكد يختلف على جوازه أحدٌ من السَّلف إلى القرن السَّابع، حيث ابتدع ابن تيميَّة هذا الخلاف الفتَّان، ولـم يكن ليهتمَّ به أحدٌ حتى تبنَّاه الوهَّابية منذ القرن الثَّالث عَشَر، لأسبابٍ سياسيَّة وعصبيَّةٍ قبليَّةٍ، فمنعوا التوسُّل إلى الله بصالحي الموتى وتستَّروا باسم التوحيد المظلوم ثم تلقفه عملاؤهم في مختلف البلاد. فأثاروها حرباً مزَّقت شَمْل الأمَّة وكفت منها أعداءها"(٣).

ويقول أبو بكر المشهور - من صوفيَّة حَضْرَموت - بعد أن تكلم عن الأحزاب التي تعمل باسم الإسلام وينتقدها بقوله: " وتأثَّر غالب برامجها الفكريَّة بالمدرسة

---

(١) رسالة تحريض الأغبياء في الاستغاثة بالأنبياء والأولياء (ص: ١٣).
(٢) رسالة تحريض الأغبياء في الاستغاثة بالأنبياء والأولياء (ص: ٩).
(٣) انظر: مجلة البحوث والدراسات الصوفية العدد الأول (ص: ٣٠٨).

التيميَّة النجديَّة صانعة المجد الربوي في العالم الإسلامي، ورائدة الصراع العقائدي الباتر"[1].

وقال محمد هشام قبّاني النقشبندي - رئيس المجلس الإسلامي الأعلى بأمريكا-: "فإن الإسلام ظلَّ مسالماً ولا يسمح بالعدوان، إلا أنَّ أصحاب المذهب الوهابي نشروا الأفكار المتطرِّفة ومولوها بأموال النِّفط، اليوم نجد الوهَّابية في كل مكان وليست فقط في السُّعودية، وإذا ذهبت إلى أي مسجد ستجد الكتب القادمة من السُّعودية عن محمَّد بن عبد الوهاب مؤسِّس الوهَّابية ولن تجد إلا الكتب التي كتبها علماء السعودية"[2].

ثانياً: الإمامية:

وأما عداء الإمامية لمنهج أهل السنة والجماعة فهو أشد ضراوة من الصوفية ويشمل العداء جميع مسائل العقيدة وأبواب الفقه، من التكفير واستحلال الدم والمال وإيجاب الخلود في النار، إلى وصفهم بالنجاسة وبطلان الصلاة خلفهم والصلاة عليهم، وعدم حل ذبائحهم.. ونحو ذلك.

ويقول محمد مهدي الحائري في معرض الطعن في الوهابية: "آه آه آه، الأسف كل الأسف على قبور أئمتنا وسادتنا في البقيع وغير البقيع، مضى عليها سنون وهي مهدومة.... فاسمع هذه الثلمة التي ثلمت في الإسلام في هذا العصر المشؤوم من هذه الطائفة الوهابية وانظر ما صدر منهم في الطائف ومكة المشرفة والمدينة المعظمة....".

(١) انظر: كتاب التنصيص المثبوت (ص: ٦٣)، وانظر المزيد من أقوال أعلام الصوفية في عداء ما يسمونه الوهابية: التصوف بين التمكين والمواجهة. محمد المفدى (ص: ٩٨-١٠٠).
(٢) نقلاً عن: التصوف بين التمكين والمواجهة (ص: ٢٣).

ثم ذكر هدمهم للقباب المتبركة بزعمه فذكر حتى قبة أبي طالب وعبد المطلب. . . .
ثم يقول: "ثم منعوا الناس قول: يا رسول الله، ويضربونهم، وجعلوا ينادون غيرهم بلفظ يا مشرك ويا كافر، ويرمون من قال: يا محمد، يا رسول الله، بالكفر والشرك. . . ومنعوا عن مسح قبر النبي للتبرك والالتصاق به والتوجه إليه حال الدعاء. . ."[1].

كما تعرض الخميني لأهل الحق الذين ينكرون هذه الأعمال الشركية ناصحين لله تعالى ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم. فيلقبهم بالمشاغبين، ويصفهم بأنهم من شتات الوهابيين، ويزعمون أن أهل الحق لم يهاجموا الشيعة وحدهم، بل هاجموا (جميع المسلمين من الشيعة وأهل السنة، بل وجميع الفرق الدينية، مشركين وكفاراً).
محتجاً على صحة ما ذهب إليه الإمامية والقبورية بأن جميع هؤلاء قد اتفقوا على مشروعية إقامة القبب والأضرحة الضخمة، وأنهم قد شيدوا الكثير منها على قبور الأنبياء والأئمة والأولياء والصالحين بزعمه، ثم وصف من سماهم بالمشاغبين بأنهم (يحصرون التوحيد بحفنة من رعاة الإبل المحرومين من الحضارة، وزمرة من شذاذ الآفاق من السائرين خلف هؤلاء). وقال أيضاً: "في كل عام يتوجه مئات الآلاف من الإيرانيين إلى العراق والحجاز، ويجدون أن قبر الرسول يقام في وسط بلد سيِّئ المذهب"[2].

ولو تساءلنا عن عقيدة شيوخ الإمامية في أهل السنة والجماعة، والذين يُسمُّونهم بالنواصب والعامة؛ سنجد عجباً من الأمر، وسأشير هنا إلى غيض من فيض مما سطرته مصادر الإمامية القديمة والمعاصرة:

---

(١) شجرة طوبى (١/ ١٥٣ - ١٥٥).
(٢) انظر: كشف الأسرار (ص: ٧٩-٨١).

أ- تكفيرهم لأهل السنة:

إن الإمامية تحكم على أهل السنة بالكفر والخلود في النار، وتروي روايات عن أئمتها المعصومين في كتبها المعتبرة، تبيح قتل السني وأخذ ماله ونسائه، وتحكم عليه بالكفر وبأنه شر من اليهود والنصارى.

وإذا كان الشيعة لم يتورعوا عن تكفير أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأزواجه، الذين زكاهم الله في القرآن ورضي عنهم ورضوا عنه، فهل سيتورعون عن تكفير من هم دونهم من باقي المسلمين؟!

ولقد أطلقت الشيعة كلمة الناصب على مخالفيهم، وهذه الكلمة تعني ناصب العداوة لآل البيت[1]، لكن الشيعة تجعلها في كل مخالفيها، سواء نصب لأهل البيت العداوة، أو أحبهم ووالاهم كأهل السنة الذين يحبون علياً وآل بيته.

يقول البحراني والذي يلقبونه بالمحقق: «والتحقيق المستفاد من أخبار أهل البيت عليهم السلام، كما أوضحناه بما لا مزيد عليه في كتاب (الشهاب الثاقب) أن جميع المخالفين العارفين بالإمامة والمنكرين القول بها، كلهم نصاب وكفار ومشركون ليس لهم في الإسلام ولا في أحكامه حظ ولا نصيب...»[2].

ويقول مقرراً هذا المعنى للناصب: «اعلم أن إطلاق لفظ الشرك والكفر على من لم يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليهم السلام، وفضل عليهم غيرهم، يدل على أنهم كفار مخلدون في النار»[3].

ويكفي في كونه ناصبياً، تقديمه لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ومن رواياتهم

---

(١) يقصدون بالناصب من لم يؤمن بالإمامة حسب معتقدهم.

(٢) الحدائق الناضرة للبحراني (١٤/ ١٥٩).

(٣) بحار الأنوار (٢٩/ ٣٣).

في ذلك أنهم قد طرحوا هذا السؤال على الإمام المهدي في سردابه، إذ كتب إليه أحدهم: «هل أحتاج في امتحانه -أي الناصب- إلى أكثر من تقديمه الجبت والطاغوت واعتقاد إمامتهما؟ فرجع الجواب: من كان على هذا فهو ناصب»(١).

وعلق البحراني على هذا الحديث قائلاً: «ومعنى الخبر هو أنه لما استفاضت الأخبار عنهم عليهم السلام، بكفر الناصب وشركه ونجاسته وحل ماله ودمه، كتب إليه يسأله عن معنى الناصب ومظهر النصب بما يعرف، حتى تترتب عليه الأحكام المذكورة وأنه هل يحتاج إلى شيء زائد على مجرد تقديم الجبت والطاغوت، واعتقاده إمامتهما؟ فرجع الجواب أن مظهر النصب والعداوة لأهل البيت عليهم السلام، هو مجرد التقديم والقول بإمامة الأولين»(٢).

فمرادف الناصبي إذن هو السني، كما صرح أحد علمائهم: «بل أخبارهم عليهم السلام، تنادي بأن الناصب هو ما يقال له عندهم سنياً»(٣).

ورووا عن أبي عبد الله قال: «ليس الناصب من نصب لنا أهل البيت، لأنك لا تجد رجلاً يقول: أنا أبغض محمداً وآل محمد، ولكن الناصب من نصب لكم وهو يعلم أنكم تتولونا وأنكم من شيعتنا»(٤).

وبوصفه مثالاً توضيحياً أورد محسن المعلم بعض هؤلاء النواصب فقال: «ومنهم - أي النواصب - عمر بن الخطاب وأبو بكر وعثمان وعائشة وأنس بن مالك وحسان بن ثابت والزبير بن العوام وسعيد بن المسيب وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن

---

(١) وسائل الشيعة (٩/ ٤٩٠ - ٤٩١).

(٢) الحدائق الناضرة (١٠/ ٣٦١).

(٣) المحاسن النفسانية. الدرازي (ص: ١٤٧).

(٤) بحار الأنوار (٢٧/ ٢٣٣).

عبيد الله والإمام الأوزاعي والإمام مالك والأشعري وعروة بن الزبير وابن حزم وابن تيمية والإمام الذهبي والبخاري والزهري والمغيرة بن شعبة والباقلاني . . . وغيرهم كثير»[1] .

وقال السيستاني : "اتفقت الإمامية أن من أنكر إمامة أحد من الأئمة ، وجحد ما أوجبه الله من فرض الطاعة له فهو كافر ضال مستحق للخلود في النار"[2] .

ولقد بالغوا في التكفير حتى عدوه من ضروريات مذهبهم وأسسه التي ينبني عليها . يقول صاحب أوائل المقالات : «أقول : إن كفر الناصب من ضروريات مذهب الشيعة وقد صرح به المفيد في المقنعة وغيره ، ولم يخالف فيه فقيه واحد أصلاً»[3] .

ولآخر : «لا خلاف بين أصحابنا رضوان الله عليهم ، من هؤلاء القائلين بهذا القول وغيرهم في كفر الناصب ونجاسته وحل دمه وماله ، وأن حكمه حكم الكافر الحربي»[4] .

وقال الجزائري : (إنهم كفار أنجاس بإجماع شيوخ الشيعة الإمامية ، وإنهم شرٌّ من اليهود والنصارى . .)[5] .

وقد نص الخوئي على أنه «لا فرق بين المرتد والكافر الأصلي الحربي والذمي والناصب»[6] .

---

(١) النصب والنواصب . محسن المعلم (ص : ٢٥٩) .
(٢) انظر : موقع مركز الأبحاث العقائدية الإلكتروني الذي يشرف عليه السيستاني .
(٣) أوائل المقالات . المفيد (ص : ٢٨٥) .
(٤) الحدائق الناضرة (١٠/ ٤٢) .
(٥) الأنوار النعمانية (٢/ ٢٠٦- ٢٠٧) .
(٦) منهاج الصالحين . الخوئي(١ / ١١٦) .

وتوسع الإمامية في مفهوم الكفر والمكفرات، حيث زعموا أن أصحاب البدع كلهم كفار، وأن على الإمام أن يستتيبهم عند التمكن بعد الدعوة لهم، وإقامة البينات عليهم، فإن تابوا من بدعهم وصاروا إلى الصواب، وإلا قتلهم لردتهم عن الإيمان، وأن من مات منهم على تلك البدعة فهو من أهل النار[١].

واتفقت الإمامية على القول بكفر من حارب أمير المؤمنين علياً، وأنهم كفار ضُلال ملعونون بحربهم أمير المؤمنين، وأنهم بذلك في النار مخلدون[٢]، وهذا حكمهم في كل من خالفهم، حيث يقولون: "واعتقادنا في من خالفنا في شيء واحد من أمور الدين، كاعتقادنا فيمن خالفنا في جميع أمور الدين"[٣]. ومن ذلك قولهم: "إذا كان يوم القيامة ولينا حساب شيعتنا، فمن كانت مظلمته فيما بينه وبين الله - عز وجل - حكمنا فيها فأجابنا، ومن كانت مظلمته فيما بينه وبين الناس، استوهبناها فوهبت لنا، ومن كانت مظلمته فيما بينه وبيننا كنا أحق من عفا وصفح"[٤].

وانتقل التكفير عندهم من تكفير الأفراد إلى تكفير الحكومات الإسلامية السنية عبر التاريخ فهم يقولون - كما ورد على لسان الخميني -: إنها حكومات غير شرعية، وحكومات غصب وظلم وجور، وحكامها مهما كانت عدالتهم حتى ولو كانوا الخلفاء الراشدين الثلاثة- حكامها طواغيت، فجرة، متعصبون للسلطة يجب على الشيعة تحرير البلاد والعباد منهم، ورد السلطة إلى صاحبها الشرعي (نائب الإمام المعصوم- الخميني اليوم)[٥].

---

(١) انظر: أصول الكافي (١/ ٤٧٤). ورجال الكشي (ص: ٤٣١، ٤٣٢، ٤٤٧، ٤٨٤).
(٢) أوائل المقالات (ص: ١٠).
(٣) الاعتقادات لابن بابويه القمي (ص: ١١٦).
(٤) عيون أخبار الرضا لابن بابويه القمي (ص: ٦٨).
(٥) الحكومة الإسلامية (ص: ٣٣-٣٤).

والحكومة الإسلامية التي يتحدث الخميني عنها يجب أن يباشر المسؤولية فيها نواب الإمام المعصوم الغائب، وغيرهم معتدون ظلمة، كما يرى أن الحكومة الإسلامية كانت أيام رسول الله ﷺ وأيام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويقفز عن فترة الخلفاء الراشدين الذين سبقوا علياً رضي الله عنهم أجمعين، وهذا القفز يعني عدم الاعتراف بحكمهم ويصرح أحياناً بذلك دون أن يذكر أسماءهم[1].

وقال الخميني في خطاب له بمناسبة ذكرى مولد الإمام المهدي - كما يعتقدون - في الخامس عشر من شهر شعبان ١٤٠٠هـ وأذيع من راديو طهران: "لقد جاء الأنبياء جميعاً من أجل إرساء قواعد العدالة، لكنهم لم ينجحوا، حتى النبي محمد خاتم الأنبياء الذي جاء لإصلاح البشرية... لم ينجح في ذلك، وإن الشخص الذي سينجح في ذلك هو المهدي المنتظر"[2].

وفي احتفال رسمي وجماهيري أقيم في عبدان في ١٧/ ٣/ ١٩٧٩م تأييداً لإقامة الجمهورية الإسلامية؛ ألقى د. محمد مهدي صادقي خطبة في هذا الاحتفال سجلت باللغتين العربية والفارسية، ووصفتها الإذاعة بأنها مهمة، ومما جاء في هذه الخطبة: "أصرح يا إخواني المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن مكة المكرمة حرم الله الآمن يحتلها شرذمة أشد من اليهود.... " وذكر قبل ذلك بأنه حين تثبت ثورته سينتقلون إلى القدس وإلى مكة المكرمة وإلى أفغانستان وإلى مختلف البلاد[3].

وانظر ما كتبه الشيخ محمد عبد القادر آزاد - رئيس مجلس علماء باكستان - عما شاهده في أثناء زيارته لإيران، حتى يقول: بأنه رأى على جدران فندق هيلتون في

(١) انظر: السابق (ص: ٧٦).

(٢) مجلة المجتمع الكويتية العدد (٤٨٨) في ٨/ ٧/ ١٩٨٠م، ونهج الخميني في ميزان الفكر الإسلامي لبشار عواد (ص: ٤٥-٤٧).

(٣) أذيعت هذه الخطبة من صوت الثورة الإسلامية من عبادان الساعة ١٢ ظهراً من يوم ١٧/ ٣/ ١٩٧٩م.

طهران والذين يقيمون فيه شعارات مكتوباً عليها: "سنحرر الكعبة والقدس وفلسطين من أيدي الكفار"[1].

وقد كشف حسين الخراساني أن كل شيعي يتمنى فتح مكة والمدينة، وإزالة الحكم الوهابي - كما يسميه - عنها. وقال: "إن طوائف الشيعة يترقبون من حين وآخر أن يوماً قريباً آت يفتح الله لهم تلك الأراضي المقدسة لمرة أخرى - كذا - ليدخلوها آمنين مطمئنين فيطوفوا ببيت ربهم، ويؤدوا مناسكهم، ويزوروا قبور سادتهم ومشايخهم.. ولا يكون هناك سلطان جائر يتجاوز عليهم بهتك أعراضهم، وذهاب حرمة إسلامهم، وسفك دمائهم المحقونة، ونهب أموالهم المحترمة ظلماً وعدوناً، حقق الله تعالى آمالنا"[2].

ب - استباحة دماء أهل السنة:

خصص الجواهري في كتابه الفقهي جواهر الكلام باباً باسم «حلية دم الناصبي»، وذكر فيه روايات كثيرة منها:

«عن داود بن فرقد، قال: (قلتُ لأبي عبد الله: ما تقول في قتل الناصب، قال: حلال الدم، لكني أتقي عليك، فإن قدرتَ أن تقلب عليه حائطاً، أو تغرقه في ماءٍ، لكيلا يُشهِد به عليك فافعل، قلتُ: فما ترى في ماله، قال: خذه ما قدرت). وفي رواية: (.. وعليكم بالاغتيال)[3].

وعن علي بن حديد قال: سمعت من سأل أبا الحسن عليه السلام، فقال: «إني سمعت محمد بن بشير يقول: إنك لست موسى بن جعفر، الذي أنت إمامنا وحجتنا

---

(١) الفتنة الخمينية. محمد آزاد (ص: ٩).
(٢) الإسلام على ضوء التشيع (ص: ١٣٢-١٣٣).
(٣) المحاسن النفسانية. لحسين آل عصفور البحراني (ص: ١٦٦)، ووسائل الشيعة (١٨/ ٤٦٣)، وبحار الأنوار (٢٧/ ٢٣١).

فيما بيننا وبين الله. فقال: لعنه الله ثلاثاً وأذاقه الله حر الحديد، قتله الله أخبث ما يكون من قتلة -كل هذا لأنه أنكر إمامة واحد من الأئمة- فقلت: جعلت فداك، إذا أنا سمعت ذلك منه أو ليس حلال لي دمه مباح، كما أبيح دم الساب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والإمام؟ فقال: نعم، بلى والله حل دمه، وأباحه لك ولمن يسمع ذلك منه، إلى أن قال: فقلت أرأيت إن أنا لم أخف أن أرمي به بريئاً ثم لم أفعله ولم أقتله، ما علي من الوزر؟ فقال: يكون عليك وزره أضعافاً مضاعفة من غير أن ينتقص من وزره شيء»[1].

قال الكلبيكاني معلقاً بعد أن أورد هذه الرواية: «وقد علمت التهديد الوارد في الرواية الأخيرة بالنسبة إلى من قدر على قتله ولم يفعل... كما أنه قد استفيد من الأدلة أن هذا الحكم متعلق بما إذا لم يكن في إقدامه على قتله ضرر وإلا فليس عليه ذلك»[2].

وتروي كتبهم قصة رجل منهم، أنكر على رجل يسمى بأبي بجير، كان قتل سبعة من السنة، فتحاكما إلى إمامهم أبي عبد الله، فقال له أبو عبد الله: «وكيف قتلتهم يا أبا بجير؟ فقال: منهم من كنت أصعد سطحه بسلم حتى أقتله، ومنهم من جمع بيني وبينه الطريق فقتلته، ومنهم من دخلت عليه بيته فقتلته، وقد خفي علي ذلك كله، قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا بجير عليك بكل رجل قتلته منهم كبش تذبحه بمنى، لأنك قتلته بغير إذن الإمام، ولو أنك قتلتهم بإذن الإمام لم يكن عليك شيء»[3].

---

(١) الحدائق الناضرة (١٨/ ١٥٥).

(٢) الدر المنضود. الكلبيكاني (٢/ ٢٥٣).

(٣) تهذيب الأحكام (١٠/ ٢١٣) في باب دية الناصب إذا قتل بغير إذن الإمام.

قال نعمة الله الجزائري: «فانظر إلى هذه الدية الجزيلة التي لا تعادل دية أخيهم الأصغر، وهو كلب الصيد، فإن ديته خمس وعشرون درهماً، ولا دية أخيهم الأكبر، وهو اليهودي أو المجوسي، فإنها ثمانمائة درهم، وحالهم في الدنيا أخس وأبخس»(١).

ولهذا، فليس يمنعهم من قتل أهل السنة إلا الخوف، فإذا ذهب الخوف، وقعوا في دمائهم، كما تنص عليه هذه الوصية التي يوصيهم فيها إمامهم قائلاً: «لولا أنا نخاف عليكم أن يقتل رجل منكم برجل منهم، والرجل منكم خير من ألف رجل منهم، ومائة ألف منهم، لأمرناكم بالقتل لهم»(٢).

ج - استباحة أموالهم:

لم تكتف روايات الإمامية وكتبهم، بأن تكفر السني وتبيح دمه، بل نصت على حلية ماله وجواز أخذه، وما على الإمامي إلا أن يخرج منه الخمس.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «خذ مال الناصب حيثما وجدته وادفع إلينا الخمس»(٣).

ونسبوا إلى رجل منهم يسمى علباء الأسدي، كان قد عمل لبني أمية فأفاد سبعمائة ألف دينار ودواب ورقيقاً، قال: «فحمل ذلك كله حتى وضعه بين يدي أبي عبد الله عليه السلام، ثم قال: إني وليت البحرين لبني أمية، وأفدت كذا وكذا وقد حملته كله إليك، وعلمت أن الله عز وجل لم يجعل لهم من ذلك شيئاً، وأنه كله

---

(١) الأنوار النعمانية (٢ / ٣٠٨)، والانتصار. للعاملي (٩ / ١١١).

(٢) تهذيب الأحكام (٦/ ٣٨٧)، ووسائل الشيعة (١٥ / ٢٩٩)، وميزان الحكمة. الريشهري (١/ ٢٨٢)، والحدائق الناضرة (١٠/ ٣٦١). وتعدية القتل باللام لا يعرف في العربية وإنما يقال قتلته، فلو كان واضع هذا عربياً لقال (لأمرناكم بقتلهم).

(٣) وسائل الشيعة (٩/ ٤٨٧ – ٤٨٨)، والحدائق الناظرة (١٠ / ٣٦١)، وبحار الأنوار (٩٣/ ١٩١).

لك، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: هاته، قال: فوُضع بين يديه، فقال له: قد قبلناه منك، ووهبناه لك، وأحللناك منه، وضمنّا لك على الله الجنة»(١).

وهكذا فإن ولاءهم الدائم هو لأئمتهم، ولا عبرة بالحكومة التي يخضعون لها، والتاريخ شاهد على ذلك.

د - الحكم عليهم بالخلود في النار:

جاء في بحار الأنوار عن أبي جعفر قال: «لو أن كل ملك خلقه الله عز وجل، وكل نبي بعثه الله، وكل صديق وكل شهيد شفعوا في ناصب لنا أهل البيت أن يخرجه الله جل وعز من النار ما أخرجه الله أبداً، والله عز وجل يقول في كتابه: ماكثين فيه -هكذا- أبداً»(٢)

وعن الصادق قال: «إن الناصب لنا أهل البيت لا يبالي صام أم صلى، زنى أم سرق، إنه في النار إنه في النار»(٣).

وقال زين العابدين بن علي العاملي، الملقَّب عندهم بالشهيد الثاني ت ٩٦٦هـ: (إنَّ القائلين بإسلام أهل الخلاف يريدون.. صحَّة جريان أكثر أحكام المسلمين عليهم في الظاهر لا أنهم مسلمون في نفس الأمر، ولذا نقلوا الإجماع على دخولهم النار)(٤).

وقال المجلسي عن أهل السنة: (ويظهر من بعض الأخبار، بل كثير منها: أنهم في الدنيا أيضاً في حكم الكفار.. وفي الآخرة يدخلون النار ماكثين فيها أبداً مع الكفار، وبه يُجمع بين الأخبار، كما أشار إليه المفيد والشهيد الثاني)(٥).

---

(١) بحار الأنوار (٩٣/ ١٩٤ - ١٩٥).
(٢) السابق (٢٧/ ٢٣٤).
(٣) السابق.
(٤) بحار الأنوار (٨/ ٣٦٨).
(٥) السابق (٨/ ٣٦٩-٣٧٠).

وقال السيستاني: "اتفقت الإمامية أن من أنكر إمامة أحد من الأئمة، وجحد ما أوجبه الله من فرض الطاعة له فهو كافر ضال مستحق للخلود في النار"[1].

ولعل هذه الروايات تجعلنا أكثر إدراكاً للدوافع التي تحرك هذا الصراع المرير بين السنة والشيعة.

وسأرصد في المطلب التالي بمشيئة الله مجموعة من التطبيقات العملية والشواهد التاريخية لهذا التأصيل العلمي الإمامي والصوفي في الموقف من أهل السنة والجماعة.

(١) انظر: موقع مركز الأبحاث العقائدية الإلكتروني الذي يشرف عليه السيستاني.

المطلب الثاني
اتفاقهم على الوقوف مع الأعداء ضد أهل السنة

إن وقوف الإمامية مع الأعداء ضد الأمة لم يكن بدعاً من الأمر بل إن التاريخ بشواهده ووقائعه على مر القرون يثبت ذلك.

أما قديماً فقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية أنه لما ظهر المشركون التتار وأهل الكتاب في بلاد المسلمين كثر في عباد الصوفية من صار مع المشركين، وأهل الكتاب وارتد عن الإسلام، إما باطناً وظاهراً وإما باطناً، ويحتجون بأن ما يفعلونه من الشرك والخروج عن الشريعة وموالاة المشركين وأهل الكتاب والدخول في دينهم ومجاهدة المسلمين معهم هو بأمر الرسول، فتارة تأتيهم شياطينهم بما يخيلون لهم أنه مكتوب من نور، وأن الرسول أمر بقتال المسلمين مع الكفار، لكون المسلمين قد عصوا[1].

كما بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية حقد الشيعة على الإسلام ومعاونتهم للكفّار. حيث قال: "فتجدهم أو كثيراً منهم إذا اختصم خصمان في ربهم المؤمنين والكفار،

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ٢١٥).

واختلف الناس فيما جاءت به الأنبياء.. تجدهم يعاونون المشركين وأهل الكتاب على المسلمين أهل القرآن. كما قد جرّبه الناس منهم غير مرّة، في مثل إعانتهم للمشركين من الترك وغيرهم على أهل الإسلام بخراسان والعراق والجزيرة والشام وغير ذلك، وإعانتهم للنصارى على المسلمين بالشام ومصر وغير ذلك، في وقائع متعددة من أعظمها الحوادث التي كانت في الإسلام في المائة الرابعة والسابعة، فإنه لما قدم كفّار الترك إلى بلاد الإسلام وقُتِل من المسلمين ما لا يُحصِي عدده إلا رب الأنام، كانوا من أعظم الناس عداوة للمسلمين، ومعاونة للكافرين، وهكذا معاونتهم لليهود أمرٌ شهير، حتى جعلهم الناس لهم كالحمير"[١].

وقال أيضاً: "وكثير منهم يوادّ الكفار من وسط قلبه، أكثر من موادته للمسلمين، ولهذا لما خرج الترك الكفار من جهة المشرق فقاتلوا المسلمين وسفكوا دماءهم ببلاد خراسان والعراق والشام والجزيرة وغيرها؛ كانت الرافضة معاونة لهم على قتال المسلمين، ووزير بغداد المعروف بابن العلقمي هو وأمثاله كانوا من أعظم الناس معاونةً لهم على المسلمين، وكذلك الذين كانوا بالشام بحلب وغيرها من الرافضة كانوا من أشد الناس معاونة لهم على قتال المسلمين، وكذلك النصارى الذين قاتلهم المسلمون بالشام كانت الرافضة من أعظم أعوانهم، وكذلك إذا صار لليهود دولة بالعراق وغيره، تكون الرافضة من أعظم أعوانهم، فهم دائماً يُوالون الكفّار من المشركين واليهود والنصارى ويعاونوهم على قتال المسلمين ومعاداتهم"[٢].

وقال شيخ الإسلام أيضاً: "فلينظر كل عاقل فيما يحدث في زمانه، وما يقرب من زمانه من الفتن والشرور والفساد في الإسلام، فإنه يجد معظم ذلك من قبل

---

(١) منهاج السنة (١/ ٢٠-٢١).

(٢) السابق (٣/ ٣٧٧-٣٧٨).

الرافضة، وتجدهم من أعظم الناس فتناً وشراً، وأنهم لا يقعدون عما يمكنهم من الفتن والشرور وإيقاع الفساد بين الأمة"(١).

وأما تحالف الصوفية والإمامية مع أعداء السنة في العصر الحاضر فقد أصبح يمثل خطراً على الحكومات الإسلامية حتى المؤيدة منها للتصوف والداعمة له فضلاً عن المناوئة للتشيع.

كتب الأستاذ نصر عامر مقالاً في عدد من المواقع الإلكترونية بعنوان: "شهر عسل صوفي مصري منته" جاء فيه:

"الصوفية والدولة المصرية كانا يعيشان منذ عقود في شهر عسل متواصل وفجأة أعلنت الدولة المصرية ظهور الهلال وانتهاء شهر العسل من جانبها فبادرت الصوفية بتطليق الدولة المصرية ثلاثاً لا رجعة فيه وجاري البحث عن محلل.

منذ عقود وأنا أتابع العلاقة الحميمة بين الطرق الصوفية في مصر والدولة المصرية وكانا كالعروسين في شهر العسل وكنت دائما أسأل نفسي ما سر هذه العلاقة الوطيدة لعلها ترجع إلى أن قيادات تلك الطرق في الغالب ضباط سابقون إما في الجيش وإما في الشرطة لعل هذا هو أوضح الأسباب والصوفية في مصر لها مراكز قوى داخل المجتمع المصري لا ينكر ذلك أي متابع للشأن المصري فهم تقريباً ١١ مليون منتمون إلى حوالي ٧٢ طريقة صوفية ويتبعون جميعاً المجلس الأعلى للتصوف ومنهم من يشغل أعلى المناصب الدينية بل والسياسية أيضاً وكل من ينتمي إلى طريقة صوفية كان يعلنها صراحة وبكل فخر فهو لا يخاف على منصب ولا جاه جراء انتمائه هذا فهم والدولة في حالة سلام متصل.

---

(١) السابق (٣/ ٢٤٣)، وانظر للاستزادة: منهاج السنة (١/ ١٠-١١)، (٥/ ١٥٤-١٥٦)، ومجموع الفتاوى (٢٥/ ٣٠٩)، (٢٨/ ٦٣٧، ٥٢٧).

ومنذ أيام تبدل الحال وأعلنت الدولة المصرية سخطها على الطرق الصوفية ومن فيها[1] على خلفية قضية تنظيم حزب الله الشهيرة وكان ذلك الإعلان صريحاً عندما تم اعتقال شيخ الطريقة الهاشمية الشاذلية والتحقيق معه بسبب العلاقة التي تربط الشيعة بالطرق الصوفية وهذه هي أول مرة يتم التحقيق فيها مع شيخ طريقة صوفية وسبقتها تحقيقات مع طلاب عراقيين وخليجين بتهمة رفع الأذان الشيعي في مدينة ٦ أكتوبر ونشر المذهب الشيعي وبرزت في الأفق علاقة الصوفية بالتشيع فكما يقال إن الصوفية هم الوجه الناعم للإسلام فيبدو أنهم كذلك الوجه الناعم للتشيع أيضاً وكما هو معنى عبارة ابن خلدون في مقدمته أن التصوف والتشيع وجهان لعملة واحدة مقولة قديمة تثبت الأيام حقيقتها نعم الشيعة يحاولون منذ عقود اختراق سنية مصر وانتشار مذهب أهل السنة والجماعة فيها ولا سبيل إلى ذلك إلا بالطرق الصوفية"[2].

وسأقف وبصورة موجزة جداً مع نماذج من وقوف الصوفية والإمامية مع الأعداء ضد أهل السنة عبر التاريخ مع مراعاة الاختصار الشديد وتجنب التفاصيل حتى لا يزول عن هذا البحث طابعه العقدي، ويكتسي بالطابع التاريخي والإخباري.

١- وقوف الصوفية مع أعداء أهل السنة:

إذا ما بدأنا بالرفاعية فقد روى المؤرخون عنهم أنهم كانوا يترددون على التتار، ويأوون عندهم ويقبلون منهم الهدايا والأعطيات.

(١) ليلحظ أن هذا السخط يشمل فقط من ثبت من الطرق تعاونه مع النشاط الشيعي وأحزابه، أما من حيث الصعيد العام فلا يزال الدعم الرسمي للطرق الصوفية ومشايخها قوياً.

(٢) انظر الرابط:

http://www.almokhtsar.com/news.php?action=showgroup&id

التاريخ: ١٨/ ٥/ ١٤٣٠هـ الموافق ١٣/ ٥/ ٢٠٠٩م.

فذكر ابن كثير مثلاً أن الشيخ صالح الأحمدي - وهو من أكابر مشايخ الرفاعية في وقته - كان يأوي إلى نائب التتار "قطلو شاه" ويقيم عنده وكان هذا الأخير يكرمه جداً. وهو الذي كان قد قال لابن تيمية أمام الأمير: «أحوالنا لا تتفق إلا عند التتار، وأما عند الشرع فلا»[1].

وقد اعترف الوتري والصيادي بمنزلة الشيخ صالح عند التتار وأنه كان يقيم عندهم ويكرمونه خلال إقامته عندهم[2].

وهذا ما عرف عن الرفاعية حتى المتأخرين منهم، فقد روي عن أحد كبار مشايخهم واسمه الشيخ وهيب البارودي الرفاعي الطرابلسي (ت: ١٣٦٢)، أنه عمل أستاذاً في أحد المعاهد النصرانية، وتتلمذ على يديه المطران عبد وجورج صراف وسابا زريق وغيرهم من كهان النصارى وكان لهم معه أطيب العلاقات، وكان هو بدوره يقيم معهم علاقات ودية وصداقات مع رجال الدين المسيحي إلى درجة أنه كان يرسل أبناءه لحضور احتفالات المسيحيين في الكنائس[3].

وقامت طرق أخرى كالتيجانية والنقشبندية والكنانية والختمية والغنيمية والبكرية بمناصرة الاستعمار النصراني الغربي باعتراف شيوخها، وافتخارهم بذلك، بل إن الاستعمار قام بتنشيط الدعوة إلى الطرق الصوفية، وإنشاء بعض الطرق حيث أسست بريطانيا الطريقة الغنيمية بمصر من أجل محمد الغنيمي التفتازاني الذي هو من أكبر أعوان بريطانيا، لذا أنعمت عليه وأصبح شيخاً لهذه الطريقة ومدافعاً ومحامياً لمصالح بريطانيا[4].

---

(١) البداية والنهاية (٤٧، ٣٦/ ١٤).

(٢) قلادة الجواهر (ص: ٢٠٤)، وروضة الناظرين (ص: ١٤١)، وانظر: الدرر الكامنة لابن حجر (٢٠١/ ٢).

(٣) الطرق الصوفية ومشايخها في لبنان. محمد درنيقة (ص: ١١٩ - ١٢٠).

(٤) انظر: السيد البدوي. محمد أبو رية (ص: ١٩٦-١٩٧).

يقول الرئيس الفرنسي موريس دولا فوس: "لقد اضطر حكامنا الإداريون وجنودنا في أفريقيا إلى تنشيط دعوة الطرق الدينية الإسلامية لأنها كانت أطوع للسلطة الفرنسية وأكثر تفهماً وانتظاماً من الطرق الوثنية"(١).

وفي وقتنا المعاصر هناك ثَمَّة إرادة طامحة لتمكين الفكر الصوفي في واقع الأمَّة من خلال طرقٍ ومشاربَ عدَّةٍ إشاعة للتواكل وترك العمل والكَسْب، وإضعافاً لشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله.

يقول عبد الوهاب المسيري مشيراً إلى التَّشجيع الغَربي للحركات الصُّوفية: "ممَّا له دلالته أن العالم الغربي الذي يحارب الإسلام يشجع الحركات الصُّوفية، ومن أكثر الكتب انتشاراً الآن في الغرب مؤلَّفات محيي الدين بن عربي وأشعار جلال الدِّين الرومي. وقد أوصت لجنة الكونغرس الخاصة بالحريات الدينيَّة بأن تقوم الدول العربية بتشجيع الحركات الصوفيَّة، فالزهد في الدنيا والانصراف عنها وعن عالم السياسة يضعف ولا شك صلابة مقاومة الاستعمار الغربي"(٢).

ولا أدل على ذلك مما ورد في توصيات تقرير راند ٢٠٠٤م من التالي: "تعزيز مكانة المذهب الصوفي: تشجيع الدول ذات التقاليد الصوفية القوية على التركيز على الجزء الصوفي من تاريخهم وإدراجه في المناهج الدراسية المعتمدة في المدارس. وشد الانتباه بقوة أكبر إلى الإسلام الصوفي"(٣).

وبهذا فإن التقرير – حسب ما ورد فيه– يدرج التيار الصوفي مع فئة المجددين لأنه يمثل التأويل المنفتح والفكري للإسلام وينص على وجوب تشجيع التأثير الصوفي بقوة في المناهج الدراسية والمعايير المعتمدة والحياة الثقافية في الدول التي تمارس تقاليد

(١) الاستعمار الفرنسي في أفريقيا السوداء. تقديم: القليبي (ص:٥٣).
(٢) التصوف بين التمكين والمواجهة (ص:١٢).
(٣) انظر: مقالة دراسة خطيرة: مواجهة المد الإسلامي السني عبر بوابة التصوف الشيعي بمصر. موقع المسلم للكاتب: خالد سعيد. على الرابط: http://www.muslm.net/vb/showthread.

صوفية مثل أفغانستان أو العراق، ويمد التيار الصوفي من خلال أشعاره وموسيقاه جسوراً قوية تربط بين مختلف الانتماءات الدينية.

وحين دخلت القوات الصَّليبيَّة الأمريكيَّة والبريطانيَّة الغازية إلى البلاد الأفغانيَّة كان أول ما قاموا به أن فتحوا المزارات والأضرحة وسمحوا للموالد أن تقام وروَّجوا لها، يقول أحد شيوخ الطُّرق: إن حركة طالبان المتعصِّبة أغلقت المزارات وأوقفت الاحتفالات ومنعتنا من حلقات الذِّكر والإنشاد طوال فترة حكمها رغم أنَّها لم تتوقف حتَّى في وجود الحكم الشُّيوعي والاحتلال الرُّوسي وأنا سعيدٌ جداً بسقوط تلك الحركة المتعصِّبة، وأمريكا سمحت لنا بممارسة طقوسنا وإقامة موالدنا، ونحن نشكر لها ذلك وبشدَّة هكذا قال، وهكذا فعلت أمريكا، فَتحتْ الأضرحة. وأقامت الموالد لإحياء البدعة ومحاربة السُّنة ولتشويه الإسلام[1].

وفي سنة ١٤٢٦هـ حضر السَّفير الأمريكي مولد البدوي في القاهرة معلناً إعجابه الشديد بعالم التَّصوف الإسلامي، لافتاً إلى ما تنطوي عليه الصُّوفية من تسامح، وما تجسِّده من قيم ومبادئ إسلاميَّة رفيعة مثل الحقِّ والخير والجمال[2].

ورصدت بعض المواقع أن أتباع الطريقة الكسنزانية[3] ساعدوا القوات الأمريكية

---

(١) انظر الرابط: www.islammemo.cc/historydb/one بتاريخ: ٢١ صفر ١٤٢٦هـ الموافق: ١ إبريل ٢٠٠٥م.

(٢) انظر: التصوف بين التمكين والمواجهة (ص: ٣١).

(٣) الطريقة الكسنزانية هي أحد فروع الطريقة القادرية. والكسنزان هو مصطلح صوفي اتخذه مشايخ الطريقة العلية القادرية الكسنزانية شعاراً لهم. وأصل هذه اللفظة من الناحية اللغوية يرجع إلى اللغة الكردية وهي تعني باللغة العربية (لا أحد يدري) أو (لا أحد يعلم). وتقوم هذه الطريقة على تدريب مريديها على الاختفاء وضرب السيوف في الجسم وكذلك استعمال الأسلحة النارية بجميع أنواعها.. وهذه الطريقة منتشرة في العراق ولها أكبر التكيات في العراق. وشيخ الطريقة الحالي هو الشيخ محمد بن عبد الكريم بن عبد القادر بن عبد الكريم شاه الكسنزان. انظر: موقع الطريقة العليَّة القادريَّة الكسنزانيَّة http:/:www.kasnazan.com

بغزوها للعراق وقدموا معلومات لوكالة المخابرات المركزية. كما أوضح عدد من أهالي مدينة كركوك أن مِن المتصوفة في المدينة من أخذوا يهادنون الاحتلال والحكومة المعينة خوفاً من الاعتقال، خاصة شيخ الطريقة الكسنزانية، والذي أعلن من قبل أن الجهاد في العراق ينبغي أن تنطبق عليه شروط عدة قبل إعلانه[1].

وصورة أخرى للتحالف الصوفي الإمامي يكشفها لنا موقع مفكرة الإسلام، وجاء فيه: شكلت الحركة الصوفية والأحزاب الشيعية في باكستان تحالفاً معارضاً لحركة طالبان المحلية، وداعماً لحكومة إسلام آباد في حملتها العسكرية ضد الحركة في شمال غرب البلاد.

وأطلق الجيش الباكستاني سلسلة حملات عسكرية ضد حركة طالبان المحلية وهو الأمر الذي أدى إلى نزوح مئات الآلاف من المدنيين من مناطق القتال فيما وصف بأنه مأساة إنسانية.

ويؤكد المراقبون للشأن الباكستاني أن حكومة إسلام آباد أقدمت على هذه الحملات العسكرية بضغوط أمريكية؛ خاصة في ظل ازدياد نفوذ حركة طالبان الباكستانية وبسط نفوذها على مناطق قريبة من العاصمة ونجاحها في إبرام اتفاق مع الحكومة المحلية يقضي بتطبيق الشريعة الإسلامية في وادي سوات.

وقوبلت هذه الحملة العسكرية الأخيرة بانتقادات من أوساط المعارضة الباكستانية، خاصة الإسلامية منها، إلا أن الحركة الصوفية والأحزاب الشيعية اتخذت موقفاً داعماً لحكومة إسلام آباد في حملتها العسكرية في وادي سوات. وقال تقرير لقناة الجزيرة الإخبارية: إن المئات من ناشطي الحركة الصوفية والأحزاب الشيعية تظاهروا في العاصمة إسلام آباد دعماً لعمليات الجيش[2].

---

(١) انظر الرابط: http://almoslim.net/node/85941:

(٢) انظر: موقع مفكرة الإسلام مقالة بعنوان: " باكستان: الحركة الصوفية والأحزاب الشيعية تشكل تحالفاً معارضاً لطالبان" بتاريخ: ١٨ من جمادى الأولى ١٤٣٠هـ.

٢- وقوف الإمامية مع أعداء أهل السنة:

إن من أعظم النكبات التي أصيبت بها دولة الإسلام والمسلمون هو سقوط بغداد الأول عام ٦٥٦هـ على يد هولاكو والتتر الذين عاثوا في بغداد وبلاد الإسلام فساداً.

حيث كان ابن العلقمي (وهو شيعي) وزيراً للخليفة العباسي المستعصم بالله[1]، وكان يترصد الوقيعة بأهل السنة فاجتهد في صرف الجيوش وإسقاط اسمهم من الديوان فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر قريباً من مائة ألف مقاتل فلم يزل يجتهد في تقليلهم إلى أن لم يبق منهم سوى عشرة آلاف، ولما تم له ذلك وأصبحت بغداد بلا جيش يدافع عن الإسلام والمسلمين، كاتب التتار وأطمعهم في أخذ البلاد وسهل عليهم ذلك وحكى لهم حقيقة الحال وكشف لهم ضعف الرجال حتى وقع الأمر الفظيع الذي لم يؤرخ أبشع منه منذ أن بنيت بغداد.

وحينما قدم التتار بقيادة سلطانهم هولاكو خان وفي صحبته مستشاره النصير الطوسي إلى بغداد كان أول من برز إلى ملاقاته ابن العلقمي فدبر المكيدة بقتل أعوان الخليفة ثم أشار هو والوزير الطوسي بقتل الخليفة نفسه رفساً حتى لا يؤخذ بثأر دمه.

وبعد قتل الخليفة مالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشباب ودخل كثير من الناس في الآبار وأماكن الحشوش وقني الوسخ، ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى ومن التجأ إليهم وإلى دار الوزير ابن العلقمي الشيعي الذي دبر هذه المكيدة للمسلمين الأبرياء، الذين قيل إن القتلى منهم بلغ ألفي ألف نفس أي مليونين[2]. كما نجت من تلك المهلكة المراقد الشيعية.

---

(١) قال الذهبي: كان المستعصم فيه شح، وقلة معرفة، وعدم تدبير، وحب للمال، وإهمال للأمور، وكان يتكل على غيره، ويقدم على ما لا يليق وعلى ما يستقبح. انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (١١/ ١٧٧).

(٢) انظر قصة تآمر العلقمي في: فوات الوفيات. للكتبي (٢/ ٣١٣)، والبداية والنهاية (١٣/ ٢٠٠)، والعبر(٥/ ٢٢٥)، وطبقات الشافعية. للسبكي (٨/ ٢٦٢، ٢٦٣) وغيرها.

يقول د. علي الفقيهي في شرحه لكتاب الإمامة لأبي نعيم الأصبهاني بعد نقله هذه النصوص من سقوط بغداد في البداية والنهاية لابن كثير: "ولما كان الرفض عقيدة أسسها عبد الله بن سبأ اليهودي الماكر فقد جازاه ابن العلقمي الرافضي على ذلك فدبر الأمر مع هولاكو بألا يُمس أحد من اليهود بسوء وكذلك النصارى؛ لأن الكفر ملة واحدة والتأريخ يشهد على الرافضة بأنهم يوالون الكفار ويناصرونهم على المسلمين في كل زمان ومكان"[1].

وقد امتدح الطوسي من الإمامية الخوانساري في روضات الجنات ووصف عمله بقطع دابر الفساد وإخماد دائرة الجور بإبادة ملك بني العباس[2]. وقال المجلسي عنه: (وكان رحمه الله صحيح الاعتقاد رفيع الهمة)[3].

وامتدح الخميني النصير الطوسي وقرن اسمه مع الحسين رضي الله عنه ووصفه بأنه قدم خدمات جليلة للإسلام كانت نصراً حقيقياً له[4]. ذلك لأن الطوسي شارك مع ابن العلقمي في سقوط بغداد، وإيقاع مذبحة كبيرة على أهل السنة فيعتبره الخميني قدوة له.

ومن تحالفات الإمامية مع أعداء الأمة، تحالف الصفويين مع المستعمر البرتغالي، فإنه في الوقت الذي كان فيه العثمانيون يركزون نشاطهم في شرقي أوروبا والبلقان ويبذل المماليك في السنوات الأخيرة من عمر دولتهم محاولات مستميتة من أجل التصدي للخطر البرتغالي في البحر الأحمر والمحيط الهندي كان الشاه إسماعيل الصفوي يسعى إلى استغلال الأوضاع القائمة لتحقيق أطماعه متجاهلاً المصالح

---

(١) انظر: الإمامة للأصبهاني (ص: ٥٦-٥٨).

(٢) انظر: روضات الجنات (١/ ٣٠٠-٣٠١).

(٣) بحار الأنوار (٢٥/ ١٦).

(٤) انظر: الحكومة الإسلامية (ص: ١٤٢، ١٢٨).

الإسلامية فرسم سياسته التوسعية على أساس التحالف مع البرتغاليين في الخليج العربي والتنسيق مع القوى المعادية للدولة العثمانية ودولة المماليك في مصر والشام وبعث بوفوده إلى أوروبا مفاوضاً ملوكها للتحالف ضد سلطات مصر واقتسام ممتلكاته على أن تكون مصر وفلسطين من نصيبهم بينما يستحوذ هو على بقية بلاد الشام وقد تزامنت مشاريع الشاه هذه مع سعيه إلى انتزاع الأناضول وإنهاء الدولة العثمانية[1].

ويذكر إحسان إلهي ظهير أن انفصال باكستان الشرقية كان وراءه الكيد الشيعي، حيث قال: "وها هي باكستان الشرقية ذهبت ضحية بخيانة أحد أبناء "قزلباش" الشيعة يحيى خان في أيدي الهندوس"[2].

وقد عارض شيوخ الشيعة في باكستان تطبيق الشريعة الإسلامية، وقد قال زعيم الشيعة مفتي جعفر حسين في مؤتمر صحفي بأن الشيعة يرفضون تطبيق الحدود الإسلامية لأنها ستكون على مذهب أهل السنة[3].

ويضاف لرصيد الإمامية في تحالفاتهم ضد الأمة ماضي منظمة أمل الشيعية التي خرج منها "حزب الله" فلقد قتلوا المئات من الفلسطينين وأهل السنة في المخيمات الفلسطينية بداية من ٢٠/ ٥/ ١٩٨٥م وحتى ١٨/ ٦/ ١٩٨٥م، ودفعوا أهل السنة من الفلسطينين لأكل القطط والكلاب، وفعلوا ما لم تفعله إسرائيل وسقط من الفلسطينيين ٣١٠٠ بين قتيل وجريح، وذبحوهم من الأعناق واغتصبوا النساء، وكل هذا يصب في مصلحة العدو الصهيوني[4].

---

(١) العراق في التاريخ (ص: ٥٦٤، ٥٦٨).

(٢) الشيعة والسنة (ص: ١١).

(٣) انظر: صحيفة الأنباء الكويتية في ١/ ٥/ ١٩٧٩م.

(٤) انظر: أمل والمخيمات الفلسطينية. عبد الله محمد الغريب (ص: ٨٩، ١٦٠، ١٨٢، ١٨٩).

يقول الأستاذ محمد كرد علي: "والغريب أن شيعة جبل عاملة كانوا من حزب الصليبيين على المسلمين إلا قليلاً، كما أن هوى الموارنة مع الصليبيين ويعملون عندهم أدلاء وتراجمة"[1].

وفي وقتنا الحاضر تعاونت الإمامية مع الدول الأجنبية في ضرب الحكومات المناوئة للتشيع. فقامت حكومة إيران التي طالما صرخ معمّموها بلعن الشيطان الأكبر - أمريكا - قامت تلك الحكومة الفارسية بالتعاون مع الحكومات الأجنبية لإسقاط النظام العراقي، وقبله الحكومة الأفغانية، أعلن ذلك وزير خارجية إيران بكل صراحة:

(لولا إيران لما احتلت أمريكا العراق، ولولا إيران ما احتلت أمريكا أفغانستان)[2].

وصرح رئيس مجلس تشخيص مصلحة النظام الرئيس الإيراني السابق؛ علي أكبر هاشمي رفسنجاني في يوم ٨ فبراير ٢٠٠٠م - أي بعد احتلال أفغانستان - بثلاثة شهور - في خطبته بجامعة طهران أنّ القوات الإيرانية قاتلت طالبان، وساهمت في دحرها، وأنّه لو لم تُساعد قوّاتهم في قتال طالبان لغرق الأمريكيون في المستنقع الأفغاني، وتابع قائلاً: "يجب على أمريكا أن تعلم أنّه لولا الجيش الإيراني الشعبيّ ما استطاعت أمريكا أنْ تُسْقط طالبان"[3].

كما صرح محمد علي أبطحي نائب الرئيس الإيراني السابق للشؤون القانونية والبرلمانية في ختام أعمال مؤتمر الخليج وتحديات المستقبل الذي ينظمه مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية سنوياً بإمارة أبو ظبي مساء الثلاثاء ١٥/ ١/ ٢٠٠٤م: أن بلاده قدمت الكثير من العون للأمريكيين في حربيهم ضد أفغانستان والعراق، ومؤكداً أنه لولا التعاون الإيراني لما سقطت كابول وبغداد بهذه السهولة.

---

(١) خطط الشام (٢/ ١٤).

(٢) انظر: ماذا تعرف عن حزب الله؟ (ص: ٢٠٨).

(٣) انظر: جريدة الشرق الأوسط في: ٩/ ٢/ ٢٠٠٢م.

ويقول بول بريمر - أول حاكم أمريكي للعراق بعد الاحتلال- : فيما كانت وسائل الإعلام العربية والغربية تندب الانقسام المفترض بين آية الله السيستاني والائتلاف، كنت أنا وهو نتواصل بانتظام بشأن القضايا الحيوية من خلال الوسطاء طوال المدة التي قضاها الائتلاف في العراق.

ويقول بريمر عن السيستاني إنه قد يفقد بعض مصداقيته في أوساط المؤمنين (الشيعة) إذا تعاون علناً مع مسؤولي الائتلاف[١].

وقال أحد قادة الاحتلال عن السيستاني أتمنى أن يطول عمره ويمنح جائزة نوبل للسلام[٢].

وإذا تتبعنا أحداث السقوط الثاني لبغداد عام ١٤٢٤هـ فبعد الاجتماعات المسبقة والممهدة مع الأمريكان، وإضعاف الجيش العراقي وإعطاب معداته، بدأ الاحتلال وأول من فتح أبواب المحافظات الجنوبية واستقبل المحتلين هم الشيعة حيث بدأ الهجوم على العراق من الجنوب لأن أغلب سكانه من الشيعة، وأصدر علي السيستاني فتوى بعدم التعرض للقوات الأمريكية، فانهار الجيش لعدم وجود الإسناد الشعبي[٣].

وقام الرافضة بقتل أغلب المتطوعين العرب المسلمين السنة الذين جاؤوا قبل الهجوم لنصرة العراق وتم تسليم الكثير منهم للقوات المحتلة.

وبعد أن عجزت القوات الأمريكية عن استدعاء المزيد من جنودها أو من جنود الدول الأخرى فتحوا باب التطوع في الجيش للعراقيين تحت اسم الحرس الوطني وكان الشيعة أول المتطوعين مع الأمريكان فحملوا السلاح يداً بيد مع الجندي

---

(١) انظر: مذكرات بريمر (ص: ٢١٤).
(٢) انظر: علم اليقين. يونس العلي (ص: ١٢٠).
(٣) انظر: السابق (ص: ٥٢).

الأمريكي وهاجموا مدن السنة مثل الفلوجة والرمادي وسامراء واللطيفية، وأحياء السنة في بغداد مثل الأعظمية والدورة وشارع حيفا وقتلوا واعتقلوا الأبرياء وسرقوا كل ما خف حمله وغلا ثمنه من أموال نقدية ومصوغات وأثاث وسيارات وذلك عند مداهمتهم لهذه الدور.

وفي بغداد وزعت مناشير تحت عنوان: "تظاهر بالتشيع لتنجو من الخطف والتعذيب والقتل"، ترشد العربي السني إلى كيفية إخفاء هويته ومذهبه، واستعارة أسماء تدفع الشبهة المذهبية، وتعلّمه ألفاظ سبّ الصحابة -رضي الله عنهم- وبني أمية المعتمدة عند الإمامية، وشيئاً من الطقوس الشيعية، والاحتفاظ في داره بعلم أسود، اتقاءً من أذى الميلشيات الطائفية، ونجاة بنفسه من الخطف والقتل.

أما في لبنان يقول عبد المنعم شفيق في كتابه حقيقة المقاومة عن حزب الله: (كان الشيعة أول من سارع لمساندة الجيش اللبناني «الموارنة» في الاشتباكات التي جرت مع المنظمات الفلسطينية بل ومساعدة اليهود في ذلك فالموارنة لا يريدون تكثير «السنة» لأجل إنشاء دولتهم النصرانية، واليهود لا يريدون الفلسطينيين في لبنان لئلا يتهدد أمنهم من الشمال، والشيعة لا يريدونهم كذلك لأنهم يمثلون عائقاً أمام تحقيق وجودهم وكيانهم الذي يسعون من أجله.

ويقول: عند الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ استقبل سكان الجنوب من الشيعة القوات اليهودية بالورد والأرز لفرحتهم بأنهم سوف يخلصونهم من الفلسطينيين.

وبعد توقيع اتفاق الطائف عام ١٩٨٩م واتخاذه تسوية للأزمة اللبنانية تضع نهاية للحرب الأهلية خرج حزب الله بعبارات مكتوبة على لافتات في تظاهرة مكتوبة

عليها (الوهابيون رجس من عمل الشيطان، سننتقم من الوهابيين؛ لن تمر هذه الجريمة دون عقاب)[1].

ومن آخر ذلك هجوم قوات حزب الله على مناطق أهل السنة في بيروت الغربية عام ٢٠٠٨م.

وهكذا فقد تبين لنا من خلال هذا العرض الموجز لتحالفات الصوفية والإمامية مع الأعداء ضد أهل السنة حجم الكراهية والعداء، والوقوف بصف العدو لإقامة المجازر بالقتل والتمثيل والتنكيل تشفياً بأهل السنة.

(١) عبد المنعم شفيق، حقيقة المقاومة (ص: ٩٥، ١١).

المبحث الثاني
تعميق نظرية التقريب بين السنة والشيعة

تكمن أهمية هذا المبحث بوصفه من المداخل الكبيرة للإمامية في مجتمعات المسلمين، حيث تكون الاستجابة لهم في الغالب من زعماء الصوفية، وأصحاب الطرق، أو ممن هو قريب منهم ومتأثر بالطرقية كبعض متأخري الأشاعرة.

المطلب الأول
لمحة موجزة عن التقريب

يعرف دعاة التقريب بين المذاهب الإسلامية مصطلح " التقريب " بأنه : "اتجاه جاد داخل الإسلام مجرد تماماً عن اللون الطائفي، أو الإقليمي، للتخلص من العداوة المتبادلة بين أهل المذاهب الإسلامية المختلفة، وصيانة وحدة المسلمين"(١).

وقضية التأليف بين فصائل الأمة، والسعي في إصلاح ذات بينها وجمع شملها على الحق والهدى، ورأب صدعها، والتقريب بين فئاتها المتنازعة؛ من أعظم أصول الإسلام العظيمة، ومن أفضل أبواب الخير والجهاد في سبيل الله. وقد بشر النبي ﷺ ابنه الحسن بأنه سيكون سبباً في الجمع بين طائفتين عظيمتين من المسلمين، وقد كان(٢).

---

(١) مجلة رسالة الإسلام. العدد (٦٥، ٥٥) (ص: ٢٠٣)، وانظر: معالم التقريب. محمد المحامي (ص: ٢).

(٢) نص الحديث: " ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين ". والحديث رواه البخاري في كتاب الصلح (٣/ ١٦٩)، وأبو داود، كتاب السنة، باب ما يدل على ترك الفتنة: (٥/ ٤٨) (ح٤٦٦٢)، والترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام: (٥/ ٦٥٨) (ح٣٧٧٣)، والنسائي، كتاب الجمعة، باب مخاطبة الإمام رعيته وهو على المنبر: (٣/ ١٠٧)، وأحمد: (٥/ ٣٧-٣٨، ٤٤، ٤٩، ٥١).

والأمة لم تؤت من ثغرة مثل ما أُتيت من جانب فرقتها وتنازعها، والصراع بينها. ولقد كان الأعداء هم الذين يؤججون هذا الصراع، ويحصدون نتائجه، والمسلمون لا يحصدون سوى الخيبة والفشل[1].

ولكن هل حققت مسألة التقريب والتأليف والوحدة بين السنة والشيعة أهدافها المنشودة؟ أم أنها استُغلت لإعطاء الباطل صفة الشرعية، ومنح الدخيل من الأفكار صفة الأصيل، لتبقى بذور الفتنة وأُسس الخلاف بين الأُمة لتشتعل في أي لحظة يراد لها؟

وإذا شرعنا في الحديث عن فكرة التقريب عند الإمامية فيرى محمد أبو زهرة أنها نشأت عندهم من الطوسي (ت: ٤٦٠هـ) الذي كان بشخصه أول من حاول التقريب الفكري والنفسي بين طائفة الإثني عشرية وجمهور المسلمين[2]، وذلك بسبب ما سلكه في تفسيره «التبيان» من تفسير لآيات القرآن معتمداً فيه على مصادر الفريقين ومتجنباً بعض "مظاهر الغلو" المعهودة عند الشيعة في الاعتقاد والتفسير. ثم تابعه على منهجه الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ) في تفسيره "مجمع البيان".

ويشير ابن كثير إلى حصول محاولات جرت قبل ذلك للتقارب بين السنّة والشيعة فيقول:

في سنة ٤٤٢هـ (اصطلح الروافض والسنة ببغداد وذهبوا كلهم لزيارة مشهد علي ومشهد الحسين، وترضوا في الكرخ على الصحابة كلهم وترحموا عليهم، وصلوا في مساجد السنّة، وتواد الفريقان وتحابوا. قال ابن كثير: وهذا عجيب جداً إلا أن يكون من باب التقية)[3].

---

(١) انظر: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة. ناصر القفاري (١/ ٥).
(٢) الإمام الصادق. محمد أبو زهرة (ص: ٤٥٣).
(٣) البداية والنهاية (١٢/ ٧٧).

وأما نشأة فكرة التقريب عند الصوفية فقد بدأت بها فرقة الكبروية في القرنين السابع والثامن الهجريين بعد الغزو المغولي بقليل، ومؤسس هذه الطريقة نجم الدين كبرى الذي قتل على أيدي المغول سنة ٦١٨هـ، والطريقة الكبروية لجأت إلى أسلوب انتقاء مجموعة مناسبة من المبادئ المقبولة من كل فرقة ربما لكي يشكل تلفيقاً بين السنة والشيعة، فمحبة آل البيت ورجحانهم في كفة التفضيل كانت إحدى أدوات هذا التصالح، وعلى هذا المنوال كانت سيرة خلفاء نجم الدين كبرى، كعلي الهمداني، وإسحق الختلاني، وأشهرهم نوربخش مؤسس النوربخشية والمتوفى ٨٦٩ هـ.

إلا أنه مع ظهور الدولة الصفوية التي أعلنت المذهب الشيعي مذهباً رسمياً لإيران سنة ٩٠٨هـ فقد ساعدت بذلك في ازدياد حدة الردود والاتهامات بين المذاهب.

والخطوة التالية في طريق التقارب السني الشيعي قد تمت بعد حوالي ثلاثة قرون من موت نوربخش، وكانت المبادرة هذه المرة من نادر شاه مؤسس الدولة الأفشارية التي حكمت إيران فترة قصيرة (١).

ففي القرن الثاني عشر حصل اجتماع بين ممثلي الطائفتين برئاسة علامة العراق: عبد الله السويدي (ت: ١١٧٤هـ)، وبإشراف وتدبير "نادر شاه"، فيما سمي بمؤتمر النجف.

ووصفه محب الدين الخطيب بأنه (أعظم مؤتمر عقد في تاريخ المسلمين للتفاهم بين الشيعة وأهل السنّة المحمدية)(٢)، وقال إنه: (كان الأول من نوعه في المجتمع الإسلامي).

---

(١) انظر: مقالة: " التقريب بين المذاهب الإسلامية همزة وصل ". سامح عسكر على الرابط:
http://ascooor.maktoobblog.com/

(٢) مجلة الفتح: المجلد ١٧، ص ٦٦٥.

وعقد هذا المؤتمر في يوم الخميس ٢٥ شوال سنة ١١٥٦ في النجف، وفي الموضع الذي تحت المسقف الذي وراء الضريح المنسوب إلى الإمام علي - رضي الله عنه - وكان برئاسة علامة العراق عبد الله السويدي، وبحضور مجتهدي الشيعة في إيران والنجف وعلماء من أهل السنّة والجماعة.

وقد اجتمع للاستماع "لوقائع المؤتمر" أعداد كبيرة من العجم والعرب والتركستان. قال السويدي: (أنه يبلغ عددهم نحو الستين ألفاً)[1].

وكانت هناك دوافع سياسية لنادر شاه من خلال الدعوة لهذا المؤتمر حيث كان يرمي إلى حكم إمبراطورية واسعة أبعد من حدود إيران، وكان في حاجة إلى المحافظة على دماء جنده، وأيضاً كان يطمح في القضاء على التبعية المذهبية لكل الإيرانيين للدولة الصفوية الذين كانوا يعتبرونهم حكام إيران الشرعيين، وأيضاً الوصول إلى هدنة مؤقتة مع العثمانيين.

وتتلخص جهود نادر شاه في سعيه في القضاء على الأعمال التي تثير اعتراض أهل السنة، أي السباب الجماعي للخلفاء الثلاثة ورفضهم لشرعية خلافتهم، فقد أبطل هذه الأعمال رسمياً وأدانها بصفتها لغو عامة. وجاهد أيضاً في تحويل التشيع إلى مدرسة فقهية صرفة وتنقيته من علم الإمام الباطني، وبذلك كان يسعى لجعل المذهب الجعفري على قدم المساواة مع المذاهب الفقهية السنية، بحيث لا يبقى أي عائق عقدي في طريق التحام التشيع بالإسلام السني، وقام بخطوة عملية في تأييد هذا التغيير فخصص مقاماً خامساً في دائرة الحرم المكي للشيعة بجوار مقامات المذاهب الأربعة السنية يكون دليلاً على قبول الشيعة كمذهب خامس للمذاهب الأربعة، ولكن التعصب كان سبباً لفشل هذه المحاولة التقريبية وانتهت المغامرة بمصرع نادر شاه

(١) انظر: مؤتمر النجف مع «الخطوط العريضة» (ص ٨٩ - ٩٠).

سنة ١١٦٠هـ/ ١٤٧٤م، ورغم ما يشوب مبادرة نادر شاه من بواعث سياسية كامنة وراء هذا العمل، إلا أنها كانت مبادرة فريدة وجريئة[1].

وفي العصر الحديث قامت محاولات جماعية عدة للتقريب من أهل السنة والشيعة. كانت منها محاولات عابرة مثل: محاولة جماعة سمّت نفسها جماعة الأخوة الإسلامية: في قبة الغوري بمصر عام ١٣٥٧هـ، ومحاولة دار الإنصاف: تأسست عام ١٣٦٦هـ ببيروت، كما أنه حصلت محاولات أخرى جادة ومنظمة، من أبرزها: محاولة دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة.

هذه المحاولة دعا إليها الإمامي محمد تقي القمي في عام ١٣٦٤هـ، واستجاب لدعوته ثلة من علماء مصر، ومن زيدية اليمن، وقد اتخذ لها مقراً في القاهرة باسم «دار التقريب بين المذاهب الإسلامية»، ثم قامت الجماعة بإصدار مجلة باسم «رسالة الإسلام» الناطقة باسم جماعة التقريب[2].

أما المذاهب التي تسعى الجماعة للتقريب بينها: فقد أعلنت التقريب بين المذاهب في حين اقتصر نشاطها في التقريب بين الشيعة الإمامية وبين مذهب أهل السنّة.

وكان من بين أشهر أعضاء الجماعة من الجانب السني محمد شلتوت، ومحمد

---

(١) انظر: مجلة رسالة الإسلام. العدد (ص: ٤١٢-٤١٣)، ومقالة: " التقريب بين المذاهب الإسلامية همزة وصل " . سامح عسكر على الرابط:
http://ascooor.maktoobblog.com/

(٢) صدر العدد الأول من مجلة رسالة الإسلام في ربيع الأول عام ١٣٦٨هـ، وتوقفت بصدور آخر عدد منها في ١٧ رمضان ١٣٩٢هـ، ولم تكن منتظمة الصدور في آخر عهدها ومجموع ما صدر من أعدادها (٦٠) جمعت في (١٦) مجلداً. وهذه المجلة تولت الدعاية للتشيع والدفاع عن عقائد الشيعة، والتعريف بكتب الشيعة ونشرها، والثناء والمديح لرجالات الإمامية، وتأبين موتاهم، وتسطير أخبارهم ونشر مقالاتهم وكلماتهم. كما تقوم بإصدار النشرات وكتابة المقالات في مناسبات الأئمة الإثني عشر عندهم.

المدني، وحسن البنا، ومحمد الغزالي، ومحمد أبو زهرة، ومحيي الدين القليبي التونسي. ومن الجانب الإمامي: البروجردوي، ومحمد الحسين آل كاشف الغطا، وشرف الدين الموسوي، ومحمد صالح الحائري، وأبو القاسم الخوئي، ومحمد جواد مغنية، ومحمد تقي القمي[1].

ورفعت هذه الجماعة شعار التقريب بين أصحاب المذاهب مع احتفاظ كل بمذهبه، حيث جاء في مقدمة دعوة التقريب: (ليس من غايتنا أن يترك السنّي مذهبه، أو الشيعي مذهبه، وإنما نريد أن يتحد الجميع حول الأصول المتفق عليها، ويعذر بعضهم بعضاً فيما وراء ذلك، مما ليس شرطاً من شروط الإيمان ولا ركناً من أركان الإسلام، ولا إنكاراً لما هو معلوم من الدين بالضرورة)[2].

هذا الشعار هو الذي رفعته دعوة التقريب، ولكن عند التنفيذ سار الأمر مساراً آخر.

فقد اهتم الإمامية أولاً بنشر كتبهم الفقهية ليبدؤوا بالفروع قبل الأصول، مع أن الفرقة الكبرى هي في مسائل الأصول والعقيدة.

وعلى ضوء ذلك قامت الدار بالدعاية للتشيع عن طريق نشر الكتاب الشيعي وترويجه، وراحت تستكتب بعض علماء السنة لوضع مقدمات لكتب الشيعة التي نشروها بين أهل السنّة، فنشروا كتباً عدة لمذهب الإمامية مثل: «المختصر النافع في فقه الإمامية»، و«تذكرة الفقهاء»، و«وسائل الشيعة ومستدركها»، و«الحج على المذاهب الخمسة»: (أي الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي والجعفري). و«تفسير مجمع البيان»، و «حديث الثقلين».

---

(١) انظر: التقريب بين السنة والشيعة ما له وما عليه. أحمد سيد (ص: ٦٨).
(٢) دعوة التقريب. المقدمة لمحمد المدني (ص: ٧)، وانظر: الوحدة الإسلامية. للشيرازي (ص: ٧)، ومعالم التقريب. محمد عبد الله المحامي (ص: ٣).

ثم خرج أخيراً تقي القمي يدعو المسلمين صراحة دون تقية إلى الأخذ بعقيدة الشيعة وآرائها، فيقول ـ بعد أن يزعم أن أهل السنّة في مصر أخذوا ببعض آراء الشيعة الفقهية ـ فيقول: (فماذا عليهم لو استقبلوا ما وراء الفقه، كما استقبلوا الفقه وما الفرق بين الفروع العملية والفروع العلمية؟)[1].

واستطاع الإمامية في ظل دعوة التقريب أن يستكتبوا محمود شلتوت شيخ الأزهر أن يصدر فتوى في شأن جواز التعبد بالمذهب الجعفري. فاستجاب لهم وأصدر فتواه في سنة ١٣٦٨هـ بجواز التعبد بالمذهب الجعفري[2].

ومن المفارقات أن أحد شيوخ الشيعة الذين ينادون بالوحدة الإسلامية سئل عن جواز التعبد بالمذاهب الأربعة فأفتى بالمنع من ذلك[3].

وقد توقف نشاط دار التقريب في مصر فور قيام الثورة الإيرانية سنة ١٣٨٩هـ. وتأسست بعدها بمصر دار أهل البيت، أو جمعية أهل البيت عام ١٣٩٥هـ، قام بها: طالب الرفاعي الحسيني. وعنها اهتم بنشر كتب الإمامية وإحياء مواسمهم[4].

(١) «رسالة الإسلام»: (جـ٢/ ص ١٦٩)، السنة الثانية، العدد الثاني، جمادى الآخرة، ١٣٦٩هـ.

(٢) جاء في نص الفتوى: " إن الإسلام لم يلزم أياً من أتباعه بانتهاج مذهب محدد. بل إننا نقول بأن كل مسلم يكون من حقه اتباع كل مذهب تم نقله بشكل صحيح وقد دوّنت أحكامه في كتب خاصة به منذ البداية. ويحق لكل شخص يكون قد قلّد أحد هذه المذاهب أن ينتقل إلى مذهب آخر من هذه المذاهب - ولا يورد عليه أي إشكال في ذلك. والمذهب الجعفري المعروف بالشيعة الإمامية الإثني عشرية هو مذهب يجوز التعبّد فيه كباقي مذاهب أهل السنة فعليه يجدر بالمسلمين أن يعرفوا هذه الحقيقة والابتعاد عن التعصب غير المطلوب حيال مذهب خاص؛ لأن دين الله وشريعته لا يتبعان مذهباً خاصاً، ولأن علماء هذه المذاهب كانوا جميعاً مجتهدين يكون اجتهادهم مقبولاً لدى الله المتعال ويستطيع الذين لم يكونوا أصحاب رأي واجتهاد تقليدهم والأخذ بما هو موجود في فقههم ولا فرق في هذا الجانب بين العبادات والمعاملات ".

(٣) انظر: التوحيد والوحدة. محمد الخالصي (ص: ٣٣- ٣٤).

(٤) انظر: التبشير بالتشيع. مصطفى الأزهري (ص: ٣٢). وليلحظ أن كل الدور التقريبية الأربع كانت مبادرات شيعية، وكلها في ديار أهل السنة.

كما شهدت ساحات التقريب محاولات فردية لبعض من أهل السنة، وآخرين من الإمامية، وكان على رأسها محاولات: محمد عبده التي استقاها من أستاذه "جمال الدين الأفغاني". ومحاولة الشيخ محمد رشيد رضا (ت: ١٣٥٤هـ) الذي سعى كثيراً من أجل التقارب السني الشيعي، وقامت علاقات طيبة بينه وبين عدد من أعلام الإمامية منهم صاحب مجلة (العرفان) هبة الله الشهرستاني النجفي، وعبد الحسين العاملي - صاحب المراجعات - وظن رشيد رضا أن أصحابه هؤلاء من المعتدلين لكنه فوجئ بكتاب لمحسن الأمين العاملي اسمه: (الرد على الوهابية) ثم ظهر له كتاب آخر اسمه: (الحصون المنيعة في الرد على ما أورده صاحب المنار في حق الشيعة). فعلم صاحب المنار أن الاعتدال الذي كان يتظاهر به أصحابه الشيعة ليس إلا من تقية، ووجد رشيد رضا نفسه مضطراً للرد على أباطيلهم، وبيان الحق الذي حاولوا طمسه فكتب رسالته الأولى التي أسماها: (السنة والشيعة) وذكر أن هناك عقبة كبيرة ظهرت له نتيجة اختبار طويل لفكرة التقريب فيقول: (وقد ظهر لي باختباري الطويل وبما اطلعت عليه من اختبار العقلاء وأهل الرأي أن أكثر علماء الشيعة يأبون هذا الاتفاق أشد الإباء، إذ يعتقدون أنه ينافي منافعهم الشخصية من مال وجاه)[1].

ومنهم د. مصطفى السباعي (ت: ١٣٨٤هـ) الذي وصلت به التجربة إلى القول بأن غاية ما قدم شيوخ الشيعة تجاه فكرة التقريب هي جملة من المجاملة في الندوات والمجالس مع استمرار كثير منهم في سب الصحابة وإساءة الظن بهم، واعتقاد كل ما يروى في كتب أسلافهم من تلك الروايات والأخبار. ويذكر أنهم وهم ينادون بالتقريب لا يوجد لروح التقريب أثر لدى علماء الشيعة في العراق وإيران، فلا يزال القوم مصرين على ما في كتبهم من ذلك الطعن الجارح والتصوير المكذوب لما كان

(١) مجلة «المنار»: (٣١/ ٢٩٠).

بين الصحابة من خلاف، كأن المقصود من دعوة التقريب هي تقريب أهل السنّة إلى مذهب الشيعة[1].

وأما المحاولات الفردية للتقريب من الإمامية فكان منها: محاولة محمد الخالصي(ت: ١٣٨٣هـ) الذي رفع شعار الوحدة الإسلامية في العراق، وردده في نشراته وخطبه ورحلاته[2]، ولكنه وهو يدعو للوحدة يصدر منه ما يناقض هذه الدعوة؛ فهو يرى أن (الأئمة الإثني عشر أركان الإيمان ولا يقبل الله تعالى الأعمال من العباد إلا بولايتهم)[3]، وفي هذا تكفير للمسلمين الذين يدعو للوحدة معهم.

ومنهم: عبد الحسين شرف الدين الموسوي (ت: ١٣٧٧هـ) الذي نادى بفكرة التقارب والتآلف بين المسلمين، ولكنه بينما هو يسعى بحماس للتقريب بين السنّة والشيعة إذ به يصدر الكتب المليئة بالطعن في حق خيار الصحابة الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه[4].

وعلى هذا المنوال سارت المحاولات الفردية للإمامية للتقريب مواكبة للمحاولات الجماعية، ومكملة لأهدافها.

---

(١) انظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي (ص: ٩- ١٠).
(٢) انظر مثلاً: الإسلام فوق كل شيء. محمد الخالصي (ص: ٦٥).
(٣) الاعتصام بحبل الله. محمد الخالصي (ص: ٤٣).
(٤) ألف الموسوي كتاباً في أبي هريرة رضي الله عنه مليئاً بالسباب والشتائم. وانظر للاستزادة: السنة ومكانتها في التشريع (ص:٨-١٠).

المطلب الثاني
التقريب بين السنة والشيعة في العصر الحاضر

أ - موقف الإمامية:

بعد قيام الثورة الإيرانية بقيادة الخميني؛ هب الكثير من المنتسبين لأهل السنّة لتأييد الخميني في ثورته، ووصفت الحركة الشيعية بقيادة الخميني بأنها حركة إسلامية قد بعدت عن ذلك "الغلو" الشيعي المعهود، ونأت عن الطائفية الضيقة، فهي ترفع شعار "الإسلام"، وتعلن "الجمهورية الإسلامية".

واستغل الإمامية هذا الجو بالدعاية لمذهبهم، بل نادوا بتصدير مذهبهم بالقوة للعالم الإسلامي، وحرضوا الشعوب على الحكومات القائمة.

ومن خلال ما سبق طرحه في أثناء البحث عن فكر الخميني وعقيدته؛ تبين أنه يقول بأمور لا تقل غلواً عن سابقيه.

أما عن رأي الخميني في "الوحدة الإسلامية" فهو يرى أن هذه الوحدة مرهونة بقيام الدولة الجعفرية، وبسط سلطتها على الشعوب الإسلامية، أي أن الوحدة

عنده تعني فرض مذهب الشيعة الإمامية على العالم الإسلامي وإلا فلا وحدة. يقول: (ونحن لا نملك الوسيلة إلى توحيد الأمة الإسلامية وتحرير أراضيها من يد المستعمرين، وإسقاط الحكومات العميلة لهم إلا أن نسعى إلى إقامة حكوماتنا الإسلامية، وهذه بدورها سوف تتكلل أعمالها بالنجاح يوم تتمكن من تحطيم رؤوس الخيانة وتدمر الأوثان والأصنام البشرية، والطواغيت التي تنشر الظلم والفساد في الأرض)[1].

ورغم ذلك جددت الإمامية دعوتها للتقريب من خلال المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، لتحقق مكاسبها في العالم الإسلامي، وتقطف الثمار التي لم تستكملها من الدعوات السابقة. ولكن هذه المبادرة أقيمت في إيران دفعاً للريبة وإسقاطاً للتهم التي وجهت للإمامية بسبب إنشائها لدور التقريب في ديار أهل السنة فقط.

ومن خلال تجاربهم فإن الصوفية من أهل السنة هم الأقرب لتحقيق التواصل معهم، والاقتناع بدعواهم، والانخداع بشعاراتهم، لاسيما أنهم شاركوهم في بعض مصادر التلقي، ومسائل الاعتقاد الكبرى كما مر معنا في ثنايا البحث.

وقد كشف لنا موقع الحقيقة الدولية الإلكتروني عن مساع للتقريب بين الصوفية والشيعة في مصر تتبناها السفارة الإيرانية حيث أعلن الدكتور محمد حسن زماني المستشار الثقافي في السفارة الإيرانية بالقاهرة عن رغبة السفارة الإيرانية في تحقيق تقارب بين الصوفية والشيعة في إيران.

وقال: إن هناك تشابهاً كبيراً بين الطرق الصوفية والشيعية وأن التواصل سيحقق نوعاً من التقارب المأمول بين المذاهب الإسلامية.

---

(١) الحكومة الإسلامية (ص: ٣٥).

وكان زماني قد شارك في الاحتفال بمولد الإمام عبد الله الحسيني بمشيخة الطريقة العزمية وأكد أنه تم الاتفاق مع الشيخ الحجازي شيخ الطريقة القادرية وأحمد الحافظ التيجاني شيخ الطريقة التجانية على تعرفهم بمشايخ الطرق المتشابهة معهم في إيران(١).

وقد صدر الأمر من مرشد الثورة علي خامنئي بتشكيل المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية عام: ١٤١١هـ، وبإشرافه ومراقبته، وأن يكون مقره الأصلي في طهران ليقدم رسالته وهي: "رفع مستوى التعارف والوعي وتعميق التفاهم بين أتباع المذاهب الإسلامية وتقوية الاحترام المتبادل وتقوية أواصر الوحدة بين المسلمين دون أي تمييز من ناحية المعتقدات المذهبية أو القومية أو الوطنية لهم من أجل بلوغ الأمة الإسلامية الموحّدة"(٢).

وقد عين الخامنئي محمد واعظ زاده الخراساني أميناً عاماً للمجمع لمدة عشر سنوات وبعد استقالتة عين محمد علي التسخيري سنة ١٤٢٢هـ خلفاً له.

ومن أبرز العلماء والمفكرين الذين تم اختيارهم لعضوية مجلس المجمع وجمعيته العمومية: محمد باقر الحكيم، ومحمد الحبيب بن الخوجه، وعبد الأمير قبلان، وأحمد بن حمد الخليلي، وعبد العزيز بن عثمان التويجري، ومحمد آصف المحسني، وعبد الصبور شاهين، وعائشة يوسف المناعي، ومحمد سليم العوا، وحسن الصفار.

وكان من أبرز أنشطة المجمع التقريبية:

١ - عقد أكثر من عشرين مؤتمراً عالمياً.

---

(١) انظر الرابط:
http://www.factjo.com/fullnews.aspx?id=1455

(٢) انظر التعريف بالمجمع على الموقع الخاص به ضمن الرابط التالي:
http://www.taghrib.org/arabic/index.htm

٢- إصدار رسالة التقريب لتحاكي مجلة رسالة الإسلام، وهي مجلة تثقيفية عامة تهتم بعرض الأفكار التي ترتبط بوحدة الأمة الإسلامية مباشرة أو بصورة غير مباشرة. وألحقوا بالرسالة مجلة التقريب وهي مجلة علمية محكمة.

٣- تأسيس مركز البحوث والدراسات العلمية، ويمثل الجانب العلمي لمجمع التقريب.

٤- إنشاء جامعة المذاهب الإسلامية[١]:

فقد أصدر مرشد الثورة علي خامئني بعد تأسيس مجمع التقريب، توجيهاته بتأسيس «جامعة المذاهب الإسلامية» لتكون تابعة لمجمع التقريب. وتمّ تدوين النظام الداخلي لها، وحظيت بموافقة المجلس الأعلى للثورة الثقافية عام ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢م.

واستندوا في إنشاء الجامعة إلى مشاهدة سيرة بعض علماء الشيعة الكبار، أمثال: الحلّي، والشهيد الأول، والشهيد الثاني الذين درسوا في حلقات التدريس لعلماء أهل السنة في بغداد، ومصر، ومكة، والمدينة، والخليل، ودمشق، والقدس بالإضافة إلى دراستهم في حلقات التدريس الخاصة بعلماء الشيعة.

وتركز هذه الجامعة في دراساتها وبحوثها من خلال كلياتها الثلاث على علوم: الفقه والقانون، والفقه المقارن، وأصول الفقه، وعلوم القرآن، وعلوم الحديث، والكلام والعرفان والتصوف، والفلسفة، والتاريخ الإسلامي. دون التعرض لدراسة أصول الدين وأركان العقيدة الإسلامية ومسائلها الكبار.

---

(١) انظر التعريف بجامعة المذاهب الإسلامية على الرابط:
http://www.taghrib.org/arabic/nashat/esdarat/kotob/arabic/books/lamha/about4.htm#(64)

ب - موقف الصوفية:

وهنا أبين موقف بعض علماء الصوفية ومفكريها المنتسبين إلى السنة، أو ممن هم يتعاطفون معهم، ومن هؤلاء مثلاً كثير من علماء الأزهر، فقد أجرى معهم موقع البينة الإلكتروني مقابلات تحررت إلى اتجاهين هما: اتجاه التأييد، واتجاه الرفض. وكذلك أشير إلى مواقف بعض علماء مصر ممن كانت لهم تجارب عملية في باب التقريب.

والأزهر لم يتشكل فيه هيكل خاص لموضوع التقريب كمعهد أو كلية أو ما شابه ذلك، ولكن - منذ الخمسينيات- قاد الأزهر ما سمي بـ"التقريب بين المذاهب"، ونتج عنه قرار تدريس الفقه الإمامي الإثني عشري في جامعاته ومعاهده. والغريب أن كثيراً من علماء الأزهر لا يزالون عند موقفهم المؤيد للتقريب بين السنة والشيعة حتى بعد أن تطرح عليهم النصوص التي تؤكد جموح الفكر الشيعي وخطورته، فهم يدافعون عن الشيعة، ويقللون من الخلاف.

وفي البداية أعرض مواقف التأييد فيرى الدكتور محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر الراحل- أنه لا فرق بين السنة والشيعة وأن كل من يشهد أن لا إله إلا الله فهو مسلم، وأن الخلاف، إن وُجد، فهو خلاف في الفروع وليس في الثوابت والأصول[1]، والخلاف موجود في الفروع بين السنة أنفسهم والشيعة أنفسهم، وقال: إن كل من يحاول إشاعة الخلاف بين السنة والشيعة مأجور، وإنه يجب علينا أن نواجه هذه الهجمة الشرسة ضد الدين الإسلامي، فالأمر الأهم هو ضرورة الاعتصام بحبل الله إن لم يكن من أجل الدين، فعلى الأقل من أجل الدنيا التي يلتقي فيها الجميع على طاعة الله. ولذلك يرى شيخ الأزهر أن التقريب بين المذاهب أمر إيجابي ويجب

(١) وأكد طنطاوي رأيه هذا في المؤتمر الإسلامي الرابع عشر لمجمع البحوث الإسلامية بتاريخ: ١٣/ ٣/ ١٤٣١هـ.

السعي إليه وتشجيعه لأنه من خير الأعمال ومن التعاون على البر والتقوى[1].

وأما الشيخ محمود عاشور ـ وكيل الأزهر ـ فيقول: العالم الإسلامي يواجه استعماراً قوياً يشكل نفسه لتفتيت وحدة الأمة الإسلامية، ويحاول إشاعة الخلاف ما بين السنة والشيعة حتى لا يلتفتوا إلى قضاياهم الأساسية. وأن التقريب بين السنة والشيعة يمكن أن يحدث ليس على أساس تنازل أحد الطرفين عن شيء من قناعاته للآخر، وإنما على أساس الإقرار بجامعية الإسلام للطرفين، والاحترام المتبادل، واعتماد نهج الحوار في قضايا الخلاف، وتفعيل التعاون في خدمة المصلحة العامة للإسلام والمسلمين.

كما يرى أن ما وقعت فيه الإمامية من تهجم على أهل السنة وسبهم للصحابة وغير ذلك من القضايا المهمة، يرى أن ذلك كان موجوداً في بعض كتب الشيعة وماضيهم وتراثهم، وقد يكون ناتجاً عن الظروف التي كانوا يعيشونها آنذاك من القمع والاضطهاد، لكن الواقع الفعلي للشيعة الآن بعيد عن مثل هذه الأمور. فالشيعة الإيرانيون مثلاً وقد أصبحت السلطة بيد علمائهم منذ ربع قرن، ودولتهم من أقوى دول المنطقة، إلا أن وسائل إعلامهم، وخطب جمعهم التي تبث على الهواء، وأحاديث قياداتهم، لم يحصل فيها شيء من هذا القبيل، حتى أيام الحرب العراقية الإيرانية.

وكذلك الحال بالنسبة للشيعة في لبنان، وهم القوة الأبرز هناك، ومع النصر الكبير الذي حققوه على العدو الصهيوني، إلا أن وسائل إعلامهم، مثل فضائية "المنار"، لم يرصد عليها شيء من الإساءة إلى الخلفاء، وأجلاء الصحابة، وأمهات المؤمنين.

---

(١) انظر: المقابلات التي أجراهاموقع البينة على الرابط:
http://www.albainah.net/index.aspx?function=Item&i

إن في ذلك دلالة واضحة على تجاوز واقع الشيعة المعاصر لمؤاخذات كانت تحسب على بعضهم في أزمنة غابرة. وقد يكون هناك أفراد منهم متأثرين ببعض الآراء والمواقف السابقة، لكنهم لا يشكلون حالة عامة[1].

ويقول الدكتور عبد الصبور مرزوق الأمين العام للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية: مع ما نعانيه اليوم أصبح التقريب بين المذهبين ضرورة حتمية أمام من يريد أن يزيح الإسلام كله من الوجود بمن فيه من سنة وشيعة، وقد ثبت بالدليل القاطع أنه لا يوجد لدى الشيعة المغالين قرآن خاص بهم ولا يوجد ما يقال عنه.. مصحف فاطمة.. فهو غير صحيح. ويرى أن ثمار جهود العلماء في التقريب بين السنة والشيعة وصلت إلى حد أنه اختير المذهب الجعفري ليدرس في جامعة الأزهر وإلى الآن يدرس بالفعل. كما أصدر الشيخ محمود شلتوت في الستينيات فتوى أجازت التعبد بمذهب الشيعة الإمامية، وقد عضد الشيخ محمد الغزالي هذه الفتوى برأيه فيها.

كما أعلن مفتي مصر علي جمعة تأييده التام للتطورات التي حدثت لدى الشيعة في عام ٢٠٠٨، فيما يبدو إشارة إلى الدراسات الشيعية التي دعت لمنع سبّ الصحابة على المنابر. وأكد أنه علينا الاعتراف بما تحرزه هذه الطائفة من تقدم يُمكننا من التعاون معها في الوقت الحالي. وأنه لا حرج من التعبد على مذاهبها، فلا فرق بين سني وشيعي. والشيعة بطبيعتها طائفة متطورة، وهم يُسلّمون بذلك، باعتبارهم الواقع جزءاً لا يتجزأ من فقههم، ولكن هناك من ينقِّب في الكتب الشيعية القديمة، ويخرج علينا بالخلافات، وهذا خطأ جسيم. واتهم من يقوم بذلك بالسعي لتدمير العلاقات بين السنة والشيعة لخدمة أغراض أخرى هدفها تفتيت وحدة المسلمين والإضعاف من شأنهم لتسهيل تنفيذ المخطط الذي تم الإعداد له منذ فترة طويلة. وكان كبار علماء الشيعة أكدوا -في العام الماضي، خلال ندوات ومؤتمرات- أن لعن الصحابة والخلفاء

---

(١) انظر: المقابلة التي أجراها موقع البينة على الرابط السابق.

الراشدين، خصوصاً أبا بكر وعمر، وأم المؤمنين السيدة عائشة، ليس من المذهب الشيعي، وأنها أمور دخيلة قديمة، ليس لها وجود في الكتب الشيعية المعتبرة[1].

وقال مفتي مصر: إنه يجوز التعبد بالمذاهب الشيعية ولا حرج، وقد أفتى بهذا شيخ الأزهر الراحل محمود شلتوت، فالأمة الإسلامية جسد واحد لا فرق فيه بين سني وشيعي، طالما أن الجميع يصلي صلاة واحدة ويتجه لقبلة واحدة. وأضاف أنهم كانوا دائماً جزءاً لا يتجزأ من الأمة الإسلامية، لكنهم يشكلون أقلية لا تتعدى نسبتها ١٠٪ من إجماليّ عدد المسلمين[2].

ولا ننسى أن نذكر في اتجاه التأييد جهود الطريقة العزمية وشيخها محمد علاء الدين ماضي أبو العزايم وهو عضو في المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في إيران، وقام بزيارات عدة إلى إيران لحضور مؤتمرات التقريب.

كما كان لجماعة الإخوان المسلمين بمصر حسب المشهور من مواقفهم الميل الواضح لقبول فكرة التقريب[3]، ومن أقوال أعيان الجماعة:

قال المستشار سالم البهنساوي أحد مفكري الإخوان: (منذ أن تكونت جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية والتي ساهم فيها الإمام البنا والإمام القمي والتعاون

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) انظر: حوار العربية معه على موقع العربية نت ضمن مقالة بعنوان "الواقع جزء من فقههم.. نعترف بتقدمهم ويمكننا التعاون معهم" مفتي مصر: الشيعة طائفة متطورة ولا حرج من التعبد على مذاهبها. بتاريخ: ٩ صفر ١٤٣٠هـ. كما أن هناك كتابات عدة لعلي جمعة تؤصل للصوفية ظاهراً بينما لا تخلو من مسحة تشيع مستبطنة في أغلب أحوالها، أحدها يسمى: المنهج القويم في تصحيح بعض المفاهيم، وتم تلخيصه في كتيب: سؤال وجواب يسمى: هذا بلاغ للناس، طبع منه ٣٠٠ ألف نسخة. وقد وزع الكتاب والكتيب في كثير من المصالح الحكومية خاصة في القاهرة الكبرى، وكذلك في المساجد كما وزع في محافظات عدة.

(٣) يحسن التنبيه إلى أنه يوجد في صفوف الإخوان ورموزهم من يعارض فكرة التقريب ويحذر منها، ومنهم: د. يوسف القرضاوي، ود. عمر الأشقر، وغيرهما كثير.

قائم بين الإخوان المسلمين والشيعة، وقد أدى ذلك إلى زيارة الإمام نواب صفوي سنة ١٩٤٥م للقاهرة، ولا غرو في ذلك فمناهج الجماعتين تؤدي إلى هذا التفاهم[(١)].

ويؤكد ذلك ما يرويه الدكتور إسحاق موسى الحسيني في كتابه (الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثة): (من أن بعض الطلاب الشيعة الذين كانوا يدرسون في مصر قد انضموا إلى جماعة الإخوان المسلمين، ومن المعروف أن صفوف الإخوان المسلمين في العراق كانت تضم الكثير من الشيعة الإمامية الإثني عشرية، وعندما زار نواب صفوي سورية، وقابل الدكتور مصطفى السباعي المراقب العام للإخوان المسلمين اشتكى إليه الأخير أن بعض شباب الشيعة ينضمون إلى الحركات العلمانية والقومية، فصعد نواب إلى أحد المنابر، وقال أمام حشد من الشبان الشيعة والسنة: من أراد أن يكون جعفرياً حقيقياً، فلينضم إلى صفوف الإخوان المسلمين).

ومنح فتحي يكن - أحد زعماء الإخوان في لبنان -: الخمينيَّ لقب مجدد الإسلام إذ قال: (قلة قليلة من مجددي الإسلام في هذا العصر الذين طرحوا الإسلام كبديل عالمي. والإمام الخميني رحمه الله يعتبر من هؤلاء)[(٢)]. كما انحاز فتحي يكن في مواقفه السياسية إلى جانب حزب الله اللبناني.

وجاء في بيان وفد التنظيم العالمي للإخوان المسلمون الذي زار طهران عقب الثورة وبايع الخميني ما نصه "وقد كان اللقاء مشهداً من مشاهد عظمة الإسلام وقدرته في الوقت اللازم على إذابة الفوارق العنصرية والقومية والمذهبية... وإن الله الذي أكرم الخميني بالنصر على الشاه سوف ينصر كل خميني على شاهه، وقد أكد الوفد من جانبه للإمام الخميني أن الحركات الإسلامية ستظل على عهدها في خدمة الثورة الإسلامية في إيران، وفي كل مكان بكل طاقاتها البشرية والعلمية والمادية... ثم أعلن الوفد في

(١) انظر: السنة المفترى عليها. سالم البهنساوي (ص: ٥٧).
(٢) مجلة الشهاب الإخوانية، عدد ٢، شوال ١٤١٢هـ.

مقابلة تلفزيونية مؤثرة الدعوة إلى يوم تضامن مع الثورة الإيرانية في جميع أنحاء العالم الإسلامي وخارجه حيثما توجد الجاليات والتجمعات الإسلامية وتقام صلاة الغائب على شهداء الثورة الإيرانية بعد صلاة الجمعة يوم ١٦/ ٣/ ١٩٧٩ وإنا لندعو جميع العاملين في الحقل الإسلامي في كل مكان أن يذكروا هذا اليوم، ويُذكروا به ويجعلوا من صلاة الغائب فيه رمزاً لوحدة الأمة الإسلامية ومصداقاً لقول الإمام الخميني: إن رصيد الثورة الإسلامية في إيران هو كل مسلم موحد يقول: لاإله إلا الله... الله أكبر لله الحمد"[1].

وعندما توفي الخميني أبرق الإخوان المسلمون على لسان رئيسهم آنذاك حامد أبي النصر البلاغ التالي: (الإخوان المسلمون يحتسبون عند الله فقيد الإسلام الإمام الخميني، القائد الذي فجر الثورة الإسلامية ضد الطغاة، ويسألون الله له المغفرة والرحمة ويقدمون خالص العزاء لحكومة الجمهورية الإسلامية الإيرانية والشعب الإيراني الكريم. إنا لله وإنا إليه راجعون)[2].

وقال المرشد العام السابق للإخوان مهدي عاكف: (مبدأ الإخوان المسلمين هو مبدأ أن كل المسلمين هم أمة واحدة وإنما الخلاف يتمثل في غير العقائد وهو أمر وارد. أما ما يشاع الآن حول الخلافات بين السنة والشيعة هو جزء من أمور سياسية مفتعلة)[3].

وعقدت مشيخة الطريقة العزمية تحت رعاية شيخها ندوة موسعة حول "الشيعة والسنة أمة واحدة" بدار مشيخة الطريقة العزمية بالقاهرة، وشارك فيها لفيف من علماء الأزهر و(٤١) شيخ طريقة صوفية[4].

---

(١) مجلة المجتمع الكويتية العدد ٤٣٤ بتاريخ: ٢٥/ ٢/ ١٩٧٩م.

(٢) مجلة الغرباء عدد ٧ سنة ١٩٨٩ تصدر في بريطانيا.

(٣) نقلاً من موقع بي بي سي العربي (مرشد جماعة الإخوان المسلمين مهدي عاكف يرد على أسئلتكم) في ١٠/ ٣/ ٢٠٠٧.

(٤) انظر: الشيعة والتشيع في فكر القادة ورؤية الأئمة (ص: ١٧). وهذه الندوة كانت بتاريخ: ٢٧/ ٢/ ١٤٢٨هـ.

ومن أقوال أبو العزايم: "يجب أن نعلم أن الخلاف بين الشيعة والسنة خلاف سياسي وليس دينياً"[١].

وصرح عصام محيي الدين - أحد ممثلي الطريقة العزمية الصوفية في مصر ومدير موقع الإسلام وطن- "وبما أن الشيعة مسلمون باعتراف جميع علماء الأمة الإسلامية بلا استثناء، فدعوة الطريقة العزمية للتقارب معهم أمر طبيعي ومقبول وقائم على منهجية معلنة على كافة الأصعدة"[٢].

وفي الكلمة العاشورائية لعام ١٤٣١هـ، والتي ألقاها أحمد حسون - مفتي سورية- وبثتها القنوات الفضائية وعلى رأسها قناة المنار اللبنانية. نراها تفيض بمشاعر الوحدة والتقريب، واستعمال عبارات الإمامية، وأساليبها الخطابية، والتعويل على مدرسة آل البيت، والدعوة إلى الاتحاد في ظل مواجهة الغرب والعولمة حسب قوله، وبعد انتهائه من خطابه أمسك بعلماء الإمامية الحاضرين معه بيديه وصعد بهم منصة اللقاء، ورفعوا الأيدي سوياً كتعبير رمزي للوحدة والتقارب.

وأكثر علماء السنة يتحفظون من فكرة التقريب لما رأوا أنها تنطوي على خديعة، وأنها مدخل لنشر التشيع[٣]. يقول د. جلال عوضين أستاذ الحديث بجامة الأزهر: إن الشريعة الإسلامية تقوم على ركنين، الركن الأول هو القرآن الكريم، والركن الثاني هو السنة النبوية المشرفة. وهذان الأصلان لا يمكن التهاون فيهما، إذ بدونهما لا معنى للشريعة ولا تقوم للإسلام قائمة. فالقرآن والسنة هما مصدر التلقي الذي يجب الاعتراف به ابتداءً للدخول في الإسلام. وللأسف الشديد هناك خلاف جذري حول

(١) الشيعة والتشيع في فكر القادة ورؤية الأئمة (ص: ٩٢).

(٢) انظر: موقع مفكرة الإسلام، وتاريخ التصريح: ٢٢/ ١١/ ١٤٣٠هـ. واليوم السابع صحيفة أسبوعية مستقلة. انظر الرابط: www.youm7.com.

(٣) ما يذكر هنا هو مجرد إشارة لبعض النماذج الرافضة للتقريب بين السنة والشيعة، وهناك كثير من التيارات السلفية، ومن أهل السنة من يرفضون هذه الدعوة.

هذين الأصلين بين أهل السنة والشيعة. فبالنسبة للأصل الأول وهو القرآن الكريم، فبينما نجد الحفاوة الكاملة من جانب أهل السنة بالقرآن الكريم وتجويده وتلاوته وقراءاته وعلومه وتفسيره، حيث هو المادة الأساسية لكل طالب علم في المدارس والمعاهد والجامعات الدينية، نجد أن عكس ذلك هو الصحيح عند الشيعة، فهم لا يولون القرآن وعلومه أي اهتمام باعتراف قادتهم أنفسهم. فهناك عدم اهتمام من الشيعة بتلاوة وتعلم القرآن حتى على مستوى الجامعات والحوزات العلمية الدينية.

ومما يزيد الأمر سوءاً أن الشيعة يعتقدون بوجود مصحف لديهم اسمه مصحف فاطمة، كما أن عقيدة كبار علماء الشيعة في تحريف القرآن معروفة، ومع تبرؤ بعض الشيعة ظاهرياً من القول بتحريف القرآن، إلا أننا نراهم لا يزالون يطبعون تلك الكتب المحشوة بالروايات التي تقول بالتحريف. كما يعظم الشيعة العلماء المصرحين بالقول بالتحريف مثل النوري الطبرسي، وسليم بن قيس الهلالي، ومحمد الفيض الكاشاني، ومحمد باقر المجلسي، ويوسف البحراني، ونعمة الله الجزائري. ولا زال هناك من علماء الشيعة المعاصرين من يصرح بالتحريف.

أما الأصل الثاني وهو السنة النبوية فبينما نجد اهتماماً كبيراً بالسنة، وعلوم مصطلح الحديث، والجرح والتعديل، وتاريخ الرجال، وتطبيق معايير علمية دقيقة لمعرفة صحة الحديث أذهلت علماء الغرب، بينما يحدث ذلك عند السنة نجد أن الشيعة لا يعملون بها إلا فيما يوافق مذهبهم[1].

ويرى د. محمد عبد المنعم البري[2] الأستاذ بجامعة الأزهر أنه لا يمكن أن

---

(١) انظر المقابلة التي أجراها معه موقع البينة على الرابط:
http://www.albainah.net/index.aspx?function=Item&id=5369

(٢) د. محمد عبد المنعم البري صاحب كتاب: " الجذور اليهودية للشيعة في كتاب علل الشرائع للصدوق"، فهو على دراية بعقائد الإمامية.

يحدث تقارب بين أهل السنة والشيعة طالما تمسك الشيعة بعقيدتهم في الإمامة التي تكون عندهم بالنص، إذ يجب أن ينص الإمام السابق على الإمام اللاحق بالعين لا بالوصف، وأن الإمامة من الأمور المهمة التي لا يجوز أن يفارق النبي ﷺ الأمة ويتركها هملاً يرى كل واحد منهم رأياً، بل يجب أن يعين شخصاً هو المرجوع إليه والمعوَّل عليه . . . ويتفرع عن هذا المبدأ الباطل مبادئ عدة باطلة أخرى مثل العصمة، والعلم، وخوارق العادات، والغيبة، والرجعة.

كما أنه لا يمكن أن ينجح أي تقريب إذا أصر الشيعة على الإيمان بمبدأ التقية التي يعدونها أصلاً من أصول الدين، ومن تركها كان بمنزلة ترك الصلاة، وهي واجبة لا يجوز رفعها حتى يخرج القائم.

ومن العوائق التي يراها د. البري في طريق التقريب بين السنة والشيعة هي مسألة سب الصحابة. فهم عندهم مبدأ البراءة، حيث يتبرؤون من الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم جميعاً وينعتونهم بأقبح الصفات، ولا يتورعون عن نيل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالطعن واللعن.

والشيعة ترى من الكيد للإسلام أن يأخذوا تفسيرهم للقرآن عن أمثال أبي هريرة وسمرة بن جندب وأنس بن مالك وغيرهم ممن أتقنوا صناعة التلفيق والدس والكذب والافتراء حاشا لله[1].

ويقول د. محمد عبد السلام نوير الأستاذ بجامعة الأزهر: أهل السنة يشكلون ما يزيد على عشرين في المائة من سكان إيران حسب تقديرات غير رسمية، والحكومة الإيرانية ترفض الموافقة على إنشاء مسجد لأهل السنة في طهران رغم انتماء ما يزيد على نصف مليون من سكان العاصمة إلى المذهب السني بينما هناك معابد وكنائس للأقليات الدينية مثل الزرادشتيين واليهود والنصارى في العاصمة.

(١) انظر المقابلة التي أجراها معه موقع البينة على الرابط السابق.

ومنذ بداية الثورة وحتى اليوم تمارس الحكومة الإيرانية أبشع أنواع الظلم والتمييز ضد علماء أهل السنة، ودعاتهم وشبابهم ومثقفيهم وأبنائهم، ومن بينها: أن الشيعة أحرار في نشر عقائدهم وممارسة طقوسهم وتأسيس الأحزاب والمنظمات في حين أنه ليس لأهل السنة شيء من هذه الحقوق بل هم يظلَمون ويطردون ويسجنون ويقتلون.

ويمنع أئمة أهل السنة وعلماؤهم من إلقاء الدروس في المدارس والمساجد والجامعات ولاسيما إلقاء الدروس العقائدية، بينما لأئمتهم ودعاتهم الحرية المطلقة في بيان مذهبهم بل التعدي على عقيدة أهل السنة[1].

ومن التجارب الواقعية والمشتهرة في مسألة التقريب بين السنة والشيعة تجربة الدكتور يوسف القرضاوي الذي طالما نادى بالتقارب السني الشيعي، وأقام لذلك المؤتمرات والندوات العالمية التي تناقش القضايا المشتركة، وتبادل الزيارات مع الشيعة، واهتم بوضع مبادئ في الحوار والتقريب بين المذاهب الإسلامية حتى أنشأ الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين وأصبح رئيساً له وعين التسخيري أحد النواب للرئيس.

فحذر القرضاوي من المدّ الشيعي في بلاد السنة وبخاصة مصر والجزائر والمغرب، كما حذر من استهداف السنة في العراق في بيان كان هادئاً في ألفاظه، لم يخرج فيه عن حدود اللباقة والحصافة، واكتفى بوصف الشيعة بالابتداع، في الوقت الذي نعلم جميعاً أن في البدع الشيعية ما لا يمكن قبوله إسلاميّاً بكل حالٍ لمصادمته لأصول الإسلام.

قال د. القرضاوي في لقاء له مع صحيفة (المصري اليوم)نشر في ٩/ رمضان/ ١٤٢٩: "أما الشيعة فهم مسلمون، ولكنهم مبتدعون وخطرهم يكمن في محاولتهم غزو المجتمع السني وهم مهيئون لذلك بما لديهم من ثروات بالمليارات وكوادر مدربة على **التبشير بالمنهج الشيعي في البلاد السنية خصوصاً أن المجتمع السني**

(١) انظر: المرجع السابق.

ليست لديه حصانة ثقافية ضد الغزو الشيعي فنحن العلماء لم نحصِّن السنة ضد الغزو المذهبي الشيعي لأننا دائماً نعمل القول «ابعد عن الفتنة لنوحد المسلمين» وتركنا علماء السنة خاوين[1]. للأسف: وجدت مؤخراً مصريين شيعة، فقد حاول الشيعة قبل ذلك عشرات السنوات أن يكسبوا مصريّاً واحداً ولم ينجحوا، من عهد صلاح الدين الأيوبي حتَّى ٢٠ عاماً مضت ما كان يوجد شيعي واحد في مصر، الآن موجودون في الصحف وعلى الشاشات ويجهرون بتشيعهم وبأفكارهم. الشيعة يعملون مبدأ التقية وإظهار غير ما بطن وهو ما يجب أن نحذر منه، وما يجب أن نقف ضده في هذه الفترة أن نحمي المجتمعات السنية من الغزو الشيعي، وأدعو علماء السنة للتكاتف ومواجهة هذا الغزو، لأني وجدت أن كل البلاد العربية هزمت [كذا، ولعل مراده: هُوجِمَتْ] من الشيعة: مصر، السودان، المغرب، الجزائر وغيرها فضلاً عن ماليزيا وأندونسيا ونيجيريا)[2].

والحق أن كتب الشيعة لم تعد حِكْراً عليهم، ولا هي بالخافية على الناس، وإنما نشرها الشيعة أنفسهم بكل ما فيها من بلاء ومخالفات لقطعيات الإسلام، لكنهم نشروها بأكثر من طريقة، واستخدموا في ذلك تقنيات عديدة جدّاً، ويمكن لمن أرادها أن يحصل عليها مجاناً عن طريق الشبكة وغيرها، وقد وزع الشيعة كتبهم مجاناً، كما حصل مؤخراً في مدينة ٦ أكتوبر بمصر، حسبما نشرتْ وسائل الإعلام.

وإذا كان الشيعة قد انزعجوا من وصف القرضاوي لهم بالابتداع، فهم قد سبقوه فكفروا الصحابة رضي الله عنهم، وأتباعهم، ومنهم بطبيعة الحال القرضاوي نفسه، يعني أنه هو نفسه في نظرهم كافر، والوصف بالكفر أشد من الوصف بالابتداع.

(١) هذا التعميم ليس على إطلاقه بل إن هناك ولله الحمد كثيراً من علماء أهل السنة ومؤلفيهم محصنون بالكتاب والسنة كما سبقت الإشارة إليه.

(٢) انظر نص البيان على موقع القرضاوي: www.qaradawi.net.

فكان من الممكن اعتبار القرضاوي واحداً من أولئك الذين تراجعوا عن فكرة التقريب عندما تأكدوا من عدم جدواها أو استحالتها، واعتبروها في صالح الخداع الشيعي في الأساس.

فالمسألة ليست اختلافاً في وجهات نظر الأصدقاء، ولا هي عقوبة شيعية للقرضاوي عن اتهامه للشيعة بالابتداع، وإنما هي عقوبة له على انسحابه المفاجئ ويقظته غير المتوقعة وتفطنه للمخطط ورؤيته للحقائق[1].

تقييم نظرة أهل السنة للتقريب بينهم وبين الشيعة في الوقت الحالي:

اتضح لنا مما سبق عرضه في مسألة التقريب قديماً وحديثاً أنه يمكن تقسيم موقف علماء الأمة ومفكريها حول التقريب إلى موقفين:

الموقف الأول: فئة وهبت نفسها لهذه الدعوة، وأوقفت عليها جهودها، وآمنت بالتقريب سبيلاً إلى دعم قوة المسلمين، ففتحوا لها قلوبهم وعقولهم. وقصرت الخلاف على الفروع، وأنكرت الاختلاف في الأصول.

قال الشيخ محمد الغزالي: (جعل الشقاق بين الشيعة والسنة متصلاً بأصول العقيدة ليتمزق الدين الواحد. . . فإن الفريقين يقيمان صلتهما بالإسلام على الإيمان بكتاب الله وسنة رسوله، إن المدى بين الشيعة والسنة كالمدى بين المذهب الفقهي لأبي حنيفة والمذهب الفقهي لمالك أو الشافعي. ونحن نرى الجميع سواء في نشدان الحقيقة وإن اختلفت الأساليب)[2].

---

(١) انظر: موقع القرضاوي. مقالة للكاتب طالب شافع. بتاريخ: ٧-١٠-٢٠٠٨م. وانظر نص بيان القرضاوي حول التمدد الشيعي على الموقع نفسه.
(٢) كيف نفهم الإسلام. محمد الغزالي (ص: ١٤٣-١٤٥).

الموقف الثاني: فئة أخرى حملتها غيرتها على مذهبها السني من خلال دراستها المتعمقة لأصول مذهب الإمامية إلى التشكيك بل الرفض القاطع لدعوة التقريب منبهة إلى أنها دعاية شيعية لنشر المذهب الإثني عشري في أوساط السنة، وتكثير معتنقيه[1].

والواقع قديماً وحديثاً شهد برجوع بعض أصحاب الموقف الأول إلى تبني الموقف الثاني، واعترافهم بإفلاس محاولاتهم التقريبية أمام تعصب شيوخ الإمامية، ولعل من أبرزهم: الشيخ محمد رشيد رضا، ود. مصطفى السباعي، ود. يوسف القرضاوي. ويمكن أن يكون الدافع لذلك أحد سببين، أو هما معاً:

١ - اكتفاء بعضهم في بادئ الأمر في ولوج بوابة التقريب بالاعتماد على الدراسة الفقهية المقارنة بين السنّة والشيعة، من أجل تحقيق التقريب، وإغفال أو جهل الاختلاف بين أهل السنة وبينهم في أصول الأدلة، وأركان العقيدة الصحيحة.

٢ - النظر إلى مكاسب الدعوة للتقريب والتي حققها الشيعة فقط، دون أن يحظى أهل السنة بشيء منها مما يشعرهم بالخديعة والاستغفال لأهل السنة، وأسوق هنا بإيجاز جملة من المكاسب والثمرات للإمامية من دعوة التقريب، ومنها:

- على الرغم من قيام الإمامية بتأسيس دار التقريب ومجلتها وجماعتها في مصر وإيران واستجابة بعض علماء الأمة لفكرتهم؛ لم يشاهد لهذه الدعوة للتقارب أي أثر بين علماء الشيعة، فهم لم يغيروا شيئاً من عقائدهم الشاذة، بل إنهم إما مجاهرون بها أو مستخفون يخدعون ويتقون. فلا زال القوم مصرين على ما في كتبهم من ذلك

(١) من هؤلاء على سبيل المثال: محب الدين الخطيب الذي ألف كتاب: الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الإثني عشرية واستحالة التقريب بينهم وبين أصول الإسلام في جميع مذاهبه وفرقه.

الطعن الجارح والتصوير الكاذب لما كان بين الصحابة من خلاف، ولا تزال مطابع الشيعة تقذف سنوياً بعشرات الكتب التي تحمل اللعن والتكفير والتخليد بالنار لخير القرون، ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم[1].

- وبسبب دعوة التقريب سكت أهل السنة ـ أو جلهم ـ عن بيان باطل الشيعة وإيضاح الحق. وإن سمع الإمامية صوت الحق يعلو هاجوا وماجوا قائلين: إن الوحدة في خطر. كما حصل مع الشيخ القرضاوي.

- وباسم هذه الدعوة وجدت كتب الإمامية ونشراتهم ورسائلهم مكاناً لها في بلاد السنّة. وأصبح رجال الإمامية يتحركون وسط بلاد السنّة بيسر وسهولة وينشرون كتبهم ويقيمون ندواتهم ويفتحون مراكز لهم، فسهل بذلك اختراق المجتمعات السنية كل ذلك باسم التقريب.

وبالنسبة لموقف أهل السنة فقد كان لبعض البارزين منهم، ومن أنصار السنة المحمدية، وأهل الحديث؛ مواقف بينة واضحة في رفض دعوة التقريب بين السنة والشيعة لمخالفتها الأصول العقدية.

كما اتجه بعض علماء السنة لاختيار منهج للتقريب يقوم علماء السنّة من خلاله بنشر اعتقادهم وبيان صحته بالأدلة، وتميزه عن مذاهب أهل البدع، وكشف مؤامرات الإمامية، وأكاذيبهم وما يستدلون به من كتب أهل السنّة. وأن يصاحب ذلك كله بيان لانحرافاتهم، وكشف ضلالاتهم وأصولهم المخالفة. ودعوا إلى مضاعفة الجهد في هذا الشأن وأن يكون جهداً جماعيّاً منظماً.

---

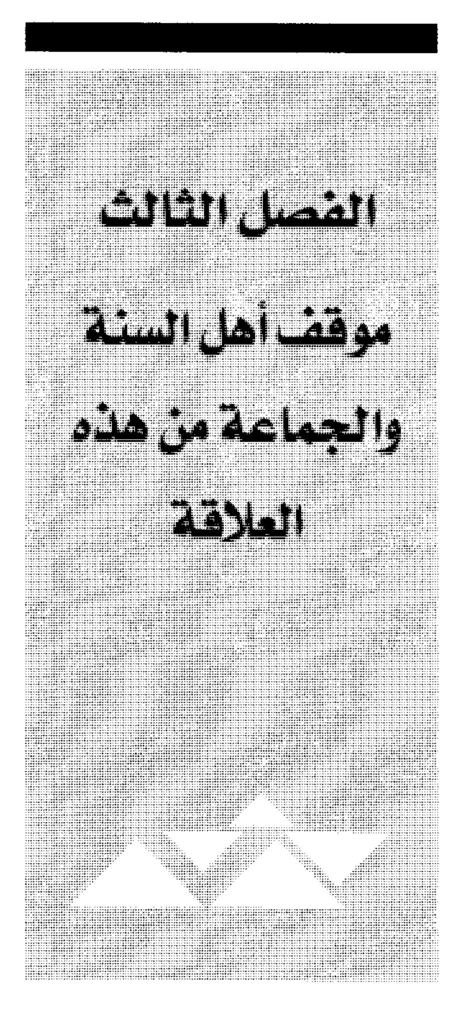
(١) انظر تأييداً لذلك ما توصل له الدكتور السباعي والدكتور السالوس في مبادرتيهما التقريبية. للمزيد: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي (ص: ٩-١٠)، وفقه الشيعة الإمامية وموضع الخلاف بينه وبين المذاهب الأربعة (ص: ٢٥٦).

ورأى بعض علماء السنة ومفكريهم أيضاً أن التقريب لا بد أن يكون على أساس الحق، وإذا كنا لا نستطيع أن نحتج عليهم بالكتاب والسنّة ونحسم الخلاف على ضوئها فلنبحث عما يكشف باطلهم من كتبهم نفسها.

إن كتب الإمامية اليوم قد انتشرت ودان بقدسيتها وآمن بصحتها ملايين الشيعة، فهم لا يؤمنون إلا بما جاء فيها ولا يحتجون إلا بها، ويردون بها السنّة الصحيحة بل نصوص الكتاب الظاهرة، بل منهم من يصدق أساطيرها التي تمس كتاب الله العظيم وتزعم الوحي للأئمة وعلم الغيب.. فليكن تصحيح وضع الشيعة من كتبهم وكشف مخالفاتهم من رواياتهم، ومنطلق التقريب الصحيح من مدوناتهم.

وهذا ما سلكته مؤخراً قناة صفا الفضائية من خلال برامجها الدعوية الحوارية باستضافة أمثال: الشيخ عدنان عرعور، والدكتور طه الدليمي، وكذلك ما قام به بعض الدعاة من استخدام هذا الأسلوب في الدعوة على منتديات الشبكة العالمية وهو ما كان له الأثر الواضح في خفة حدة الغلو عند بعضهم، أو سلوك بعضهم الآخر سبيل الهداية ولله الحمد والمنة.

إذاً فالتقريب لا يحصل بالدعوات الفارغة، والأقلام المستأجرة، والضمائر المشتراة، والآراء المستعارة، ولا تتأتى بالأحلام الوهمية، والأمنيات الخيالية، بل تحصل بتوحيد المنهج والمصدر الذي بُعث به خير البرية، وسيد البشرية، خاتم الأنبياء، وتحكيم شرع الله في الخلافات والنزاعات، وفي المناقشات والمناظرات بين الصفوف والجماعات هو المفهوم الأسمى للتقريب والوحدة الحقيقية التي تحصل بوحدة الفكر، والعقيدة، والأصول، والقواعد المبنية على كتاب الله، والسنة النبوية.

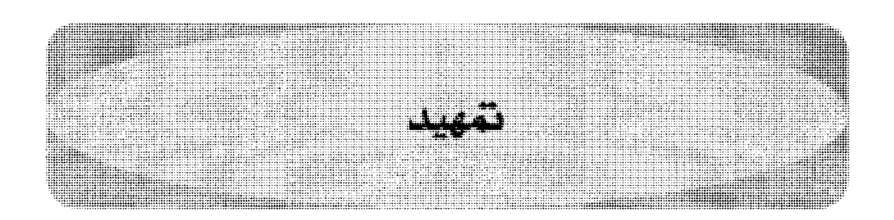


وفيه مبحثان:

المبحث الأول: موقف أهل السنة من المسائل العلمية في علاقة الصوفية بالإمامية.

المبحث الثاني: موقف أهل السنة من المسائل العملية في علاقة الصوفية بالإمامية.





تمهيد

تكفل الله تعالى بحفظ دين الإسلام وبقائه إلى قيام الساعة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. وهيأ لذلك طائفة من العلماء العاملين والأخيار المجاهدين القائمين على حفظ هذا الدين، والدعوة إلى الإسلام الخالص من الشرك والبدع والانحراف، وهذا مصداق حديث رسول الله ﷺ: (لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك)[١]. وأخبر النبي ﷺ بأنه بعد كل فترة، يقيض الله لهذه الأمة من يجدد لها دينها، فقال: (إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)[٢].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الإمارة. باب قوله ﷺ: " لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خالفهم" برقم (١٩٢٠).

(٢) رواه أبو داود (٢/ ٥١٢) كتاب الملاحم باب ما يذكر في قرن المائة، والحاكم (٤/ ٥٤٢-٥٤٣) كتاب الفتن والملاحم.. وانظر: تصحيح الألباني للحديث في سلسلته الصحيحة (١١/ ١٥٠-١٥١).

وقد تنبه جمع من علماء أهل السنة المعاصرين لكيد الشيعة وانحرافاتهم، وحذروا الأمة من خطرهم وقاموا بما أوجب الله عليهم من نصرة الدين ونصح الأمة؛ منذ أول يوم استشعروا فيه خطر المد الشيعي، كأمثال المشايخ: محمود شكري الآلوسي، ومحب الدين الخطيب، وإحسان إلهي ظهير، ومحمد علي السالوس، وموسى جار الله، وعبد الله بن محمد الغريب، وناصر القفاري، وعدنان عرعور، وطه الدليمي، وعثمان الخميس.. وغيرهم.

وفي الآونة الأخيرة حذر الدكتور يوسف القرضاوي من المحاولات الشيعية لاختراق مصر، وأنهم استغلوا التصوف قنطرة للتشيع، وأنهم اخترقوا مصر في السنوات الأخيرة من هذا الجانب، وكان من توصيات اجتماع الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين بالدوحة سنة ٢٠٠٩م، والذي يرأسه القرضاوي: إنشاء لجنة لمراقبة نشاطات إيران التبشيرية[١].

كما نبه د. محمد السيد الجليند منذ أكثر من ثلاثين سنة إلى هذا الاختراق فقال: "لا أبرئ حقيقة بعض الطرق الصوفية، خاصة الذين على قدر من الثقافة والقراءة والمعرفة منهم لا أبرئهم من تبني هذا المنهج الشيعي، الذي هو منهج التقية لنشر كثير من الأفكار الشيعية بين الصوفية من مدخل نسبة الآراء والأقوال إلى آل البيت، هذا المدخل هو أخطر المداخل إلى نفوس المسلمين العوام، يستغلهم أصحاب هذه الأغراض الدنيئة والخبيثة في نسبة الآراء التي يريدونها والأقوال التي يريدونها إلى أهل البيت، وبمجرد أن يسمع المسلم العادي أن الإمام الحسين أو أن الإمام الحسن أو أن الإمام علي قال، أو أن السيدة فاطمة الزهراء قالت فيضع يده على رأسه احتراماً وإجلالاً لما قاله الإمام علي، ويعلم الله أن الإمام علي وأهل بيته الكرام برآء من هذه الأقوال التي تنسب إليهم تماماً، وقد كتبنا هذا منذ أكثر من ثلاثين سنة، محاولين أن

(١) انظر: مجلة الراصد. العدد (٤٢).

نتبه المسلمين إلى ضرورة الحرص على تمحيص ما ينسب إلى أهل البيت من خلال أقوال الشيعة ونسبة الآراء الشيعية إلى أهل البيت"[1].

كما تبنى موقع شبكة الدفاع عن السنة الإلكتروني مجموعة من البرامج، ومنها: إصدار ونشر مطوية بعنوان التمدد الشيعي، ثم تمت صياغتها بشكل خطبة جمعة وأضيفت للمواقع الخطابية والمنبرية على الشبكة العالمية (الإنترنت).

كما أنشأ بعض دعاة أهل السنة الجمعيات والمؤسسات الدعوية التي تهتم بالدعوة في صفوف الإمامية والصوفية، وتعنى بالمهتدين منهم، كمبرة الآل والأصحاب بدولة الكويت، وجمعية الآل والأصحاب في البحرين.

وفي مجال التأليف والنشر والردود العلمية والدراسات البحثية صنف علماء السنة جمعاً من الكتب في بيان حقيقة الصوفية والإمامية، وكشف العلاقة بينهم فكانت بعد عون الله سبباً في هداية العديد من مثقفي الصوفية والإمامية وعقلائهم، حتى بلغ الأمر أن أصدر بعض مراجع الشيعة فتوى بعدم جواز قراءتها، وأخفوها عن عوامهم[2].

وكان منها على سبيل المثال: ما كتبه محب الدين الخطيب الذي واجه الخطر الشيعي بعقيدته وإيمانه ووعيه الحضاري وفقهه في سنن التاريخ والدعوات حيث نشر فصل تحقيق مواقف الصحابة من كتاب (العواصم والقواصم) لابن العربي المالكي، وأجاد في دراسته والتعليق عليه، حتى صار مرجعاً لأهل السنة في العالم كله، وألف كتاباً صغيراً نزل على الإمامية كالصاعقة سماه: (الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الإثني عشرية)، ونشر كتاب (مختصر التحفة الإثني

---

(١) انظر: حوار مع أستاذ الفلسفة المتخصص في الشأن الصوفي د. محمد السيد الجليند. موقع الصوفية الإلكتروني على الرابط: http: //www.alsoufia.com/articles.aspx

(٢) انظر موقع شيعة علي عليه السلام على الرابط: www.shiaali.com.

العشرية للألوسي) وكتب عشرات المقالات، وبذل جهوداً مشهودة، كان لها أثرها العظيم في مواجهة الاختراق والمدِّ الشيعي في بدايات القرن العشرين، وقد استفاد أهل السنة من جهوده عند قيام الثورة الخمينية أيما استفادة، فرجعوا إلى ما كتب، وأعادوا طباعته ونشره.

وكتب إحسان إلهي ظهير مؤلفاته حول الصوفية والشيعة، والعلاقة بينهما، وقد استفدت في بحثي هذا كثيراً مما كتب وعايش من أحوال الشيعة والصوفية.

ومن الذين عرفوا باهتمامهم بهذا الموضوع: عبد الرحمن عبد الخالق في كتابه: "الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة"، وعبد الرحمن دمشقية في كتابيه: "الطريقة الرفاعية" و"موسوعة أهل السنة"، وناصر القفاري في رسالته للماجستير بعنوان: "مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة"، ورسالته للدكتوراه: "أصول مذهب الشعية الإمامية الإثني عشرية عرض ونقد"، ومحمد عبد الله الغريب في كتابه: "وجاء دور المجوس".

ومن الكتب المنشورة التي كان لها كبير الوقع والأثر في نفوس الشيعة خاصة كتاب "علماء الشيعة يقولون... وثائق مصورة من كتب الشيعة" أعده: مركز إحياء تراث آل البيت. وقد علق عليه أحد الشيعة المهتدين، ودون تعليقه على غلاف الكتاب، وقال: "فقد اطلعت على صفحات من هذا الكتاب العجيب في فكرته، المبدع في صياغته وإخراجه... وألفيته كتاباً موثقاً يكشف بجلاء ووضوح حقيقة مذهب الشيعة، وأقوال علمائهم من مصادرهم، وكتبهم المعتمدة".

كما صدرت عدد من الرسائل الجامعية في جامعات المملكة العربية السعودية لمناقشة جوانب متعددة من أصول الإمامية والصوفية.

ومن ناحية استثمار وسائل الأعلام بشتى أنواعها فقد توافرت عشرات بل مئات من المواقع الإسلامية على الشبكة العالمية (الإنترنت) والتي تختص بالدراسات حول التصوف والتشيع وبيان حقيقة معتقداتها والرد على شبهاتها بمختلف لغات العالم.

وأشير هنا على سبيل الإجمال إلى أبرز تلك المواقع، وأعمقها تأثيراً، كما يلي:

- شبكة الدفاع عن السنة.
- موقع الصوفية.
- التبيان الجلي عن الحبيب الجفري.
- القادسية (موقع الشيخ طه حامد الدليمي).
- رابطة أهل السنة في إيران.
- أنا المسلم.
- المنهج (موقع الشيخ عثمان الخميس).
- البرهــان.
- البينة.

وأما القنوات الفضائية فكانت تعتمد في الغالب على أساليب المناظرة والحوار وعرضت قناة صفا حوارات عدة في برنامجها من القلب إلى القلب، وبرنامج كلمة سواء[1].

---

(١) نظراً للآثار الإيجابية لقناة صفا فقد كتب الشيعي المصري أحمد راسم النفيس مقالاً لاستعداء السلطات المصرية، وطلب تطبيق قانون الإرهاب على قناة صفا التي تبث من أرض مصر، وقال: "هناك مخطط وهابي يستهدف مصر الأزهر، ويهدف إلى تحويلها إلى بؤرة للاقتتال الطائفي"..
انظر الرابط: http://dd-sunnah.net/forum/showthread.php?t=86669

وفي برنامجها " بهدوء" قدمت حلقة بعنوان: "الاختراق الشيعي للمجتمعات السنية وفشلهم في ذلك" وكانت في تاريخ: ٣١/ ١٠/ ٢٠٠٩م. وضيوف الحلقة هم: ممدوح إسماعيل - وعبد الحليم العزمي.

واهتمت أيضاً قناة المستقلة اللندنية بمحاورة الشيعة والصوفية عن طريق برنامجها: الحوار الصريح بعد التراويح.

كما تولت قناة وصال مهمة التعريف بحقيقة الشيعة وخطرهم على الأمة ببث التسجيلات الصوتية لعلماء الشيعة ومفكريهم ومن تابعهم من الصوفية والتي تبين حجم الانحراف لديهم.

وفي المجلات المطبوعة نالت مجلة التوحيد ومجلة البيان قصب السبق في العناية المعاصرة والقراءة الدقيقة والمركزة للواقع الصوفي والإمامي، وطبعت مجلة البيان عدداً من إصدارات الكتب كالتي صدرت عن التصوف لمحمد العبدة، وعن التشيع لأحمد فهمي، وغيرها.

وليس المقصود هنا حصر جميع الجهود المقدرة، وإنما هذه إلماحة موجزة لبعض جهود أهل السنة في نشر العقيدة الصحيحة، وتثبيتها في قلوب المسلمين مستندين في ذلك إلى كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله ﷺ، وفهم سلف الأمة رحمهم الله، وما سيأتي تناوله في هذا الفصل هو تطبيق، ومثال لهذا المنهج القويم المستقى من القرآن والسنة، والمجانب للتكلف والتعسف والتأويل الباطني.

المبحث الأول
موقف أهل السنة من المسائل العلمية في علاقة الصوفية بالإمامية

أكتفي في هذا المبحث والذي يليه بذكر موقف أهل السنّة بالنسبة للعقائد التي برزت فيها صور العلاقة بين الصوفية والإمامية في المسائل العلمية والعملية كما وردت في أثناء البحث. وذلك بذكر ما يقابلها في عقائد أهل السنة بأسلوبها الواضح اليسير.

أولاً: التوحيد ومسائل الإيمان:

- يعتقد أهل السنة بتوحيد الربوبية وهو إفراد الله سبحانه بالملك والخلق والتدبير، فيؤمن العبد بأن الله سبحانه الخالق الرازق، المحيي، المميت، النافع، الضار، المالك، المدبر، له الخلق والأمر كله، كما قال سبحانه: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]. وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [النور: ٤٢]. وقال سبحانه: ﴿فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَى﴾ [النجم: ٢٥].

كما قال سبحانه: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللّهُ﴾ [سبأ: ٢٤]. فهو سبحانه قد تفرد بالملك والرزق والتدبير، لا شريك له في ذلك سبحانه ولا نظير[(١)].

- ولفظ الرب عند أهل السنة لا يطلق إلى على الله سبحانه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الأسماء والصفات نوعان: نوع يختص به الرب، مثل الإله ورب العالمين ونحو ذلك، فهذا لا يثبت للعبد بحال، ومن هنا ضل المشركون الذين جعلوا لله أنداداً، والثاني: ما يوصف به العبد في الجملة كالحي والعالم والقادر إلا أنه لا يجوز أن يثبت للعبد مثل ما يثبت للرب أصلاً"[(٢)].

فلا يجعل لفظ الرب الخاص بالله سبحانه اسماً لإمام، أو ولي.

- ويعتقد أهل السنة بتوحيد الألوهيّة، وهو: إفراد الله تعالى بالعبادة؛ لأنّه سبحانه المستحقّ أن يُعبد وحده لا شريك له، وإخلاص العبادة له، وعدم صرف أي نوع من أنواع العبادة لغيره، فمن صرف نوعاً منها لغير الله فقد أشرك[(٣)].

وهذا التوحيد هو الذي دعت الرسل إليه؛ كما أخبر الله - عز وجل - عن أنبيائه نوح، وهود، وصالح، وشعيب أنهم قالوا لقومهم: ﴿اعْبُدُوا اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥]، وأخبر سبحانه أن هذه دعوة الرسل عامة، فقال جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

---

(١) انظر في معنى توحيد الربوبية: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٠/ ٣٣)، وشرح العقيدة الطحاوية. علي بن أبي العز الحنفي (ص: ١٧)، وتجريد التوحيد. للمقريزي (ص: ٨١)، ولوامع الأنوار البهية. السفاريني (١/ ١٢٨-١٢٩)، وتيسير العزيز الحميد. سليمان بن عبد الوهاب (ص: ٣٣).

(٢) منهاج السنة (١/ ٣٤٢).

(٣) انظر في تعريف توحيد الألوهيّة: شرح الطّحاويّة (ص: ١٦)، ولوامع الأنوار (١/ ٢٩)، وتيسير العزيز الحميد (ص: ٣٦)، وغيرها.

توحيد الألوهية هو أصل النّجاة، وأساس قبول العبادات، والشرك بالله سبحانه هو سبب بطلانها، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

ويعتقد أهل السنة اعتقاداً جازماً بأن الله عز وجل متصف بجميع صفات الكمال، ومنزه عن جميع صفات النقص، وأنه سبحانه متفرد بهذا عن جميع الكائنات، وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة من غير تحريف، أو تكييف، أو تعطيل أو تشبيه. يدل عليه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]. ومن حاد عن ذلك لم يكن موحداً ربه في أسمائه وصفاته(١).

تقرير المسائل السابقة في بيان توحيد الله عز وجل كافية للرد على القائلين بعقيدة وحدة الوجود من الصوفية والإمامية.

- أركان الإيمان تشمل: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر، كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

وعن عمر رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمّد أخبرني عن الإسلام؟! فقال رسول الله ﷺ: "الإسلام

---

(١) انظر في تعريف توحيد الأسماء والصفات: شرح العقيدة الواسطية. محمد خليل هراس (ص: ٢١)، والإيمان. محمد نعيم ياسين (ص: ١٣).

أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً"، قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدّقه، قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره"، قال: صدقت. . . "[1].

ثانياً: النبوة والإمامة والولاية وخصائصها:

- ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن النبوة اصطفاء من الله، واختيار منه لعبده من بين سائر الناس، يختصه برحمته، ويصطفيه بفضله ومنته[2]. قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. والأنبياء لهم المنزلة العالية الرفيعة عند أهل السنة، وهم معصومون فيما يبلغون عن الله عز وجل، وخاتمهم وأفضلهم محمد ﷺ.

- أما مسألة الإمامة فهي عند أهل السنة ليست من أصول الدين التي لا يسع المكلف الجهل بها، كما قرره جمع من أهل العلم[3]. وهم يوجبون طاعة الإمام وإن جار وظلم ما لم يأمر بمعصية، ويحرمون الخروج عليهم لأنه لا بد للناس من إمام يقيم العدل بينهم.

- الأولياء في مفهوم القرآن هم خلق الله المؤمنون المتقربون الذين قربوا من الله بموالاة طاعته، أي متابعتهم لها، واجتناب معصيته، وقد فسر سبحانه الأولياء بقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣]. أي يؤمنون بما يجب الإيمان به، ويتقون ما يجب عليهم اتقاؤه من معاصي الله سبحانه[4]. فكل من كان تقياً فهو يعد ولياً.

(١) رواه مسلم في الإيمان. باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان. ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر، حديث رقم (٨).
(٢) انظر: منهاج السنة (٢/ ٤١٦).
(٣) انظر: غاية المرام. الآمدي. (ص: ٣٦٣)، والاقتصاد. للغزالي (ص: ١٣٤).
(٤) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان. ابن تيمية (ص: ٦)، وفتح القدير. للشوكاني (٢/ ٤٥٧).

وعلى هذا فلا يخصص لولاية الله سبحانه وتعالى أعداد معينة في حدود الأربعين أو الثلاثمائة أو غيرها من الأعداد التي يذكرها المتصوفة.

- الحقيقة المحمدية في الإسلام ليست كما ذهبت إليه الصوفية والإمامية بل إن القرآن يقرر بشرية نبينا محمد ﷺ كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى﴾ [فصلت: ٦]. وأول الخلق ليس رسول الله ﷺ كما جاء في الحديث: "أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد"[1].

- يعتقد أهل السنّة أن لا معصوم إلا رسول الله ﷺ وسائر أنبياء الله ورسله السابقين ولا عصمة بعد الرسول ﷺ لأحد[2] ولا مشرع بعده.

فلا يكون في الدين واجباً إلا ما أوجبه، ولا حراماً إلا ما حرمه، ولا مستحباً إلا ما استحبه، ولا مكروهاً إلا ما كرهه، ولا مباحاً إلا ما أباحه[3].

فالوحي قد انقطع منذ مات رسول الله ﷺ والحجة قد قامت على الأمة برسول الله عليه الصلاة والسلام، واتباع النبي ﷺ يغني عن اتباع ما سواه، يقول سبحانه: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٣ - ١٦٥] ولم يقل سبحانه "والأئمة والأولياء".

---

(١) انظر: صحيح الجامع. حديث رقم (٢٠١٧).
(٢) المنتقى (ص: ٤١٥).
(٣) التوسل والوسيلة (ص: ١٢٥).

وهذا يبطل قول من أحوج الخلق إلى غير الرسل كالأئمة[1]، فلا عصمة ولا طاعة مطلقة ولا تشريع.. لغيره ﷺ، وكلٌّ يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ[2].

ودعوى العصمة للأئمّة تضاهي المشاركة في النّبوّة، فإنّ المعصوم يجب اتّباعه في كلّ ما يقول، ولا يجوز أن يخالف في شيء، وهذه خاصّة الأنبياء ولهذا أمرنا أن نؤمن بما أنزل إليهم فقال - تعالى -: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦] فأمرنا أن نقول: آمنا بما أوتي النبيون.. فالإيمان بما جاء به النبيون مما أمرنا أن نقوله ونؤمن به، وهذا ما اتفق عليه المسلمون.. فمن جعل بعد الرّسول معصوماً يجب الإيمان بكلّ ما يقوله فقد أعطاه معنى النّبوّة، وإن لم يعطه لفظها[3].

وهذا مخالف لدين الإسلام، للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها.

ولكن يرى أهل السنّة أن الأمة لا يمكن أن تجتمع على ضلالة وأنها معصومة بكتاب ربها وسنّة نبيها عن أن تضل جميعاً، وهذا يخالف تماماً من يوجب عصمة واحد من المسلمين - إذا لم يكن فيهم معصوم -[4]، فالأمة محفوظة من الضلال العام الشامل كما جاءت بذلك النصوص الشرعية.

والله سبحانه وتعالى قرن "سبيل المؤمنين" بطاعة رسوله في قوله عز وجل: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٩/ ٦٦).
(٢) وهذا القول مأثور عن الإمام مالك رحمه الله، انظر: الوصية الكبرى لابن تيمية (ص: ٢٨٠).
(٣) منهاج السنة (٣/ ١٧٤).
(٤) المنتقى (ص: ٤١٠).

ويقول ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله..»[1].

- فكرة الرجعة إلى الدنيا بعد الموت مخالفة صريحة لنص القرآن، وباطلة بدلالة آيات عديدة من كتاب الله سبحانه، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠].

وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٣١]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٧ - ٢٨].

فهؤلاء جميعاً يسألون الرجوع عند الموت، وعند العرض على الجبار جل علاه، وعند رؤية النار فلا يجابون، لما سبق في قضائه أنهم إليها لا يرجعون.

وقد جاء في مسند أحمد أن عاصم بن ضمرة (وكان من أصحاب علي رضي الله عنه) قال للحسن بن علي: إن الشيعة يزعمون أن علياً يرجع. قال الحسن: كذب أولئك الكذابون، لو علمنا ذاك ما تزوج نساؤه، ولا قسمنا ميراثه[2].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق» (٨/ ١٤٩)، والحديث بهذا المعنى أخرجه مسلم في الجهاد، وأبو داود في الفتن، والترمذي في الفتن، وابن ماجه في السنة.

(٢) مسند أحمد (٢/ ٣١٢) رقم (١٢٦٥)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

والقول بالرجعة بعد الموت إلى الدنيا لمجازاة المسيئين وإثابة المحسنين ينافي طبيعة هذه الدنيا وأنها ليست دار جزاء، كما أنه يضعف جانب الإيمان بيوم البعث والجزاء، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

- أما دعوى علم الغيب للأئمة والأولياء فهذه صفة للحق جل شأنه لا يشاركه فيها أحد سبحانه. قال تعالى: ﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]. وقال سبحانه: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

والله سبحانه أمر أفضل الخلق رسول الهدى ﷺ أن يقول: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، ﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠]، فأمره سبحانه أن يفوض الأمور إليه، وأن يخبر عن نفسه أنه لا يعلم بغيب المستقبل، ولا اطلاع له على شيء من ذلك إلا بما أطلعه الله عليه كما قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٧][1].

وقد ذكر علماء الإسلام أن من ادعى شيئاً من علم الغيب فقد كفر، حيث أضاف الله سبحانه علم الغيب إلى نفسه في غير ما آية من كتابه، فلا يظهر على غيبه إلا من اصطفى من رسله، وهذا هو الغيب المطلق المحجوب عن جميع الخلق[2].

وذكر أهل العلم أن الغيب ينقسم إلى قسمين: غيب "مطلق" أو حقيقي وهو ما يعلمه وحده سبحانه دون ما سواه، وهو المقصود عند الإطلاق، وفيه يقول الله عز وجل: ﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥] وغيب

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٢٩٣).

(٢) انظر هذا المعنى في تفسير القرطبي (٧/ ٢، ٣).

"إضافي" أو مقيد وهو ما غاب علمه عن بعض المخلوقين دون بعض؛ كالذي يعلمه الملائكة عن أمر عالمهم وغيره ولا يعلمه البشر مثلاً. وأما ما يعلمه البشر بتمكينهم من أسبابه واستعمالهم لها ولا يعلمه غيرهم لجهلهم بتلك الأسباب أو عجزهم عن استعمالها فلا يدخل في عموم معنى الغيب الوارد في كتاب الله؛ لأنه غيب عمن غاب عنه من المخلوقين، ليس هو غيباً عمن شهده. والناس كلهم قد يغيب عن هذا ما يشهده هذا، فيكون غيباً مقيداً ليس غيباً مطلقاً غاب عن المخلوقين قاطبة[1].

- وليس بين المسلم في عبادته لربه ودعائه له، حجب تمنعه، ولا واسطة تحجبه. قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال أهل العلم: "إن من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كَفَرَ إجماعاً؛ لأن ذلك كفعل عابدي الأصنام الذين قالوا: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ﴾ [الزمر: ٣]"[2].

وحينما سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عمن قال: لابد لنا من واسطة بيننا وبين الله فإننا لا نقدر أن نصل إليه إلا بذلك.

أجاب - رحمه الله - بقوله: إن أراد أنه لابد لنا من واسطة تبلغنا أمر الله فهذا حق فإن الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه ويأمر به وينهى عنه إلا بواسطة الرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده، وهذا ما أجمع عليه أهل الملل من المسلمين واليهود

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٦/ ١١٠)، وتفسير المنار (٧/ ٤٢٢).
(٢) انظر: كشاف القناع. البهوتي (٦/ ١٦٨-١٦٩).

والنصارى، فإنهم يثبتون الوسائط بين الله وبين عباده، وهم الرسل الذين بلغوا عن الله أوامره ونواهيه، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]، ومن أنكر هذه الوسائط فهو كافر بإجماع أهل الملل.

وإن أرادوا بالواسطة: أنه لابد من واسطة يتخذها العباد بينهم وبين الله في جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يكونوا واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم، يسألون ذلك ويرجعون إليه فيه، فهذا من أعظم الشرك الذي كفَّر الله به المشركين، حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجتلبون بهم المنافع ويدفعون بهم المضار، فمن جعل الأنبياء أو الملائكة أو الأئمة والأولياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يسألهم غفران الذنوب، وهداية القلوب وتفريج الكربات، وسد الفاقات فهو كافر بإجماع المسلمين.

إلى أن قال: فمن أثبت وسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب الذي بين الملك ورعيته، بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه، وأن الله إنما يهدي عباده وينصرهم ويرزقهم بتوسطهم، بمعنى أن الخلق يسألوهم وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك حوائج الناس لقربهم منهم، والناس يسألونهم أدباً منهم أن يباشروا سؤال الملك، أو لأن طلبهم من الوسائل أنفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل»[1].

- الحق أن الهداية بمعنى التوفيق إلى الحق وقبوله، لا يملكها إلا رب العباد، ومقلب القلوب والأبصار، والذي يحول بين المرء وقلبه، والذي إذا قال للشيء:

(١) انظر: الواسطة بين الخلق والحق، ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١/ ١٢١) وما بعدها، وانظر الانتصار لحزب الله الموحدين. أبا بطين (ص: ٣٠-٣١).

كن فيكون . . والإمامية والصوفية في إطلاقها هذه العبارات بلا أي قيد تجعل لأئمتها مشاركة لله جل شأنه في هذه الهداية، وهو شرك أكبر؛ فالله سبحانه هو الهادي وحده لا شريك له.

قال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]. ويقول لنبيه - عليه السلام -: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

أما هداية الدلالة على الحق والإرشاد إليه فهذه وظيفة الرسل ومن تبعهم بإحسان، ولا تنحصر في الإثني عشر، ولا في أولياء الصوفية وأقطابها. ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]. وإطلاق القول بأن هداية العباد لا تتم إلا بالأئمة والأولياء والشيوخ جرأة على الله سبحانه.

- ومن أصول التوحيد الإيمان بأن الله سبحانه هو المشرع وحده سبحانه، يحل ما يشاء ويحرم ما يشاء، لا شريك له في ذلك، ورسل الله يبلغون شرع الله لعباده، ومن ادعى أن له إماماً أو شيخاً يحل ما يشاء ويحرم ما يشاء فهو داخل في قوله سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ﴾ [الشورى: ٢١] فأشرك مع الله غيره.

وقد قال الله جل شأنه فيمن اتبع مشايخه فيما يحلون ويحرمون من دون شرع الله وحكمه قال سبحانه: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [التوبة: ٣١] فجعل سبحانه اتباعهم فيما يحلون من الحرام، ويحرمون من الحلال - كما جاء في تفسير الآية - عبادة لهم، حيث "تلقوا الحلال والحرام من جهتهم وهو أمر لا يتلقى إلا من جهة الله عز وجل"[1].

(١) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ١١٣-١١٤)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٣٧٣-٣٧٤)، والمحرر الوجيز. لابن عطية (٨/ ١٦٦).

- الناس جميعاً عبيد لله وحده لا لأحد سواه، ولو كان من عباد الله المرسلين الذين آتاهم الله الكتاب والحكم والنبوة، فكيف بأئمة الإمامية، وشيوخ الصوفية. فالله سبحانه يقول: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٩].

- قد جاء الوعيد الشديد لمن كتم ما أنزل الله من الهدى والحق، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]. بل إن الله تعالى أمر رسول الهدى ﷺ بالبيان والبلاغ. قال تعالى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي ﷺ أنه قال: "من سئل عن علم ثم كتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار"[1].

- والرّسل أفضل البشر وأحقّهم بالرّسالة؛ حيث أعدّهم الله تعالى لكمال العبوديّة والتّبليغ والدّعوة والجهاد: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، فهم قد امتازوا "برتبة الرّسالة عن سائر النّاس"[2].

وقد أوجب الله على الخلق متابعتهم. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ﴾ [النساء: ٦٤]. ولا يفضل أحد من البشر عليهم. قال الطّحّاوي في بيان اعتقاد

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٦٣، ٣٠٥، ٣٤٤، ٣٥٣، ٤٩٥، ٤٩٩، ٥٠٨)، وأبو داود في العلم، باب كراهية منع العلم: (٤/ ٦٧) (ح ٣٦٥٨)، والترمذي في العلم، باب ما جاء في كتمان العلم: (٥/ ٢٩) (ح ٢٦٤٩)، وقال الترمذي: حديث حسن، وأخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب من سئل عن علم فكتمه: (١/ ٩٦) (ح ٢٦١)، والحاكم: (١/ ١٠١)، وصححه ووافقه الذهبي، وابن حبان: (١/ ٢٦٠).

(٢) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١/ ٢٣٨).

أهل السّنّة: "ولا نفضّل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السّلام ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء"[1].

ويقول القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ): (وكذلك نقطع بتكفير غلاة الروافض في قولهم إنّ الأئمة أفضل من الأنبياء)[2].

ويقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب: (ومن اعتقد في غيرالأنبياء كونه أفضل منهم أو مساوياً لهم فقد كفر، وقد نقل على ذلك الإجماع غير واحد من العلماء)[3].

- والإمامية والصوفية جعلوا الآخرة للأئمة والأولياء، والله سبحانه يقول: ﴿فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَى﴾ [النجم: ٢٥] وما أشبه قولهم هذا بمزاعم اليهود في قولهم إن الآخرة لهم. قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٩٤ - ٩٥].

كما جعلوا للأئمة والأولياء الحكم والأمر في يوم القيامة والله جل شأنه يقول: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠].

وقالوا بأن الجنة لهم كما قال اليهود: ﴿لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١١ - ١١٢].

---

(١) انظر: العقيدة الطحاوية مع شرح علي بن أبي العز الحنفي (ص: ٤٩٣)، قال الشيخ ابن أبي العز: "ويشير الشيخ إلى الرد على الاتحادية وجهلة المتصوفة" (شرح الطّحاويّة: ص٤٩٣).

(٢) الشفاء (٢/ ٢٩٠).

(٣) الرد على الرافضة (ص: ٢٩).

- أما ما ادعاه الإمامية والصوفية من اختصاص الأئمة والأولياء بعلم الباطن: فإن الرسول ﷺ قد بين الدين كله وأعلن ذلك بين المسلمين ولم يُسِر لأحد بشيء من الشريعة ويستكتمه إياه، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾ [البقرة: ١٥٩ - ١٦٠].

وقد أكمل الله سبحانه للأمة الدّين قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ولم يخص النبي ﷺ أحداً من الصحابة بعلم من الشريعة من دون الآخرين، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

فالآية تدل على أن البيان للناس وليس لفرد أو طائفة منهم ولو كانوا أهل بيته رضوان الله عليهم.

وقد جاء في البخاري عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: «قلت لعلي: هل عندكم كتاب؟ قال: لا، إلا كتاب الله أو فهم أعطيه رجل مسلم أو ما في هذه الصحيفة، قال: قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر»(١).

وتوفي رسول الله ﷺ وقد ترك أمته على البيضاء كما جاء عنه ﷺ: «تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»(٢).

---

(١) صحيح البخاري. كتاب العلم، باب كتابة العلم: (١/ ٣٦).

(٢) هذا جزء من حديث رواه ابن ماجه في «سننه»، المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين: (١/ ١٦)، وأحمد في «مسنده»: (٤/ ١٢٦)، والحاكم في «مستدركه»: (١/ ٩٦)، وابن أبي عاصم في كتاب «السنة»، باب ذكر قول النبي ﷺ «تركتكم على مثل البيضاء...»: (١/ ٢٦). ورويت روايات عدة في هذا المعنى صحح الألباني معظمها.

قال أبو الدرداء: «صدق الله ورسوله فقد تركنا على مثل البيضاء»(١).

وقال أبو ذر رضي الله عنه: «لقد تركنا محمد ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علماً»(٢).

وقال عمر رضي الله عنه: «قام فينا النبي ﷺ مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه»(٣).

يقول ابن حزم: (قد بلغ الرسول ﷺ الدين كله وبيّن جميعه كما أمره الله تعالى)، ويقول: (والدين قد تم فلا يزاد فيه ولا ينقص منه ولا يبدل) ويقول: (ولا سر في الدين عند أحد)(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فإن هذا الأصل - أي بيان الرسول ﷺ للدين وأصوله وفروعه باطنه وظاهره علمه وعمله - هو أصل أصول العلم والإيمان، وكل من كان أعظم اعتصاماً بهذا الأصل كان أولى بالحق علماً وعملاً)(٥).

ولا شك في أن للقرآن العظيم أسراره ولفتاته، وإيماءاته وإيحاءاته، وهو بحر عظيم لا تنفد كنوزه ولا تنقضي عجائبه، ولا ينتهي إعجازه.. وكل ذلك مما يتسع له اللفظ ولا يخرج عن إطار المعنى العام.. ولكن دعوى أولئك الباطنيين غريبة عن هذا المقصد، وهي تأويلات - كما مر معنا - لا تتصل بمدلولات الألفاظ ولا بمفهومها،

(١) رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة (١/ ٢٦).

(٢) روى هذا الأثر الإمام أحمد في «مسنده»: (٥/ ١٥٣).

(٣) صحيح البخاري. كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]: (٤/ ٧٣).

(٤) المحلى (١/ ١٥، ٢٦).

(٥) معارج الوصول إلى معرفة أن أصول الدين وفروعه قد بينها الرسول ﷺ (ص: ٢)، وانظر: موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول (١/ ١٣).

ولا بالسياق القرآني، بل هي مخالفة للنص القرآني تماماً، ولقواعد اللغة العربية، هدفها هو البحث في كتاب الله من أصل يؤيد شذوذهم، وغايتها الصد عن كتاب الله ودينه، وحاصل هذا الاتجاه الباطني في تأويل نصوص الشريعة هو الانحلال عن الدين[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "من ادعى علماً باطناً، أو علماً بباطن وذلك يخالف العالم الظاهر كان مخطئاً، إما ملحداً زنديقاً، وإما جاهلاً ضالاً... وأما الباطن المخالف للظاهر المعلوم، فمثل ما يدعيه الباطنية القرامطة من الإسماعيلية والنصيرية وأمثالهم"[2].

ثالثاً: الموقف من الصحابة رضي الله عنهم:

- يعتقد أهل السنة بعدالة أصحاب رسول الله ﷺ ووجوب محبتهم دون إفراط أو تفريط، والترضي عنهم، وترك الخوض فيما شجر بينهم. يقول الطحاوي: "ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولاً لأبي بكر الصديق رضي الله عنه تفضيلاً له وتقديماً على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم لعثمان رضي الله عنه، ثم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهتدون"[3].

---

(١) انظر: فتح الباري (١/ ٢١٦).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٣٦).

(٣) انظر: شرح الطحاوية (ص: ٤٧٧).

وقال الإمام أحمد: (ومن انتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ أو أبغضه.. أو ذكر مساوئه كان مبتدعاً حتى يترحم عليهم جميعاً ويكون قلبه لهم سليماً)[1].

وقال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: (لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم من أهل الحجاز، ومكة، والمدينة، والبصرة، والكوفة، وواسط، وبغداد، والشام ومصر، لقيتهم كَرَّات.. وكلهم متوافرون في ست وأربعين سنة، فما رأيت أحداً منهم يختلف في هذه الأشياء: "ومنها" ما رأيت فيهم أحداً يتناول أصحاب محمد ﷺ وكانوا ينهون عن البدع ويحبون ما عليه النبي ﷺ وأصحابه..)[2].

وقد ذهب أهل السنّة لهذا المذهب استجابة لأمر الله ورسوله، فقد شهدت نصوص الكتاب على عدالتهم والرضاء عن جملتهم وتواترت السنّة على الثناء على مجموعهم، كما شهدت لكثير من آحادهم - على وجه التخصيص - بالعدالة والفضل.

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال سبحانه: ﴿لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧]. إلى غير ذلك من الآيات.

---

(١) كاشف الغمة في اعتقاد أهل السنّة (مختصر السنة للإمام اللالكائي) باب سياق ما روي من المأثور عن السلف من جمل اعتقاد أهل السنّة والتمسك بها والوصية بحفظها قرناً بعد قرن (ص: ٢٢) (مخطوط).

(٢) السابق (ص: ٢٢ - ٢٣).

وأما الأحاديث من طريق السنّة فهي كثيرة، ومن ذلك: عن عمران بن حصين - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة[١].

وقال ﷺ: «النجوم أمنة السماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان على حراء، هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال النبي ﷺ: «اهدأ، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»[٣]. وقال ﷺ: «لا يدخل النار - إن شاء الله - من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها..»[٤].

---

(١) رواه البخاري: (٣/ ١٥١) في كتاب الشهادات باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد، ومسلم: (٧/ ١٨٤)، في فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.

(٢) رواه مسلم في فضائل الصحابة باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه وبقاء أصحابه أمان للأمة: (٧/ ١٨٣).

(٣) رواه مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل طلحة والزبير: (٧/ ١٢٨).

(٤) رواه مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان - رضي الله عنهم -: (٧/ ١٦٩).

المبحث الثاني
موقف أهل السنة من المسائل العملية في علاقة الصوفية بالإمامية

أولاً: القبور والأضرحة:

- علم بالاضطرار من دين الإسلام أن النبي ﷺ لم يأمر بما ورد عند الصوفية والإمامية من أمر المشاهد ولا شرع لأمته مناسك عند قبور الأنبياء والصالحين، بل هذا من دين المشركين[1]. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأول من وضع هذه الأحاديث في السفر لزيارة المشاهد التي على القبور أهل البدع من الروافض ونحوهم الذين يعطلون المساجد ويعظمون المشاهد التي يشرك فيها ويكذب فيها ويبتدع فيها دين لم ينزل الله به سلطاناً، فإن الكتاب والسنة إنما فيهما ذكر المساجد دون المشاهد"[2].

- اتخاذ القبور مساجد ملعون فاعلها على لسان رسول الهدى ﷺ، حيث قال: "لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"[3].

---

(١) منهاج السنة (١/ ١٧٥).

(٢) انظر: الرد على الأخنائي (ص: ٤٧).

(٣) أخرجه البخاري في باب ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر(٣/ ٢٥٥)، والحديث بهذا المعنى في مسلم، كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور(٣٧٦-٣٧٧).

وفي الصحيحين أيضاً أنه ذكر له في مرض موته كنيسة بأرض الحبشة، وذكر له من حسنها وتصاوير فيها فقال: "إن أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك التصاوير، أولئك شرار الخلق عند الله"(١).

وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - لأبي الهياج الأسدي: "ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته"(٢).

- والمسلمون لهم كعبة واحدة يتجهون إليها في صلاتهم ودعائهم، ويحجون إليها، ويطوفون بها، أما الإمامية والصوفية فلهم مزارات ومشاهد وكعبات عبارة عن أضرحة الموتى من الأئمة.

وقال شيخ الإسلام: "وأصل ذلك أن عامة أمر هذه القبور والمشاهد مضطرب مختلق لا يكاد يوقف منه على العلم إلا في قليل منها بعد بحث شديد، وهذا لأن معرفتها وبناء المساجد عليها ليس من شريعة الإسلام"(٣).

وقال أيضاً: "اتفق المسلمون على أنه لا يشرع الطواف إلا بالبيت المعمور"(٤).

- تشرع زيارة القبور للاتعاظ بها وتذكر الآخرة، شريطة أن لا يقول عندها ما يغضب الرب سبحانه وتعالى، كدعاء المقبور والاستغاثة به من دون الله تعالى، أو تزكيته، والقطع له بالجنة، ونحو ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري في الجنائز في باب بناء المسجد على القبر (٣/ ٢٠٨)، ومسلم، كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور (١/ ٣٧٥-٣٧٦).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٤٧).

(٤) السابق (٤/ ٥٢١).

والمقصود من زيارة القبور أمور:

أ - انتفاع الزائر بذكر الموت والموتى، وأن مآلهم إما إلى جنة وإما إلى نار، وهو الغرض الأول من الزيارة.

ب - نفع الميت والإحسان إليه بالسلام عليه، والدعاء والاستغفار له، وهو خاص بالمسلم[1].

ج - ترقق القلب وتدمع العين.

- ويحرم عند القبور الذبح والنحر إذا كان لله، وأما إذا كان لصاحب القبر فهو شرك صريح، وأكله حرام وفسق، كما قال تعالى: ﴿**أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ...**﴾ [**الأنعام**: ١٤٥]. وعن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لعن الله من لعن والديه، ولعن الله من ذبح لغير الله.."[2].

- وبناء القباب والمقامات على الأضرحة من عمل الشيطان، ولذا اشتد نكير السلف الصالح على مثل هذه الأعمال الشركية، فهذا ابن عمر رضي الله عنهما رأى فسطاطاً على قبر عبد الرحمن بن أبي بكر، فقال: "انزعه يا غلام، فإنما يظله عمله"[3].

- ومن لجأ إلى قبر ميت ودعاه أن يكشف ضره، أو يقضي حاجته، فلا شك أن هذا شرك أكبر وكفر بالله عز وجل. قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ**﴾ [**فاطر**: ١٣].

---

(١) انظر: أحكام الجنائز وبدعها. محمد ناصر الدين الألباني (ص: ٢٣٩).

(٢) رواه مسلم في كتاب الأضاحي. باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله. حديث رقم (١٩٧٨).

(٣) أخرجه البخاري. كتاب الجنائز. باب الجريدة على القبر. حديث رقم (١٣٦١).

قال الإمام الصنعاني: "ومن نادى الله ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً، وخوفاً وطمعاً، ثم نادى معه غيره، فقد أشرك في العبادة، فإن الدعاء من العبادة... فهذا الذي يفعلونه لأوليائهم هو عين ما فعله المشركون، وصاروا به مشركين.. "[1].

ثانياً: الطقوس البدعية:

- الاحتفال بمولد الرسول ﷺ، أو بموالد الأئمة والأولياء، وكذا إقامة المآتم حزناً على موتهم، من الأمور الممنوعة شرعاً؛ لأن ذلك من البدع المحدثة في الدين؛ والرسول ﷺ لم يفعله، ولا خلفاؤه الراشدون، ولا غيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم، ولا التابعون لهم بإحسان في القرون المفضلة، وهم أعلم الناس بالسنة، وأكمل حباً لرسول الله ﷺ ومتابعة لشرعه ممن بعدهم[2].

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"[3]، أي: مردود عليه.

وقد قال الله سبحانه في كتابه المبين: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وقال عز وجل: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، والآيات في هذا المعنى كثيرة. والاحتفال بالموالد من البدع والضلالات المخالفة للسنة؛ حتى لو لم تصاحبها المنكرات؛ فكيف إذا صحبتها المنكرات من قراءة القصائد الشركية، والغناء والرقص والاختلاط، ونحو ذلك.

---

(١) انظر: تطهير الاعتقاد (ص: ٤١-٤٢).

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم. لابن تيمية (٢/ ٦١٥)، وتنبيه أولي الأبصار. صالح السحيمي (ص: ٢٣٣).

(٣) أخرجه البخاري (١٣/ ٣١٧) الفتح.

ورسول الله ﷺ لم يحتفل بمولده، ولم يحتفل الصحابة بمولده ﷺ ولا بموالد الصالحين، ولا اجتمعوا لها؛ ويقول ﷺ: «اللهم لا تجعل قبري عيداً»، ويقول ﷺ أيضاً: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلُّوا عليَّ؛ فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم»[1].

- وأما ما يقع فيه الصوفية والإمامية من الذكر الجماعي، فإن من السنَّة الجهر بالذكر عقب الصلوات الخمس، وعقب صلاة الجمعة بعد التسليم؛ لما ثبت في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما " أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبي ﷺ "، قال ابن عباس: "كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته "[2].

أما كونه جماعيّاً بحيث يتحرى كل واحد نطق الآخر من أوله إلى آخره وتقليده في ذلك: فهذا لا أصل له، بل هو بدعة، وإنما المشروع أن يذكروا الله جميعاً بغير قصد لتلاقي الأصوات بدءاً ونهاية[3].

قال الإمام الشاطبي رحمه الله: "الدليل الشرعي إذا اقتضى أمراً في الجملة، مما يتعلق بالعبادات مثلاً، فأتى به المكلف في الجملة أيضاً، كذكر الله والدعاء والنوافل المستحبات وما أشبهها، مما يعلم من الشارع فيها التوسعة، كان الدليل عاضداً لعلمه من جهتين: من جهة معناه، ومن جهة عمل السلف الصالح به. فإن أتى المكلف في ذلك الأمر بكيفية مخصوصة، أو زمان مخصوص، أو مكان مخصوص، أو مقارناً لعباده مخصوصة، والتزم ذلك بحيث صار

---

(١) أخرجه أبو داود، وصححه الألباني (١/ ٥٧١).

(٢) رواه البخاري في صفة الصلاة. باب الذكر بعد الصلاة حديث رقم (٨٠٥).

(٣) انظر: فتاوى الشيخ ابن باز (١١/ ١٩١)، ومجموع فتاوى ابن عثيمين (١٣/ ٢٦١-٢٦٢)، والمنتقى من فتاوى الشيخ الفوزان (٣/ ٧٢).

متخيلاً أن الكيفية أو الزمان أو المكان مقصود شرعاً، من غير أن يدل الدليل عليه، كان الدليل بمعزل عن ذلك المعنى المستدل عليه.

فإذا ندب الشرع مثلاً إلى ذكر الله، فالتزم قوم الاجتماع عليه على لسان واحد، وبصوت، أو في وقت معلوم، مخصوص عن سائر الأوقات، لم يكن في ندب الشرع ما يدل على هذا التخصيص الملتزم، بل فيه ما يدل على خلافه؛ لأن التزام الأمور غير اللازمة شرعاً شأنها أن تفهم التشريع، وخصوصاً مع من يقتدى به في مجامع الناس كالمساجد؛ فإنها إذا ظهرت هذا الإظهار، ووضعت في المساجد كسائر الشعائر التي وضعها رسول الله ﷺ، في المساجد وما أشبهها، كالأذان وصلاة العيدين والاستسقاء والكسوف، فُهم منها بلا شك أنها سنن، إذا لم تفهم منها الفرضية؛ فأحرى أن لا يتناولها الدليل المستدل به، فصارت من هذه الجهة بدعا محدثة بذلك.

وعلى ذلك ترك التزام السلف لتلك الأشياء، أو عدم العمل بها، وهم كانوا أحق بها وأهلها لو كانت مشروعة على مقتضى القواعد؛ لأن الذكر قد ندب إليه الشرع ندباً في مواضع كثيرة، حتى إنه لم يطلب في تكثير عبادة من العبادات ما طلب من التكثير من الذكر، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١] وقوله: ﴿وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠] بخلاف سائر العبادات. ومثل هذا الدعاء؛ فإنه ذكر لله، ومع ذلك فلم يلتزموا فيه كيفيات، ولا قيدوه بأوقات مخصوصة، بحيث تشعر باختصاص التعبد بتلك الأوقات، إلا ما عينه الدليل كالغداة والعشي، ولا أظهروا منه إلا ما نص الشارع على إظهاره، كالذكر في العيدين وشبهه، وما سوى ذلك فكانوا مثابرين على إخفائه... فكل من خالف هذا الأصل فقد خالف إطلاق الدليل أولاً، لأنه قيد فيه بالرأي، وخالف من كان أعرف منه بالشريعة، وهم السلف الصالح رضي الله عنهم"[1].

---

(١) الاعتصام (١/ ٢٤٩-٢٥٠)

وقال الشيخ بكر أبو زيد في الذكر الجماعي: "قاعدة هذه الهيئة التي يُردُّ إليها حكمها هي: أن الذكر الجماعي بصوت واحدٍ سرّاً، أو جهراً، لترديد ذكر معين، وارد أو غير وارد، سواء كان من الكل، أو يتلقونه من أحدهم، مع رفع الأيدي، أو بلا رفع لها: كل هذا وصف يحتاج إلى أصل شرعي يدل عليه من الكتاب والسنَّة؛ لأنه داخل في عبادة، والعبادات مبناها على التوقيف والاتباع، لا على الإحداث والاختراع؛ ولهذا نظرنا في الأدلة في الكتاب والسنَّة: فلم نجد دليلاً يدلُّ على هذه الهيئة المضافة، فتحقق أنه لا أصل له في الشرع المطهر، وما لا أصل له في الشرع فهو بدعة؛ إذاً فيكون الذكر والدعاء الجماعي بدعة، يجب على كل مسلم مقتدٍ برسول الله ﷺ تركها، والحذر منها، وأن يلتزم بالمشروع "[1].

- إذاً سنة المصطفى ﷺ بينت من الأدعية والأوراد التي فيها اللجوء إلى الله وحده لا إلى تراب ولا صنم، بل لا ملك مقرب ولا نبي مرسل وإنما إلى الله وحده، ويتحقق بسببها - بإذنه تعالى - الحفظ للمسلم والأمان[2].

- وألفاظ الأذكار توقيفية، ولها خصائص وأسرار لا يدخلها القياس فتجب المحافظة على اللفظ الذي وردت به، وقد يتعلق الجزاء بتلك الحروف[3].

ويقول أبو بكر بن العربي في معرض رده على الذين يخترعون أدعية من عند أنفسهم، ويأمرون الناس أن يدعوا بها الله، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [**الأعراف**: ١٨٠].

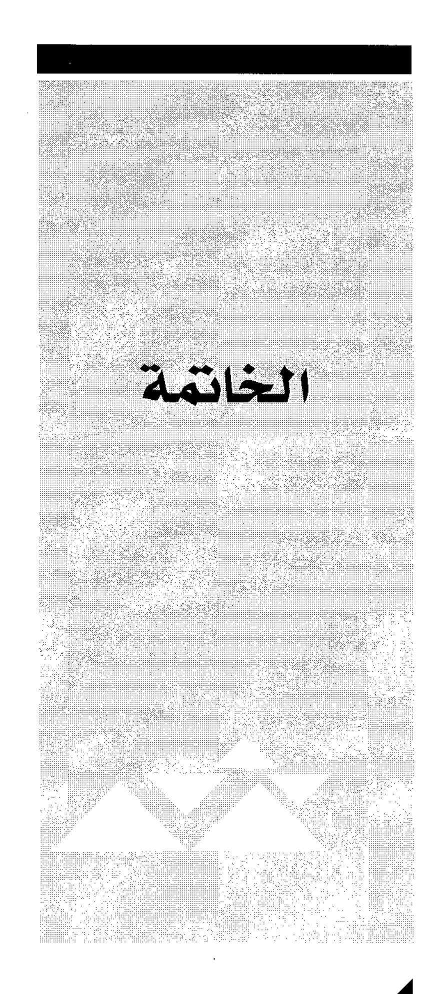
---

(١) تصحيح الدعاء. بكر أبو زيد (ص: ١٣٤).
(٢) راجع كتب الأذكار مثل: الأذكار للنووي، والكلم الطيب لشيخ الإسلام ابن تيمية، والوابل الصيب لابن القيم، وتحفة الذاكرين للشوكاني وغيرها.
(٣) انظر: فتح الباري. ابن حجر(١١/ ١١٢).

قال: "ويقال ألحد ولحد إذا مال والإلحاد يكون بوجهين بالزيادة فيها والنقصان منها كما يفعله الجهال الذين يخترعون أدعية يسمون فيها الباري بغير أسمائه ويذكرونه بما لم يذكره من أفعاله إلى غير ذلك مما لا يليق به فحذار منها، ولا يدعون أحد منكم إلا بما في الكتب الخمسة وهي كتاب البخاري ومسلم والترمذي وأبي داود والنسائي فهذه الكتب هي بدء الإسلام.."[1].

- الانحراف الأخطر في مسألة الأذكار ليست مجرد الاجتماع عليها ورفع الصوت بها فحسب، بل الأكبر من ذلك ما تضمنته تلك الأذكار من شركيات وتوسلات واستغاثات بغير الله عز وجل.

(١) أحكام القرآن. لابن العربي (٢/ ٨١٦).


الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

فبعد أن منّ الله عليّ بإتمام أبواب وفصول ومباحث هذا البحث (**العلاقة بين الصوفية والإمامية وأثرها في حياة الأمة دراسة عقدية معاصرة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة**) يمكن أن أسجل النتائج والتوصيات التالية:

أ- أبرز نتائج البحث:

- إن التقارب بين الصوفية والإمامية كان على وجه الخصوص مع غلاة الصوفية المتأثرين بالفلسفة، أما متكلمة الصوفية من أشاعرة وماتريدية فلم يحققوا إلا جزءاً يسيراً من صور التوافق.

- الطرق الصوفية التي ترتبط بعلاقة وصلة عقدية مع الإمامية ولاسيما في وقتنا المعاصر تمثلت في الطريقة الرفاعية، والطريقة البكتاشية، والطريقة الختمية، والطريقة

العزمية، وقد عرضت لكل طريقة من حيث معرفة المؤسس، وأهم المعتقدات ذات الصلة بالإمامية، وواقع الطريقة الحالي.

- واقع الإمامية المعاصر ينقسم فيه الإماميون إلى أخبارية، وأصولية، ولكن عند التحقيق، والنظر الدقيق نرى أنَّ الخلاف بين الأخبارية والأصولية خلاف يسير، وما كانت المنازعات والمجادلات الكلامية التي بدأت بينهم أواخر القرن العاشر بقيادة الاسترابادي إلا ثورة ضد الاجتهاد، وإعمال الدليل العقلي مقابل النصوص المقدسة. فرفض مرويات الأئمة بالتضعيف، ومجاهرة الطائفة الأصولية بذلك مما أثار حميتهم، وجعلهم يتصدون لهم بكل ما أوتوا من قوة، ولو دققنا النظر قليلاً لوجدنا أن الأخباريين والأصوليين في قالب واحد، فالإمام مقدس، ونصوصه مقدسة، والإمام هو المصدر الوحيد الذي يستقي منه الإمامية عقائدهم، وأحكامهم إذ لا قرآن إلا بإمام، ولا سنة إلا بإمام. . . إلخ.

لذا فمذهب الإمامية قائم على قول الإمام، وفعله، وتقريره بلا أدنى خلاف بين الأخباريين وبين الأصوليين في هذا الأمر.

- في كشف جذور الصلة بين الفرقتين تبين أنهم تأثروا بجملة من المؤثرات الخارجية كالنصرانية واليهودية والفارسية واليونانية والديانات الهندية، ونحوها.

- الخلل والاضطراب لدى الصوفية والإمامية في مصادر التلقي أسفر عنه اضطراب وتناقض في أصول العقيدة، فليس لهم منهج محدد، ولا عقيدة راسخة؛ حتى ضاعت أقوالهم بين مثبت، ونافٍ.

- اختلفت الصوفية عن الإمامية في الموقف من مكانة القرآن الكريم، وسلامة النص القرآني من التحريف، واتفقوا على التأويل الباطني للقرآن الذي يحرف معاني القرآن عن مرادها الظاهر والمقصود بالخطاب.

- اشتركوا في قدر من الاستناد إلى الأحاديث الموضوعة، والضعيفة، وعدم التعويل على الأحاديث الصحيحة والثابتة.

- أقوال الشيوخ والأئمة مصدر من مصادر التلقي عند الإمامية والصوفية وله مكانته ومنزلته الكبيرة في نفوس الأتباع وواقعهم.

- جعلوا المصادر العرفانية من الفلسفة الإشراقية، ودعوى الكشف والإلهام والرؤى مصادر رئيسة لتلقي الدين في عقائده وعباداته.

- التشابه في كثير من مصادر التلقي بين الصوفية والإمامية يكشف عن سبب العلاقة بين الفرقتين وجذورها.

- انقسم أعلام الإمامية والصوفية ومفكروهما قديماً وحديثاً من حيث قبول التقاء العلاقة بين الفرقتين أو افتراقها إلى مؤيد ومعارض، وكان جانب التأييد في العصر الحديث خصوصاً أظهر وأكثر.

- وقع الخلل في مفاهيم التوحيد والشرك ومجانبة العقيدة الصحيحة في ذلك باعتقاد بعض الصوفية بعقيدة وحدة الوجود، وتابعهم بعض الإمامية في ذلك. وانحرفت الإمامية في هذا الباب بسبب مفهومهم الخاص للإمامة وأنها ثابتة بالنص، وتابعهم بعض الصوفية في ذلك، فقالت الختمية من الصوفية بالنص على إمامة علي رضي الله عنه مستدلين ومصححين لحديث الغدير.

وترتب على هذه الانحرافات أن سوغوا جملة من التطبيقات الشركية العملية، واعتقدوا خلاف الكتاب والسنة في مسائل الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

- الإيمان عند جملة من الصوفية هو المعرفة، وعند الإمامية هو معرفة الإمام، وبناءً على هذا المفهوم كانت لهم عقائد مغايرة لاعتقاد أهل السنة والجماعة في أركان الإيمان وأصول الاعتقاد.

- التقى الإمامية والصوفية في مفهوم النبوة حين ادعوا أن النبوة مكتسبة، وقالوا بالحقيقة المحمدية، وعقيدة الرجعة.

- وفي مفهوم الولاية قالوا باختصاصها في عدد معين والاشتراك في خصائص الإمامة والولاية من أوجه عديدة تجاوزت العشرين وجهاً كالتصرف في الأكوان، ودعوى علمهم بالغيب، وتنزل الوحي عليهم، والحج إلى قبورهم، وعبادتهم، والتوسل بهم، وعصمتهم، وأنهم أفضل من الأنبياء والرسل، وغير ذلك.

- وقعت الصوفية والإمامية في الموقف من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين بين غلو وجفاء، فاشتركوا في الغلو في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وابنه الحسين رضي الله عنهما، وفي جانب الجفاء والانتقاص نسب غلاة الصوفية للصحابة رضي الله عنهم ما لايليق بهم من الحجل والتواجد، والقطبية والغوثية، وأبعد من ذلك ما وقع فيه الإمامية من التفسيق والتبديع والتكفير واللعن.

- أنشأت الشيعة المشاهد والأضرحة وعظموها وأسبغوا الفضائل على التعلق بها، وتابعهم الصوفية في ذلك وشاركوهم في المراسم والآداب المتعلقة بطقوس الزيارة.

- كان من أثر العلاقة بين الفرقتين شيوع الطقوس البدعية من إحياء الموالد والمناسبات الموسمية ولاسيما ذكرى عاشوراء، والذكر الجماعي، واختراع الأوراد والأدعية البدعية.

- ما ورد في أثناء هذا البحث من عقائد شركية، وتقديس للأئمة والأولياء وقبورهم ينقل بتمامه إلى الأجيال المعاصرة والقادمة عبر مواقع الانترنت وشاشات الفضائيات المذهبية في صور إعلامية ودعوية متنوعة، مثل: القصائد والأشجان، والمناقشة والحوار، والمحاضرات العامة، . . ونحو ذلك.

- اعتمدت الصوفية والإمامية الطرق التربوية المشتركة بينهم في الارتباط الظاهر والباطن بالشيخ والإمام، والتركيز على التربية الوجدانية بإحياء الموالد والمناسبات والبكاء والأدعية والأوراد، وأخيراً اعتمدوا على كتمان أسرار الطريق في التربية.

- اهتمت الصوفية والإمامية بالمراتب والألقاب العلمية للأئمة والشيوخ والأولياء، منها ما كان يتعلق بجانب الاعتقاد، ومنها مراتب فقهية لها أثر في تقرير الاعتقادات واتخاذ المواقف وتسمى المرجعية.

- تبين من خلال البحث وجود مؤلفات صوفية تخدم التراث الإمامي، وكتب وشروح إمامية تخدم التراث الصوفي.

- كان من أثر العلاقة بين الفرقتين التشابه في أصول ودلائل الوقوع في التناقض والاضطراب، وكان لذلك أسبابه، ومنها: القول بالباطن وأحقية علي وآل البيت رضي الله عنهم على وجه الخصوص بمعرفة باطن الدين وفهم القرآن، والقول بعصمة الأئمة والأولياء، وقصر الحق على ما أملته عليهم شيوخهم ومراجعهم دون عرضها على نصوص الكتاب والسنة، والتأثر بالوافدات والثقافات والفلسفات المختلفة. كما كان للتناقض دلائل وشواهد، منها: تباين أقوالهم في المسألة الواحدة من مسائل الاعتقاد الكبرى ورد بعضهم على بعض، وتعدد الآراء والاتجاهات، وتطور المذهب وانتقال مسائله من المنع والتحريم إلى القول بأنها من ضرورات المذهب، والوقوع في الندم والحيرة. وذكرت نموذجاً تطبيقياً للتناقض في مسألة الإمامة والولاية.

- كان من طبيعة الحال أن وقعت العداوة والمحاربة من قبل الصوفية والإمامية لأهل السنة والجماعة في مختلف العصور نتيجة مفارقتهم في مصادر التلقي ومنهج الاستدلال، كما أن أهل السنة لا يوافقونهم في مسائل الاعتقاد الكبار علمية كانت أو عملية لمخالفة هؤلاء العقيدة الصحيحة الثابتة بالقرآن والسنة، وقد بذل علماء

السنة جهوداً في كشف حقيقة مذاهب الصوفية والإمامية، وشنعوا عليهم في عبادتهم للقبور والأضرحة وأنكروا صنيعهم وانحرافهم في هذا الباب وهو ما ولد في نفوس المخالفين العداء والكراهية، فبذلوا قصارى جهدهم في مواجهة الحق بكل ما يستطيعون، واستعدوا على ذلك الحكومات وأعداء الأمة لتحقيق مآربهم ضد أهل السنة والجماعة.

- انبعثت دعوات التقريب بين السنة والشيعة منذ القرن الخامس الهجري، ثم ازدادت عمقاً واتخذت طابعاً منظماً بإنشاء دار للتقريب في مصر سنة ١٣٦٤هـ. ثم ازدادت مطالبات الشيعة بالتقريب لنيل المكاسب الدعوية لمذهبهم فأنشؤوا المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب سنة ١٤١٠هـ في إيران.

- كان لأهل السنة والجماعة جهود مباركة مشكورة في مواجهة الآثار المترتبة على العلاقة بين الصوفية والإمامية، تمثلت في: نشر العقيدة الصحيحة المأخوذة من الكتاب والسنة، وتثبيتها في قلوب المسلمين، والعمل على اتخاذ الموقف الصحيح تجاه دعوات التقريب بين السنة والشيعة، واليقظة والحذر من الاختراق الشيعي للمجتمعات السنية عن طريق الطرق الصوفية وغيرها، والتأليف والنشر والردود العلمية والدراسات البحثية، وعقد المؤتمرات والندوات وتأسيس الجمعيات والمؤسسات الدعوية، واستثمار وسائل الإعلام بشتى أنواعها.

عرضت في فصل خاص لموقف أهل السنة والجماعة من المسائل العقدية المشتركة بين الصوفية والإمامية وبشكل مجمل في مسائل التوحيد، والنبوة، والإمامة، والولاية، والموقف من الصحابة، وعقيدتهم في القبور والأضرحة، وما وقعت فيه الفرقتان من الطقوس البدعية وذلك بذكر دليل أهل السنة من القرآن والسنة، وبعض أقوال سلف الأمة بأسلوب سهل ميسر يعكس حقيقة العقيدة الصحيحة ويسرها.

ب- أهم التوصيات:

١ - ضرورة الاعتزاز بمنهج الكتاب والسنة عقيدة وشريعة وعدّه الحكم العدل على كل ما سواه، فيؤخذ ما يتفق مع قواعده العامة والخاصة، ويرفض كل ما يتعارض مع هذه الأصول التي تقوم عليها خصوصاً مع الهجمة الشرسة على منهج أهل السنة ووسمه بالتيمية والوهابية والرجعية، ودس البعض رؤوسهم أمام هذه التهم الزائفة.

٢ - القيام بدراسة مستفيضة لوسائل الاختراق الشيعي للطرق الصوفية وبعض حركات المقاومة في العالم الإسلامي.

٣ - إبراز بعض المخاطر السياسية لاختراق الإمامية لبعض مجتمعات السنة.

٤ - التعرف الدقيق والمتخصص إلى الطريقة العزمية بمصر وتحالفاتها مع الإمامية والغرب.

٥ - على مراكز البحوث والدراسات الإسلامية في أقطار العالم الإسلامي اليقظة والحذر من الاختراق الشيعي للطرق الصوفية والمجتمعات السنية، وذلك برصد الدراسات والتقارير الشيعية في هذا الشأن، ومواجهة خطرها بالطرق المناسبة.

٦ - الاهتمام بالدرسات الاستشراقية والغربية لبعض الفرق، وتحالفاتها معها، ومتابعة التقارير الصادرة عنها، وإعداد الدراسات البحثية والعلمية لمواجهتها.

٧ - أثارت موضوعات البحث التساؤل عن بعض التحولات المحمودة في صفوف الصوفية، بعد فشل محاولات التقارب مع الشيعة وإفلاسها.

٨ - محاربة التصوف الغالي ببعض المتصوفة المعتدلين.

٩ - العناية بالدعوة في صفوف الإمامية، والعناية بالمهتدين منهم ومن الصوفية.

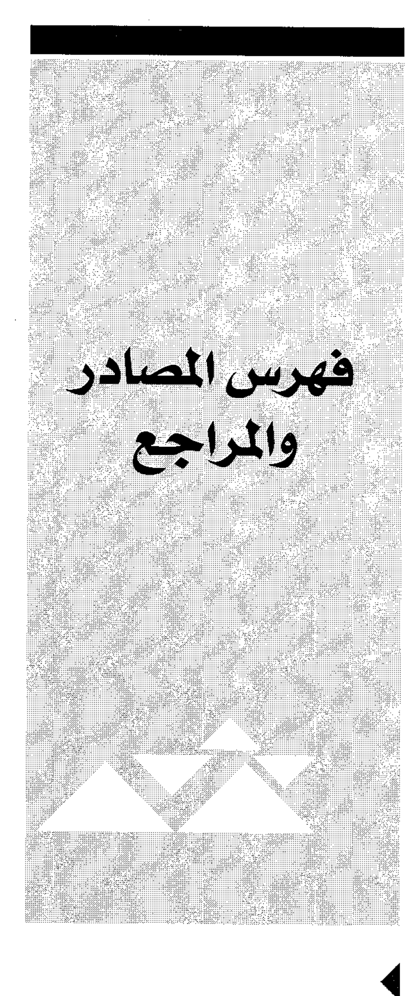
١٠ - إبراز تناقضات الصوفية والإمامية، والاهتمام بالردود العقلية عليهم.

١١ - تنشيط دور الإعلام الإسلامي لمعالجة المشكلات الفكرية التي تعتنقها بعض الفرق وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة وإصدار الكتب والنشرات والدوريات التي تنادي بتصحيح العقيدة وبعض المفاهيم الخاطئة عن الإسلام.

١٢ - العناية برصد وتقويم جهود أهل السنة والجماعة المعاصرين في مواجهة المد الإمامي، والمد الصوفي.

١٣ - الاهتمام بالدعوة إلى مذهب أهل السنة وخصوصاً في المواقع التي تنتشر فيها الدعوة الصوفية، والدعوة الإمامية.

١٤ - وفي الختام أسأل الله أن ينفع بهذا الجهد، ويبارك فيه، ويجعله عوناً على الثبات والاستزادة من منهاج القرآن والسنة. وأن يأخذ الله بنواصينا لما يحبه ويرضاه. إنه سميع قريب، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.


فهرس المصادر
والمراجع



قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الكتب والرسائل:

١	القرآن الكريم.
٢	أبجدية التصوف الإسلامي. محمد زكي إبراهيم. مؤسسة إحياء التراث الصوفي. القاهرة. ط ٥، ٢٠٠٤م.
٣	أبحاث في التصوف. عبد الحليم محمود. دار الكتاب اللبناني. بيروت. ط ٢، ١٩٨٥م.
٤	أبحاث في الفكر اليهودي.حسن ظاظا. دار القلم. دمشق. ط ١، ١٤٠٧هـ.
٥	الإبريز من كلام سيدي الغوث عبد العزيز الدباغ. أحمد بن المبارك. المطبعة العلمية. دمشق. ط ١، ١٤٠٤هـ.
٦	الأبنية الفكرية الجامعة لثوابت الطريقة العلوية الحسينية. أبو بكر المشهور العدني. طبع فرع الدراسات والمناهج وخدمة التراث. عدن. ط ١، ١٤٢٠هـ.
٧	الإبهاج في شرح المنهاج، للسبكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

٨	أبو الحسن الشاذلي. عبد الحليم محمود. المكتبة العصرية. القاهرة [د. ت].
٩	الاتجاه الاشراقي عند صدر الدين الشيرازي. سمية محمد محمود. رسالة ماجستير في كلية الآداب. جامعة عين شمس، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
١٠	الإثنا عشرية في الرد على الصوفية. الحر العاملي. دار الكتب العلمية. قم، ١٤٠٠هـ.
١١	إجابة الداعي في مناقب القطب الرفاعي. إبراهيم البرنزحي. المطبعة العامرة ببولاق مصر ١٣٠١هـ.
١٢	الاجتهاد أصوله وأحكامه. لمحمد بحر العلوم. دار الزهراء للطباعة والنشر. بيروت. ط١، ١٣٩٧هـ.
١٣	الاجتهاد التحقيقي. لمحمد رضا حكيمي. ترجمة: حيدر نجف، وخليل العصامي، تقديم: عبد الجبار الرفاعي. العراق، ١٤٢١هـ.
١٤	الاجتهاد والتقليد. للخوئي. مطبعة الصدر. نشر دار الهادي. قم. ط٣، ١٤١٠هـ.
١٥	الاجتهاد والفتوى. محيي الدين الموسوي الغريفي. دار التعارف. بيروت. ط ١، ١٣٩٨هـ.
١٦	الأجوبة الغالية في عقيدة الفرقة الناجية. زين العابدين العلوي. دار الفقيه. ط ١، ١٤١٩هـ.
١٧	الاحتجاج. لأبي منصور أحمد بن علي الطبرسي. تحقيق: محمد باقر الخرسان. دار النعمان للطباعة والنشر. النجف. [د. ت].
١٨	أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام. محمد بخيت المطيعي. طبع ونشر جمعية الأزهر العلمية. مصر. ط ٢، ١٣٥٨هـ.
١٩	إحقاق الحق. نور الله الشوشتري التستري. المطبعة المرتضوية. النجف، ١٢٧٣هـ.
٢٠	أحكام الشيعة. ميرزا حسن الإحقاقي الحائري. مكتبة الإمام جعفر الصادق. الكويت. ط ٣، ١٣٩٦هـ.
٢١	أحكام القرآن. لابن العربي. دار المعرفة. بيروت. ط ٢، ١٤١٤هـ.

٢٢	إحياء علوم الدين. للغزالي وبذيله كتاب المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، للعلامة زين الدين العراقي. دار الكتاب العربي. بيروت. [د. ت].
٢٣	أخبار الحلاج. بعناية: عبد الحفيظ مدني. مكتبة الجندي. مصر، ١٩٧٠م.
٢٤	اختيار معرفة الرجال، المعروف برجال الكشي. للطوسي. تحقيق: مير داماد، ومحمد باقر الحسيني، ومهدي الرجائي. مطبعة بعثت، نشر مؤسسة آل البيت. بقم، ١٤٠٤هـ.
٢٥	الأخلاق المتبولية. للشعراني. بتحقيق: منيع عبد الحليم محمود. مطبعة حسان. القاهرة. [د. ت].
٢٦	آداب المريدين. لأبي النجيب ضياء الدين السهروردي. تحقيق: فهيم محمد شلتوت دار الوطن العربي. القاهرة [د. ت].
٢٧	الآداب المعنوية للصلاة. الخميني بن مصطفى. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت. ط ٢، ١٤٠٦هـ.
٢٨	آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية عرض وتقويم في ضوء عقيدة السلف. محمد الشايع. مكتبة دار المناهج. ط ١، ١٤٢٧هـ.
٢٩	أربعة نصوص إسماعيلية. بتحقيق ماسينيون ط باريس. طبعة باريس.
٣٠	الأربعون حديثاً. للخميني. مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني. طهران، ١٤٢٤هـ.
٣١	الإرشاد. للمفيد. دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت [د. ت].
٣٢	إرشاد المسلمين لطريقة شيخ المتقين. أحمد الفاروثي. مطبعة محمد أفندي مصطفى. القاهرة، ١٣٠٧هـ.
٣٣	الأرض والتربة الحسينية. محمد حسين آل كاشف الغطاء. دار التعارف. بيروت [د. ت].
٣٤	الاستغاثة في الرد على البكري. لابن تيمية. تحقيق: عبدالله السهلي. دار الوطن. الرياض. ط ١، ١٤١٧هـ.
٣٥	الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة. لملا علي القاري. تحقيق: محمد الصباغ. المكتب الإسلامي. بيروت. ط ٢، ١٤٠٦هـ.

٣٦	الإسلام على ضوء التشيع. حسين الخراساني. بدون معلومات النشر.
٣٧	الإسلام فوق كل شيء. محمد الخالصي. مطبعة النجاح. بغداد، ١٣٧٨هـ.
٣٨	أصل الشيعة وأصولها. لجعفر آل كاشف الغطاء. تحقيق: علاء آل جعفر. مؤسسة الإمام علي. قم. ط١، ١٤١٥هـ.
٣٩	أصول البحث. لعبد الهادي الفضلي. مؤسسة دار الكتاب الإسلامي. قم [د. ت].
٤٠	الأصول العامة للفقه المقارن. لمحمد تقي الحكيم. مؤسسة آل البيت. النجف. ط ٢، ١٣٩٠هـ.
٤١	أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية. عائشة المناعي. دار الثقافة. الدوحة. ط ١، ١٤١٢هـ.
٤٢	أصول الفلسفة الإشراقية عند شهاب الدين السهروردي. لمحمد أبو ريان. دار المعرفة الإسلامية. مصر، ١٩٨٧م.
٤٣	أصول الكافي. للكليني. تحقيق: علي أكبر غفاري. مطبعة حيدري. نشر دار الكتب الإسلامية. طهران. ط ٣، ١٣٨٨هـ.
٤٤	أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية. ناصر القفاري. دار الرضا. الجيزة. ط ٣، ١٤١٨هـ.
٤٥	الأصوليون والأخباريون فرقة واحدة. لفرج العمران. المطبعة الحيدرية. النجف [د. ت].
٤٦	الاعتصام. لأبي إسحاق الشاطبي. تحقيق: محمود طعمة حلبي. دار المعرفة. بيروت. ط ١، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م.
٤٧	الاعتصام بحبل الله. محمد الخالصي. المطبعة العربية. بغداد، ١٣٧٤هـ.
٤٨	الأعلام. للزركلي. دار العلم للملايين. بيروت. الطبعة السادسة، ١٩٨٤م.
٤٩	أعلام التصحيح والاعتدال مناهجهم وآراؤهم. خالد البديوي. ط ١، ١٤٢٧هـ.

٥٠	إعلام الورى بأعلام الهدى. لأبي علي الطبرسي. مؤسسة آل البيت لإحياء التراث. مطبعة ستارة. قم. ط ١، ١٤١٧هـ.
٥١	أعيان الشيعة. لمحسن بن عبد الكريم الأمين. دار التعارف للمطبوعات. بيروت. ١٤٠٦هـ.
٥٢	اغتيال النبي ﷺ. نجاح الطائي. دار الهدى للتراث. بيروت. ط ١، ١٤١٩هـ.
٥٣	الإفهام والإفحام – أو قضايا الوسيلة والقبور. محمد زكي إبراهيم. منشورات العشيرة المحمدية. القاهرة. ط ٣، ١٤٠٣هـ.
٥٤	اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم. لابن تيمية. تحقيق: ناصر العقل. مكتبة الرشد. الرياض. ط ٣، ١٤١٣هـ.
٥٥	إكليل المنهج في تحقيق المطلب. محمد جعفر الخرساني. دار الحديث. قم [د. ت].
٥٦	آلاء الرحمن في تفسير القرآن. محمد جواد البلاغي. دار إحياء التراث العربي. بيروت [د. ت].
٥٧	الألوهية والعبودية في معتقد الرافضة. هجاد التيمي. دار المحدثين. مصر. ط ١، ٢٠٠٧م.
٥٨	إمام التصوف في مصر الشعراني. توفيق الطويل. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة [د. ت].
٥٩	الإمام الصادق. محمد أبو زهرة. دار الفكر العربي [د. ت].
٦٠	أمل الآمل. للحر العاملي. تحقيق: أحمد الحسيني. مطبعة الآداب. نشر مكتبة الأندلس. النجف، ١٤٠٤هـ.
٦١	الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين. علي بن بخيت الزهراني. دار طيبة. مكة المكرمة. الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
٦٢	الأنساب، للسمعاني، ت: عبد الله البارودي. دار الجنان. بيروت. ط١، ١٤٠٨هـ.
٦٣	الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر. عبد الكريم الجيلي. دار الفكر. بيروت. ط ٤، ١٣٩٥هـ.

٦٤	الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية. عبد الوهاب الشعراني. حققه وقدم له: طـه عبد الباقي سرور دار إحياء التراث العربي. بغداد [د. ت].
٦٥	الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة. لعبد الله شبر، مطبعة مكتبة الرضى بقم، نشر مؤسسة الوفـاء. بيروت. ط١، ١٤٠٣هـ.
٦٦	الأنوار النعمانية. لنعمة الله الجزائري. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت. ط٤، ١٤٠٤هـ.
٦٧	أهل البيت في مصر. عبد الحفيظ فرغلي. مطبعة الأنوار المحمدية. القاهرة [د. ت].
٦٨	أوائل المقالات. للمفيد. دار المفيد للطباعة والنشر. بيروت. ط٢، ١٤١٤هـ.
٦٩	أوجز الخطاب في بيان موقف الشيعة من الأصحاب. عبد القادر صوفي. شبكة الدفاع عن السنة [د. ت].
٧٠	الآيات البينات في قمع البدع والضلالات. محد حسين آل كاشف الغطاء. دار المرتضى. بيروت [د. ت].
٧١	إيقاظ الهمم بشرح حكم ابن عطاء الله السكندري. أبو العباس أحمد بن عجيبة. تحقيق: خليل المنصور. دار الكتب العلمية. بيروت. ط ١، ١٤١٧هـ.
٧٢	الإيمان حقيقته، أركانه، نواقضه. محمد نعيم ياسين. دار الإيمان. الإسكندرية [د. ت].
٧٣	بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار. لمحمد باقر المجلسي. مؤسسة الوفاء، بيروت. ط٢، ١٤٠٣هـ.
٧٤	بحر المعارف والأسرار من كلام الحكيم المتأله الحاج ملا هادي السبزواري. رضوان سعيد فقيه. دار المحجة البيضاء. بيروت. ط ١، ١٤٢٦هـ.
٧٥	بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية. محسن الخـرازي. مؤسسة النشر الإسلامي. قم. [د. ت].
٧٦	البداية والنهاية. الحافـظ ابن كثـير. تحقيق: عبد الله التركي، بالتعاون مع دار هجر. ط ١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

٧٧	البرهان المؤيد. للرفاعي. تحقيق: صلاح عزام. مطبعة الشعب. القاهرة [د. ت].
٧٨	البرهان في تفسير القرآن. لهاشم البحراني. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت. ط١، ١٤١٩هـ.
٧٩	بصائر الدرجات. لمحمد بن الحسن الصَّفار. تحقيق: ميرزا محسن كوجه باغي. مطبعة الأحمدي، نشر مؤسسة الأعلمي. طهران، ١٤٠٤هـ.
٨٠	بطلان عقائد الشيعة. محمد عبد الستار التونسوي. دار النشر الإسلامية العالمية. فيصل آباد- باكستان. [د. ت].
٨١	بغية المستفيد لشرح منية المريد. لمحمد العربي السماوي التجاني. مطبعة البابي الحلبي. القاهرة، ١٩٥٩م.
٨٢	بوارق الحقائق. محمد مهدي الرواسي الرفاعي الصيادي. مكتبة الجاح. ليبيا [د. ت].
٨٣	بيان الخديعة بوهم التقريب بين السنة والشيعة. حسين رياض. دار نور الدين. مصر. ط ١، ١٤٢٩هـ.
٨٤	البيان في تفسير القرآن. لأبي القاسم الخوئي. دار الزهراء. بيروت. ط٤، ١٣٩٥هـ.
٨٥	بين التصوف والتشيع. هاشم معروف الحسني. ط١. بيروت. دار القلم، ١٩٧٩م.
٨٦	تاج الأولياء والأولياء. علي زين العابدين. دار مكتبة الهلال. ط ١، ١٩٨٤م.
٨٧	تاريخ ابن خلدون. عبد الرحمن بن خلدون. طبع سنة ١٣٩١هـ.
٨٨	تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة. عبد الله فياض. مؤسسة الأعلمي. بيروت. ط ٣، ١٤٠٦هـ.
٨٩	تاريخ التصوّف في الإسلام. قاسم غني، ترجمة: صادق نشأت. مراجعة أحمد ناجي القيسي ومحمد مصطفى حلمي. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة، ١٩٧٠م.
٩٠	تاريخ الشعوب الإسلامية. كارل بروكلمان. ترجمة: نبيه فارس ومنير بعلبكي. دار العلم للملايين. بيروت. ط ٥، ١٩٦٨م.

٩١	تاريخ الفقه الإسلامي وأدواره. لجعفر السبحاني. تقديم: جعفر هادي الدجيلي، دار الأضواء. قم، ١٤١٩هـ.
٩٢	تاريخ الفلسفة الإسلامية. وضعه بالإنجليزية: ماجد فخري، ترجمه: كمال اليازجي. نشر الدار المتحدة للنشر. بيروت، ١٩٧٤م.
٩٣	تاريخ المذاهب الإسلامية. لمحمد أبو زهرة. دار عطوة للطباعة. نشر دار الفكر العربي. مصر، ١٩٨٩م.
٩٤	تاريخ النور السافر في أخبار القرن العاشر. عبد القادر شيخ العيدروس. دار الكتب العلمية. بيروت. ط ١، ١٤٠٥هـ.
٩٥	تاريخ حضرموت. صالح الحامد. مكتبة الإرشاد. صنعاء. ط ٢، ١٤٢٣هـ.
٩٦	تاريخ كربلاء. عبد الجواد آل طعمة. المطبعة الحيدرية. النجف. ط ٢، ١٣٨٧هـ.
٩٧	تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، لشرف الدين علي الحسيني الاسترابادي، مطبعة أمير، قم، ط١، ١٤٠٧هـ.
٩٨	التبشير بالتشيع. مصطفى الأزهري. ط ١، ١٤٢٤هـ.
٩٩	التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين أبي المظفر الأسفراييني، تحقيق: كمال يوسف الحوت. عالم الكتب. بيروت. ط ١، ١٤٠٣هـ.
١٠٠	التبيان في تفسير القرآن، لمحمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، نشر دار إحياء التراث العربي، قم، ط١، ١٤٠٩هـ.
١٠١	التبيان في تفسير القرآن. للطوسي. تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي. مكتبة الأمين. النجف [د. ت].
١٠٢	تجديد الفكر العربي. زكي نجيب محمود. دار الشروق. القاهرة، ٢٠٠٤م.
١٠٣	تحرير الوسيلة. الخميني. مطبعة الآداب. النجف. ط ٢، ١٣٩٠هـ.

١٠٤	تحقيق ما للهند من مقولة، مقبولة في العقل أو مرذولة. لأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني، ط٣، عالم الكتب ١٤٠٣هـ.
١٠٥	تراجم الرجال، لأحمد الحسيني، مطـــبعة صدر، نشر مكتبة آية الله المرعشي، قم، ١٤١٤هـ.
١٠٦	تربيتنا الروحية. سعيد حوى. مكتبة وهبة. القاهرة. ط ٤، ١٤١٢هـ.
١٠٧	ترياق المحبين. للواسطي. المطبعة البهية المصرية، ١٣٠٤هـ.
١٠٨	التشيع العلوي والتشيع الصفوي. علي شريعتي. ترجمة: حيدر مجيد. دار الأمير. بيروت. ط ١، ١٤٢٢هـ.
١٠٩	التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي. محمد البنداري. دار عمان. الأردن. ط ١، ١٤٠٨هـ.
١١٠	التشيع والتصوف لقاء أم افتراق. إنعام أحمد قدوم. لبنان. مركز جواد، ١٩٩٣م.
١١١	تصحيح الدعاء. بكر أبو زيد. دار العاصمة. الرياض. ط ١، ١٤١٩هـ.
١١٢	التصوف الإسلامي. حسن عاصي مؤسسة عز الدين للطباعة. ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
١١٣	التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، لزكي مبارك، مطبعة الاعتماد، مصر، ط١، ١٣٥٧هـ.
١١٤	التصوف المنشأ والمصدر. إحسان إلهي ظهير. دار ترجمان السنة. لاهور. ط ١، ١٤٠٦هـ.
١١٥	التصوف بين التمكين والمواجهة. محمد المفدى. منشورات موقع الصوفية.
١١٦	التصوف بين الحق والخلق، محمد فهر شقفة. الدار السلفية للنشر والتوزيع. ط ٣، بدون تاريخ الطبع.
١١٧	التصوف في البداية والتطرف في النهاية. حسين الرجا. مؤسسة الفكر الإسلامي. بيروت. ط ١، ١٤٢٤هـ.
١١٨	التصوف منشؤه ومصطلحاته. أسعد السحمراني، ط١ لبنان: بيروت دار النفائس، ١٤٠٧هـ.
١١٩	تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه. أحمد الكاتب. دار الجديد. بيروت. ط ١، ١٩٩٨م.

١٢٠	التعرف لمذهب أهل التصوف. لأبي بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي. دار الإيمان. دمشق. ط١، ١٤٠٧هـ.
١٢١	التعريفات. لعلي بن محمد الجرجاني. دار الكتاب العربي. بيروت، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
١٢٢	التعليقة على الفوائد الرضوية. سعيد القمي. بدون معلومات النشر.
١٢٣	تفسير ابن عربي، لابن عربي، ضبطه وصححه وقدم له: عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العربية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
١٢٤	تفسير الصافي، للكاشاني، تحقيق: حسين الأعلمي، مطبعة مؤسسة الهادي بقم، ونشر مكتبة الصدر بطهران، ط٢، ١٤١٦هـ.
١٢٥	تفسير العياشي، للعياشي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
١٢٦	تفسير فرات الكوفي، للكوفي، تحقيق: محمد الكاظم، المطبعة التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ط١، ١٤١٠هـ.
١٢٧	تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي. محمد أحمد لوح. دار ابن عفان. القاهرة. ط ١. ١٤٢٢هـ.
١٢٨	تقريب التهذيب، لابن حجر، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ.
١٢٩	التقريب بين أهل السنة والشيعة ما له وما عليه. أحمد سيد أحمد علي. دار اليقين. مصر. ط ١، ١٤٢٩هـ.
١٣٠	التقليد في الشريعة الإسلامية، لعز الدين بحر العلوم، دار الزهراء للطباعة النشر والتوزيع، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ.
١٣١	تكملة أمل الآمل، لحسن الصدر، تحقيق: أحمد الحسيني، مطبعة الخيام، نشر مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم، ١٤٠٦هـ.
١٣٢	تلبيس إبليس، عبدالرحمن بن الجوزي، تحقيق السيد الجميلي. دار الكتاب العربي. بيروت. ط ٦، ١٤١٣هـ.

١٣٣	تلخيص عقائد الشيعة ومقارنتها بعقائد الصوفية. عبد الله المشيرفي. دار المحدثين. القاهرة، ٢٠٠٣م.
١٣٤	التليد الطارف شرح منظومة التحولات وسنة المواقف. أبو بكر المشهور العدني. مركز الإبداع للدراسات وخدمة التراث. عدن. ط ٢، ١٤٢٤هـ.
١٣٥	التمهيد في أصول الدين. لأبي المعين النسفي. تحقيق: عبد الحي قابيل. دار الثقافة. القاهرة، ١٤٠٧هـ.
١٣٦	تناقض أهل الأهواء والبدع، لعفاف بنت حسن مختار، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٢١هـ.
١٣٧	تنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار. صالح السحيمي. دار ابن حزم. الرياض. ط ١، ١٤١٠هـ.
١٣٨	التنبيهات المختصرة على بعد ومخالفة الشيعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأهل بيته البررة. محمد المصنعي. مكتبة الرضوان. القاهرة. ط ١، ١٤١٩هـ.
١٣٩	تنقيح المقال. عبد الله المامقاني. المطبعة المرتضوية. النجف، ١٣٤٨هـ.
١٤٠	تهذيب الأصول تقريرات أبحاث السيد الإمام الخميني. جعفر السبحاني. بدون معلومات النشر.
١٤١	تهذيب التهذيب، لابن حجر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ.
١٤٢	تهذيب اللغة. لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري. تحقيق: أحمد عبدالحليم البردوني. الدار المصرية للتأليف والترجمة. القاهرة [د. ت].
١٤٣	التوحيد عند الشيعة، للخميني، مركز باء للدراسات، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
١٤٤	التوحيد والشرك في القرآن الكريم. جعفر السبحاني. دار الولاء. بيروت. ط ٢، ١٤٢٥هـ.
١٤٥	التوسل ركن الإيمان والعبادة. حسن العالي. مكتبة فخراوي. المنامة. ط ١، ١٤٢٧هـ.
١٤٦	تيسير العزيز الحميد، سليمان بن عبدالله بن عبدالوهاب. المكتب الإسلامي. بيروت. ط ٥، ١٤٠٢هـ.

١٤٧	ثوابت ومتغيرات الحوزة العلمية، لجعفر الباقري، دار الصفوة، بيروت، ١٩٩٤م.
١٤٨	جامع أحاديث الشيعة. آقا حسين الطباطبائي البروجردي. المطبعة العلمية. قم، ١٣٩٩هـ.
١٤٩	جامع الأصول في الأولياء للكمشخاوي. المطبعة الوهيبية. طرابلس ١٣٩٨هـ.
١٥٠	جامع كرامات الأولياء. يوسف النبهاني. تحقيق: إبراهيم عطوه. المكتبة الثقافية. بيروت، ١٤٠٨هـ.
١٥١	الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، دار الريان للتراث، مصر.
١٥٢	جمهرة الأولياء. محمد المنوفي الحسيني. مؤسسة الحلبي. القاهرة. ط ١، ١٣٨٧هـ.
١٥٣	جمهرة اللغة. محمد بن الحسن بن دريد. دار صادر. بيروت [د. ت].
١٥٤	الجهاد الأكبر أو جهاد النفس، للخميني، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، طهران، ط٣، ٢٠٠٣م.
١٥٥	جواهر المعاني في فيض أبي العباس التيجاني. علي حرازم برادة. دار الكتاب العربي. بيروت. ط ٢، ١٣٩٢هـ.
١٥٦	حالة أهل الحقيقة، أحمد الرفاعي، جمع أبي شجاع بن منجح الواسطي، تقديم وتعليق محمد بخيت خياطة، نشر وتوزيع مكتبة ربيع، حلب، ١٣٨٢هـ.
١٥٧	الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، ليوسف البحراني، تحقيق: محمد تقي الايرواني، وفهرسة: يوسف البقاعي، دار الأضواء للطباعة والنشر، بيروت، ط٣، ١٤١٣هـ.
١٥٨	حديقة الشيعة. المنسوب إلى المقدس الأردبيلي. طهران [د. ت].
١٥٩	حزب الله وسقط القناع. أحمد فهمي. كتاب صادر عن مجلة البيان. ط ١، ١٤٢٨هـ.
١٦٠	حضرة باسودان. عبد الله بن أحمد با سودان. مكتبة تريم الحديثة. حضرموت.[د. ت].
١٦١	حق اليقين في معرفة أصول الدين. عبد الله شبر. دار الأضواء. بيروت. ط ١، ١٤٠٤هـ.
١٦٢	حقائق الإيمان، للشهيد الثاني، تحقيق: مهدي رجائي، إشراف: محمود المرعشي، مطبعة سيد الشهداء، نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة، قم، ط١، ١٤٠٩هـ.

١٦٣	حقيقة الجفر عند الشيعة. أكرم بركات. دار الصفوة. بيروت. ط ٤، ١٤٢٨هـ.
١٦٤	حقيقة المقاومة. عبد المنعم شفيق. بدون اسم دار النشر. ط ١، ١٤٠٧هـ.
١٦٥	الحكومة الإسلامية. الخميني بن مصطفى. مطابع صوت الخليج. الكويت [د. ت].
١٦٦	حلال المشاكل. دار الإرشاد. بيروت. ط ٢، ١٤٢٨هـ.
١٦٧	حياة ابن أبي عقيل العماني وفقهه. مركز المعجم الفقهي في الحوزة العلمية. قم. ط١، ١٤١٣هـ.
١٦٨	ختم الأولياء، محمد بن علي الترمذي، تحقيق عثمان إسماعيل يحيى. المطبعة الكاثوليكية. بيروت، ١٩٦٥م.
١٦٩	الختمية العقيدة والتاريخ والمنهج. محمد أحمد حامد. دار المأمون. الخرطوم. ط ٢، ١٤٠٧هـ.
١٧٠	الخصال، للصدوق، تحقيق: علي أكبر الغفاري، نشر جماعة المدرسين في الحوزة العلمية. قم.
١٧١	الخطط المقريزية، المسمى: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي. تحقيق: محمد زينهم، ومديحة الشرقاوي. مكتبة مدبولي. القاهرة. ط ١، ١٩٩٧م.
١٧٢	الخميني والدولة الإسلامية. محمد جواد مغنية. دار العلم للملايين. بيروت. ط ١، ١٩٧٩م.
١٧٣	خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية. محمود محمد عبد الرحمن. دار الإيمان. الإسكندرية. ط ١، ٢٠٠٩م.
١٧٤	دائرة المعارف الإسلامية. مجموعة من المستشرقين. ترجمة: أحمد الشنتاوي، وإبراهيم خورشيد. دار المعرفة. بيروت [د. ت].
١٧٥	دائرة المعارف الشيعية. للأمين. دار التعارف للمطبوعات. بيروت. ط ٥، ١٤١٥هـ.
١٧٦	دائرة المعارف العلوية. حسن المين. دار التعارف. بيروت. ط ٢، ١٣٩٣هـ.
١٧٧	الدر المنضود في أحكام الحدود. علي الكريمي الجهرمي. دار القرآن الكريم. قم. ط ١، ١٤١٢هـ.
١٧٨	دراسات في الحديث والمحدثين، لهاشم معروف الحسيني، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ط٢، ١٣٩٨هـ.

١٧٩	دراسات في علم الدراية تلخيص مقباس الهداية للمامقاني، تلخيص: علي أكبر غفاري، جامعة الإمام الصادق، إيران، ١٣٦٩هـ.
١٨٠	الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، لعلي خان الشيرازي، مكتبة بصيرتي، قم، ط٢، ١٣٩٧هـ.
١٨١	درر الغواص على فتاوى سيدي علي الخواص. عبد الوهاب الشعراني. المطبعة الأزهرية. مصر. ط ١، ١٣٠٦هـ.
١٨٢	الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية، ليوسف البحراني، شركة دار المصطفى لإحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.
١٨٣	دروس في أصول فقه الإمامية، لعبد الهادي الفضلي، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، قم، ط ١، ١٤٢٠هـ.
١٨٤	الدعوة السلفية بين الطرق الصوفية والدعاوى الصحفية. علي بن حسن بن عبد الحميد. الدار الأثرية. عمان. ط ١، ١٤٣٠هـ.
١٨٥	دفاع عن السنة. محمد محمد أبو شهبة. مجمع البحوث الإسلامية. القاهرة، ١٩٩٩م.
١٨٦	الدلائل العالية أسئلة وأجوبة في التصوف وطريقة السادة النقشبندية. محمد نجم الكردي. دار السعادة. ط ١، ١٤٢٩هـ.
١٨٧	الدليل القويم. الحافظ العبدري. بيروت، ١٣٩٧هـ.
١٨٨	ديوان ابن الفارض. عمر بن أبي الحسين بن مرشد. مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة، ١٣٩٩هـ.
١٨٩	ديوان الحقائق. عبد الغني النابلسي. دار الجيل. بيروت، طبعة مصورة عن دار الطباعة الباهرة. القاهرة، ١٢٧٠هـ.
١٩٠	ديوان شعراء الحسين. نشره: محمد باقر الأرواني. طبعة طهران، ١٣٧٤هـ.

١٩١	ديوان مجمع الغرائب المتفرقات. محمد عثمان الميرغني. مطبعة مصطفى البابي الحلبي. مصر، ١٣٥٥هـ.
١٩٢	ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق. لابن عربي. مكتبة الكليات الأزهرية. القاهرة [د. ت].
١٩٣	الذريعة إلى تصانيف الشيعة، للآقا بزرك الطهراني، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.
١٩٤	الرافضة والوهابية. محمد رشيد رضا. تحقيق: عبد الرحمن الفريواني. مكتبة النافذة. القاهرة. ط ١، ٢٠٠٨م.
١٩٥	رجال الطوسي، للطوسي، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤١٥ هـ.
١٩٦	رحلات السيد محسن الأمين. محسن الأمين. الغدير للدراسات والنشر. بيروت. ط١، ١٤٢٢هـ.
١٩٧	الرد على الأخنائي، لابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، المطبعة السلفية، القاهرة.
١٩٨	الرسائل الميرغنية في آداب الطريقة الختمية. مطبعة مصطفى البابي الحلبي. مصر. ط٢، ١٣٩٩هـ.
١٩٩	رسالة الإيمان. ميرزا حسن الحائري الإحقاقي. مكتبة الصادق. الكويت. ط ٢، ١٤١٢هـ.
٢٠٠	رسالة التنزيه لأعمال الشبيه. محسن الأمين. مطبعة العرفان. صيدا. ط ١، ١٣٤٧هـ.
٢٠١	الرسالة القشيرية في علم التصوّف. عبدالكريم بن هوزان القشيري.
٢٠٢	عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف. دار الشعب. القاهرة، ١٤٠٩هـ.
٢٠٣	رسالة في الرد على الرافضة، لمحمد بن عبد الوهاب، تحقيق: ناصر بن سعد الرشيد، مركز البحث العلمي وإحياء التراث، مكة المكرمة، ط٢ ١٤٠٠هـ.
٢٠٤	رماح حزب الرحيم على نحو حزب الرجيم، بهامش جواهر المعاني. عمر الفوقي. دار الجيل. بيروت، ١٤٠٨هـ.

٢٠٥	الروض الأغن في معرفة المؤلفين ومصنفاتهم في كل فن. عبد الملك حميد الدين. دار الحارثي. الطائف. ط ١، ١٤١٥هـ.
٢٠٦	روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، لمحمد باقر الخوانساري، الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ.
٢٠٧	روضة الناظرين. للوتري. المطبعة الخيرية. مصر، ١٣٠٦هـ.
٢٠٨	رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين، لعلي خان المدني الشيرازي، تحقيق: محسن الحسيني الأميني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط٤، ١٤١٥هـ.
٢٠٩	رياض العلماء وحياض الفضلاء. عبد الله أفندي الأصبهاني. مطبعة الخيام. قم، ١٤٠١هـ.
٢١٠	زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر. دمشق، ط١، ١٣٨٤هـ.
٢١١	سر الصلاة، للخميني، بتعريب وتعليق: أحمد الفهري طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٨٥ م.
٢١٢	سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار. عباس القمي. مؤسسة الوفاء. بيروت [د. ت].
٢١٣	سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٥هـ.
٢١٤	سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، للألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.
٢١٥	السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، لمصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥ هـ.
٢١٦	سنن ابن ماجة. عناية: خليل مأمون شيحا. دار المعرفة. بيروت. ط ٢، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
٢١٧	سنن أبو داود، لأبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.
٢١٨	سنن الترمذي، للترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث، بيروت.

٢١٩	السنن الكبرى، للنسائي. تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري. دار الكتب العلمية. بيروت. ط١، ١٤١١ - ١٩٩١.
٢٢٠	سيدي أحمد الدردير. عبد الحليم محمود. دار المعارف. القاهرة. ط ٤، بدون تاريخ الطبع.
٢٢١	سير أعلام النبلاء. الذهبي. حققه عدد من الباحثين. خرج أحاديثه وأشرف عليه: شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
٢٢٢	الشافي في شرح أصول الكافي. عبد الحسين بن عبد الله المظفر. مطبعة الغري. النجف. ط ٢، ١٣٩٨هـ.
٢٢٣	شجرة طوبى. محمد مهدي الحائري. المكتبة الحيدرية. النجف. ط ٥، ١٣٨٥هـ.
٢٢٤	شذرات الذهب. لأبي العماد الحنبلي. دار المسيرة. بيروت. الطبعة الثانية. ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
٢٢٥	الشر الذي اقترب، سيد العفاني. دار العفاني. ط ٢، ١٤٣٠هـ.
٢٢٦	شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة. أبو القاسم اللالكائي. تحقيق: أحمد سعد حمدان. دار طيبة. الرياض. [د. ت].
٢٢٧	شرح أصول الكافي، لمحمد صالح المازندراني، نشر مركز المعجم الفقهي، قم.
٢٢٨	شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، للنعمان المغربي، تحقيق: محمد الحسيني الجلالي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم.
٢٢٩	شرح البداية في علم الدراية، لزين الدين العاملي المعروف بالشهيد الثاني، تحقيق: محمد رضا الحسيني الجلالي، مطبعة النهضة، نشر منشورات الفيروزآبادي، قم، ط١، ١٤١٤هـ.
٢٣٠	شرح الطحاوية في العقيدة السلفية. علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي. تحقيق: أحمد محمد شاكر. وكالة الطباعة بالرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء.. الرياض. الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
٢٣١	شرح العقائد النسفية بحاشية عبد العزيز الدهلوي. المكتبة الإمدادية. الهند [د. ت].

٢٣٢	شرح العقيدة الواسطية. محمد خليل هراس. مطابع الجامعة. المدينة. ط ٤، بدون تاريخ الطبع.
٢٣٣	شرح اللمعة المعروف بـ " الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية ". زين الدين العاملي (الشهيد الثاني). تحقيق: محمد كلانتر. جامعة النجف الدينية. ط ٢، ١٣٩٨هـ.
٢٣٤	شرح المواقف. للشريف الجرجاني. مطبعة السعادة. القاهرة. ط ١، ١٣٢٥هـ.
٢٣٥	شرح دعاء السحر، للخميني، تعريب وتقديم: أحمد الفهري، دار الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ.
٢٣٦	شرح رسالة الحقوق، المنسوبة للإمام علي زين العابدين، مؤسسة إسماعليان للطباعة والنشر، قم، ط٢، ١٤٠٦هـ.
٢٣٧	شرح فصوص الحكم. محمد داود قيصري رومي. تحقيق: سيد جلال الدين آشتياني. شركة انتشارات علمي. طهران. ط١، ١٣٧٥هـ.
٢٣٨	شرح فصوص الحكم. عبد الرزاق القاشاني. مطبعة مصطفى البابي الحلبي. مصر. ط٣، ١٤٠٧هـ.
٢٣٩	شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة منشورات مكتبة المرعشي النجفي، نشر دار إحياء الكتب العربية، قم، ١٤٠٤هـ.
٢٤٠	الشعائر الحسينية. حسن الشيرازي. دار الصادق. بيروت [د. ت].
٢٤١	شفاء السائل لتهذيب المسائل، ابن خلـــدون، تحقيق ودراسة محمد بن تاويت الطنجي. اسطنبول، ١٩٥٧م.
٢٤٢	شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق. يوسف النبهاني. مطبعة مصطفى البابي الحلبي. مصر [د. ت].
٢٤٣	الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة. هاشم معروف الحسيني. دار القلم. بيروت. ط ١، ١٩٧٨م.
٢٤٤	الشيعة شعب الله المختار. إيهاب كمال محمد. الحرية للنشر والتوزيع [د. ت].
٢٤٥	الشيعة في الإسلام، لمحمد حسين الطباطبائي، ترجمة: جعفر بهاء الدين، نشر مركز المعجم الفقهي ومركز المصطفى للدراسات الإسلامية بقم.

٢٤٦	الشيعة في الميزان. محمد جواد مغنية. دار الجود. بيروت. ط ٦، ١٤٠٦هـ.
٢٤٧	الشيعة في شمال أفريقيا. جاسم عثمان مرغي. مؤسسة البلاغ. بيروت. ط ١، ١٤٢٥هـ.
٢٤٨	الشيعة في عقائدهم وأحكامهم أحمد محمد الكاظمي القزويني. دار الزهراء. بيروت. ط ٣، ١٣٩٧هـ.
٢٤٩	الشيعة في مصر. جاسم عثمان مرغي مؤسسة البلاغ. بيروت. ط ١، ١٤٢٣هـ.
٢٥٠	الشيعة في مصر من الإمام علي حتى الإمام الخميني. صالح الورداني. القاهرة. مكتبة مدبولي الصغير [د. ت].
٢٥١	الشيعة والحاكمون. محمد جواد مغنية. دار التعارف. بيروت [د. ت].
٢٥٢	الشيعة والتشيع. محمد الحسيني الشيرازي. دار صادق. بيروت. ط ١، ١٤٢٢هـ.
٢٥٣	الشيعة والتصحيح، الصراع بين الشيعة والتشيع، لموسى الموسوي، مكتبة علي بن عبد العزيز علي الشبل، المدينة المنورة.
٢٥٤	الشيعة والتوحيد. حافظ موسى عامر. مكتبة الإمام البخاري. مصر. ط ١، ١٤٢٨هـ.
٢٥٥	الشيعة والسنة. لإحسان إلهي ظهير. إدارة ترجمان السنة. لاهور. ط ٢٤، ١٤٠٤هـ.
٢٥٦	الصحابة، لعلي الميلاني، مركز الأبحاث العقائدية، قم، ط١، ١٤٢١هـ.
٢٥٧	الصحاح، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ.
٢٥٨	صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر. ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي. إخراج وتصحيح: محب الدين الخطيب. دار الريان. القاهرة. الطبعة الثانية، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨م.
٢٥٩	صحيح مسلم بشرح النووي. عناية مجموعة من المختصين بإشراف: علي عبد الحميد أبو الخير. دار الخير. بيروت. الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
٢٦٠	الصحيفة السجادية، المنسوبة للإمام علي زين العابدين. دار المرتضى للطباعة والنشر. بيروت. ط١، ١٤١٩هـ.

٢٦١	الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم، لزين الدين العاملي، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، نشر المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، العراق، ط١، ١٣٨٤هـ.
٢٦٢	صراع المصالح في بلاد الرافدين. أحمد فهمي. منشورات مجلة البيان.
٢٦٣	صفوة التصوّف. محمد بن طاهر المقدسي. مراجعة وتدقيق: أحمد الشرباصي. مطبعة دار التأليف. مصر [د. ت].
٢٦٤	الصلة بين التصوف والتشيع. كامل مصطفى الشيبي. ط٣. بيروت. دار الأندلس، ١٩٨٢م.
٢٦٥	الصوارم المهرقة في نقض الصواعق المحرقة. للتستري. شركة سهامي. إيران. ط١، ١٣٦٧هـ.
٢٦٦	الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة. أحمد بن حجر الهيتمي. دار الكتب العلمية. بيروت [د. ت].
٢٦٧	صورتان متضادتان عند أهل السنة والشيعة الإمامية. أبو الحسن الندوي. بدون معلومات النشر.
٢٦٨	الصوفية في تهامة اليمن. عبد الله المصلح. دار الصفوة. القاهرة. ط ١، ١٤٢٧هـ.
٢٦٩	الصوفية في حضرموت. أمين السعدي. دار التوحيد. الرياض. ط ١، ١٤٢٩هـ.
٢٧٠	الصوفية معتقداً ومسلكاً، صابر طعيمة. دار عالم الكتب للنشر والتوزيع. الرياض. ط ٢، ١٤٠٦هـ.
٢٧١	الصوفية والفقراء. ابن تيمية، تقديم: محمد جميل غازي، (جدة: مكتبة المدني ومطبعتها).
٢٧٢	ضحى الإسلام. أحمد أمين. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة. الطبعة الثامنة. [د. ت].
٢٧٣	الضعفاء والمتروكين، للنسائي، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، ط١، ١٣٦٩هـ.
٢٧٤	طائفة الختمية أصولها التاريخية وأهم تعاليمها. أحمد محمد جلي. ط ١. بيروت. دار خضر، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
٢٧٥	طبقات الأولياء لابن الملقن، سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد، حققه وخرجه نور الدين شريبة.. دار المعرفة. بيروت. ط ٢، ١٤٠٦هـ.
٢٧٦	طبقات الصوفية، لأبي عبد الرحمن السلمي، تحقيق نور الدين شريبة، دار الخانجي. القاهرة. ط ٣، ١٤٠٦هـ.

٢٧٧	الطبقات الكبرى. لأبي المواهب عبد الوهاب المعروف بالشعراني، دار الفكر للكباعة والنشر والتوزيع،
٢٧٨	طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال. لعلي أصغر الجابلقي المعروف بالبروجردي. تحقيق: مهدي الرجائي. مطبعة بهمن، نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي. قم. ط١، ١٤١٠هـ.
٢٧٩	الطرق الصوفية ظروف النشأة وطبيعة الدور. ممدوح الزوبي. الأهالي للطباعة والنشر. دمشق. ط ١، ٢٠٠٤م.
٢٨٠	الطرق الصوفية في مصر. أبو الوفاء التفتازاني. مطبعة الأمانة. القاهرة، ١٤١٢هـ.
٢٨١	الطرق الصوفية في مصر. زكريا بيومي. دار الهجرة. القاهرة. ط ١، ١٤١٢هـ.
٢٨٢	الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها. عامر النجار. دار المعارف. القاهرة. ط ٥، بدون تاريخ الطبع.
٢٨٣	الطرق الصوفية نـشأتها وعقائدها وآثارها. عبد الله السهلي. كنوز أشبيليا. الرياض. ط ١، ١٤٢٦هـ.
٢٨٤	الطريقة الختمية في السودان. طارق أحمد عثمان. أفريقيا العالمية. ط ١، ١٤١٨هـ.
٢٨٥	الطريقة الرفاعية. عبد الرحمن دمشقية. مكتبة الرضوان. القاهرة. ط ١، ١٤٢٩هـ.
٢٨٦	الطواسين. الحسين بن منصور الحلاج. مطبوع ضمن أخبار الحلاج.
٢٨٧	ظاهرة التكفير في الفكر الإسلامي. مالك مصطفى العاملي. دار الهادي. بيروت. ط١، ١٤٢٨هـ.
٢٨٨	العبر في خبر من غبر، للذهبي، حققه وضبطه أبو طاهر محمد السعيد بن بسيوني زغلول. دار الكتب العلمية. بيروت. ط ١، ١٤٠٥هـ.
٢٨٩	عجائب الآثار في التراجم والأخبار. عبد الرحمن الجبرتي. دار الجيل. بيروت. ط٢، بدون تاريخ الطبع.
٢٩٠	العرفان الإسلامي بين نظريات البشر وبصائر الوحي. محمد تقي المدرسي. دار البيان العربي. بيروت. ط ٣، ١٤١٢هـ.

٢٩١	العرفان الشيعي. خليل رزق. دار الهادي. بيروت. ط ١، ١٤٢٩هـ.
٢٩٢	عقائد الإمامية، محمد رضا مظفر، تحقيق وتعليق: تقديم: حامد حنفي داود، مطبعة بهمن، انتشارات أنصاريان للطباعة والنشر، قم.
٢٩٣	عقائد الإمامية الإثني عشرية. إبراهيم الزنجاني. مؤسسة الوفاء. بيروت، ١٤٠٢هـ.
٢٩٤	العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت، لجعفر السبحاني، ترجمة: جعفر هادي، الوكالة العالمية للتوزيع، بيروت.
٢٩٥	عقيدة الشيعة في أصحاب رسول الله ﷺ وأهل السنة. دندل جبر. دار عمار. عمان. ط ١، ١٤٢٩هـ.
٢٩٦	عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية. أحمد القصير. مكتبة الرشد. الرياض. ط ١، ١٤٢٤هـ.
٢٩٧	العلاقة بين التشيع والتصوف. فلاح إسماعيل أحمد. رسالة دكتوراه بالجامعة الإسلامية. المدينة النبوية (غير مطبوعة)، ١٤١١هـ.
٢٩٨	علل الشرائع، للصدوق، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٨٦هـ.
٢٩٩	علم اليقين من تاريخ الرافضة المشين. يونس العلي. مكتبة غرناطة. ط ١، ١٤٢٧هـ.
٣٠٠	علماء الشيعة يقولون.. وثائق مصورة. إعداد مركز إحياء تراث آل البيت. بدون معلومات النشر.
٣٠١	علي ومناوئوه. نوري جعفر. مؤسسة الوفاء. بيروت، ١٤٠٢هـ.
٣٠٢	عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب لجمال الدين بن عنبة الحسني. المطبعة الحيدرية. النجف. ط ٢، ١٣٨٠هـ.
٣٠٣	عوارف المعارف. عبد القاهر بن عبد الله السهروردي، ملحق بكتاب الإحياء. دار إحياء التراث العربي. بيروت [د. ت].
٣٠٤	عوالي اللآلئ العزيزية في الأحاديث الدينية. لابن أبي جمهور. تحقيق: مجتبى العراقي. مطبعة سيد الشهداء. قم. ط١، ١٤٠٣ هـ.
٣٠٥	عين الحياة للمجلسي. انتشارات قائم. طهران [د. ت].

٣٠٦	عيون أخبار الرضا، للصدوق. تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت. ط١، ١٤٠٤هـ.
٣٠٧	غاية الأماني في الرد على النبهاني. محمود شكري الألوسي. مطبعة الرياض. ط ٢، ١٣٩١هـ.
٣٠٨	غاية التبجيل وترك القطع في التفضيل. سعيد بن محمد المصري. دار الفقيه. أبوظبي.
٣٠٩	الغيبة. للطوسي. تحقيق: عباد الله الطهراني وعلي أحمد ناصح. مطبعة بهمن، نشر مؤسسة المعارف الإسلامية. قم. ط ١، ١٤١١هـ.
٣١٠	الغيبة. للنعماني. تحقيق: علي أكبر الغفاري. مكتبة الصدوق. طهران [د. ت].
٣١١	غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية للنفزي الرندي. تحقيق: عبد الحليم محمود، ومحمود الشريف. مطبعة السعادة. مصر. ط ١، ١٩٧٠م.
٣١٢	الفاضح لمذهب الشيعة الإمامية. حامد الإدريسي. مكتبة الرضوان. القاهرة. ط ١، ١٤٢٨هـ.
٣١٣	الفتاوى الحديثية. ابن حجر الهيتمي وبهامشه كتاب الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة. دار الفكر. بيروت [د. ت].
٣١٤	الفتح الرباني والفيض الرحماني. عبدالقادر الجيلاني. دار الكتب العلمية. بيروت، ١٤١٨هـ.
٣١٥	الفتح المبين فيما يتعلق بترياق المحبين. لأبي المظفر القادري. المطبعة الخيرية. مصر. ط ١، ١٣٠٦هـ.
٣١٦	الفتنة الخمينية. محمد آزاد. مطبعة عبير الكتاب. مصر. ط ١، ١٣٩٨هـ.
٣١٧	الفتوحات الإلهية لابن عجيبة الحسني. عالم الفكر. القاهرة، ١٩٨٣م.
٣١٨	الفتوحات المكية. ابن عربي. دار الكتب العربية الكبرى. القاهرة، ١٣٢٩هـ.
٣١٩	فجر الإسلام. أحمد أمين. دار الكتاب العربي. بيروت. ط ١٠، ١٩٦٩م.
٣٢٠	فرق الشيعة، للنوبختي، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، نشر المكتبة المرتضوية، النجف، ١٣٥٥هـ.
٣٢١	الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان. لابن تيمية. مطبعة معارف. لاهور، ١٣٩٧هـ.

٣٢٢	فصل الخطاب في تحريف كلام رب الأرباب، للنوري الطبرسي، مخطوط رقم (٤٥٠٩٣) المكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.
٣٢٣	فصوص الحكم لابن عربي، تعليق أبو العلاء عفيفي، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٦٥هـ.
٣٢٤	فصوص الحكم. لابن عربي. تعليق: الخميني مصطفى. دار المحجة البيضاء. بيروت. ط ١، ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م.
٣٢٥	الفصول المهمة في أصول الأئمة. للحر العاملي. تحقيق: محمد بن محمد حسين القائيني. مطبعة نكين، ونشر مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا. قم. ط١، ١٤١٨هـ.
٣٢٦	فصول في أديان الهند. محمد ضياء الأعظمي. دار البخاري. المدينة. ط ١، ١٤١٧هـ.
٣٢٧	الفضائل والرذائل الأخلاقية والتأمل في الآيات الإلهية. المظاهري. مركز المعجم الفقهي، ومركز المصطفى للدراسات الإسلامية، بقم [د. ت].
٣٢٨	فقة الشيعة الإمامية ومواضع الخلاف بينه وبين المذاهب الأربعة. علي السالوس. مكتبة ابن تيمية. الكويت. ط ١، ١٣٩٨هـ.
٣٢٩	الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي. محمد البهي. مصر. ط ٩، ١٩٨١م.
٣٣٠	الفكر التربوي الإمامي – إيران نموذجاً – حسان عبد الله حسان. مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي. بيروت. ط ١، ٢٠٠٨م.
٣٣١	الفكر السلفي عند الشيعة الإثني عشرية. لعلي حسين الجابري. منشورات عويدات. بيروت. ط١، ١٩٧٧م.
٣٣٢	الفكر السياسي الإسلامي المعاصر. حميد عنايت، ترجمة: إبراهيم الدسوقي شتا. مكتبة مدبولي. القاهرة، ١٩٨٨م.
٣٣٣	الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري، لمصطفى كامل الشيبي، مكتبة النهضة، بغداد، ط١، ١٣٨٦هـ.
٣٣٤	الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة. عبد الرحمن عبد الخالق. مكتبة ابن تيمية. الكويت. ط ٣، ١٤١٦هـ.

٣٣٥	الفكر والمجتمع في حضرموت. كرامة مبارك با مؤمن. ط ١، بدون تاريخ الطبعة.
٣٣٦	فلاسفة الشيعة حياتهم وآراؤهم. عبد الله نعمة. ط ١. لبنان. دار الفكر اللبناني، ١٩٨٧م.
٣٣٧	الفهرست، الطوسي، تحقيق: جواد القيومي. قم: مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، نشر مؤسسة الفقاهة، ط ١، ١٤١٧هـ.
٣٣٨	الفهرست، لأبي الفرج محمد بن أبي يعقوب المعروف بابن النديم تحقيق: يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٢هـ.
٣٣٩	فوائح الجمال وفواتح الجلال. نجم الدين الكبري. تصحيح المستشرق: فرتيز مائر. طبعة ألمانيا، ١٩٥٧م.
٣٤٠	الفوائد، لابن قيم الجوزية. تحقيق: بشير محمد عيون. مكتبة دار البيان. دمشق. ط ١، ١٤٠٧هـ.
٣٤١	الفوائد الرجالية، لمحمد مهدي بحر العلوم، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، مكتبة الصادق، طهران، ط١، ١٣٦٣هـ.
٣٤٢	الفوائد المدنية. للاسترابادي. بتحقيق: رحمة الله الرحمتي الأراكي. مؤسسة النشر الإسلامي. قم. ط١، ١٤٢٤هـ.
٣٤٣	في التصوف الإسلامي وتاريخه. لنيكلسون. ترجمة: أبو العلاء العفيفي. لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة، ١٣٦٦هـ.
٣٤٤	قاموس الكتاب المقدس. لمجمع الكنائس الشرقية. بإشراف: رابطة الكنائس الإنجيلية في الشرق الأوسط. مكتبة المشغل. بيروت. ط٦، ١٩٨١هـ.
٣٤٥	القاموس المحيط. الفيروز آبادي. دار إحياء التراث العربي. بيروت. ط ١، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
٣٤٦	القبورية في اليمن. أحمد المعلم. مركز الكلمة الطيبة. صنعاء. ط ١، ١٤٢٤هـ.
٣٤٧	القرآن باب معرفة الله. الخميني مصطفى. دار المحجة البيضاء. بيروت [د. ت].

٣٤٨	قرب الإسناد، لأبي العباس عبد الله الحميري، مطبعة مهر، نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ط١، ١٤١٣هـ.
٣٤٩	قصة الحضارة، ول ديورانت ترجمة محمد بدران. الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية. القاهرة، ١٩٦٤م.
٣٥٠	قضية الإمامة عند الشيعة الإثني عشرية وأثرها في الحديث النبوي الشريف. إيهاب عبد العزيز الكومي. رسالة ماجستير في كلية التربية. جامعة عين شمس، ٢٠٠٠/٢٠٠١م.
٣٥١	قضية الظاهر والباطن بين الشيعة والصوفية. محمد عبد الوهاب غانم. رسالة ماجستير في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، ١٤٢٩هـ.
٣٥٢	قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر. لمحمد أبي الهدى الرفاعي الخالدي الصيادي. دار المكتبة العلمية. بيروت [د. ت].
٣٥٣	قواعد التصوف. لأبي العباس أحمد الشهير بزروق الفاسي. مكتبة الكليات الأزهرية. القاهرة. ط ٢، ١٣٩٦هـ.
٣٥٤	كامل الزيارة. جعفر القمي. تحقيق: جواد الفيومي. مؤسسة النشر الإسلامي. قم. ط ١. ١٤١٧هـ.
٣٥٥	الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر بهامش اليواقيت والجواهر. عبد الوهاب الشعراني. دار إحياء التراث العربي. بيروت [د. ت].
٣٥٦	كتاب السنة. لابن أبي عاصم. ومعه: ظلال الجنة في تخريج السنة. محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي. بيروت. ط الثانية. ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م.
٣٥٧	كتابة البحث العلمي صياغة جديدة. عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان. دار الشروق. جدة. ط ٦، ١٤١٦هـ.
٣٥٨	كسر الصنم نقض كتاب أصول الكافي. أبو الفضل البرقعي. ترجمة: عبد الرحيم البلوشي. دار البيارق. عمان. ط ١، ١٤١٩هـ.

٣٥٩	كشاف القناع. منصور بن يونس البهوتي. راجعه وعلق عليه: هلال مصيلحي. عالم الكتب، ١٤٠٣هـ.
٣٦٠	كشف الأستار عن وجه الغائب من الأمصار. حسين النوري الطبرسي. مطبعة مؤيد العلماء الجديدة. قم، ١٣١٨هـ.
٣٦١	كشف الأسرار. الخميني مصطفى. تقديم: محمد علي الخطيب. دار عمار. عمان. ط ١، ١٤٠٨هـ.
٣٦٢	كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس. إسماعيل بن محمد العجلوني. دار الكتب العلمية. بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
٣٦٣	كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، لجعفر آل كاشف الغطاء، انتشارات مهدوي، أصفهان.
٣٦٤	كشف المحجوب. للهجويري. دراسة وتعليق: إسعاد عبد الهادي قنديل. راجع الترجمة: أمين عبد المجيد بدوي، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر سنة ١٩٨٠م.
٣٦٥	كفاية الأصول. لمحمد كاظم الخراساني. مؤسسة آل البيت لإحياء التراث. قم [د. ت].
٣٦٦	كمال الدين وتمام النعمة. للصدوق. تحقيق: علي أكبر غفاري. مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين. قم، ١٤٠٥هـ.
٣٦٧	الكنى والألقاب. لعباس القمي. تقديم: محمد هادي الأميني. نشر مركز المعجم الفقهي. قم [د. ت].
٣٦٨	كيمياء المحبة. محمد الريشهري. دار الحديث. طهران. ط ٦، ٢٠٠٩م.
٣٦٩	لؤلؤة البحرين، ليوسف البحراني، تحقيق وتعليق: محمد صادق بحر العلوم، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.
٣٧٠	لؤلؤة الحسن الساطعة في بعض مناقب ذي الأسرار الساطعة. محمد بن عثمان الميرغني. جعفر الميرغني. مطبعة مصطفى البابي الحلبي. ط ٢، ١٣٩٩هـ.
٣٧١	لسان العرب، لابن منظور، دار إحياء التراث العربي، قم، ط ١، ١٤٠٥هـ.

٣٧٢	لطائف المنن في مناقب أبي العباس المرسي وشيخه أبي الحسن. لابن عطاء الله السكندري. مطبوع بهامش لطائف المنن والأخلاق. المطبعة الميمنية. مصر، ١٣٢١هـ.
٣٧٣	لمحات في المكتبة والبحث والمصادر. محمد عجاج الخطيب. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط ١٨، ١٤١٨هـ.
٣٧٤	اللمع في التصوف، السراج الطوسي، تحقيق وتقديم: عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي سرور، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٨٠هـ.
٣٧٥	اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع. أبو الحسن الأشعري. تحقيق: ريتشارد يوسف مكارثي. المطبعة الكاثوليكية. بيروت، ١٩٥٢م.
٣٧٦	لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة الناجية، محمد أحمد السفاريني. المكتب الإسلامي، بيروت. ط ٣، ١٤١١هـ.
٣٧٧	مؤلفات الغزالي. عبد الرحمن بدوي. وكالة المطبوعات. الكويت. الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.
٣٧٨	المتحولون حقائق ووثائق. هشام آل قطيط. دار المحجة البيضاء. بيروت. ط ١، ١٤٢٣هـ.
٣٧٩	المجالس الرفاعية. أحمد الرفاعي. مطبعة الإرشاد. بغداد [د. ت].
٣٨٠	مجلة المنار. مجلة شهرية للشيخ محمد رشيد رضا. مطبعة المنار. مصر. ط ١ بدون تاريخ الطبع.
٣٨١	مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
٣٨٢	مجموع الأوراد الكبير. محمد عثمان الميرغني. مطبعة مصطفى البابي الحلبي. مصر، ١٣٥٨هـ.
٣٨٣	مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية. جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد. طبعة الرياض.
٣٨٤	المجموعة النادرة لأبناء الآخرة. محمد مهدي الرواس الصيادي الرفاعي. تحقيق: عبد الحكيم عبد الباسط. دار البشائر. دمشق. ط ١، ١٤١٥هـ.

٣٨٥	محاضرات في الإلهيات، لجعفر السبحاني، تلخيص: علي الرباني الكلبايكاني، مؤسسة الإمام الصادق، قم.
٣٨٦	المحتضر، لحسن بن سليمان الحلي، المطبعة الحيدرية، النجف، ط١، ١٣٧٠هـ.
٣٨٧	مختصر التحفة الإثني عشرية، لمحمود شكري الألوسي، تحقيق: محب الدين الخطيب، نشر المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٣هـ.
٣٨٨	مختصر سؤال وجواب في أهم المهمات العقدية لدى الشيعة الإمامية. عبد الرحمن الشثري. ط ١، ١٤٢٨هـ.
٣٨٩	مختصر مفيد أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة. جعفر مرتضى العاملي. المركز الإسلامي للدراسات. بيروت. ط ١، ١٤٢٥هـ.
٣٩٠	مدخل إلى التصوف الإسلامي، أبو الوفاء التفتازاني. دار الثقافة للطباعة والنشر. القاهرة، ١٩٧٤م.
٣٩١	مدخل إلى العلوم الإسلامية (الكلام - العرفان - الحكمة العملية). مرتضى المطهري. ترجمة: حسن علي الهاشمي. دار الكتاب الإسلامي. ط ٢، ١٤٢١هـ.
٣٩٢	المدرسة الحديثة الشاذلية وإمامها أبو الحسن الشاذلي. عبد الحليم محمود ط دار الكتب الحديثة. القاهرة. [د. ت].
٣٩٣	مذكرات بول بريمر " عام قضيته في العراق، النضال لبناء غد مرجو". دار الكتاب العربي. بيروت.
٣٩٤	مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، لمحمد باقر المجلسي، مقابلة وتصحيح: هاشم رسولي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٩هـ.
٣٩٥	المراجعات، لعبد الحسين الموسوي، تحقيق: حسين الراضي، الجمعية الإسلامية، بغداد، ط٢، ١٤٠٢هـ.
٣٩٦	المراجعات. محسن الأمين. مؤسسة الأعلمي. ط ٣، ١٣٩٧هـ.

٣٩٧	مراقد أهل البيت في القاهرة. محمد زكي إبراهيم. مطبوعات العشيرة المحمدية. القاهرة. ط ٥، ١٩٩٧م.
٣٩٨	مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، لناصر القفاري، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٧، ١٤٢٤هـ.
٣٩٩	مستدرك الوسائل ومستنبط الدلائل. لميرزا حسين النوري الطبرسي. المكتبة الإسلامية. طهران [د. ت].
٤٠٠	مستدركات أعيان الشيعة، لحسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٨هـ.
٤٠١	المسند. للإمام أحمد بن حنبل. تحقيق: أحمد شاكر. دار الحديث. القاهرة. الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
٤٠٢	مشارق الشموس الدرية في أحقية مذهب الأخبارية، لعدنان البحراني، نشر المكتبة العدنانية، البحرين.
٤٠٣	مشارق أنوار اليقين لحافظ رجب البرسي. دار الأندلس. بيروت. ط ١١، بدون تاريخ الطبع.
٤٠٤	مشاهد العترة الطاهرة. عبد الرزاق كمونة. مؤسسة البلاغ. بيروت [د. ت].
٤٠٥	مشرعة بحار الأنوار. محمد آصف محسني. العارف للمطبوعات. بيروت. ط ٢، ١٤٢٦هـ.
٤٠٦	مصادر الاستنباط بين الأصوليين والأخباريين، لمحمد عبد الحسن الغرواي، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ط١، ١٤١٣هـ.
٤٠٧	مصادر التلقي عند الصوفية. هارون بشير صديقي. دار الراية. الرياض. ط ١، ١٤٢٧هـ.
٤٠٨	مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الإثني عشرية. إيمان العلواني (رسالة ماجستير في جامعة أم القرى). عام ١٤٢٧هـ.
٤٠٩	المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضاً ونقداً. صادق سليم صادق. مكتبة الرشد. الرياض. ط ١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

٤١٠	مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية، للخميني، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.
٤١١	المصريون والتشيع الممنوع. أحمد راسم النفيس. دار المحجة البضاء. بيروت. ط ١، ١٤٢٦هـ.
٤١٢	مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية، إدريس محمود إدريس. مكتبة الرشد. الرياض. ط ٣، ١٤٠٩هـ.
٤١٣	مظاهر الغلو عند الصوفية حقائق وملابسات. محمد الشثري. مطابع الحميضي. الرياض. ط ١، ١٤٢٤هـ.
٤١٤	معاجز أهل البيت. محسن عقيل. دار المحجة البيضاء. بيروت. ط ٣، ١٤٢٧هـ.
٤١٥	المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية. عز الدين الصيادي الرفاعي. مطبعة محمد أفندي. القاهرة، ١٣٠٥هـ.
٤١٦	المعالم الجديدة في الأصول، لمحمد باقر الصدر، مطبعة النعمان، نشر مكتبة النجاح، النجف، ط٢، ١٣٩٥هـ.
٤١٧	معالم الطريق إلى الله. أبو الفيض المنوفي. دار العالم الإسلامي. القاهرة [د. ت].
٤١٨	معالم المدرستين، لمرتضى العسكري، مؤسسة النعمان، بيروت، ١٤١٠هـ.
٤١٩	معجم اصطلاحات الصوفية. عبد الرزاق الكاشاني. تحقيق: عبد العال شاهين. دار المنار. القاهرة. ط ١، ١٤١٣هـ.
٤٢٠	معجم البلدان. ياقوت الحموي. دار صادر. بيروت. [د. ت].
٤٢١	المعجم الصوفي. عبد المنعم الحفني. دار الرشاد. القاهرة. ط ١، ١٤١٧هـ.
٤٢٢	معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، مطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، نشر مكتبة المثنى.
٤٢٣	معجم المصطلحات الصوفية. أنور أبي خزام فؤاد. مكتبة لبنان. ط ١، ١٩٩٣م.
٤٢٤	معجم المقاييس في اللغة. لأبي الحسن أحمد بن فارس، حققه شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر. بيروت. ط ٢، ١٤١٨هـ.
٤٢٥	مفاتيح الجنان. عباس القمي. تعريب: محمد رضا النجفي. دار البلاغة. بيروت، ٢٠٠٣م.

٤٢٦	مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة. محمد جواد العاملي. تحقيق: محمد باقر الخالصي. مؤسسة النشر العلمي. قم. ط ١، ١٤١٩هـ.
٤٢٧	مفتاح دار السعادة ومنشور العلم والإرادة. ابن قيم الجوزية. دار نجد للنشر والتوزيع. الرياض، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
٤٢٨	المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سعيد كيلاني. دار المعرفة. بيروت [د. ت].
٤٢٩	مقالات الإسلاميين أبو الحسن الأشعري. تحقيق: ريتر. طبعت ضمن سلسلة النشرات الإسلامية التي تصدرها جمعية المستشرقين الألمانية. الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
٤٣٠	مقالة الشيعة. محمد الشيرازي. طبعة كربلاء العراق. [د. ت].
٤٣١	مقدمات العرفان. عباس نور الدين. مركز باء للدراسات. بيروت، ٢٠٠٥م.
٤٣٢	مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، ط٦ (بيروت: دار القلم - ١٤٠٦هـ).
٤٣٣	مقدمة تفسير البرهان المسماة بـ"مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار"، لأبي الحسن العاملي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١. ١٤١٩هـ.
٤٣٤	الملل والنحل، للشهرستاني، تحقيق: أمير علي مهنا، وعلي حسن فاعور، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ.
٤٣٥	من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة. محمد السيد الجليند. مصر. مكتبة الشباب، ١٩٨٨م.
٤٣٦	من لا يحضره الفقيه، للصدوق، تحقيق: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، بقم، ط٢، ١٤٠٤هـ.
٤٣٧	من هنا وهناك ضمن مجموعة مقالات للشيخ محمد جواد مغنية. مؤسسة الأعلمي. بيروت. ط ١، ١٣٨٨م.

٤٣٨	منازل السائرين إلى الحق المبين. أبو إسماعيل الهروي. دار الكتب العلمية. بيروت [د. ت].
٤٣٩	منامات المعصومين رؤية عقائدية، فقهية، تاريخية، لمحمد حسن القبانجي. دار المحجة البيضاء بيروت. ط ١، ١٤٢٤هـ.
٤٤٠	المناهج التفسيرية. جعفر السبحاني. دار الولاء. بيروت. ط ٣، ١٤٢٦هـ.
٤٤١	المنقذ من الضلال. أبو حامد الغزالي. تحقيق: محمود بيجو. مطبعة الصباح. دمشق. الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
٤٤٢	منهاج السنة النبوية. شيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق: محمد رشاد سالم. ط٢. الرياض. طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤١١هـ.
٤٤٣	منهاج الكرامة في معرفة الإمامة. لابن المطهر الحلي. تحقيق: عبد الرحيم مبارك. مؤسسة عاشوراء للتحقيق والدراسات الإسلامية. مشهد، ١٤٢١هـ.
٤٤٤	المنهاج في شعب الإيمان. الحسين الحليمي. تحقيق: حلمي فوده. دار الفكر. بيروت. ط ١، ١٣٩٩هـ.
٤٤٥	المنهج القرآني الفاصل بين أصول الحق وأصول الباطل. طه الدليمي. مكتبة غرناطة. ط ١، ٢٠٠٦م.
٤٤٦	الموافقات، للشاطبي، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط٥، ١٤٢٢هـ.
٤٤٧	المواقف في علم الكلام. للإيجي. عالم الكتب. بيروت. [د. ت].
٤٤٨	المواهب السرمدية في مناقب النقشبندية. محمد أمين الكردي. مطبعة السعادة. مصر، ١٣٢٩هـ.
٤٤٩	موسوعة أعلام الفلسفة. روني ألفا. دار الكتب العلمية. بيروت. ط ١، ١٤١٢هـ.
٤٥٠	الموسوعة الصوفية، عبدالمنعم الحنفي دار الرشاد. القاهرة. ص ١، ١٤١٢هـ.
٤٥١	موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والأدب. عبد الحسين الأميني. دار الغدير. بيروت، ١٩٩٩م.
٤٥٢	الموسوعة الفقهية الميسرة، لمحمد علي الأنصاري. مطبعة باقري، نشر مجمع الفكر الإسلامي. قم. ط ١، ١٤١٥هـ.
٤٥٣	الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة. ط ٥. الرياض. الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٤٥٤	موسوعة أهل البيت في الكتاب والسنة. محمد الري شهري. دار الحديث. طهران، ١٩٩٦م.
٤٥٥	الموضوعات، لابن الجوزي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.
٤٥٦	موقف الإمامية من كتاب الله تعالى. عائشة المناعي. الانتشار العربي. بيروت. ط١، ٢٠٠٨م.
٤٥٧	موقف متصوفة المغرب وزهادها من الاحتلال العبيدي. أبو لبابة الطاهر حسين. دار اللواء. الرياض. ط ١، ١٣٩٩هـ.
٤٥٨	ميزان الحكمة، لمحمد ري شهري، دار الحديث، قم، ط١، ١٤١٦هـ.
٤٥٩	الميزان في تفسير القرآن، لمحمد حسين الطباطبائي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم.
٤٦٠	النجوم الزواهر. أحمد الرحبي الحسيني. دار الحرية - بغداد ١٩٨٠م.
٤٦١	نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر. ابن الجوزي. تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم. طبعة بيروت، ١٤٠٤هـ.
٤٦٢	نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، عرفان عبد الحميد فتاح. دار الجيل. بيروت. ط ١، ١٤١٣هـ.
٤٦٣	نشر المحاسن الغالية في فضل المشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية لليافعي. تحقيق وتصحيح إبراهيم عطوه شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. ط١. ١٣٨١هـ.
٤٦٤	نظرات في التصوف والكرامات، لمحمد جواد مغنية، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت.
٤٦٥	نظرية السنة في الفكر الإمامي الشيعي التكون والصيرورة. حيدر حب الله. الانتشار العربي. بيروت. ط ١، ٢٠٠٦م.
٤٦٦	النفحات الجودية في مآثر وأوراد الطريقة النقشبندية. جودة محمد أبو اليزيد النقشبندي. الدار الجودية. مصر. ط ٢. ٢٠٠٥م.
٤٦٧	نقد الحديث عند الشيعة الإمامية الإثني عشرية. مجدي عوض. رسالة دكتوراه من كلية الآداب في جامعة القاهرة. ٢٠٠٦م.

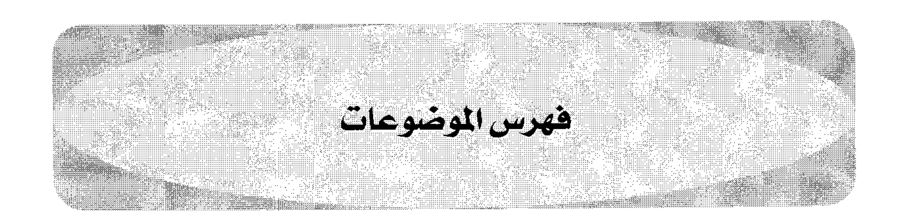
٤٦٨	نقض الصوفية. عامر حسن عامر. دار الصوت العالي. مصر. ط ١، ١٤٢٩هـ.
٤٦٩	نقض فتاوى الوهابية. محمد كاشف الغطاء. دار الغدير. بيروت [د. ت].
٤٧٠	النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وطاهر أحمد الزاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٧١	نهج البلاغة، المنسوب للإمام علي بن أبي طالب، شرحه وضبط نصوصه: محمد عبده، تقديم: هاني الحاج، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
٤٧٢	نور البراهين، لنعمة الله الجزائري، تحقيق: السيد الرجائي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ط١، ١٤١٧هـ.
٤٧٣	النور من كلمات أبي طيفور للسهلجي ضمن كتاب شطحات الصوفية د. عبد الرحمن بدوي. وكالة المطبوعات. الكويت. ط ٢، ١٩٧٦م.
٤٧٤	هدية العارفين، لإسماعيل باشا البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٧٥	الوافي للفيض الكاشاني. المكتبة الإسلامية. طهران [د. ت].
٤٧٦	وجاء دور المجوس، لعبد الله غريب، دار الجيل للطباعة والنشر، مصر، ١٩٨١م.
٤٧٧	الوجه الآخر للصوفية. أبو حمزة المنياوي. دار المؤيد. الرياض. ط ١، ١٤٢٦هـ.
٤٧٨	الوجود الحق. عبد الغني النابلسي. تحقيق: بكري علاء الدين. المعهد الفرنسي للدراسات العربية. دمشق، ١٩٩٥م.
٤٧٩	الوجيزة في الدراية. محمد بهاء الدين العاملي. المكتبة الإسلامية. قم، ١٣٩٦هـ.
٤٨٠	وركبت السفينة. مروان خليفات. مركز الغدير للدراسات الإسلامية. بيروت [د. ت].
٤٨١	وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة للحر العاملي، مطبعة مهر، ونشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ط٢، ١٤١٤هـ.
٤٨٢	الوشيعة في نقد عقائد الشيعة، لموسى جار الله، نشره سهيل اكيديمي، باكستان، ١٣٩٩هـ.
٤٨٣	الوشيعة في كشف شنائع عقائد الشيعة. صالح الرقب. ط ١، ١٤٢٤هـ.

٤٨٤	وصول الأخيار إلى أصول الأخبار. حسين عبد الصمد العاملي. تحقيق: عبد اللطيف الكوهكمي. مجمع الذخائر الإسلامية. قم [د. ت].
٤٨٥	وضوء النبي ﷺ، لعلي الشهرستاني. ط ١، ١٤١٥هـ.
٤٨٦	الولاية التكوينية. هاشم العاملي. دار الهادي. بيروت. ط ١، ١٤٢٠هـ.
٤٨٧	ولاية الله والطريق إليها. إبراهيم إبراهيم هلال. دار الكتب الحديثة. القاهرة، ١٣٨٩هـ.

ثانياً: المواقع الإلكترونية:

١	موقع أحمد الكاتب www.alkatib.co.uk
٢	موقع أربعة عشر معصوماً www.14masom.com
٣	موقع إسلام أون لاين. www.islamonline.net
٤	موقع الأخباري: محسن آل عصفور. www.al-asfoor.com
٥	موقع الإصلاح. http://www.eslaah.net
٦	موقع البرهان. http://alburhan.com
٧	موقع البينة www.albainah.net
٨	موقع الجزيرة نت. www.aljazeera.net
٩	موقع الحقيقة الدولية www.factjo.com
١٠	موقع الدرر السنية www.dorar.net
١١	موقع الرشيد. www.rasheed-b.com
١٢	موقع الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي. www.alahsai.net
١٣	موقع الصوفية www.alsoufia.com
١٤	موقع الطريقة العليَّة القادريَّة الكسنزانيَّة. www.kasnazan.com
١٥	موقع العربية نت www.alarabiya.net
١٦	موقع القرضاوي www.qaradawi.net
١٧	موقع المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية www.taghrib.org/arabic/index.htm
١٨	موقع المختصر www.almokhtsar.com
١٩	موقع المسلم www.muslm.net

٢٠	موقع المنقب القرآني www.holyquran.net
٢١	موقع الوراق www.alwaraq.net
٢٢	وقع جريدة المصريون www.almesryoon.com
٢٣	موقع جعفر السبحاني imamsadeq.org
٢٤	موقع شبكة الدفاع عن السنة www.dd-sunnah.net
٢٥	موقع صوفية حضرموت www.soufia-h.net/index.php
٢٦	موقع صيد الفوائد . www.saaid.net
٢٧	موقع علي الخامنئي www.leader.ir/langs/AR
٢٨	موقع فيصل نور www.fnoor.com
٢٩	موقع مركز الأبحاث العقائدية. www.aqaed.com
٣٠	موقع مفكرة الإسلام www.islammemo.cc
٣١	موقع منتدى الأصلين www.aslein.net
٣٢	موقع منتديات القادسية. www.alqadisiyya3.com/vb
٣٣	موقع منتديات رباط الفقراء www.rubat.com
٣٤	موقع موسوعة ويكبيديا ar.wikipedia.org


فهرس الموضوعات